

وزارة المعارف العمومية

الإدارة العامة للثقافة — إدارة نشر التراث العربي

ديوان أسامة بن منقذ

حقيقه وقدم له

حامد عبد المجيد

وكيل إدارة نشر التراث العربي
بوزارة المعارف العمومية

الدكتور أحمد أحمد بدوي

مدرس بكلية دار العلوم
جامعة القاهرة

حق الطبع محفوظة للوزارة

المطبعة الأميرية بالقاهرة

١٩٥٣

اهداءات ٢٠٠٢

اسرة د/ محمد الرحمن يحوي

جمعية د/ محمد الرحمن يحوي للتدريج الثقافي

الهاجرة

وزارة المعارف العمومية

الإدارة العامة للثقافة — إدارة نشر التراث العربي

ديوان أسامة بن منقذ

حققه وقدم له

حامد عبد المجيد

وكيل إدارة نشر التراث العربي
بوزارة المعارف العمومية

الدكتور أحمد أحمد بدوي

مدرس بكلية دار العلوم
جامعة القاهرة

حق الطبع محفوظة للوزارة

للطباعة الأميرية بالقاهرة

١٩٥٣

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	(٢)
ديوان أسامة	(٣٦)
مقدمة صاحب الديوان	(٤٢)
باب الفزل	١
ما قاله في شكوى الفراق ، ووصف الحنين والاشتياق	٥٤
ما قاله في المكتبات ، وما يخطر في سلكها من المعانيات	١٠٩
باب الأوصاف	١٥٣
باب المدح	١٦٢
ما قاله مفتخرا ، ومفتوح به متأثرا	٢٠٠
باب الأدب	٢٣٠
في الشواهد والأمثال ، وما ينسج على هذا المتوال	٢٤٥
في السكبر والمثيب ، وخلق رداء الشباب القشيب	٢٦٤
في الزهد والاعتبار ، والمراعاة والإتقان	٢٧٦
باب المراثي	٢٩٤
مسمطات من شعره أفردت عن الأبواب المذكورة	٣١١
نهرس الأغراض بقوافيها	٣٣٣

مقدمة

بقلم الدكتور أحمد أحمد بدوى

(١)

فى يوم الأحد السابع والعشرين من جمادى الآخرة ، سنة ١٤٨٨ هـ (يوليه سنة ١٩٩٥ م) ولد أسامة بن منقذ ، فى أسرة توارثت إمارة شيزر ، وهى مدينة فى الشمال الغربى لحماة ، تبعد عنها خمسة عشر ميلا ، وتقع على هضبة ، يحيط بها نهر العاصى من جهات ثلاث ، وتهض فيها قلعة شاذغة حصينة ، وكان لهذه القلعة قيمتها فى عصر الحروب الصليبية ؛ لمركزها الحربى الحصين ، ومكانها بين الولايات السورية ؛ فكانت مطمح الطامعين ، من أمراء المسلمين والصليبيين .

ولد أسامة لأب صالح ، يقضى وقته بين تلاوة القرآن والصيد فى النهار ، ونسخ كتاب الله فى الليل ، ووالدة شهرت بالشجاعة والنخوة والإقدام . وقد تركه والده منذ صغره يقتحم الأخطار ، ويركب الصعب من الأمور ؛ فلا ينهيه عن أن يمشى إلى حية يحز رأسها ، ويلقى بها فى الدار ميتة ، وهو ثابت رابط الجأش ، ولا يحول بينه وبين مصارعة الأسود بشيزر ، وقتل ما يصرعه منها ؛ وهكذا شب جريئا لا يهاب . ومما ساعده على ذلك أنه كان يشترك مع أبيه فى رياضته المفضلة عنده ، وهى الصيد .

إلى جانب هذه النشأة التي تعد للحرب والنضال ، تلقى أسامة الثقافة التي كان يتلقاها الأمراء في ذلك العصر ؛ فدرس الحديث ، والفقه ، والأدب ، والنحو ، واللغة ، وحفظ الكثير من الشعر ، وأخذ من ذلك بنصيب واف ، يشهد له به كتبه ، وما ضمت من أحاديث كثيرة متنوعة الأغراض ، ومن ماثور كلام البلغاء من المتقدمين ، وما استشهد به من شعر ومثور ، وما اقتبس من شعر السابقين ، وما أورده في شعره من ألفاظ لغوية استعملت في معانيها الدقيقة ، مما لم يكن يجري إلا على أقلام كبار البلغاء . أخذ ذلك عن كبار الأساتذة ، كما كانت البيئة التي عاش فيها بيئة أدبية ممتازة ؛ فقد كان الأمراء من بنى منقذ ممن يقصدهم الشعراء والأدباء ، كما أنهم كانوا هم علماء شعراء ، ويحفظ الأدب كثيرا من أشعار أبيه وأعمامه .

كان أسامة أثيرا لدى عمه أبي العساكر سلطان حاكم شيزر ، ولما لم يكن له عقب ، اتخذ أسامة ابنا له ، وكان يرى فيه الأمير المستقبل لشيزر ، ووارث الملك من بعده ؛ فكان يكلفه من الأمور ما يتطلب شجاعة وبراعة ، واشترك أسامة في المعارك التي دارت بين أمرته وبين الصليبيين ؛ دفاعا عن مدينتهم (شيزر) . وعاش أسامة في تلك المدينة ، بين حب والده وعطف عمه ، غير أن هذا لم يلبث بعد أن رزق أولادا في آخر أمره ، حتى دبّ الوهن والفتور إلى العلاقة التي تربطه بأسامة ، وبدلا من حبه وعطفه عليه ، أخذ الحسد والحقد يأخذان مكانهما من قلبه ، خوفا على أولاده من مكانة أسامة ، وحذرا أن يتول الملك إليه دونهم ، فمضى أسامة إلى الموصل ، لدى عماد الدين زنكي ، الذي صار أكبر أبطال الحروب الصليبية في وقته ، وأول خطر حقيق دام الصليبيين ،

فانتظم أسامة في جنده ، وحارب تحت قيادته في عدة معارك ، ولكنه لم ينس
وطنه الأول شيزر ، عندما هاجمه الفرنج والروم سنة ٥٣٣ هـ (١١٣٨ م)
فقد مضى إليه ، وأبلى بلاء حسنا في الدفاع عنه ، وربما كان قد عزم على البقاء
في شيزر ، بين أهله الذين فقدوا والده سنة ٥٣١ هـ . غير أن عمه أبا العساكر
لم يرض عن مقام أسامة بشيزر ، فقد أيقن أنه أصبح خطرا على ملكه ، وأن
ليس لأبنائه سلامة إذا ظلَّ أسامة في شيزر ، فأمره وإخوته بالرحيل ، فتشتوا
في البلاد ، وكان في ذلك الخير لهم ، فانهم نجوا من الزلازل التي هدمت شيزر ،
وقضت على بني منقذ بأسرهم ، وذهبت بملكهم سنة ٥٥٢ هـ .

مضى أسامة يوم أخرج من شيزر إلى دمشق ، واتصل بحاكمها : معين الدين
أثر ، واعتمد هذا الحاكم على أسامة في تصريف الشؤون السياسية ، وقد نبج أسامة
في ذلك ، نجاحا رفع مكانته في دمشق ، واستطاع في تلك الحقبة أن يتصل
بالفرنج عن قرب ، وأن يعرف الكثير من عاداتهم وأخلاقهم . ولكنَّ المقام
لم يصف لأسامة بدمشق ، ويظهر من تلك القصيدة التي أرسلها إلى معين الدين
أثر يعاتبه فيها — أنَّ السرَّ في نبوَّ المقام بأسامة يعود إلى وشايات ، حملها الساعون
إلى معين الدين ، صدقها ، فانحرف قلبه عنه . يداننا على ذلك قول أسامة :

بلغ أميرى : معين الدين مالكة من نازح الدار ، لكن وده أم
هل في القضية يامن فضل دولته وعدل سيرته بين الورى علم
تضييع واجب حق ، بعدما شهدت به النصيحة ، والإخلاص ، وانلحدم

وما ظننتك تنسى حق معرفتي « إن المعارف في أهل النهى ذم »
 ولا اعتقدت الذي بنى وبنيك من ود ، وإن أجلب الأعداء ، ينصرم
 لكن ثقاتك مازالوا بغشهم « حتى استوت عندك الأنوار والظلم »
 والله مانصحو ، لما استشرتهم وكلهم ذو هوى في الرأي منهم
 كم حرقوا من مقال في سفارتهم وكم سعوا بفساد . ضل سعيهم
 . ويبدو من تلك القصيدة ، وما فيها : من حياة ، وحرارة ، وقوة ، أن أسامة
 كان يضمّر في قلبه فيضا من الحب لمعين الدين ، وقد ختم قصيدته بعد هذا
 العتاب الطويل ، بقوله :

فاسلم ، فاعشتلى ، فالدهر طوع يدي وكل ما نالني من يؤسه نعم
 ترك أسامة دمشق ، وسافر إلى القاهرة ، فوصل إليها في جمادى الثانية
 سنة ٥٣٩ هـ (نوفمبر سنة ١١٤٤ م) ، في عهد الخليفة الحافظ لدين الله ،
 وكان معه والدته ، وزوجه ، وأخوه محمد ، فأكرمه الخليفة أيما إكرام . وأقطعه
 إقطاعا ، عاش به في رغد من الحياة ، وخفض عيش . ولم يشأ أسامة في أول
 الأمر أن يزج بنفسه في الأحداث السياسية المصرية ، حتى إذا ولي الظافر ألقى
 بنفسه في خضم هذه الأحداث ، حتى ليروى المؤرخون أنه اشترك في المؤامرات
 التي انتهت بقتل الوزير ابن السلار ، والخليفة الظافر . ورأى أسامة أن يعود
 بعد هذه الخطوب والحوادث إلى دمشق ، برغم أن الصلة كانت وثيقة بينه
 وبين الوزير المصري الجديد : طلائع بن رزيك .

عاد أسامة إلى دمشق سنة ٥٤٩ هـ (١١٥٤ م) ومضت عشرته لتلحق به ، ولكن السفينة التي كانت يحملهم أصابها عطب عند عكا ، التي كانت في يد الصليبيين ، فتهب الفرنج ما معهم من المتاع ، وساموهم سوء العذاب ، حتى إذا وصلوا إلى دمشق ، كانوا قد قتلوا كل ما حملوه معهم من مصر . وكان لذلك أكبر الأثر الأليم في نفس أسامة . وقد اتصل أسامة في دمشق بحاكمها نور الدين محمود ، أكبر أبطال الحروب الصليبية في عصره ، وكثيرا ما أرسل اليه الوزير المصري طلائع قصائد يحميها على أن يتوسط لدى نور الدين محمود ، حتى تجتمع كلمة سوريا ومصر على جهاد العدو المشترك ، ولكن هذه القصائد لم تثمر ثمرتها ، ولم يصغ نور الدين إليها .

ويظهر أن كبر سن أسامة قد حال بينه وبين الاشتراك في الوقائع الحربية التي شتبا نور الدين ، وإن كان قد ساهم في بعضها . فقد حدثنا أبو شامة في كتابه : الروضتين ، عما أبداه أسامة من ضروب البسالة في حصار قلعة حارم

ويظهر أنه وجد بعد زهاء عشرين سنة ، قضائها في دمشق ، أنه في حاجة إلى الراحة ، والبعد عن تكاليف السلطان وخدمة الملوك ، فضى إلى حصن كيفا : وهناك عكف على البحث والفرس والتأليف ، وربما اختار أسامة هذا المكان لما كان فيه : من مكتبات ضخمة غنية . ولكن هذه العزلة التي أرتضاها أسامة ، قطعها عودة صلاح الدين إلى دمشق ، وقد رأى فيه أسامة البطل المنقذ للبلاد ، فضى إليه ، واستقبله صلاح الدين استقبالا حسنا ، فقد كانت تربطه به صلات وثيقة ، عندما كانا

معا في بلاط نور الدين محمود، فأعطاه صلاح الدين دارا وإقطاعا دارة ، وجالسه وآتسه ، وذاكره في الأدب، وكان يستشيريه فيما يلمّ به ، وإذا مضى إلى الغزو كاتبه، وأخبره بوقائعه ، وكان صلاح الدين معجبا بشعر أسامة ، مشغوبا بقراءة ديوانه ، وتأمل خواطره ، واستحسان روائع قصائده ، وكان ولده: مرهف جليس صلاح الدين ، وصاحبه في الحلّ والترحال .

عاش أسامة في دمشق يشكو الكبر ، وثقلت الحياة عليه لطول عمره ، حتى إذا كان الثالث والعشرون من رمضان سنة ٥٨٤هـ (نوفمبر سنة ١١٨٨م) توفي أسامة، بعد أن أربى على التسعين ، ودفن في سفح جبل قاسيون بدمشق .

(٢)

ترك أسامة عدة كتب ، عرفنا منها :

١ — كتاب الاعتبار ، الذي نشره المستشرق الفرنسي هرتويغ درنبورج (Hrtwig Derenbourg) وقد سجل فيه أسامة ذكرياته ومشاهداته: من معارك حربية وأحداث سياسية في مصر والشام، وهو يصوّر الوقائع التي دارت بينه وبين الفرنج، في صدق وإخلاص ، ويعلّق على ما يرى ، ويشيد بالبطولة ، سواء أكانت من المسلمين أم من الصليبيين، ويدوّن ما رآه من أعمال الأبطال، ولو كانوا من صغار الجند ، ويقيّد الحوادث الفردية الغريبة، وينقل إلينا ضوضاء المعارك، ويصف صلة المسلمين بالفرنج يومئذ في السلم والحرب ، ويصوّر طبائع الفرنج وأخلاقهم وعقائدهم، ويحمى تأملات لأسامة بشأن طول العمر ، وألحق بالكتاب قصصا

وتوادر شاهد بعضها ، وسمع بعضها من ثقة . وقيمة الكتاب في أن ما رواه من حوادث تاريخية ومعارك ، تجلها بعد أن رآها ، فكان فيها شاهد عيان ، ولذا كان من أهم ينابيع التاريخ لتلك الحقبة من عصر الحروب الصليبية . وقد كتبه أسامة وهو ابن تسعين سنة .

٢- كتاب لباب الآداب ، نشره الأستاذ أحمد محمد شاكر ، وقد رتبته مؤلفه على سبعة كتب ، الأول في الوصايا ، والثاني في السياسة ، والثالث في الكرم ، والرابع في الشجاعة ، والخامس في الأدب بمعنى مكارم الأخلاق ، وقسمه بحسبة عشر فصلا ، وهو يورد في هذه الكتب ما يتعلق بها ، مما جاء في القرآن الكريم ، ثم ما ورد من أحاديث تتصل به ، ثم يورد المأثور من أقوال الحكماء ، والكتاب السادس في البلاغة ، يتحدث فيه عن إعجاز القرآن ، وأورد جوامع كلم الرسول ، ونماذج من كلام البلقاء ، وذكر كثيرا من محاسن الشعر الموزج البليغ ، الدال على مكارم الأخلاق ، وقطعا لأغراض مختلفة من الشعر ، والكتاب السابع في الحكمة ، نهج فيه نهج سلفه من الأبواب ، والكتاب يدل على اطلاع واسع ، وذوق دقيق في الاختيار .

٣- كتاب العصا ، وقد أورد فيه شواهد نثرية وشعرية ، تتحدث عن العصا التي عرفت في التاريخ ، وأثبت فيه أيضا كثيرا من شعره .

٤- كتاب البديع ، وقد جمع فيه ما تفرق في كتب العلماء المتقدمين المصنفة في نقد الشعر ، وذكر حماسه وعبويه ، وقد انتقد هذا الكتاب ابن أبي الإصبع في كتابه بدائع القرآن . ومن الكتاب نسخة خطية بدار الكتب ، وقد أعد دناه للنشر .

٥ - كتاب المنازل والديار ، قالت عنه دائرة المعارف الإسلامية : إنه ترجمة كتبها عن نفسه عام ٥٦٨ هـ (١١٧٢ م) ، في أثناء إقامته في حصن كيفا ، والدافع له على كتابته زلزال أغسطس سنة ١١٥٧ م ، وهو يتضمن شواهد شعرية كثيرة عن المنازل ، والديار ، والأطلال ، والربيع ، والدمن ، والرسم ، وغيرها . والمتحف الأسبوي بلسنجراد نسخة منه .

٦ - مختصر مناقب أمير المؤمنين : عمر بن الخطاب ، لابن الجوزي .

٧ - مختصر مناقب أمير المؤمنين : عمر بن عبد العزيز ، لابن الجوزي أيضا .
والكتابان مخطوطان بدار الكتب .

٨ - تاريخ القلاع والحصون .

٩ - أخبار النساء .

١٠ - التاريخ البدرى ، وقد جمع فيه أسماء من شهد بدرًا من الفريقين .

١١ - التجائر المربحة ، والمساعي المنجعة .

١٢ - النوم والأحلام .

١٣ - الشيب والشباب .

١٤ - التأمي والتسلي .

١٥ - ذيل يتيمة الدهر .

١٦ - أخبار النساء .

وهذه الكتب العشرة قد نسبها إليه مؤرخوه ، أو أشار إليها في كتبه التي بين أيدينا .

(٣)

لم يكن معروفا من شعر أسامة سوى ما تفرق في كتبه : الاعتبار ، والعصا .
ولباب الآداب ، وما تفرق في كتب مؤرخيه : تريدة القصر ، والروضتين .
في أخبار الدولتين ، وتاريخ الإسلام للذهبي ، وشذرات الذهب ، وجمهرة
الإسلام ، ذات الثر والنظام . ولكن أسامة كان له ديوان جمعه بنفسه ، وعنى
به من بعده ابنه مرهف ، وكان صلاح الدين مشغوقا به ، كما ذكرنا ، وقد رآه
ابن خلكان ، وذكر أنه بأيدي الناس . وقد عثرت دار الكتب على نسخة خطية
من هذا الديوان^(١) ، وهي النسخة التي قنا بتحقيقها وموازتها بما له من شعر
متفرق في الكتب ، وسنلتحق بالديوان في الطبقات المقبلة إن شاء الله ما عثرنا عليه
في هذه الكتب ، ولم يكن مذكورا في الديوان .

وقد رتب أسامة ديوانه على حسب الأغراض : فباب للغزل ، وآخر لشكوى
الفراق ، وغيرهما للوصف ، إلى غير ذلك من أغراض الشعر الغنائي ، ولكن
ديوانه قد خلا من الهجاء ، ويظهر أنه قد أصر على ألا يكون في شعره هذا اللون ،
برغم التوافع التي كانت تسوقه إلى أن يهجو . حتى لقد قال :

ظلمت شعري ، وليس الظلم من شيمي يطعني ، حين أدعوه ، وأعصيه
يهم أن يذكر القوم اللثام بما فيهم ، فأزجره عنهم ، وأثنيه
وليس من خلق قلب الغنى وإن جنى ، ولا ذكر ذى نقص بما فيه

(١) مخطوطة بالدار تحت رقم ١٦٨٧٧ ز .

وفي ذلك مسحة من ترفع الإمارة التي تحول بينه وبين النزول إلى مستوى
التشائم والمهاترة .

ولما اختار أسامة أن يرتب ديوانه على الأغراض ، كان يجزئ القصيدة
الواحدة ، فيضع غزلاً مثلاً في باب الغزل ، ومديحاً أو نغماً في باب المديح
أو الفخر ، وكان هو يشير إلى ذلك حين يعرض قصائده . ولهذا النظام فائدته
في تتبع الدراسة الفنية ، لكل فنّ من فنون الشاعر على حدة ، وإن كانت الحاجة
تدعو ، عند دراسة بناء القصيدة ، إلى دراسة أجزائها كلها ، لمعرفة الجو الذي
توحى به ، وإدراك مدى الصلة التي تربط بين عناصرها :

ويبدو ، لأوّل ما نقرأ الديوان ، أن أسامة لم يدوّن كلّ ما قاله من الشعر ،
لأنه لم يرض عن كل ما صدر منه ، فحذف منه ما لم يرقه ، حيث يقول :

كلما ردّدتُ في شعري النظر بان ضعف العيّ فيه ، وظهر
ليس يرضى ، ولا يكتفى بحمد ما قد شاع منه ، واشتهر
فأجبل الفكر في تقليله فإذا قل اختصرت المختصر
وه فقر إلى ذى كرم إن رأى ما فيه من عيب متر

وذاك يدل على تطلع أسامة إلى مثل أعلى ، كان ينبغي أن يصل إليه مستوى
شعره ، ولا بد أن كان لذلك أثره في تهذيب أسامة لشعره ، وأخذه إياه بالتقويم
والتنقيح ، حتى ظهر شعره في هذا الثوب من القوة والجزالة ، مما يذكرنا بشعر
الفحول ، الذين سموا بفنّهم عن أن يكون مظهرًا للتلاعب بالألفاظ ، أو الجري

وراء محسن لفظي، من غير أن يكون في البيت معنى جليل ، أو خاطر سام ، أو شعور صادق ، أما أسامة فلهيه ما يقوله ، في أسلوب قوى ، وعبرة رصينة .

وتتدفق خواطر أسامة في قصيدته ، ويرتبط بعضها ببعض ، حتى يصبح البيت لبنة ، في بناء ملتحم مؤلف ، خذ مثلاً قوله :

لا تجزعنَ لخطب فكلّ دهرك خطب
وحادثات الليالي مملّة ، ما تغب
تروح سلماً ، وتغلو على الفتى، وهي حرب
ولا تضق باصطبار ذرعا، إذا اشتدّ كرب
فصبر يومك مرّة وفي غد هو عذب
كم صابر الدهر قوم فادرخوا ما أحبوا
وكلّ نار حريق ينشى لظاها ستخبو

ترفيه التعمام الخواطر وتسلسلها ، ولا نجد ذلك في مقطوعاته القصيرة
لحسب ، بل في قصائده الطويلة أيضا ، حتى ليخيل إليك أحيانا أنك تقرأ قطعة
مشوّرة ، لا قصيدة منظومة ، ويطول نفس أسامة أحيانا حتى تبلغ القصيدة
تسعين بيتا ، كذلك التي كتبها على لسان نور الدين ، يعدّد فيها وقائعه مع الفرج.

وينهج أسامة في كثير من الأحيان المنهج التقليدي ، فيبدأ قصائده بالفضل
حين يفخر ، أو يمدح ، أو يشكو ، وحيث يبدأ موضوعه من غير مقدّمة غزلية،

ك هذه القصيدة التي بعث بها إلى معين الدين أنر ، وقد لقي الفرغنج وهزمهم ،
فقال أسامة .

كلّ يوم فتح مبین ، ونصر ، واعتلاء على الأعادی ، وقهر
ومضى في قصيدته .

ولكنه ما أطلع أسامة على الشعر القديم ، كان يضمّنه بعض قصائده ، حتى
قد اتهمه بعض سامعي شعره بالسرقة من غيره ، وليس فيما فعل أسامة سوى
التضمين ، الذي تراه في قوله ، يخاطب معين الدين أنر :

وأنت أعدل من يشكى إليه . ولى شكية ، أنت فيها « الخصم والحكم »
وما ظننتك تنسى حقّ معرقتي « إن المعارف في أهل النهى ذم »
لكن ثقاتك ما زالوا بغشهم حتى « استوت عندك الأنوار والظلم »
وفي هذه الأبيات تضمين من قصيدة المتنبي : وحر قلباه ممن قلبه شيم .
أما قصيدة أسامة التي مطلعها :

أطاع الهوى من بعدهم ، وعصى الصبر فليس له نهي عليه ، ولا أحر
فقد ضمّنها من شعر أبي فراس ، كهذا البيت ، ومن شعر المتنبي ، وأبي حنيفة
المذلي ، وغيرهم . وليس التضمين بكثير في شعر أسامة ، وأكثره ما جاء في
هاتين القصيدتين .

تلس في شعر أسامة الجلال والوقار ، فلا هزل فيه ولا مزاح ، إلا قليلا
نادرا ، وليس في باب الملاح الذي عقده ، فضلا عن قصره ، سوى قليل من

الفكاهة، ولعل من أرقها قوله، وقد كان له جار من الأمراء يعرف بابن طليب،
وقعت في داره نار، فاحترقت، فقال أسامة :

أنظر إلى الأيام ، كيف تقودنا قسرا إلى الإقرار بالأقدار
ما أوقد ابن طليب قط بداره نارا . وكان هلاكها بالنار

(٤)

وجدت الأحداث الكبرى التي مرت بأسامة صداها في شعره ، وصور
آثارها في نفسه تصويرا قويا . ولعل من أقوى هذه الآثار عمقا في نفسه .
اضطراره إلى أن يفارق وطنه الأول : شيزر ، الذي شهد مدارج طفولته .
وملاعب صباه ، وملاهي شبتيته . وقد وجد أسامة البقاء في هذا الوطن .
شقاء لا يطيقه ، بعد أن جفاه عمه ، وقلب له ظهر المحب ، فكتب إلى أبيه
قصيدة، يحذثه فيها عما يعتلج في صدره من الهم ، ويشكو إليه ما كدر صفاء عيشه
من الغدر ، وما ناله من سوء العقوق ، ويقول له :

أشكو إلى عليك هماً ضاق عن كتانه صدرى ، وما هو ضيق
وطوارقا للهم ، أقرىها الكرى وتلفظ بي صبعا ، فما تتفرق

وبنيته بأنه قد صم على فراق دار الهون ، ما دام الحق قد وجد سبيله
إلى قلوب ذوى قرباه ، فيقول له :

دعنى وقطع الأرض ، دون معاشر كل على ، لغير جرم ، مُحْتَق

تغلى على صلورهم ، من غيظهم فتكاد ، من غيظ على ، تحرق
أعيا على رضاهم ، فيست من إدراكه ، ما التجم شيء يلحق
قد أفسدوا عيشى على، وعيشهم فأنا الشقى بهم ، وبى أيضا شقوا
فضل الأقارب برهم وحنوم فإذا جفوني فالأبعد أرق
وكان أسامة راضيا عن نفسه بهذا الارتحال ، الذى نأى به عن الضيم ،
وبعد به عن أن يسام الخسف والهوان ، واستقبل بعده عن وطنه راضيا به ،
ما دام ذلك فى سبيل احتفاظه بأنفته وعزة نفسه :

أسام خسفا ، ثم لا آبى ، فلست إذا أسامة
هيات ، لا ترضى المعالي صاحباً يرضى اهتضامه

وألقى أسامة بنفسه فى المعارك تحت لواء عماد الدين زنكى ، ولم ينقص
عليه مقامه يومئذ سوى وشاة أو غروا صدر أبيه عليه ، فاضطر أسامة إلى أن
يرسل إلى أبيه استعطافا ، يزيل به من نفسه أثر هذه الواقعة ، التى لم يحدثنا
التاريخ عنها شيئا ، فكتب أسامة إليه :

يا ويح قلبى من شوق ، يقلقله إلى لقاءك ، ماذا من نواك لى
وناظر قرحت أجزائه ، أسفا عليك، فى بلحة من دمعه غرق
وبعد ما بى ، فاشفاق يهدنى بشوب رأيك بالتكدير والرتق
وأن قلبك قدرانت عليه ، من السواشين بى ، جفوة يهماء ، كالنفس
أما كفاهم نوى دارى، وبعذك عن عني ، وفرقة إخوان القبا الصدق

وأنتى كل يوم قطب معركة درية السمر والهندية الدلق
أغشى الوغى مفردا من أسرتى، وهم هم إذا الخيل خاضت لجة العلق
وموضى منك لا اسمو الوشاة له ولا يغيره كيسى ولا حقى
وكان موقعه من دمشق حين نبت به ، كوقعه من وطنه الأول ، فارقه ،
غير راض باحتمال الهوان ، برغم ما ألمسه فى شعره من حبه لمعين الدين ،
إذ يقول له :

ولست آسى على الترحال عن بلد شهب البزاة سواء فيه والرخم
تعلقت بجبال الشمس منه يدى ثم انثنت ، وهى صفر، ملؤها ندم
أما حياته بمصر، فقد مرّ عليه بها من تقلبات الزمان، وعبر الأيام ، وتنقل
الملك والسلطان ما صح أن يقول معه :

محسون من عمرى مضت، لم أتعظ فيها ، كاتى كنت عنها غائبا
وأنت على بمصر عشر بعدها كانت عظة كآها وتجاربا
شاهدت من لعب الزمان بأهله وتقلب الدنيا الرقوب عجابا
ولعلّ الأزمات السياسية التى مرّت به فى مصر، كانت عملا صدره بالهم حيناً،
والنقمة على الزمن الذى دفع به إلى مصر، فيقول :

يامصر، مادرت فى وهى ولا خلدى ولا أجالتك خلواتى بأفكارى
ما أنت أول أرض مسّ تربتها جسمى، ولا فيك لأوطانى وأوطارى
لكن إذا حمت الأقدار كان لما قوى تولى بين الماء والنار

ولكن أسامة برغم هذه الأزمات التي كانت تدفعه حينا إلى الثورة ، والتي لا بد أن تلم بمن يخوض بلعة السياسة — وجد في مصر ما كان يصبو إليه : من مال ومجد ، كان شديد الأسف عليه ، حين أفلت من يده ، نحس بذلك في قوله :

نلت في مصر كل ما يرنجى ۱۱ آمل : من رفعة ومال وجاه

فاستردت ما خولتني ، وما أسرع نقص الأمور عند التناهي !

كنت فيها ، كآخى في منام زال منه ما سر ، عند انتباهي

فلا جرم كان شديد الحنين إلى مصر ، بعد أن فارقها ، وكان يتمنى أن يلي دعوات الملك الصالح ، التي وجهها إليه مرة بعد أخرى ، يدعو فيها إلى العودة والعيش معه . وهنا يحسن بي أن أقف قليلا ، آيين رأى الملك الصالح فيما أتهم به أسامة : من المشاركة في قتل الظافر ، فالصالح يرى أسامة براءة تامة من هذا الإثم ، ويراها نقى الصفحة ، طاهر اليد ، وها هو ذا يرسل إلى أسامة ، يدعو إلى مصر ، ويحدثه عن الوزير عباس الذي قتل ابنه نصر الخليفة الظافر ويقول له :

على أنه قد نال بالغدر من بني نبي الهدى ما لم ينله بنو حرب

وهل نال منهم آل حرب وغيرهم من الناس فوق القتل والسبي والنهب

غدا والفا كالكلب ظلما وحزبه دماهم ، لاحاطه الله من حزب

ويا ليت لو كان فيه من الوفا لما لك بعض الذي هو في الكلب

وحاشاكم ، ما ختم العهد مثله ولا لكم فيما جرى منه من ذنب

ومن مثل ما قد نالكم من دونه يحاذر أن تدنو الصّاح من الحرب

كان لكثرة اترحال أثره في شعر أصامة ، فكثيرا ما شكا الفارقة والافتراق ،
وكثرة جوبه البلاد ، وتحس في هذا الشعر لوعة الحرمان ، وألم الشوق إلى الوطن
المفارق ، والآل الغائين ، فتسمعه يقول :

أهكذا أنا باقي العمرِ مقتربٌ ناءٍ عن الأهل والأوطان والسكن
لا تستقرَّ جياذى في معرّسها حتّى أرّوعها بالشّدّ والظعن
ويقول :

أين السّرورُ من المرقع بالنوى أبدا ، فلا وطنٌ ولا خلانٌ
عيدُ البريّة موسمٌ لعويله وسرورُهم فيه له أحزان
وإذا رأى الشّمل الجميع تراحت في قلبه الأمواه والنيران
فكان هذا الرّحيل الدّائم ، مصدر ألم لأصامة ، يؤزق حياته ، وينقص
عليه عيشه ، وكان له أثره في مسح شعره بمسحة من الحزن والأسى ، وكثرة حديثه
عن الوداع والفراق .

كما كان لتبدّد ثروته ، نهب بعضها عقب الحوادث التي جرت بعد مقتل
الظافر ، وغرق بعضها في البحر عند خروج أسرته من مصر — أثره البالغ
من نفسه ، وأثره القوى في شعره ، شكا ذلك إلى الملك الصالح . وطلب منه
المعونة ، فقال له :

أنا أشكو إليك دهرًا لحى عو دى ، وأغراه ، فهو ييس سليب
وخطوباً رى بها حادث الدهر سوادى وكّهن مسيب

أذهبت تالدى وطارفى الطسارى ، فضاع المورث والمكسوب
فهو شطران بين مصر وبحر ذا غريق فى ، وذا منهوب

ويظهر أن الفرق قد عضه بناه حيناً من الدهر ، حتى رأيناه يصف نفسه بأنه
لا يفترق فى حقيقة الأمر عن سائليه الذين يهرعون إليه ، ظانين فيه الغنى
واليسار :

ولكنّ مستورى كظاهر حالهم فما حيلتى؟ والحظّ حرب الفضائل
وكان أكبر ما يؤله فى حالة العسرة التى آلت به ، هو أن شمت به أعداؤه ،
فأخذ يطمئن نفسه بأن سوف يستعيد مع الأيام ماله المفقود ، وحيناً يقول لهم :

. متى رآنى الشامتون ضرعا لنكبة تعرفنى عرق المدى
هل برّنى الخطب سوى وفى الذى كان مباحاً للنوال والتدى

فإذا زلت كارثة زلزال شير ، فذهبت بملك أهله وبأهله ، أخذ يكيهم ،
ويندب حظهم ، ويرثى منازلهم ، ويسائل الزمن عن ماضى مجدهم ، ويتألم لبقائه
من بعدهم ، ويمدح ما اتصفوا به : من سامى الخلال ، وطيب الفعال . وبرغم
ما كان بينه وبينهم : من إحزن وبغضاء ، عزّ عليه فقدهم ، وتمنى أن لو استمرت
حياتهم ، واستمر ما بينه وبينهم من فرقة وفقر ، فقد كانوا برغم ذلك مصدر فخاره ،
وينبوع لقوته واعتزازه . قال أسامة من قصيدة طويلة يصف فيها هذا الخطب ،
وكيف كان له شديد الوقع فى نفسه ، فهو يتطلب الأسمى ، فلا يجد أسوة
يقتدى بها :

قالوا: تأس ، وما قالوا: بمَن ، وإذا أفردت بالرزء ما أهلك أسوانا
ما استدرج الموت قوى فى هلاكهم ولا تحرمهم منى ووحدانا

فكنت أصبر عنهم صبر محتسب وأحمل الخطاب فيهم ، عز أوهانا
وأقتدى بالورى قلى ، فكم فقدوا أخوا ، وكم فارقوا أهلا وجيرانا
ويدفع عن نفسه أن يظنَّ به ظانٌ وقوفه من هذه الكارثة، وقوف من لا يعنى
بها ، ولا يابه لها ، فيقول :

لعل من يعرف الأمر الذى بعدت بعد التصاقب من جرّاه ، دارانا
يقول بالظنّ إذ لم يدرك ما خلقى ولا محافظتى من حان أو بانا :
أسامة لم يسؤه فقد معشره كم أوغروا صدره غيظا وأضغانا
وما درى أنت فى قلبى لفقدهم نارا تلظى ، وفى الأجفان طوفانا
بنو أبى ، وبنو عمى ، دى دمهم وإن أرونى مناواة وشنانا
كانوا سيوفى ، إذا نازلت حادثة وجتّى ، حين ألقى الخطاب عريانا
وختم تلك القصيدة بالاكية بالدعاء لهم ، فقال :

سقى ثرى أودعوه رحمة ملائ مئوى قبورهم روحا وريحانا
وألبس الله هاتيك العظام ، وإن بلين تحت الثرى ، عفوا وغفرانا
ولما علت سنّ أسامة ، ووهن منه العظم ، أخذ يشكو طول العمر ، وثقل
الحياة عليه ، فحينما يجد فى الموت أعظم راحة تنقذه من ضعفه ، وحينما تنهال
عليه ذكريات شبابه وصباه ، ويوازن بين ضعفه اليوم، وقوته فى عهده السالف ،
فقد كانت كفه مألقا لل سيف والرمح ، فصارت تحمل العصا ، يمشى بها كما

يمشي الأسير منفلا بالكبل ، وحينا يأسف على أنه لم ينل في شبته ، من المتع
والملاذ ، ما كان جدرا أن يظفر به في عصر الشباب ، إذ يقول :

وما ساعنى أن أحال الزما ن لى نهارا ، وجهلى وقارا
ولكن يقولون : عصر الشباب يكون لكل سرور قرارا
فوجدى أنى فارقته ولم أبل ما يزعمون اختبارا

ومن أكبر ما أثر فيه يومئذ أنه رزق ابنة بعد أن تجاوز أربعا وسبعين سنة .
فوجد اليم ينتظرها ، وكان تفكيره في يتمها وضعفها مجلبة لحزنه وبكائه :

رزقت فروة ، والسبعون نخبرها أن سوف تيم عن قرب ، وتنعاني
وهي الضعيفة ، ما تنفك كاسفة ذليلة ، تتمرى دمعى وأحزاني

وصور لنا أسامة نفسه محنيا على عصاه ، قد تقوس ظهره ، وصارت العصا
وترا لهذا القوس ، يمشی مشى الحسير ، قد آده ثقل السنين ، فهو يمشی كالمقيذ
بعثاره ، أو كالأسير فى قيده ، فلا جرم كان شديد الضيق والبرم ، حين يرى نفسه
عاجزا عن تلبية داعى الحرب إذا دعاه :

رجلاى والسبعون قد أوهنت قواى عن سعى إلى الحرب
وكنـت إن ثوب داعى الوغى لئيمه بالطمع والضرب

وكان شديد الضيق والبرم أيضا حين يرى نفسه وحيدا ، قد مضت لداته
وأترابه ، فعاش غريبا فى جيل غريب عنه ، فكان يتأوه قائلا :

ناء عن الأهلىن والأطان ، والامتراب ماتوا

ولبس عيش المرء فا رقه الأحبة واللذات
فإلام أشقى بالبقا ، ، وكم تعذبني الحياة

(٥)

يصور لنا شعر أسامة صلته بأبيه وإخوته : بهاء الدولة منقذ ، ونجم الدولة مجد .
وعزّ الدولة ، وشمس الدولة عبد الرحمن ابن أخيه مجد - قوية وثيقة ، يضمّر لأبيه
الحب وخالص الإجلال ، ويعنى أكبر ما يعنى ، بأن يكون راضيا عن خطواته ،
وأهدافه ، كتب إلى أبيه يستأذنه في فراق شيزر بعد أن ساءت حياته فيها
قصيدة طويلة ، منها :

فاسمح ببعدى عنهم برضاك لى إنّ الذى ترضى عليه موفق
حتى إذا آثر أسامة البعد كتب إلى أبيه قصائد يتشوق فيها إليه ، ويحدثه
عن آماله في لقائه والحياة معه ، فإذا سمع أسامة أنّ تغيرا ألم بقلب والده عليه ،
بعث إليه يستعطفه ويسترضيه ، ومن ذلك قوله :

مالى وللشفعاء فيما أرنجى من حسن رأيك فى ، وهو شفيعى
أعذبت لى من جود كفك موردى فصفا ، وأمرع من نذاك ربيعى
وبك اعتابت ، وطلت من ساميته نغرا يحدك لا بحسن صنيعى
وقضى ببعدى عنك دهر جائر وإلى جنبك إن سلمت رجوعى

(٢١)

وكتب مرة إليه من معتريه قصيدة منها :

بي لوعتان عليك ، يضعف عنهما جلدى : من الأشواق والإشفاق
فالشوق أنت به العليم ، وغالب الإشفاق مما أنت فى ملاق

وقد أثرت هذه القصيدة فى نفس والده ، فكتب إليه :

أنتظنّ أنى بعد بعدك باقى أجزى عن الأشواق بالأشواق
أأبا المظفر ، دعوة تشقى الظما منى ، وإن أضحى بها إحراق
لم أستكن أبدا نخطب نازل إلا لبعذك فهو غير مطاق
فاذا أطعت الوجد قبك أطاعنى قلبي ، ويبدى إن عصبت شقاق
فاذا ذكرتك خلت أنى شارب ثمل سقاه من المدامة ساق

ولعلّ والده رأى هذه القصيدة غير مبيّنة عما يضره قلبه لولده من لاج
الشوق ، فقام أحد مؤدّبي أسامة بنظم قصيدة أرسلها إليه يصف فيها حال هذا
الوالد المعذب .

ولمّا شئت إخوته فى البلاد كانت رسائله إليهم تفيض بالحب وشكوى
الفراق ، فإذا عتب عليه أحدهم ، تقبل عتبه بالعنى ، وصادق الحبّ والمودة ،
وحدث أن أخاه عمدا أسره الفرج ، وهو راحل من مصر ، عقب حركة عباس
وابنه نصر ، فلم يمنعه ما كان بينه وبين ابن عمه بشير من صلة مقطوعة أن
يكتب إليه ، مستعينا به على فك أسر أخيه ، مبديا أرق ألوان الاستعطاف ،
إذ يقول من قصيدة :

أنا ابن عمك ، فاجعلنى بكك أحنى من أسره ، لك عبدا ، مامشت قدحى

ولكن ابن عمه لم يتأثر بالشعر ولم يسع في فكك أخيه .

أما صلته بعمّه ، حاكم شيزر ، وابن عمه ، فيظهر أنّه حاول جاهدا الإبقاء على الصلة التي تربطه بهما ، وبذل في سبيل ذلك ما استطاع أن يبذل من عنت ومشقة ، ولعلّ خير ما يصوّر موقفه في تلك الفترة قوله :

وما أشكو تلون أهل ودى ولو أجدت شكيتهم شكوت
ملكت عتابهم ، ويئست منهم فإ أرجوم فيمن رجوت
إذا أدمت قوارصهم قوادى كظمت على أذاهم ، وانطويت
ورحت عليهم طلق المحبّا كأني ما سمعت ، ولا رأيت
نجّونا لى ذنوبا ما جثها بدأى . ولا أمرت ، ولا نهيت
ولا والله ما أضمرت غدرا كما قد أظهره ، ولا نويت
ويوم الحشر موعدا ، وتبدو صحيفة ما جنوه وما جنيت

وبعد وفاة عمّه ، حاول أسامة أن يصلح ما بينه وبين ابن عمّه ، وأن يعطفه عليه ، ويلين قلبه ، ولكن يبدو أن هذا الجهد لم يؤت ثمرته ، فظلت التفرقة بين أسامة وأهله ، حتى مضى زلزال شيزر بهم ، فبكاهم أسامة كما ذكرنا . وكلّ هذا يدلّنا على ما امتازت به نفس أسامة : من حبّ يضمّره لأقاربه ، ورغبة خالصة في أن يعيش بينهم ، يظلالهم جميعا الودّ والوثام ، لو استطاع إلى ذلك سبيلا ، ولا ذنب عليه إذا هو أخفق في جهد كان جدرا به أن ينجح ، واكاد المسّ في شعره أنّه لم يسع يوما إلى فصم عروة مودة بذه وبين قريب أو صديق .

ومن أكبر هؤلاء الذين اتصل بهم أسامة ، الملك الصالح طلائع بن رزيك ،
 ودارين الاثنين كثير من المراسلات التي تنضح عن ود مكين بين كليهما ،
 وإعجاب كل بصاحبه أكبر الإعجاب ، فضت قصائد الصالح إلى أسامة تدعوه
 إلى مصر حينا ، وتعيب عليه إثارة البعد عنها حينا آخر ، وتأخذ عليه أحيانا
 أنه مقل في رسائله ، لا يوالى بعث كتبه ، وكثيرا ما حدثه الصالح عما قام به من
 حروب مع الفرنج ، ويطلب منه أن يكون وسيلته إلى نور الدين ، كي يجتمعا معا
 على حرب الصليبيين . وقد شارك الصالح أسامة فيما نزل به من أحداث قاسية
 في حياته ، وكان الصالح معجبا بمواهب أسامة في الحرب والسلام ، يرى فيه
 محاربا شجاعا ، وشاعرا مفلقا ، وخطيبا بارعا ، وحكيما في إبداء الرأي صائبا ،
 يقول له :

وجهاً العدو بالفعل والقول ، على كل مسلم ، مكتوب
 ولك الرتبة العلية في الأمرين ، مذ كنت إذ تشب حروب
 أنت فيها الشجاع ، مالك في الطعن ولا في الضراب يوما ضريب
 وإذا ما حرضت فالشاعر المفلق فيما تقوله والخطيب
 وإذا ما أشرت فالجزم لا ينكر أن التدبير منك مصيب
 لك رأى مذ قط إن ضعف الرأى على حاملي الصليب صليب

وهو لذلك يراه خير من يحمل عبء الرسالة إلى نور الدين . يحرضه على أن
يجتمعوا معا على حرب الصليبيين في وقت واحد، حتى تنشبت وحلتهم، ولا يستطيعوا
الحرب في جهتين ، وذلك كان رأى الملك الصالح ، يجهز الاثنان جيشهما ،
ويسيران معا في وقت واحد إلى أرض العدو ، طلب من أسامة أن يبلغ ذلك
الرأى إلى نور الدين ، إذ قال له :

فانهض الآن مسرعا فبأمان لك ، ما زال يدرك المطلوب
والتي عنا رسالة عند نور الدين ما في إلحاقها ما يريب
قصدنا أن يكون منا ومنكم أجل في مسيرنا مضروب
فلدينا من العساكر ما ضا ق بأدناهم الفضاء الرحب
وعلينا أن يستهل على الشام مكان الفيوت مال صيب

فهو يعد بالجيوش والمال . ويرى أن اجتماعهما معا على حرب العدو
كفيل بأن يلقى بهم في البحر . أرسل رسالة إلى أسامة يقول فيها :

فلو أن نور الدين يجعل فعلا فيهم مثلا
ويسير الأجناد جهرا ، كي تنازلهم تزالا
وبنى لنا ولأهل دو لله بما قد كان قالوا
لأبت للإفرنج طرا في معاقلةا اعقلا
وتجهزوا للسير نحو الغرب، أو تصدوا الشمالا

وقام أسامة بدوره من تحريض نور الدين على الغزو ، والاجتماع على رأى الملك الصالح ، فكتب إليه أسامة يقول :

بالغ العبد فى النيابة والتحريض ، وهو المفوه المقبول
فرأى من عزيمة الغزو ما كا دت له الأرض والجبال تميل

وكان رأى أسامة كراى الصالح فى الاجتماع ووحدة الكلمة ، ومضى الماسكين
معا إلى الحرب . وقصائده إلى الملك الصالح تحت على هذا التضامن والاتفاق ،
ولكن ذلك لم يخرج عن حد الأمانى ، ولو أنه فقد يومئذ فربما كان قد تغير
مجرى التاريخ .

كانت رسائل الملك الصالح إلى أسامة كثيرا ما تصف له ما نزل بالقدس :
من محن على أيدى الصليبيين ، وما اتصف به هؤلاء : من الغدر الذى لا يحول
بينهم وبينه هدنة تعقد ، ولا عقد يرم . وكثيرا ما تحدثت هذه الرسائل عن وقائع
الصالح فى الفرنج ، وغزواته لهم .

ومضت قصائد أسامة تحمل الثناء على الملك الصالح وتشكر أياديه ، وكان
الصالح يره ، ويرسل إليه خيره ، ولم يكن أسامة يجد غضاضة فى سؤال الصالح
ولا الشكوى إليه ، كتب إليه مرة يقول :

أشكو زمانا قضى بالخورق ، ولم يزل يجور على مثلى ، ويعتسف
لحت نوابه عودى ، وأتقد مو جودى، وشتت شملى ، وهو مؤتلف
وقد دعوتك مظلوما ومرتبجيا وفى يدك الغنى والعدل والخلف

ومن شكر أسامة له قوله :

والندى طبعك الكريم ، فما أهنى نوالا تنيله وثيب
جائعى والبعاد دونى ، كما جا بت فيأفى البلاد ربح هبوب
وعجيب أن المواهب تسرى ويقيم المسترقد الموهوب

(٧)

ومدح أسامة غير الصالح ، معين الدين أنر حاكم دمشق ، عندما كان في كنفه ،
وبعد أن فارقته وجاء إلى مصر ، يثنى عليه بالجدوى الذى تعبدته فيقول :

معين الدين ، كم لك طوق من بجيدى مثل أطواق الحمام

وحينا يثنى عليه ببلائه فى حرب الصليبيين وانتصاره عليهم ، فيقول له :

أنت سيف الإسلام حقاً ، فلا فلّ غراريك أيها السيف دهر
بك زاد الإسلام ياسيفه المخدّم عزاً ، وذلل شرك وكفر

ومدح الوزير الأفاضل عباس بن أبى الفتوح وزير القّافر، وابنه نصرأ على نعمه
وما أولاه من الفضل والكرامة . وفى ديوانه قصيدة ، لا أدرى لمن وجهها ،
مدح فيها بتشجيع العلوم وتوطيد أركان العدل . أما رأيه فى نور الدين محمود :

فهو المحامى عن بلاد الشام جمعا أن تذالا
وميد أملاك الفر نى وجمعهم حالا لخالا
ملك يتيه الدهر والدنيا بئوته اختيالا
فإذا بدا للناظرين رأأت عيونهم الكيالا

لكنه أخذ عليه شدة زهده ، وحمله التأس على الزهد ، حتى لقد أشبهت أيامه شهر الصوم : في طهارتها ، وامتلائها بالجوع والعطش . وأسامة بهذا يدل على رغبة قوية في أن يستمتع بالمباح الطيبة للحياة .

ومدح أسامة كذلك صلاح الدين ، ذا كرا فضله عليه وعلى الإسلام .

(٨)

كان أسامة شديد الاعتزاز بنفسه في ميادين القتال ، شديد الاعتزاز بأمرته ، شديد الثقة بصبره وثباته وتجربته ، وكان ذلك كله ينبوع نفه في شعره ، فما قاله مفتخرا بشجاعته :

نلّس عشرة نازلت الكماة إلى أن شبت فيها ، وخير الخيل ما قرحا
أخوضها ، كشهاب القذف مبتسما طلق الحيا ، ووجه الموت قد كلعها
بصارم من رآه في قتام وغى أفرى به الهام ، ظن البرق قد لحا
أغدولنار الوغى في الحرب ، إن محدث بالبيض في البيض والهامات مقتدحا
فسل كجاة الوغى عنى ؛ لتعلم كم كرب كشفت ، وكم ضيق بي اتصحا

وهو يعلم أن مكانته في السلم رهينة بما يبيديه في الحرب من بسالة وإقدام :

إن يحسدوا في السلم منزلى من العز المنيف
فبها أهين النفس في يوم الوغى بين الصفوف
فلطالما أقدمت لإقدام الخوف على الخوف
بعزيمة أمضى على حد السيوف من السيوف

وفي كثير من شعره ، افتخر بصبره على المكره وأحداث الزمان .

ولأسامة نظرات صائبة في الحياة ، أوحى إليه بها تجاربه ، وطول عمره ،
وما تقلب عليه من حوادث الزمان ، وعبر الأيام .

يرى أسامة لكل شيء في الحياة نهاية ، فلا بقاء لأمر ، ولا خلود لحادث ،
فللسرور غاية ينتهى إليها ، وللأحزان حد تقف عنده ، وإذا كانت الحياة تجري
على هذا المنوال : فن الواجب استقبال حوادث الأيام ، بحسن الصبر ، وقلة
الاهتمام : فإن الشدائد إذا كانت ستنتفى وتزول ، فن العيب أن يزيد المرء
آلام نفسه :

خفضى عليك . فلأمور نهاية وإلى النهاية كل شيء صائر
فاستقبل صروف الزمان بالصبر :

الى الخطوب إذا طرقتن بقلب محتسب صبور
فسينقضى زمن المموم ، كما انقضى زمن السرور

بل إن هذه النظرة تنهى بصاحبها إلى قلة الاكتراث بما في الحياة من سعادة
وشقاء :

لما رأيت صروف هذا الدهر تلعب بالبرايا
يعلوها هذا ، ويهبط ذا ، وقصرهم المنايا
ورأيتهم مستترجعا تزر المواهب والعطايا

متغاير الأحوال مختلف الضرائب والسجايا
لا نعمة فيه تنو م ، ولا تلوم به البلايا
لم أغتبط فيه بها ثمة ولم أخش الرزايا

والمرء يتغلب على شدائد الحياة بالصبر :

إذا ما عرا خطب من الدهر ، فاصطبر فإن الليالي بالخطوب حوامل
فكل الذي يأتي به الدهر زائل سريعاً ، فلا تجزع لما هو زائل
وليس الصبر وسيلة لتحمل المكروه حتى يتقضى لحسب ، ولكنه الطريق
إلى نيل الأمل ، والظفر بالأمانى :

اصبر تنل ما ترجيه ، وتفضل من جارك شأو العلا سبقاً وتبريزاً
وأستطيع أن أعد أسامة بهذه النظرة إلى الحياة متفائلاً ، إذ هو ، عند الشدة ،
واقف من زوالها ، وإذا كان الأمر على ذلك فلا معنى لليأس ولا خير فيه :

يا آلف الهم لا تقطع ، فأياس ما تكون يأتيك لطف الله بالفرج
تق بالذي يسمع النجوى ، وينجي من السبلوى ، ويستنقذ الفرق من الهجج
وإذا كان كل شيء في هذه الحياة إلى انقضاء ، فمن الواجب ألا يدع المرء
فرصة سعادة تمر من غير أن يأخذ منها بالنصيب الأوفى :

وتغتم اللذات إن ممرها مر السحاب

وأوحت إليه تجاربه في الحياة أن القرب من السلطان غير مأمون العواقب ،
ولا شهى الثمرة ، فنادى بالبعد عنه ، وإشثار العيش في محمول وهندوء :
أرض الخمول ، تعيش به في نجوة مما تخاف ومن معاندة العدى
أما الحياة في جوار ذوى السلطان ففي خطر دائم . وقلق لا يهدأ :
لاتقرن باب سلطان ، وإن ملأت هباته غير ممنون بها الطرقا
فإن أبوابه كالبحر ، راكبه مروع القلب ، يخشى دهره الفراق
وأسامه من يؤمنون بالقضاء والقدر ، ويدن بالحظ ، ويرى الرزق مقسوما ،
لا حيلة في تبديله :

فوض الأمر راضيا جف بالكان القلم
ليس في الرزق حيلة إنما الرزق بالقسم
دل رزق الضعيف وهو كبحم على وضم
وافتقار القوى ترهب الأسد في الأجم
أن الخلق خالقا لا مرة لما حكم

ولكن الناس جشعون يتكالبون على الحياة ، ولا يزهلون فيها إلا متكئين
مكرهين .

(١٠)

وأفرد أسامة في ديوانه بابا للتراءى ، خصّ جزءا كبيرا منه برثاء ولده أبي بكر
عتيق ، وكان قد وصفه بين أترابه قائلا :

عتيق كاهلال ، إذا تبدى لاسارى الليل من تحت الغيوم
تقول إذا به الأتراب حصّوا : أهذا البدر ما بين النجوم

وأكد المأس في تشبيهه بالهلل يسو لساى الليل ، أنه كان أملاً لأبيه ،
 طالما تمناه ، ليكون رفيقاً لولده الأتخر مرهف ، فلا جرم كان لموته لدعة ألم
 في قلبه ، أمضته ففضى إلى شعره يشكو إليه وقدة الحزن ، ولا ننجا أنه نكب به
 وقد قارب الثمانين من العمر ، لا أمل عتته في خلعت يأتي به .

وأسامة يحدثنا عن شغل فواده الدائم بابه الزاحل ، فيقول :

كيف أنساك يا أبا بكر ؟ أم كى فاصطبارى ؟! ماعنك صبرى جميل
 أنت ، حيث أتجهت ، فى أسودى عى حى وتلبى ، فمثل لا تزول

ويصف لنا انصرافه بعد زيارة قبره ، يملأ قلبه الأسى والشجن :

أزور قبرك : والأشجان تمنعنى أن أهتدى لطريقى حيث أنصرف
 فما أرى غير أحجار منضدة قد احتوتك ، وماوى الازة الصدف
 فأنثى ، لست أدرى أين منقلبى كأننى حائر فى الليل معسف

وقد أثار فيه هذا الحادث المؤلم ذكرى من مضى من أهله ، فأخذ يندبهم ،
 ويتوجع لمصيرهم . بل أثار فيه الألم لحياته المشرقة ، التى لا تأوى إلى وطن :

رمتنى فى عشر الثمانين نكبة من التكل يودى حملها من له عشر
 على حين أفنى الدهر قومى ، ولم تزل هم ذروة العلاء ، والعدد الدثر
 فلم يبق إلا ذكرهم وتأسنى عليهم ، ولزى تبقى التأنتف والذكر
 وأصبحت لا آل يلبون دعوى ولا وطن آوى إليه ، ولا وفر
 كأننى من غير التراب : فليس فى

من الأرض ذات العرض ، دون الوضى ، شبر

ولكن أسامة ينتهى بالتسليم للقدر ، ما دام ذلك مصير الأحياء أجمعين ،
وإن الدنيا كلها - مادام ذلك عقبي أمرها - لا تستحقّ عناء طلبها ، ولا التعب
في جمع ما يخرج المرء منه وهو صفر اليدين .

(١١)

ليس في غزل أسامة هذه الحرارة القويّة التي نشعرنا بقلب دله الحبيب ،
وأضنته لوعة الغرام ، ولا أكاد أتبين له إحساسا تفرد به ، أو لحاظا امتاز بها ،
وليس معنى ذلك أنه لم يذق الحب ، بل أرجح أنه ذاقه ، وإن كان لم يشغل
قلبه كلّهُ ، وقد استعمل أسامة تشبيهات الأقدمين وأساليبهم في وصف عواطف
الحب ، وما يلحظ على غزله أنه شاك حزين ، لا تكاد تلمح فيه ابتسامة سرور ،
وقد يرقّ أسامة أحيانا . ويتخذ أوزانا مرقصة ، ونحس ببعض نبضات الحياة
في غزله ، كقوله :

قل لمن أوحش بالهجر جفوني من كراها
واللهي أومم عني أنّ في النوم قبذاها :
يا ملولا ، قلبا استر عي عهدا فرعاها
يا ظلوما ، كلما استعطفته ، صدّ وتاها
زدت في تبهك ، والنشء إذا زاد تنامي
تنقضى دولة الحسن . وإن طال مداها
راحتي لو سمع الشكوى إليّيه ووعاها

(٣٣)

غير أنّ الصّم لا تسمع دعوى من دعلها

وهو لو نادى عظامى رقة لبي صداها

هذا وكان أسامة عندما يبدأ غرضاً من أغراض شعره يجعل روح غزله
مناسبة لهذا الغرض . واستمع إلى غزله في مفتتح قصيدة عتاب ، إذ يقول :

ولوا ، فلما رجونا عفوهم ظلموا فليتهم حكوا فينا بما علموا
ما مرّ يوماً بفكرى ما يريهم ولا سعت بي إلى ما ساءهم قدم
ولا أضعت لهم عهداً، ولا أطلعت على ودائعهم في صدرى التهم
وعلى هذا النسق مضى ، حتى قال :

وبعد ، لو قيل لى : ما ذا تحبّ ؟ وما منك من زينة الدنيا ؟ لقلت : هم
هم بحال الكرى من مقلتي ، ومن قلبي محلّ المنى ، جاروا ، أو اجتمروا
وهاك من غزله في قصيدة استعطاف :

أطاع ما قاله الواشى ، وما هرفا فعاد ينكر منّا كلّ ما عرفا

(١٢)

وعتاب أسامة فيه رقة ورفق بالغ ، واستعطافه جدير أن يستلّ الضغائن
من القلوب ، تشعر فيه بحرارة العاطفة ، وصدقها ، يقول لابن عمّه يستعطفه :

هبنى أتيت بجهل ما قدفت به فأين حلّك ، والفضل الذى عرفا

(٣٤)

ولا ، ومن يعلم الأسرار حلقة من يتر فيها آتى ، إن قال ، أو حلقا
ما حدثتني نفسى عند خلوتها بما تعفنى فيه إذا انكشفا
وبعد فشر أسامة من النوع الجزل القخم ، لا تكاد نجد فيه من الهنات
إلا ما يعد ويحصى ، فهو في عصره يوضع في مقدمة الشعراء الذين جددوا
شباب الشعر ، وكسوه حلة من الفخامة والقوة والجلال .
أحمد أحمد بلوى

ديوان أسامة

بقلم حامد عبد الحيد

يعد أسامة بن منقذ في طليعة رجال عصره أدبا وتصنيفا ، وممارسة لألوان النشاط السياسي في المحيط الذي عاش فيه ، أغرم بالأدب شعره ونثره ، ونهل منه حتى ارتوى ، ووجد في الشعر متنفسا يترجم به عن عواطفه ، ويسجل فيه حسه ومشاعره ، إزاء ما كان يمر به من أحداث عنيفة ، كانت تدفعه إلى القول دفعا ، فكان له مع الزمن ديوان ضخم ، عني بترديد النظر فيه بين الحين والحين ، يستعيد به ذكريات غالية عنده ، أو يصور لنفسه حوادث قوية مرت به ، وكان يجيل قلبه في أرجائه بالمحو حيناً والتعديل حيناً آخر . وكان تطلعه إلى مثل أعلى في البيان يدفعه إلى معاودة النظر في شعره بين وقت وآخر ، ليلبغ منه بالتهذيب إلى ما يبغيه من سمو في القول ، وقوة في البيان . واقتدى أسامة في ذلك بما يحفظه التاريخ لبحار رجال القول من إقبالهم على تنقيح شعرهم ، وتلمسهم أسباب الإجابة ، فلا يزالون يغيرون ويحورون في قريضهم حتى يصلوا به إلى الغاية ، ويروا أنهم قد أوفوا على التعبير الذي يبين عما في نفوسهم أوفى بيان وأتمه ، وحينئذ يذيعون شعرهم في الناس ، مفتجلين به ، وإن كانوا قلما يرضون عن أنفسهم ، بل يتطلعون دائما إلى مزيد من الإجابة والاتقان .

وقد عني أسامة في أثناء حياته بجمع ديوانه ، فكتبه بخطه ، ونقله عنه محبوب أدبه ، ورآه ابن خلكان في مجلدين بأيدي الناس ؛ وروى منه بعض ما رآه فيه وهو يترجم لصاحبه في كتابه وفيات الأعيان .

وظفر شعره منذ حياته بعناية الأدباء وتقديرهم ، فاختار له العماد الأصفهاني في تحريده ، وقرن ما اختاره له بأسمى عبارات الإعجاب والإجلال ، كما اختار له الرشيد بن الزبير في كتابه جنان الجنان . وكان ديوانه مما أحب صلاح الدين الأيوبي صحبته وقراءته ، وترديد النظر فيه بين الحين والحين ؛ حتى لقد دفع ذلك بعض الشعراء إلى معارضته فيما كان صلاح الدين يعجب به من قصائده .

روى العماد الكاتب قال ^(١) : "لزمتم خدمة السلطان (صلاح الدين) ، وأرحل برحيله ، وأنزل بنزوله ، وكنت ليلة عنده ، وهو يذكّر جماعة من شعراء الزمان ، وعنده ديوان الأمير مؤيد الدولة أسامه بن مرشد ، بن سديد الملك على بن منقذ وهو به مشغوف ، وخاطره على تأمله موقوف ، وإلى استحسانه مصروف ؛ وقد استحسّن قصيدة له طائية ^(٢) لو عاش الطائيان لأقرا بفضلها ، وأن خواطر المبتكرين لتقتصر عن مثلها ، على أن الشعراء المحدثين مامنهم إلا من نظم على رويها ووزنها ، واستمدّ خصب خاطره من مزنها "

والحق أن شعر أسامة جدير بالحب والتقدير ، فهو من النوع الجزل الفخم ، تستمع إليه فيروقك معناه ، وتعجبك حلته المتينة النسيج ؛ التي لم يضح صاحبها ببحودتها في سبيل زخرف أوزينة ، فهو من الشعراء الذين ردوا للشعر أسلوبه الرفيع الذي كان له في العصور الزاهرة للشعر العربي ، والذي ساعده على ذلك

(١) يريد القصيدة التي مطلعها :

أجبة قلبي إن تدافوا وإن شطوا ومنية قسى أصفوقى أو اشتلوا

راجع الديوان ص ٧٨ و ١٧٤ و ٢١١ .

(٢) الروضتين ١ : ٢٤٧ .

ثقافة واسعة من مآثور الأدب الموروث عن أساطين الأدباء وفحولهم ، وقد تجلّت هذه الثقافة الأدبية الرفيعة ، فيما اختاره من نصوص ممتازة جمعها في كتابه . لباب الآداب وسواه . فقد كان الرجل واسع الاطلاع؛ معدودا من علماء عصره و كبار مثقفيه ، فلا غرابة أن تأثر أسلوبه بأسلوب هؤلاء الرجال الممتازين ، وأن اقتبس منهم حيناً ، وضمن شعره بعض قولهم حيناً آخر ، فثقافة الشاعر ذات أثر كبير في أسلوبه .

وأسامة يعد بحق في الطليعة بين شعراء عصره الذين خلد الأدب من بين أسمائهم : المهذب بن الزبير وأخاه ، وطلّاح بن رزيك ، وعمارة الجني ، والعماد الأصفهاني . ولعل سرتفوقه —فضلا عن ثقافته الأدبية الواسعة التي تحدّثنا عنها — أنه كان يعنى بالتعبير عما يمر به في الحياة من تجاربه الشخصية ، فكان لحياة التجربة في نفسه أثرها في قوة شعره .

ولقد هيا له طول العمر إنتاجا غزيرا في الشعر ، جمعه في ديوان كبير . ولسنا ندري متى جمع أسامه ديوانه ، وأغلب الظن أنه قام بجمعه في أنحرىات أيامه ؛ ففيه شعره الذي قاله في شيخوخته . ويحوى الديوان معظم شعر أسامه ، فلم نعثّر في مراجعه المختلفة إلا على النادر الذي لم يرد في الديوان .

ولما كان أسامة هو الذي قام بجمع ديوانه ، واختار أن يقسمه إلى أبواب الشعر الغنائي المعروفة في عصره ، ورأى أن يجرى القصيدة الواحدة المشتملة على أغراض متنوعة ، أجزاء يضع كل جزء في الباب الذي يناسبه — فقد احترمنا النهج الذي ارتضاه أسامة لديوانه ، وأشرنا كلما أمكنا ذلك — إلى باقى أجزاء

القصيدة في أماكنها المختلفة ، لتسنى للباحث دراسة نظام القصيدة عند أسامة ،
ومنهجه في تأليف قريضه ، وطريقته في التغليب من غرض إلى غرض .

رتب أسامة ديوانه على حسب أغراض الشعر الغنائي ، من غزل ، ومدح ،
ودصف ، وثناء ، وغيرها . مبتدئا بالغزل ، ولعل بدؤه الأبواب بالغزل ، لما
للغزل من صلة بكل قلب . ولأن القصيدة العربية تبدأ بدءا تقليديا بالغزل ،
فرج ذلك لديه بدء ديوانه بهذا اللون العاطفي المؤثر .

ومضى أسامة يرتب شعره في كل باب على حسب الحروف الأبجدية ، من
غير أن يستغرق هذه الحروف في كل باب ، كما كان مقبلا في القوافي القليلة
الاستعمال كالثناء والذال .

أحسن أسامة في ترتيب ديوانه على الوضع الذي ارتضاه لإذاعة شعره
في الناس ، أم أنه كان من الخير أن ينهج نهجا آخر في ترتيب ديوان ؟

لاريب أن اختيار أسامة لهذا اللون من الترتيب له مزاياه التي لا تنكر ، من
خلق جو واحد للقصائد ذات اللون الواحد ، مما يهيئ للقارئ أن يدرك فن الشاعر
وطريقته ومنهجه في كل غرض من أغراض شعره .

أما المنهج الذي تفضله في ترتيب ديوان الشعراء فهو الترتيب التاريخي الذي
يعرض فيه الديوان شعر الشاعر على حسب تاريخ إنتاجه ، مبتدئا بالشاعر يقرض
الشعر إلى اليوم الذي صبت فيه قلم الشاعر عن القريض .

هذا الترتيب التاريخي هو الذي يبين في وضوح عن تطور فن الشاعر من
المجداة إلى الشيخوخة ، ويجعلنا نصحب الشاعر في كل أدوار حياته . مرحلة

مرحلة ، نعرف نوازع نفسه ، ونبضات قلبه . كلما تقدم به العمر ، إذ انشعب
صدى الأحداث ، ونظرات الحياة ، وتجارب الأيام التي تختلف من أجلها
النوازع . وتتغير أحكام الشاعر على ما يمر به من الظروف والأحوال .

وقد كنا نفضل أن لو أضاف أسامة — وقد اختار ترتيب ديوانه على حسب
الأغراض — في رأس كل قصيدة أنشأها ، تاريخ إنشائها ، والظروف التي
أحاطت بها ، لنعرف الجور الذي أحاط به عندما قرضها .

وبعد فقد عثرت دار الكتب على نسخة من ديوان أسامة ، كتبت في صفر
سنة ثمان وثمانين وسبعمائة ، بخط النسخ في ثلاثمائة وتسعين صفحة ، وفي كل صفحة
ثلاثة عشر سطرا ، وهي النسخة التي قمنا بتحقيقها ونشرها . ولما كان بعض شعر
الديوان قد ورد في مراجع أسامة المختلفة ، تكريدة القصص ، ومسالك الأبصار .
والروضتين ، ولباب الآداب فقد وازنا بين رواية الديوان وما جاء في هذه
المراجع ، مثبتين ما جاء فيها من خلاف إن كان .

وقد شرحنا ما احتاج إلى شرح من ألفاظ الديوان ، لئلا ندع بين القارئ
والاستمتاع بشعر الشاعر عقبة من ألفاظ قد تكون غريبة عليه .

ووضعنا في آخر الديوان عدة فهارس ، تسهل الرجوع إلى أجزاء الديوان
وقصائده ، كما رقمنا القصائد والمقطوعات ليسهل الحديث عنها في دراسة شعر
أسامة ونقده

حامد عبد الحميد

مقدمة صاحب الديوان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ثَقَى بِاللَّهِ

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى آله
الطيبين الطاهرين ، وأصحاب البررة المتقين ، وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين
صلاة دائمة إلى يوم الدين .

أقالك الله صفقة الندم ، وأقلك من زلة القدم ، وعاذك من خطأ المقال
واجترأه ، وحصائد اللسان وجراحه ، ولأجعلك ممن إذا قال ، ندم واستقال ،
فأني [كُفِّتُ ^(١)] بنظم الشعر في غرة [العمر] ^(٢) أظنه من المآثر والمناقب ،
[وأعهده من الذخائر] ^(٣) للعواقب .

فلها عانت سني ، وانجلت جاهلية باطلي عني ، ووضع لي أن الشعر هو وهون ،
وأن الشعراء يتبعهم الغاؤون ، أكبرت خطي وأعظمته ، وندمت على تفریطي
فيما نظمت . على أني بحمد الله ما فُهِتُ بِرَفٍّ ولا هجاء ، ولا مدحت لطمع
ولا رجاء ، تنزهاً عن رفِّ المقال ، وترفعاً عن منِّ الرجال ، لحاولت أن أغسل
عني وضره ، وأعني أثره ، فعصاني منه ما شاع ، ومثلت به الأهواء والأسماع ، فعدت
إلى تقليله وتمحيصه ، [وقُت] بتخيله وتلخيصه ، وفيه بعد ذلك عيوب يشهد

(١) تكللت لفظ بالأصل بخطها ثم المعنى .

(٢) » » » » » يتضم المعنى .

بها لانتصافي وإزاري ، ويشفع في سترها اعترافي واعتذاري ، وأثبت في هذا الجزء منه ما حصلت منه على الاختصار ، لأعلى الاختيار ، وفيه ما فيه ، مما لا أنكره ولا أخفيه ، فظهره قائل صدق وعدل ، وسأتره أخو كريم وفضل ، وأنا القائل :

كَمَا رَدَدْتُ فِي شِعْرِي النَّظْرَ بَانَ ضَعْفُ الْعِيِّ فِيهِ ، وَظَهَرَ
لَيْسَ يُرْقِنِي ، وَلَا يُمَكِّنِي جَحْدُ مَا قَدْ شَاحَ مِنْهُ ، وَاشْتَهَرَ
فَأَجْبِلُ الْفِكْرَ فِي ثَقْلِهِ فَإِذَا قَلَّ احْتَصَرْتُ الْمُحْتَصِرُ
وَبِهِ قَرُّ إِلَى ذِي حُكْرٍ إِنَّ رَأْيَ مَا فِيهِ مِنْ عَيْبٍ سَتَرَ
وَقَدْ جَعَلْتُهُ مُشْتَمِلًا عَلَى سِتَةِ أَبْوَابِ :

الباب الأول - الغزل . وينظم في سلكه شكوى الفراق ، ووصف الخطين والاشتياق ، ثم ما يجوز أن يلحق به ، من مكاتبات الإخوان ، ومعاتبات الخلان ، وما يجذب هذا المعنى بأهداه .

الباب الثاني - الأوصاف .

الباب الثالث - الملح .

الباب الرابع - المدح . ويتشبه به القول في الفخر المتضمن مآثر الإنسان وخلاله . ثم الحماسة الراجع معناها إلى التمدح بالشجاعة والبسالة :

الباب الخامس - الأدب . ويتعلق بسببه الأمثال ، وما يجري مجراها ،
أو يلاحظ مغزاها ، ثم وصف الشيب والكبر ، ثم الزهد لمن تأمل واعتبر .
الباب السادس - المراثي .

وكل باب من هذه الأبواب المذكورة مرتب على حروف المعجم ، فصلاً
فصلاً ، ليقرب تناول ما يقصد منه ، والله تعالى المستول في رحمة توجب
الغفران ، وتكفر جرائم اللسان ؛ إنه جواد متأن .

باب الغزل

قافية الباء

(١)

قال :

صَاحِبُهُمْ بَرِّقْنِي مَا أَصْبَوُا^(١) وَتَجَافَّ عَنْ تَعْنِيْفِهِمْ إِنْ أَذَبُوا
وَدَعَ الْعِتَابَ . إِذَا بَدَتْ لَكَ زَلَّةٌ إِنْ الْهَوَى مُتَجَرِّمٌ^(٢) لَا يُعْتَبُ^(٣)
وَإِزِلْ لَمْ جَوَرَ الْمَلَالِ، وَحَمَلْهُ صَعَبٌ . وَلَكِنَّ الْقَطِيعَةَ أَصْعَبُ

(٢)

وقال :

بِنَفْسِي قَرِيبُ الدَّارِ، وَالْهَجْرُ دُونَهُ وَبَعْدَ التَّعَالَى^(٤) غَيْرُ بَعْدِ السَّبَابِ^(٥)
أَرَاهُ مَكَانَ الشَّمْسِ بَعْدًا، وَبَيْنَنَا كَمَا يَبِينُ عَيْنَ فِي التَّدَانِ وَحَاجِبِ
وَهَلْ نَأْنِي قَرَبٌ، وَمِنْ دُونِ قَلْبِهِ نَوَى قُدْفٌ^(٦) أَعْيَتْ ظُهُورَ الرَّاكِبِ
تَجَنَّبَنِي لِي الدَّنْبُ الَّذِي مَا جَنَيْتُهُ وَلَا هُوَ مَغْفُورٌ بِعُذْرَةٍ تَأْنِبُ

(١) أَحَبُّ : اقَاد .

(٢) يُقَالُ تَجَرَّمَ عَلَى فُلَانٍ أَيْ ادَّعَى ذَنْبًا لَمْ أَضَلَّهُ .

(٣) النَّبِيُّ بِالْمَغْمِ : الرِّضَا . وَاسْتَبِيحَ : أَعْطَاهُ النَّبِيُّ ، كَأَخِي .

(٤) قَالُوا : تَبَاغَضُوا . وَيُنْهَمُ قَال .

(٥) السَّبَابُ : جَمْعُ سَبِيٍّ ، كَالْبَيَاضِ جَمْعُ بَيْضٍ ، وَهِيَ الْمَقَازَةُ .

(٦) نَوَى وَنِيَّةٌ وَقِلَّةٌ قُدْفٌ ، حَرَكَةٌ وَهَيْئَتَيْنِ وَكُسُورٌ : هَيْبَةٌ .

وملء ، فلو أهدى إلى خياله بدا لي منه في الكرى وجه عاتب
وضن ، فلو أن النسيم يطيعه لجنني برد الصبا والجنائب^(١)
إذا رجعت باليأس منه مطامعي علقْتُ بأذيال الظنون الكواذب
وأعجب ما خبرته من صباي به ، والهوى مازال جم العجائب
جنني إلى من خلب^(٢) قلبي داره وشوق إلى من ليس عني بغائب

(٣)

وقال :

حتى متى أنا شائم إيماض بارقة خلوب؟
والآم ألقى اللائمين عليك بالوجه القطوب؟
وأعلل النفس العليلة فيك بالأمل الكنوب
وأقول : تصليحك الخطوب بـ ، وأنت من بعض الخطوب

(٤)

وقال :

نشدتكم يا مدعين سلوة عن الحب ، لم تستحسن الظلم في الحب
وما بالله يلقي البريء من الضنى جريرة ما يأتي المسمى من الذنب
وكيف استمر الجور فيه ، وأوجب عقوبة ما تنجي العيون على القلب

(١) الجنوب : ريح تحالف الشمال ، منها من مطلع سبيل إلى مطلع الثريا واجمع جناب .

(٢) الخلب : بالكسر : حيلة رقيقة تصل بين الأضلاع ، أو الكبد .

(٥)

وقال :

قَرَّ إِذَا عَاتَبَهُ كَانَتْ تَطْبِيعُهُ جَوَابِي
مُتَجَرِّمٌ^(١) أَبَدًا يُجَرِّعُنِي مَرَارَاتِ الْعَتَابِ
كَمْ سَهَّلَتْ عَيْنَاهُ لِي مِنْ وَصْلِهِ وَغَرَّ الطَّلَابِ
حَتَّى وَقَعْتُ ، وَلَمْ يَكُنْ هَذَا التَّلَوُّنُ فِي حَسَابِي

(٦)

وقال^(٢) :

ذَكَرَ الْوَفَاءَ خَيَالِكَ الْمُتَابُ قَالَمْ ، وَهُوَ يُوَدُّنَا مَرْتَابُ
نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ خِيَالٍ زَانِرٍ مُتَعَتِّبٌ^(٣) ، عِنْدِي لَهُ الْإِعْتَابُ
مُسْتَشْرِفٌ^(٤) كَالِدِرْخْلَفٍ حِجَابِهِ أَوْ فِي الْكَرَى أَيْضًا عَلَيْكَ حِجَابُ !
أَنْكَرْتُ هَجْرِي ، وَالزَّمَانُ بِحُجُورِهِ^(٥) يَقْضِي بَأَن يَتَهَاجِرَ الْأَحْبَابُ
حَظَرَ الْوَفَاءَ عَلَى هَجْرِكَ طَائِعًا وَإِذَا اقْتَسَرْتُ ، فَمَا عَلَى عِتَابُ
وُدِّي كَهَمْدِكَ ، وَالْدِّيَارُ قَرِيبَةٌ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْقَطَعَ الْأَسْبَابُ
ثَبَّتْ ، فَلَا طَوْلَ الزِّيَارَةِ نَاقِصُ مِنْهُ ، وَلَيْسَ يَزِيدُهُ الْإِغْيَابُ^(٦)

(١) تجرم عليه : ادعى عليه الجرم وإن لم يعجم .

(٢) وردت هذه القصيدة أيضًا في تحفة النضر ١ : ١٠٣ ، وياقوت ٥ : ٢٠٣ .

(٣) في الخريدة « متعيب » . والتعب غاطية الإدلال . والإعتاب مصدر أعين : أعطاه العني وهي الرضا .

(٤) هذا البيت لم يرد في ياقوت . واستشرف الشيء : رفع بصره إليه ، وبسط كفه فوق حاجبه كالمتنخل من الشمس .

(٥) على هامش الديوان « بئده » .

(٦) ترتيب الأبيات الثلاثة الأخيرة في الخريدة وياقوت يختلف ترتيب الديوان . والإعقاب مصدر أعقب إذا جه .

القوم يومًا وغاب يومًا .

(٧)

وقال :

نفسى بِزَهْرَةٍ دُنْيَاهَا مَعْدَبَةٌ فكيفَ حَالُ مَنْ الدُّنْيَا تُعَذِّبُهُ
ومن سَمَتْ لَوْصَالِ الشَّمْسِ هَمٌّ فغيرُ مُسْتَنْكَرٍ إِنْ عَزَّ مَطْلَبُهُ

(٨)

وقال :

واعصِ اصْطِبَارَكَ إِنْ تَكَمَّلَ أَنَّهُ لَكَ مُسَعَّدٌ ، فَالْهَجْرُ يُظْهِرُ حُوبَهُ^(١)
وَلِيَحْتَسِبْ قَلْبُكَ مَا بِهِ : مِنْ حُبِّهِمْ فَعَلَامَ تَقْرِفُ بِالْصُلُودِ نُبُوهُ^(٢)

(٩)

وقال :

لَيْسَ طَرَفِي جَارًا لِقَلْبِي ، وَلَكِنْ دَمٌ هَذَا بِدَمْعِ هَذَا مَشُوبٌ
خُلْطَةٌ فِي تَبَايِنِ الْحَالِ : هَذَا أَبَدًا ظَاهِرٌ ، وَذَا مُحْجُوبٌ
وَلِطَرَفِي فِي كُلِّ نَهْجٍ مِنَ الْحَسْبِ وَجِيفٌ ، وَقَلْبِي الْمَجْنُوبُ^(٣)
وَسَهَامُ الْعْيُونِ أَخْفَى مِنَ الْوَهْمِ ، وَلَكِنْ بَيْنَ تَدْمِي الْقُلُوبِ

(١) الحبوب : الإثم .

(٢) عرف القرعة : قسرها . والتعوب : جمع كربة وهي أثر الجرح الباقي على الجلد .

(٣) الوجيف : الاضطراب . والمجنوب اسم مفعول من جنبه : قاده إلى جنبه .

(١٠)

وقال من تصيد كنبها إلى الملك الصالح^(١)، جواباً عن قصيدة كتبها إليه من نظمه :

أطع الهوى ، وأعص المعائب واضرف عن الواثي المرائب
وتغنم اللذات إن تمرها همر السعائب
وانظر إلى الأغصان حاملة شوساً في غياهب
من كل حاو ، قد نكففه تعابن اللعائب
في وجهه ضدان ، كل منهما لب سالب :
نار بلا لفج تضرم . وسط ماو غير ذائب
هذى بقايا بحر با بل ، وهي من إحدى العجائب
لفذار يا أسد الشرى من فلك الحاظ الربائب^(٢)
غضبان أفديه على ما كان منه : من مقاضب^(٣)
دع ذا ، فاعلر القنى في غيه ، والقود شائب

(١١)

وقال :

من زين الأفوان الرطب بالشائب ونظم الدر بين الراج والحبيب
ومن ترى غرس الأغصان حاملة شمساً تردت دياجي الشعر في كئيب
وقل لساكن آرام الكاس : ألا فانظر إلى ملج في شادن العرب^(٤)

(١) هو طلائع بن رزيك (٤٩٥ - ٥٥٦م) ولي وزارة الخليفة الفاطمي : الفاطم بنعراقة ، ثم وزارة العاضد
وكان شاعراً حازماً جواداً عاوفاً بالأدب شاعراً ولواً بقرى القريج . (٢) الزرب : القطيع من بقر الوحش .
(٣) المقاضب : جمع مضبة وهي ضد الرضا . (٤) شادن الظبي : لقوى واستخفى عن أمه .

نَارُ الْحَيَاءِ بِحَدِيدِهِ بِلَا لَهَبٍ قَدْ مَازَجَتْ مَاءَ حُسْنٍ غَيْرَ مُنْسَكَبٍ
سُبْحَانَ بَارِي سِهَامٍ مِنْ لَوَاحِظِهِ مِنَ الْمَلَاخَةِ لَا مِنْ أَهْلِ الْقَرَبِ^(١)
إِذَا رَمَيْنَ قَسَا دُونَ الْقُلُوبِ، وَإِنْ حُرْمَنَ، مِنْ جُنِّ نَحْيٍ وَلَا جُجِّ
كَانَتْ، وَلَيْلُ الصَّبَا تُخْفِي دِيَابِرَهُ عَنِ سَبِيلِ الْهَيْ وَالرُّشْدِ، مِنْ أَرْبَى
أَعْمَى النَّصِيحَةِ فِيهَا غَيْرَ مُعْتَدِرٍ وَأَرْكَبُ الْغَى عَمْدًا غَيْرَ مُتَنَبِّ^(٢)
وَأَجْمَلُ الضُّغْنِ فِي وَجِلِي بِهَا، وَأَرَى حَمَلَ الْهَوَى مِنْ وَقَارِ الْحِلْمِ أَجْمَلُ بِي
حَتَّى إِذَا تَادَتِ السَّبْعُونَ: حَسْبُكَ مِنْ تَعْلِيلِ قَلْبِكَ بِالْأَمَالِ وَالْكَذِبِ

(١٢)

وقال :

مُهَفِّهٌ يُجْعَلُ بَدْرُ الدَّجَى فَإِنْ رَأَاهُ اكْتَنَى فِي الشُّحْبِ
قَوَامُهُ يُزْرَى، إِذَا مَا انْتَهَى مِنْ لَيْتِهِ، بِالْفُصْنِ الرُّطْبِ
يَبْسُمُ عَنْ دُرٍّ، تَعَالَى الَّذِي نَقَّظَهُ فِي الْبَارِدِ الْعَذْبِ
الْأُمُّ فِيهِ، وَهُوَ لِي شَاغِلٌ بِالْهَجْرِ عَنْ لَوْمٍ وَعَنْ عَتَبِ

(١٣)

وقال :

أَدْعُو عَلَى ظَالِمِي، فَيَغْضَبُ مِنْ دُعَايَ، قُلْ لِي : عَلَامَ ذَا الْغَضَبِ؟!
يَهْرُكُ لِي ظَالِمًا، وَخَوْفُكَ مِنْ دُعَايَ، يَا ظَالِمِي، هُوَ الْعَجَبُ

يَدْعُو لِسَانِي، وَالْقَلْبُ مِنْ وَجَلٍ عَلَيْكَ أَنْ يُسْتَجَابَ لِي، يَحِبُّ
وَبَعْدُ مَنْ لِي، لَوْ أَنَّ وَزَرَكَ فِي صَحْفَتِي فِي الْمَعَادِ يُكْتَبُ

(١٤)

وقال :

لَا تَكْثُرَنَّ عِتَابَ مَنْ لَمْ يُعْتَبَ فَمِنْ الْعَنَاءِ قِيَادُ غَيْرِ الْمُصْحَبِ^(١)
بَيْنَ السُّلُوفِ وَبَيْنَ قَلْبِ أُنْحَى الْهَوَى مَا بَيْنَ شَرْقٍ فِي الْعَادِ وَمَغْرِبِ
يُصْنَعِي، فَتَحْسَبُهُ أَرْعَوَى، وَلَذِكْرٍ مِنْ يَهْوَى أَصَاخَ، وَلَمْ يُصْخِخْ لِمُؤَنَّبِ
وَالْفَى مَا أَبْصَرْتَهُ مِنْ رُشِيدِهِ وَالْغَشَّ نَصَحُ النَّاصِحِ الْمُتَقَرَّبِ

(١٥)

وكتب إلى الملك الصالح بن رزك قصيدة أولها :

كَفَّ عَنِّي وَاشْ، وَأَغْضَى رَقِيبُ وَنَهَانِي عَنِ التَّصَابِي الْمَشِيبِ^(٢)
وَسَتَاتِي هَذِهِ الْقَصِيدَةُ بِتَمَامِهَا فِي مِظَانِهَا مِنْ هَذَا الدِّيْوَانِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ،
فَكُتِبَ إِلَيْهِ الْمَلِكُ الصَّالِحُ قَصِيدَةُ أُولَاهَا^(٣) :

بَأَنِّي شَخْصُكَ الَّذِي لَا يَغِيبُ عَنْ عِيَانِي، وَهُوَ الْبَعِيدُ الْقَرِيبُ
يَا مُقِيمًا فِي الصَّدْرِ، قَدْ خَفْتُ أَنْ يُؤْ ذِيكَ لِلْقَلْبِ حُرْقَةً وَوَجِيبُ
وَأَرَى الدَّمْعَ لَيْسَ يُطْفِئُ حَرَّ الْوُجْدِ، إِنْ جَادَ غَيْثُهُ الْمَسْكُوبُ
كُلَّ يَوْمٍ لِنَارِ شَوْقِي مَا يَمِينُ ضُلُوعِي بِمَاءِ جَفْنِي لَهَيْبُ

(١) يعتب : يميل الرضا . والمصحب : المقاد .

(٢) راجع ص ٢٣١ .

(٣) باقي القصيدة ص ١٥٣ و ١٦٤ و ٢٩٦ .

وكذا الصَّبُّ يَحْصُنُ الْجُورُ فِي الْحُبِّ لَدَيْهِ ، وَيَقْدُبُ الْعَدِيبُ
لَا يَهَابُهُ الْأَسْوَدُ فِي حُرْمَةِ الْحَرِّ بِه ، وَيَقْتَادُهُ الْغَزَالُ الرَّيْبُ
وَيُجَازِي عَنْ النَّفَارِ مِنَ الْأَحْبَابِ بِالْقَرَبِ ، إِنَّ ذَا الْعَجِيبِ
يَا مَلِيحَ الْقَوَامِ ، عَطْفًا . فَقَدْ يَعْطِفُ مِنْ لَيْتِهِ الْقَضِيبُ الرَطِيبُ
لَكَ قَلْبُ أَقْسَى عَلَيْنَا مِنَ الْعَهْدِ رِ ، وَمَا هَكَذَا تَكُونُ الْقُلُوبُ
وَبِحَكْمِ الْعَدُوِّ تَحْكُمُ الْحَا ظُكَ فِي قَلْبِنَا ، وَأَنْتَ الْحَيِيبُ
أَنْتَ عِنْدِي مِثْلُ ابْنِ سَبْرَايَ^(١) مِنْهُ الدَّاءُ ، يُرْدِي النُّفُوسَ وَهُوَ الطَّيِّبُ
مَا لِدُنْيِي يُسْقَى بِهِ وَرْدُ خَدَّيْكَ ، وَمَرَعَاهُ فَوْقَ خَدِّي جَدِيبُ
وَلَأَهْلُ الصَّفَاءِ مَا مِنْهُمْ الْآنَ خَلِيلٌ إِذَا دَعَوْتُ يُجِيبُ
مَا ظَنَنْتَا قُوسَهُمْ بِانْصِدَاعِ النَّاسِ حُلْ يَوْمًا ، وَلَا الْفِرَاقِ كَطِيبُ

قافية التاء

(١٦)

وقال :

بِأَمْعَلِ الْأَمَالِ ، دَعْ خُدْعَ الْمَنَى قَالِيْ سٌ يَنْقُضُ كُلَّ مَا أْبْرَمَنَهُ
مَرَضٌ^(٢) فَوَادَكَ بِالسَّارِ ، لَعَلَّهُ مُتَيَسِّرٌ بَعْدَ التَّوَيِّ إِنْ رُمَتَهُ
فَنَ الْجَهَالَةِ أَنْ تُؤْمَلَ وَصَلَهُمْ بَعْدَ الْعَادِ ، وَفِي الدُّنُو حُرْمَتُهُ

(١) ابن سبراي هذا طبيب مقدم في صناعته ، كان يتولى خدمة الملك الصالح ، وكان في أخلاقه بعض التراسية والحدة فذلك كان الملك الصالح يبيت به ويداعبه مستغنيا لفرجه وحنه مع عليه وفضله . (اه من هاشم الديوان) .

(٢) الحمريش : حسن القيام على المريض .

قافية الجيم

(١٧)

وقال :

وَنَائِلُ رَأْبُهُ ضَلَالَى عَنْ نَبِيحَى ، وَالْحُبُّ مَالَهُ نَبِيحٌ
وَبَحٌّ بَنَى الْوَجْدَ كُلَّمَا عُلِّلُوا فِي خَوْضِهِمْ لِحَّةَ الْهَوَى لِحُوا
عَلَّتْ تَحْجُو مِنْهُمْ ، فَتَلَّتْ لَهُ : لِيَاكَ عَنِّي ، حَاشَى أَنْ أَتَحْجُو
أُنْظُرُ^(١) إِلَيْهَا ، وَلَا^(٢) تَنْظُرْتُ ، تَرَى شَخْصًا عَنْ الْعَاشِقِينَ يَحْتَجُّ
غُصْنٌ وَدَعُصٌ ، فَالْغُصْنُ مِنْ هَيْفٍ يَمِيسُ لَيْنًا ، وَالْدَّعُصُ يَرْجُ
نَسْ وَائِلٌ ، فَاعْجَبْ لَشَمْسٍ صَحَى دُنُرُ ، وَائِلٌ رَاكِدٌ يَدُجُو
رَحِيقُ رَيْقٍ عَذِيبٍ ، فِي كَبْدِي مِنْهُ سَعِيرٌ ، وَفِي فَمِي ثَلِجٌ
فِي وَجْهِهَا كَمَبَةُ الْجَمَالِ ، فَلْيَعْمُرْنِ إِلَى حُسْنِ وَجْهِهَا حُجَّ

قافية الحاء

(١٨)

وقال^(٣) :

نَقَمِي قَدْتُ بَرَّ تَمْسَامٍ ، إِذَا عَاتَنِي بِالْجِدِّ أَوْ بِالْمِرَاخِ
سَدَدْتُ بِالْتَقْيِلِ فَأَهْ عَلَى مَسِكَ ، وَدُرٍّ ، وَعَقِيْقٍ^(٤) ، وَرَاخِ

(١) هذا البيت والبيتان بعده مما اختاره مسالك الأبحار لأسامة (٥٠١ : ١٠) .

(٢) هذه رواية الديوان وفي المسالك «لأن» .

(٣) هذا البيتان من اختيار مسالك الأبحار لأسامة (٥٠١ : ١٠) .

(٤) في المسالك «ورضاب» .

وقال .

بَاحَ بِشَكْوَى مَا بِهِ ، فاستراح فهل عليه في الهوى من جناح
لَمَّا رَأَى كِتَابَ مَا يَنْطَوِي عليه لا يفتني إذا الدمعُ بَاحَ
دَاوَى بِمَا أَعْلَنَ مِنْ بَنَى قلباً من الكتمانِ دَائِي الجراح
صَبَّ حَمَاهُ الْوَجْدُ طَيْبَ الْكَرَى وجِسمُهُ السُّقْمُ نَهَبُ مُبَاخَ
مُحَاطَرٌ يَرْكَبُ هَوْلَ الْهَوَى أمَّا ، وأما مثل ضرب القداح
يَا صَاحِ ، مَا أَصْحَاكَ عَنْ سَكْرَتِي عَفَى بِأَخْوَى ذِي مِرَاجٍ وَرَاحٍ^(١)
مُهَفِّفٍ^(٢) ، صَحَّتْ عَلَى سُقْمِهَا جُحُوتُهُ ، فَبِهِ مَرَاضُ صَاحِ
لِطَرَفِهِ فَتَكُهُ بَيْضُ الظَّبَا وَقَدَّ هَزَّةُ سُمُرِ الرِّمَاحِ
شَمْسُ نَهَارٍ ، تَرْتَدِي بِالدَّبَجِ غُصْنُ مُرَاحٍ ، فَوْقَ حَقِيفِ رَدَاحٍ^(٣)
طَافَ عَلَيْنَا ، وَالدَّبَجُ رَاكِدٌ يُظَلُّنَا مِنْ جُنْحِهِ بِالْجَنَاحِ
بِقَهْوَةٍ مِنْ خَلِّهِ أَشْرَقَتْ وَتَشْرُبُهَا الصَّبَائِعُ مِنْ فِيهِ فَاحِ
فَظَلْتُ فِي أَمْنٍ غَرَامِي بِهِ مِنْ كُلِّ وَاشٍ ، وَرَقِيبٍ ، وَلَاخِ
فِي حِنْتَمِي طُرَّتِهِ وَالدَّبَجِ وَنَبْرِي غُرَّتِهِ وَالصَّبَاخِ
بَغْبَطَةٍ جَادَتْ عَلَى بَجْلِهَا بِهَا اللَّيَالِي غَلَطًا لَا سَمَاحِ
حَتَّى قَضَى الدَّهْرُ بِتَفْرِيقِنَا فَمَا احْتِيَالِي فِي الْقَضَاءِ الْمَتَاخِ

(١) الأخرى : ذو الشفة الحمراء المسافة إلى السواد . والمراح : اسم من مرح كقبح : أهروبطروا ختال وجيتر . والمرح آخر . يريد أن ظل مشغوف بمرح ذي ثمر أخوى وبالراح .

(٢) حذوف الرجل إذا شق بدنه صار كأنه ضمن بيد ملاحه... وقال : جارية مهفوفة ومهفوفة : ماضرة البطن دقيقة الخصر .

(٣) أراح الشيء : وجد راحه . والمراد أنه ضمن ذواته طيبة . والزواح : الثقبلة الأوراك .

(٢٠)

وقال .

أَرْنَهُ غِرَّتُهُ^(١) فِي الْمَجَرِّ مَصْلَحَتِي جَهْلًا ، فَأَفْسَدْتَنِي كُلَّ مَا صَلَحَا
وَقَالَ : لَيْسَ لَهُ قَلْبٌ يُطِيقُ بِهِ صَبْرًا ، وَلَوْ هُمْ بِالسُّلْوَانِ لَأَفْتَضَحَا
وَصَبُورَةُ الْحَبِّ كَانَتْ قَبْلَ بَذْلَتِهِ^(٢) وَبَعْدَهَا ، فَسَوَاءٌ صَدٌّ أَوْ زَحَا
كَالشَّعْرِ يُحْفَظُ مَا لَمْ يُتَذَلَّ ، فَإِذَا حَلَقْتَهُ عَادَ بَعْدَ الصَّوْنِ مُطَرَحَا

(٢١)

وقال :

عَقَائِلُ^(٣) الْحَيِّ ، أَمْ سَرِبُ الْمَهَا^(٤) سَنَحَا أَفْسَدَنَ مَا كَانَ بِالسُّلْوَانِ قَدْ صَلَحَا
بِرَزْنِ كَالْبَانِ فِي الْكُثْبَانِ حَامِلَةٌ شَمْسًا أَضَاءَتْ وَلَيْلًا رَاكِدًا جَنَحَا
فَاقْتَدَنَ بِالْحَبِّ مَنْ أَعْطَى مَقَادَنَهُ طَوْعًا ، وَرُضْنًا^(٥) بِحَسَنِ الدَّلِّ مِنْ جَمَحَا
مِنْ كُلِّ غِيْدَاءٍ^(٦) مَكْسَالٍ إِذَا انْتَبَهَتْ تَنَقَّسَتْ عَنْ نَسِيمِ الرَّوْضِ إِذْ نَفَعَا
كَانَتْ مَنَى النَّفْسِ لَوْلَا وَاعِظُ لَسَنُ لِلشَّيْبِ أَسْمَعْنِي نَاهِيهِ ، إِذْ نَصَحَا

(١) الغرة بالكسر : النفلة وعدم التجربة .

(٢) البذل : الابتذال : ضد الصيانة .

(٣) العقيلة من النساء : الكريمة المختارة .

(٤) المهابة : البقرة الوحشية ، شبهت بالمهابة وهي البقرة .

(٥) راض المهر : ذلل .

(٦) الغيذاء : الخفية لنا .

قافية الدال

(٢٢)

وقال^(١) :

حَتَّامَ أَرْغَبُ فِي مَوْدَةٍ زَاهِدٍ وَأُرُومُ قُرْبِ الدَّارِ مِنْ مُتَبَاعِدِ
وَالْأَمَ أَنْزِمُ الْوَفَاءَ لِغَادِرٍ وَأَقْرُ بِالْعُتْبَىٰ لِجَانِ جَاوِدِ
وَعَلَامَ أَعْمَلُ فَكَّرْتُ فِي سَادِرٍ^(٢) سَاهُ ، وَأَسْهَرُ مُقَلَّتِي لِرَاقِدِ
وَأُرَوْضُ نَفْسِي فِي رِضَا مُتَجَرِّمٍ فَاتَتْ مَوَدَّتَهُ طَلَابَ النَّاشِدِ
وَأَقُولُ : هِجْرَتُهُ خَافَةٌ كَاشِعٍ يُغْرِى بِنَا ، وَحِذَارَ وَاشِ حَاسِدِ
وَأُظَنُّهُ يُبْدِي الصَّدُودَ^(٣) ضَرُورَةً وَإِذَا قَطِيعَتُهُ قَطِيعَةٌ عَامِدِ
مَنْ لِي بِأَيُّلِ مَوْدَةٍ بِثُؤُونَةٍ^(٤) مِنْهُ ، يُهَرِّجُهَا اخْتِبَارُ النَّاقِدِ
أَرْضِي بِبَاطِلِهَا ، وَأَقْنَعُ بِالْمُنَى مِنْهَا ، وَأَدْفَعُ غَيْبَهَا بِالشَّاهِدِ
يَا ظَالِمًا^(٥) ، أَفْتَى اصْطَبَارِي هِجْرَهُ وَابْتَرَّ ثَوْبَ تَمَاسُكِي وَنَهَالِدِي
كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى وَصَالِكَ ، بَعْدَمَا عَقَيْتُ بِالْهَجْرَانِ سُبُلَ مَقَاصِدِي
وَيَلُومُنِي فِي حِلِّ ظُلْمِكَ جَاهِلُ يَلْقَى جَوَى قَلْبِي بِقَلْبٍ بَارِدِ
يُزْرِي عَلَى جَرَحِي بِصَبْرِ مُسْعِدِ وَيَعُدُّ عَنْ دَمْعِي بِطَرْفِ جَامِدِ
لَمْ لَا تَرَقُّ لِنَظَائِرِ أَرْقَتِهِ وَحَشَا حَشَاهُ الْوَجْدُ جَذْوَةً وَأَقْدِ
وَمَرُوعٌ يَلْقَى الْعَوَازِلَ فِي الْهَوَى بِفَوَادٍ مَوْتُورٍ ، وَسَمِيعٍ مُعَايِدِ

(١) روى الهادي في الخريدة بعض هذا الشعر (١ : ١٠٣) .

(٢) السادر : الذي لا يهتم ولا يبال ما صنع .

(٣) في الخريدة " الجفاء " .

(٤) يقال تَلَانُ يَفْقُ الْوَدَّ ، وَوَدَّ غَفُوقٌ وَهُوَ عَادِقٌ فِي وَدِّهِ : كَذَابٌ .

(٥) في الخريدة " يا ظالما " .

قَلْبِي الرِّمَادُ كَأَنَّ تَحْتَ مِهَادِهِ أَسْدًا ، وَمَضَجِيهِ نِيُوبُ أَسَاوِدُ
أَتَرَكَ يَعْطِفُكَ الْعَتَابُ ، وَقَلْبًا يَنْفِي الْعَتَابُ عَنَّا قَلْبَ شَارِدِ
مِهَابَ ، وَصَلَّكَ عِنْدَ عَتَقَا مُغْرِبِ^(٢١) وَرَضَاكَ أَبْعَدَ مِنْ مَهَا وَفَرَاقِدِ
وَمِنَ الْعَنَاءِ جِلَابُوبٌ وَدَى صَادِقِ مِنْ مَا ذِي ، وَصَلَاحُ قَلْبِ فَاسِدِ

(٢٣)

وقال :

إِنْ خَانَ عَهْدَكَ مِنْ تَوَدُّهِ وَنَأَى ، فَلَا يَحْزُنُكَ فَقْدُهُ
وَاهْجَرُهُ هَجْرَكَ مِنْ مُجِبِّ ، إِذَا تَضَى وَحَاوَهُ لِحْدُهُ
وَإِذَا سَأَلْتَ عَلَامَ تَهْجَرُهُ . فَقُلْ : مَا صَحَّ عَهْدُهُ
وَعَلَامَ أَرْغَبُ فِي مَلُو ل . خَاتِنِ ، قَدْ بَانَ زُهْدُهُ
وَاحْذَرِ مَقَالَةَ مَنْ يَقُولُ : الْحُبُّ يَخْضَعُ فِيهِ أَسْدُهُ
وَإِذَا خَضَعْتَ لِمَنْ يَنْوِي نَكَ فَاِلْبَاءَ لِمَنْ تَعُدُّهُ !
إِنْ رَاعَ قَلْبَكَ هَجْرُهُ فَعَدَا يَلِينُ لَهُ أَشَدُّهُ
وَالصَّبْرُ سُمْ نَاقِعٌ لَكِنَّ مِنْهُ يُشَارُ^(٢٢) مُهْدُهُ
وَإِذَا صَرَفَ الْقَلْبَ فَهُوَ كَأَمْسٍ ، لَا يُسْطَاعُ رُدُّهُ
غَالَطْتَ نَفْسَكَ فِيهِ ، وَالْمَشَى خَوْفٌ يَعْزُبُ عَنْهُ رُشْدُهُ
وَعَظْمَتُهُ قَصْدٌ أَزْدِيَا ذَكَ فِي الْهَوَى ، وَسَوَاكَ قَصْدُهُ

(٢١) عتقاء مغرب : طائر معروف الاسم لا الجسم .

(١) أسود : جمع أسود وهو الحية .

(٢) شار الصل : استخرجه كاشاره .

وَأَنَا الْقَدَاءُ لِبَاخِلٍ بِالْوَعْدِ ، وَالْأَحْلَامُ وَعْدُهُ
أَرْضَى بِيَاطِلِهِ ، وَيُقْنِطُنِي نَجْمُهُ ، وَرَدَّةُ
لَدُنَّ الْقَوَامِ ، يُعَلِّمُ الْأَغْصَانَ كَيْفَ تَمَيُّسُ قَدُّهُ
يَفْتَرُّ عَنِ عَذْبِ الْمَقْبَلِ ، يُضْرَمُ الْأَحْشَاءُ بِرَدَّةِ
لَا شَكَّ ، لَوْ لَوْ ثَغْرِهِ مِنْ عَقْدِهِ أَوْ مِنْهُ عَقْدُهُ
لِخَمَرِ رَيْقَتِهِ ، وَاللَّوْنُ الْجَنَى النَّظِيرُ خَدُّهُ

(٢٤)

وقال :

يَا مَلُولًا قَلْبًا يَرْحَى لِمَنْ يَهْوَاهُ عَهْدًا
يَا ظَلُومًا كَلْبًا اسْتَعَطَقْتَهُ تَاهُ وَصَدًا
لَمْ جَعَلْتَ الْمَجْرَ يَا مُوَلَّى ، قَبْلَ الْبُعْدِ بُعْدًا
مَا أَرَى [لِي] (١) مِنْكَ فِي حَالِ الرِّضَا وَالسُّخْطِ بُدَا

(٢٥)

وقال :

مُرُوعٌ بِالْقَلْبِ ، وَالْعَبْدُ ، لَيْسَ لَهُ صَبْرٌ ، عَلَى الْمَجْرِ وَالْإِعْرَاضِ ، يُسْعِدُهُ
إِذَا اسْتَفْرَّ (٢) الْكَرَى أَجْزَانُ مُقْلَتِهِ وَأَقَى الْخِلَالِ بِطُولِ الْمَجْرِ يُوعِدُهُ
تَذَكِّي مَدَامَعَهُ جَرًّا تَسْعَرُ فِي حَشَاءُ ، وَالْمَجْرُ فَيُضِ الْمَاءُ يُجِدُّهُ

(١) تَكَلُّهُ يَتَضَمُّهُ الْوَزْنُ .

(٢) اسْتَفْرَّانَا : أَنَا عَلَى غَلَّةٍ .

(٢٦)

وقال :

لَا تَحْسَبَنَّ اللَّوْمَ أَجْدَىٰ بِلْ زَادُهُ كَلَمًا وَوَجَدَا
أَبْدَىٰ صَبَابَتَهُ وَلِلْإِعْلَانِ مَا أَخْفَىٰ وَأَبْدَىٰ
نَمَتْ بِهِ زَفَرَاتُ شَوْقِي ، مَا أَطَاقَ لَهْنًا رَدًّا
لَا تُكْثِرَنَّ فَا يَرَىٰ مِمَّنْ تُعْنَفُ فِيهِ بُدَا
فَرًّا أَعَارَ الظِّمَىٰ أَلْسِنًا ، وَغُصْنِ الْبَانِ قَدًّا
شُغِفَ الْجَمَالَ بِهِ ، فَلَمْ يَجْعَلْ لَهَا أَعْطَاهُ حَدًّا

(٢٧)

وقال :

قُلْ لِمَنْ لَمْ يَرَّحْ عَهْدِي وَالَّذِي ضَبَعَ وَدِّي :
يَا فَدَتَكَ^(١) النَّفْسُ ، قَدْ أَسْرَفَتْ فِي هَجْرِي وَصَدِّي
إِنَّمَا وَصْلُكَ مَبْنُوءٌ لِحِلِّ مُسْتَجِدِّ
فَاتِنٍ مِنْ هَجْرِكَ حَظًّا لِلَّذِي يَهْوَاكَ بَعْدِي

(١) هذا البيت والبيت الأخير من اختيارات مسالك الأبحار لأمانة (١٠: ٥٠١)

(٢٨)

وقال :

حَالٌ عَمَّا عَهْدَتْهُ مِنْ وَدَادِي وَاعْتَدَى فِي قَطِيعَتِي وَبِعَادِي
وَسَلَانِي ، وَقَالَ : كَمْ جُهْدٌ مَا بَقِيَ بِجِسْمٍ مُضْنِي بغير فَوَادِ
وَأَطَاعَ الْوَشَاةَ فِيَّ ، وَصَبُّ أَنْ يُطِيعَ الْحَيِيبُ قَوْلَ الْأَعَادِي
وَهُوَ مِنْ نَظَرِي وَقَلْبِي ، وَإِنْ مَلَّ وَأَبْدَى الْقَلْبَ ، مَكَانُ السَّوَادِ

قافية الراء

(٢٩)

وقال :

كَمْ إِلَى كَمْ أَكَاثِمُ النَّاسَ وَجَدِي ، وَيُظْهِرُ ؟
كَشَفَ الْمَجْرُ مِنْ غَرَايَ مَا كُنْتُ أَسْتُرُ
وَأَقَرَّتْ مَدَامِي بِالَّذِي كُنْتُ أَنْكُرُ
مَا احْتِيَالُ الْمُنَبِّمِ الصَّصْبُ ، أَمْ كَيْفَ يَصْبِرُ
رَاقِبَتَهَا الْعَيُونُ ، يَا لَيْسَتْهَا لَيْسَ تَنْظُرُ !
فَهُوَ مِنْ خَشْيَةِ الْمُرَاقِبِ يَهْوَى وَيَهْجُرُ

(٣٠)

وقال :

أَرْجِعْ لِي شَرْحُ الشَّبَابِ وَعَصْرُهُ وَكَيْفَ رَجُوعُ اللَّيْلِ قَدْ لَاجَ بَحْرُهُ
رَدَاءٌ قَشِيبٌ ، حَالٌ حَالُكَ لَوْنِهِ وَأَنْهَجُهُ^(١) طَى الزَّمَانِ وَنَشْرُهُ

(١) أَنْهَجَ الثَّوبَ : أَخْلَقَ ، وَأَنْهَجَهُ إِلَى . وَحَالٌ : تَحْيَرُ لَوْنِهِ .

وكنْتُ به كلَّ الطَّيِّبِينَ فَبَرَّةً^(١) المَشِيْبُ ، فَوَجَّعَ الشَّيْبُ لَادَر دَرُهُ
فِيَا سَعْدُ ، كَمْ أَحْسَنْتَ بِي قَبْلَ هَذِهِ فِدْوَلَكِ بِرَأَا خَالِصًا لَكَ شُكْرُهُ
تَرَاءَ مَعِيَ دَارًا بِأَكْثِيَةِ الْحَمَى فَقَدَرَانُ^(٢) مِنْ دَمْعِي عَلَى الْعَيْنِ سِتْرُهُ
فَإِنْ تَكُ أَطْلَالِي فَقَفْ بِي بِرَبِّهَا لِأُبْرِدَ قَلْبًا قَدْ تَوَهَّجَ بِحَمَرِهِ
وَأُفْرِغَ فِيهَا قَطَرَ دَمْعِي يُغَيِّرُهُ إِذَا جَادَهَا مِنْ صَيْبِ الْغَيْثِ قَطَرُهُ
وَعَاهَدْتُ قَلْبِي أَنَّهُ لِي مُنْجِدٌ مَعِيَ خُتْمٌ . وَالْآنَ قَدْ بَانَ غَدَرُهُ
وَأَبْدَى الْهَوَى مِنْهُ تَجَهَّمُ خَاذِلٌ فَمَنْ خَانَنِي مِنْ بَعْدِهِ قَامَ غَدَرُهُ
وَقَدْ كَانَ سَكْرُ الْحُبِّ يَهْوِي بِلَبِّهِ وَمَا خَلَّاهُ يَبْقَى مَعَ الْغَدْرِ سَكْرُهُ
وَلَمْ أَتَّبِعْ ضَنَا بِكُمْ سَقَطَاتِكُمْ لِأَسْبِرْكُمْ ، وَالْكَلِمُ يَدْمِيهِ سَبْرُهُ^(٣)
وَلَكِنْ أَوَانِيهَا اسْتَهَارَكُمْ بِهَا وَهَلْ يَخْتَفِي فِي حِنْدَسِ اللَّيْلِ بَدْرُهُ

(٣١)

وقال^(٤) :

مَا هَاجَ هَذَا الشُّوقَ غَيْرُ الذِّكْرِ وَزُورَةُ الطَّيِّبِ سَرَى مِنْ مَضَرِ
مَنْ بَعْدَ ظُلُولِ خُفْوَةٍ وَهَجَرِ كَمْ خَاضَ بِحَرًا وَقَلًّا كَبِيرِ
يَجُوبُهُ اللَّيْلُ حَلِيفَ دُخْرِ حَتَّى أُنَى طَلَانِحًا^(٥) فِي قَصْرِ
قَدْ انْطَوَيْنَ مِنْ سُرَى وَصْمِ^(٦) حَتَّى اغْتَدَيْنَ كَهَالَالِ الشَّهْرِ
يَجْلُنُ كُلُّ مَا جَدٍ كَالصَّقْرِ كَأَنَّهُ مُهَنْدٌ ذُو أَرٍ^(٧)

(١) ران : غلب .

(٢) يزه : غلبه ورزعه .

(٣) السر : امتحان غور البحر .

(٤) اختار صاحب سالك الأبحار بعض أبيات هذه القطعة لأسامة مع اختلاف في الترتيب (المسالك ١٠ : ٥٠٢)

(٥) طلائع : جمع طلوع وهو المجهزول . (٦) الضمر : الخزال .

(٧) الأثر : قرقع السيف .

بعيدُ مَهْوَى هَمَّةٍ وَذِكْرٍ فَاَمَ رَحِلِي، دُونَ رَحْلِ السَّفَرِ
 يُذَكِّرُنِي طَيْبَ الزَّمَانِ النَّصِيرِ وَاَهَا لَهُ مِنْ زَمَنِ وَعُمَرِ
 مَا كَانَ إِلَّا غُرَّةً فِي الدَّهْرِ إِذِ الصَّبَا عِنْدَ التَّصَابِي عُدْرِي
 وَغَايَةُ الْمُنْيَةِ أُمُّ عَمْرُو غَرَاءُ ، أَبِي مِنْ لَيْلَى الْبَدْرِ
 بَعِيدَةُ الْقُرْطِ ، هَضْبُهُ الْخَصِيرِ أَحْسَنُ مِنْ شَمْسٍ يَغْبِتُ قَطَرِ
 تَفْعُلُ بِالْأَلْبَابِ فَعَلَ الْخَيْرِ تَبَسُّمٌ عَنْ مِثْلِ نَظِيمِ الدَّرِّ
 كَأَنَّهُ لَأَلَى فِي نَحْوِ إِذَا انْتَنَتْ قَبْلَ نَوْمِ الْفَجْرِ
 تَنَفَّسَتْ عَنْ مِثْلِ رِيَا الزَّهْرِ كَأَنَّ فَاهَا جُودَةٌ^(١) لِعَطْرِ
 وَإِنْ مَشَتْ مِثْلَهُ بِالْبَهْرِ^(٢) مَشَى النِّسِيمُ بِمَاءِ الْغُدْرِ
 رَأَيْتَ سِرًّا أَوْ شَبِيهِ سَحْرِ رَاكَدَ لَيْلٍ نَحْتَ شَمْسٍ تَسْرِي
 ضِدَّانَ فِيهَا اتَّفَقَا لِأَمْرِ بِالْأَنَمَى ، إِنَّ الْمَلَامَ يُغْرِي
 هَبَجَتْ أَشْوَاقِي، وَلَسْتُ تَدْرِي لَا بَكَ مَائِي: مِنْ جَوَى وَفَكْرِ
 إِذَا أَرَاكَ اللَّيْلُ هَمَّ صَدْرِي أَيْتُ أَرَعَى كُلَّ نَجْمٍ يَسْرِي
 كَأَنَّمَا حَشَيْتِي مِنْ جَمْرِ كَيْفَ الْعَزَاءُ ، وَصُرُوفُ الدَّهْرِ
 تَقْرُقُ^(٣) قَرْحِي، وَتَهَيِّضُ كَسْرِي كَأَنَّهَا تَطْلُنِي بِوَتْرِ
 وَالصَّبْرُ ، لَوْ خَبِرْتَهُ ، كَالصَّبْرِ

(٣٢)

وقال :

دَعَانِي إِلَى هَجْرِي بِثِيْنَةٍ حَقِيْقَةٍ مِنْ الدَّهْرِ خَوْفِي فَجَرَهَا آخِرَ الدَّهْرِ
 وَلَا بَأْسَ بِالْهَجْرَانِ مَا لَمْ يَكُنْ قَلِيًّا وَلَا الصَّدِّ ، مَا لَمْ يُبَدِّدِ الْمَرْءُ عَنْ غَدْرِ

(١) البقرة : السَّفَط . (٢) الهجر : انقطاع النفس من الإعياء . (٣) قرف القرحة : قشرها .

(٣٣)

وقال :

وَبِحِ الْعَوَازِلِ لِاخْلَاقٍ لَهُمْ وَهُمْوَا ، وَلَمْ تَصُدُقْهُمْ الْفِكْرُ
قَالُوا : قَتَى تَسْمُو بِهِ هُمُّ مُسْتَضْفَرٌ فِي جَنْبِهَا الْخَطَرُ
لَا يَنْتَنِي عَمَّا يَبُتُّ بِهِ أَوْ يَنْتَنِي الصَّمَامَةُ الدَّكْرُ
غَرَّتْهُ دُنْيَاهُ بَزَهْرَتِهَا فَصَبَا ، وَمِنْ عَادَاتِهَا الْغَرُّ
فَارَتْهُ مِثْلَ الشَّمْسِ طَالَعَةً غَرَاءَ يَعْنِي دُونَهَا الْبَصَرُ
وَبَدَتْ لَهُ عُطْلًا كَأَحْسَنِ مَا يَبْدُو لَعَيْنِ الْمُدْلِجِ الْقَمَرُ
حَتَّى إِذَا مَا الْحُبُّ أَوْقَعَهُ حَيْرَانًا : لَا يَرُدُّ وَلَا صَدَرُ
ضَمِنَتْ لَهُ مِنْ وَصْلِهَا عِدَّةٌ إِنْ نَالَهَا فَلَيْبِنَةِ الظَّفَرُ
أَوْ كَانَ ذَاكَ لِحَنَّهُ سَبِيًّا فَدَمُ الْفَتَى فِي مِثْلِهَا هَدَرُ

(٣٤)

وقال :

يَا حَاضِرًا بِفَوَادٍ نَاءٍ غَائِبِ وَالتَّجْمُ أَقْرَبُ مِنْ مَلُولٍ حَاضِرِ
أُبْلَغَ رِضَاكَ مِنَ الْجَفَاءِ قَشِيمَتِي وَصَلُّ الْمَلُولِ ، وَحِفْظُ عَهْدِ الْغَائِرِ
فَلَا صَبِيرَنَّ عَلَيْكَ لَا مِنْ سَلْوَةٍ صَبَرَ الْكَلِيمِ عَلَى أَدَاةِ السَّائِرِ^(١)
حَتَّى تَعُودَ إِلَى الرِّضَا ، وَيَصْدَكَ الْخُلُقُ لَمَقُ الْكَرِيمِ عَنِ الطَّرِيقِ الْجَائِرِ

(١) الصبر : الصنعان غرد البحر . والكليم : المريج .

(٣٥)

وقال^(١) :

وها لليل خلّني من طيبه متفياً في ظلّ طير طائر
لو أتت أشري بعمرى مثله أو بالشّيبة لم أكن بالخامر
ناهلت فيه البدر شمساً توجت عند المزاج بكل نجم زاهر
ولمّت غراً ، لو تآلق في دجى أغنى المحول^(٢) عن الغمام الماطر

(٣٦)

وقال :

هوبى ، كما زعموا ، مذنب أسأت . وقد جئت أستغفر
فإنّ دليل الرضا والقبول ل . وحسن تجاوز من يقدر
ولم يبق لي بعد ذلّ الخضو ع رجاء سوى أنى أصبر

(٣٧)

وقال :

يا جائراً ، وهوى يعذره منك الذنوب ، ومنى العذر
لا تحسبنى ، عن ملاك لي غراً ، ولكنّ الهوى غر
وأرى سبيل الهجر واضعاً مسلوكة ، لو كان لي صبر

(١) هذه القطعة عدا البيت الثاني مما اختاره مسالك الأبحار للأسامة (١٠ : ٥٠٢)

(٢) المحول : الجلب

(٣٨)

وقال^(١) :

ما حيلتني في المَلُولِ ، يظلمني وليس إن جارَ منه لي جارُ
ودأده كالسَّحابِ ، متقبَّل وعهده كالسرابِ ، غرَّارُ
أمنُ ما كنتُ منه فاجأني بغنِّره ، والملولُ غدارُ
عَوْنِي نليه مدامعُ سُفَّح وزفرَةُ دوتَ حرَّها النَّارُ

(٣٩)

وقال :

لا صبرَ لي عن بدرِ تمُّ مشرق أضْحَى له الينُ المشتُّ سرَّاراً^(٢)
عابته^(٣) في صلته قبل النوى فكانَّ عني زاده إصراراً
وعرته من تجل العتابِ كآبة زادت محاسنَ وجهه أنواراً
ورأيتُ أمواهَ الحياءِ بخذه ففرقت ، حتى استعالت ناراً

(٤٠)

وقال :

أنا أقدى مغرَى بصدي وهجرى وهو شمسي ضحى ، وفي الليلِ بدرى
يُنبتُ الوردَ خذه ، وبفيه الـ عذب دُرٌّ ، يُسقي سُلَافَةً بحجرِ

(١) رويت هذه القصيدة أيضاً في نريدة القصص (١ : ٤٠٤) .

(٢) السرار : أوانر الشجر .

(٣) هذا البيت والبيت الأخير من اختيارات المسالك لأسامة (١٠ : ٤٠٢)

(٤١)

وقال :

مَنْ عَاذَرُ لِي ! وَمَنْ لِلصَّبِّ يَعْنُرُهُ مِنْ نَاقِضِ الْعَهْدِ يَنْسَانِي ، وَأَذْكُرُهُ
يَقْتَادُنِي نَحْوَهُ شَوْقِي ، وَيَصْرِفُنِي خَوْفِي عَلَيْهِ ، فَأَهْوَاهُ وَأَهْجُرُهُ
تَرَى حِمَامَتَهُ عَيْنِي ، وَتُعْرِضُ عَنْ قَبِيحِ أَفْعَالِهِ ، أَوْ لَيْسَ تُبْصِرُهُ
يَأْتِي بِمَا سَاءَ فِي عَمْدِي ، فَأَعْنُرُهُ وَيُظْهِرُ الْغَدْرُ لِي مِنْهُ فَأَنْكَرُهُ

(٤٢)

وقال :

حَتَّامٌ قَلْبِي بِالْكَأَبَةِ مُكَدُّ بِإِيَّكَ ، وَوَجْهِي لِلتَّجَمُّلِ مُسْفَرٌ^(١)
كَالْشَّمْعِ يُشْرِقُ بِالضِّيَاءِ ، وَنَارُهُ مَشْبُوبَةٌ ، وَدَمُوعُهُ تَنْخَدِرُ

(٤٣)

وقال :

مَنْ عَذِيرِي مِنْ شَادِنٍ^(٢) أَلْطَقَ عَيْنَهُ ، مَعَ الْإِنْسِكِ وَالْتَحَلَّمَ صَبْرًا
أَهْيَفُ ، أَنْبَتَ الْجَمَالَ فِيهِ أَلَا حَذِبٌ دُرًّا سَقَاهُ مَسْكًا وَنَعْمًا
فَاعَارَ الْغَزَالَ عَيْنًا ، وَغَضَنَ أَلَا بَانَ لِيْنًا ، وَالْأُفْقَوَانَةَ تَغْرًا
أَجْتَلَى مِنْهُ فِي ضَمِي الْيَوْمِ شَمْسًا وَأَرَى مِنْهُ فِي دُبْحَى اللَّيْلِ بَدْرًا
فِيهِ أَمْسٌ ، وَلِلْإِلَاحَةِ فِي عَا بَيْنِهِ مَعْنَى ، تَحَالَهُ الْعَيْنُ دُغْرًا
قَالَ لِي ، إِذْ رَأَيْتُ غَرَامِي وَصَدَى : أَنْتَ تُخْنِي وَجَدًّا ، وَتُظْهِرُ هَجْرًا

(١) أسفر الصبح : أضاء . وأهرق . والتجمل : التبرع .

(٢) شادن القبي : القوي واسمى من أمه .

أنت كالصائم، الذي يشتهي الماء لفرط الظما ، ويكره فطرًا
قلت: دغذا، فأنت شرطي، ولكن لم يدغ لي المشيب في الجهل عذراً

(٤٤)

وقال :

قَالُوا : أَسْلَوْ عَنْ حِرِّ يَكُ : قُلْتُ : لَا . وَاللهِ ، عُمَرَى
قَالُوا : فِيهِ تَبَلُّلٌ يَا أَبَاهُ مِثْلُكَ ، قُلْتُ : أَدْرَى
لَوْ كَانَتْ مَسْتَوْرًا لِمَا هَتَكَ الْغَرَامُ عَلَيْهِ سِتْرِي
وَإِذَا أَبَتْ نَفْسِي هَوَا هُ ، مَعَ الْخِيَانَةِ ، حَانَ صَبْرِي

(٤٥)

وقال :

ظَهِيَ تَغَارُّ الشَّمْسِ مِنْ حُسْنِهِ مَاءُ الْحَيَا مِنْ خَدِّهِ يَقْطُرُ
مُتَبَسِّمٌ عَنْ جَوْهَرٍ رَائِحٍ يَقُوحُ مِنْهُ الْمَسْكُ وَالْعَنْبَرُ
إِذَا مَشَى أَنْجَلَ سَمَرَ الْقَنَا وَحَارَ فِيهِ عَقْلُ مَنْ يَنْظُرُ
مَا فِيهِ مِنْ عَيْبٍ سِوَى أَنَّهُ إِذَا أَرَدْنَا وَصْلَهُ يَهْجُرُ

قافية الشين

(٤٦)

وقال :

لَا تَرْتَجِ الثَّجَجَ مِنْ مَوَاعِدِهِ فَهِيَ صَبَاحٌ يَجَابُ عَنْ غَيْشٍ^(١)
مَا هِيَ إِلَّا السَّرَابُ ، يَنْبَعُ الظَّمَّ آتٍ ، حَتَّى يَمُوتَ بِالْعَطَشِ

(١) الغيش : طلبه آخر الليل .

قافية الصاد

(٤٧)

وقال :

يا مَنْ مودُّهُ سحابٌ زائلٌ وعُهودُهُ في الحبِّ ظلٌّ قالِصٌ
هَلْ في القَصِيَّةِ أَنْ جُبِّكَ زائدٌ وأبداً . وحِطِّي كلَّ يومٍ ناقِصٌ
وتشوبٌ ودَلَّ بالقَطِيعَةِ والقَلِي وهواك من كلِّ الشَّوائِبِ خالِصٌ

(٤٨)

وقال :

يا غادِرِينَ إلَّامَ يَأْتِي هجرُكمُ وملأكم أَمَلِي بِجِدٍّ^(١) ناكِص
أنا مِنْ هَواكمُ بينَ حبٍّ زائدٍ بلغَ النِّهايةَ بي ، وحِطَّ ناقِص
أَرْضِي مَشُوبَ الوُدِّ مِنْكمُ بالقَلِي وأَجِمْكُمْ مُحَضَّ الوِدادِ انِّخالِص

قافية الضاد

(٤٩)

وقال^(٢) :

صَدَّ عَنِّي وأَعْرَضَا وتَنامَى الذي مَضَى
واسْتَمَرَّ الصَّدُودُ وأنْقَطَعَ الوِصلُ وانْقَضَى^(٣)

(١) الجَلَّة : الحظ . والناكِص : المضمحل .

(٢) هذه القصيدة مما روى في الترغيد لأسامة ١٠٤٠١ مع زيادة .

(٣) بعده في الترغيد : "واخضت في الهوى ذنوبى" وبديت حين أيضا "

صَرَحَ الْآنَ هَجْرُهُ لِي بِمَا كَانَتْ عَرَضًا^(١)
وإذا اسْتَعْطَفَ الْمَلُوءُ لِي تَجَنَّبِي وَأَعْرَضًا^(٢)

قافية الطاء

(٥٠)

وقال :

لَكَ أَنْ أَطِيعَكَ رَاضِيًا أَوْ سَاحِطًا وَأَصُونُ سِرَّكَ رَاجِيًا أَوْ قَانِطًا
وإذا تَسَقَّطَنِي الْوُشَاةُ حَدِيثُكُمْ أَلْفُوا بِسِرِّكُمْ ضَيْنًا سَاحِطًا
يَلْقَى الْوِثَامُ فِيكَ سَمْعًا صَادِقًا عَنْهُمْ ، وَجَاشًا لِلْهَلَاةِ رَابِطًا
وَيُثِيرُ ذِكْرَكُمْ زَفِيرًا صَاعِدًا مُتَنَبِّطًا بِلَظَاهِ دَمْعًا سَاقِطًا
يَا هَاجِرًا ، وَاقِيَ الْكَرَى بِخِيَالِهِ مُسْتَدِرِّكَ بِالْوَصْلِ هَجْرًا فَارِطًا
لَوْ أَيقِنَ الْوَاشُونَ حَقِّي مِنْكُمْ وَصَبَاحِي بِكُمْ لَسَرُوا الْغَايِطًا

(٥١)

وقال :

يُقَرُّ بِالذَّنْبِ يَجْنِبُهُ ، فَأَحْسِبُهُ قَدْ جَاءَ مُسْتَدِرِّكَ بِالْعَذْرِ مَافِرَطًا
وَلَيْسَ يَقْصِدُ إِلَّا أَنْ يُعْرِقَنِي أَنْ الْإِسَاءَةَ عَمْدًا لَمْ تَكُنْ غَلَطًا

(١) بده في انفرجة: " كل عيب بين في السخط ويخفى مع الرضا "

(٢) بده في انفرجة: " ليت من طلق وأعسل جسي وأمرنا "

" عاد بالوصل أو قفى في بالعدل إذ قفى "

قافية الظاء

(٥٢)

وقال :

أَحْضَطُّمُ^(١) قَلْبِي بِغَدْرِكُمْ وَالْقَلْبُ أَذَى الْغَدْرِ يُحْفَظُهُ
وَأَضَعْتُمْ عَهْدَ الْهَوَى، وَبِهِ أَقْسَمْتُ أَنْ لَا زِلْتُ أَحْفَظُهُ
وَوَدَّعْتُمْ وَجْدِي يُكْفَرُ مَا أَصْبَحْتُ أَسْمَعُهُ، وَالْحَفْظُ
هَبْ أَنْكُمْ مَا بِي ظَمًا أَفَلَسْتُ عِنْدَ قَدَاهُ الْفُظُّ

قافية العين

(٥٣)

وقال :

يَا مُوْعِدِي بِالْوَصْلِ وَعِدًّا لَا يَرَى فِيهِ الْمُؤْمِلُ لِلتَّقَاضِي مَوْضِعًا
أَصْبَحْتُ فِي حُبِّكَ كَالِدَاعِي الصَّدَى مَا إِنَّ لَهُ حَفْظَ سِوَى أَنْ يَسْمَعَ
لَكِنَّ حَفْظَ هَوَاكَ مِنْ جِسْمِي ضَيُّ بَادٍ ، نَقَى نَوِي ، وَأَقْنَى الْأَدْمَعَا

(٥٤)

وقال :

أَطْبَعُ هَوَى عَصَمَاءَ، وَهُوَ يُضِلُّنِي وَمَا أَنَا فِيهَا لِلْهَى بِطَاطِعٍ
وَيُسْمِعُنِي دَاعِيَ الْهَوَى مِنْ بِلَادِهَا وَلَمَّا لِدَاعِي الصَّحْغُ غَيْرُ سَمِيعٍ
وَأَحْضَطُّهَا، وَهِيَ الْمُضِيعُ لَعَهْدِهِ فَيَا عَجَبًا مِنْ حَافِظٍ لِمُضِيعٍ

(١) أَحْضَطُّ : أَخْضَبَ .

قافية الف.

(٥٥)

وقال :

أَطَاعَ مَا قَالَهُ الْوَائِي وَمَا هَرَقَا فَعَادَ يُنْكِرُ مَنَّا كُلَّ مَا عَرَقَا
وَصَدَّ حَتَّى اسْتَمَرَ الْمَجْرُ مِنْهُ ، قَلَوُ أَلَمْ يَ مِنْهُ طَيْفٌ فِي الْكَرَى صَدَقَا
يَجْنِي ، وَعِنْدِي لَهُ الْعَتِي ، فَوَاجِبَا مِنْ مُعْتَبٍ^(١) مَا جَنَى جُرْمًا وَلَا اقْتَرَا
مَلَكْتُهُ طَائِعًا قَلْبًا تَعَسَّفَهُ وَقَلْبًا يَمْلِكُ الْأَحْرَارَ مَنْ عَسَفَا
لِي مِنْهُ مَا سَاءَ بِي : مِنْ هَجْرِهِ ، وَلَهُ مَنَى الرِّضَا بِقَضَائَاهُ ، وَإِنْ جَنَفَا
أَلْقَاهُ بَعْدَ التَّصَا فِي مُعْرَضَا حَقِيقَا وَبَعْدَ إِقْبَالِهِ بِالْوُدِّ مُنْهَرَفَا
يَا هَاجِرِينَ لِلْأَذَنْبِ^(٢) سَوَى مَلِي دَعَا ، فَهَبُوا إِلَى دَاعِيهِ إِذْ هَتَمَا
مَالِي أَرَى بَيْتًا ، وَالْدَارُ جَامِعَةٌ قَرِيبَةٌ ، مِنْ تَجَنُّبِكُمْ نَوَى قُدَّعَا^(٣)
لَا تَعْجَلُوا بِفِرَاقِي سَوْفَ يُدْرِكُنَا كَفَى بِنَا فُرْقَةً ، رَيْبُ الْمُنُونِ ، كَفَى
صَلُّوا فَوَادًا ، إِذَا سَكَنْتُ رَوْعَتَهُ هَفَا ، وَدَمْعًا إِذَا تَنَهَيْتُهُ وَكَفَا
لَكُمْ هَوَايَ ، وَإِنْ جُرْتُمْ ، وَجُورُكُمْ مُسْتَحْسَنٌ مِنْكُمْ ، لَوْلَمْ يَكُنْ سَرَقَا^(٤)
كَذَلِكَ حَظِّي مِنَ الْأَحْبَابِ : مِنْ سَكَنْتُ نَفْسِي إِلَيْهِ حَبَابِي الْمَجْرَ وَالشَّقَا^(٥)
حَتَّى لَقَدْ غَيَّرَ الْجَدُّ الْعَثُورُ ، فَلَا لَعَا لَهُ ، مَا جَدًّا مَا كَانَ مُطَرَقَا^(٦)

(١) المحب : طالب النبي : وهي الرضا . (٢) في رواية حل هامش النسخة « جرم »

(٣) النوى القنفذ : البعيدة . (٤) السرف : ضد التقصد .

(٥) الشف : الخس . (٦) تمام القصيدة صفحة ١٢٥ . والمطرف : الريل لا يثبت على محبة أحد لاله .

(٥٦)

وقال :

وَمُهْمَهَفٌ بِي مِنْ ضُورٍ جُفُونُهُ سَكْرٌ ، يُقَصِّرُ عَنْهُ سَكْرُ الْقَرْفِ^(١)
أَبْدًا أَوْاصِلُهُ ، وَيَجْرُ عَامِدًا وَمَنْ الْعَنَاءُ وَدَادُ مَنْ لَمْ يُنْصَفْ
يَسْتَعِذُّ الْقَلْبُ اللَّيْلُ عَذَابَهُ وَأَهَالَهُ ، لَوْ أَنَّهُ لَمْ يُبْرِفْ
عَطَى الْجَمَالُ عَلَى ذَمِيمِ فَعَالِهِ وَالْمَوْتُ يَسْتُرُهُ صِقَالُ الْمُرْهَفِ

(٥٧)

وقال :

لَا تَفْتَرِزْ بِجُحُولٍ خَصِرٍ أَهْيَفٍ فَالْمَوْتُ فِي حَذِّ الْحَسَامِ الْمُرْهَفِ
وَتَوَقَّ فَتَكَةً نَازِلٍ مُتَمَرِّضٍ^(٢) يَسْطُو سَطَا مُتَغَشِّرِمٍ مُتَعَجَّرِفٍ
ظَلَمِي مِنَ التَّغْرِ الْبَرُودِ ، فَمَنْ رَأَى ظَلَمَانَ مِنْ بَرْدٍ يُعَلِّ^(٣) بِقَرْفِ^(٤)
مَنْ لِي بَوْضِلٍ مُطَاطِلٍ بِدْيُونِهِ يَعِدُّ الْقَضَاءَ مَعَ الْيَسَارِ ، فَلَا يَفِي
فِي^(٥) وَجْهَهُ مَاءُ الْمَلَاخَةِ حَائِرٌ وَيَجْنِدُهُ وَرْدُ الْحَيَا لَمْ يُقْطَفْ
فَكَأَنَّ وَثِيَّ عِذَارِهِ فِي خُلْدِهِ نَمْلٌ تَسْرِبُ فَوْقَ وَرْدٍ مُضَعِفٍ^(٦)

(٥٨)

وقال :

مُسْتَصْعِرُ الْقَنْبِ ، إِنْ عُدَّتْ إِسَاءَتُهُ وَكَلَّمَهَا فِي الْخَشَا بَدَمِي ، وَيَنْقَرُ^(١)
مِثْلُ الْقَذَاةِ بَيْنَ الْمَرَّةِ يَحْقُرُهَا وَدَمْعُهُ أَبْدًا مِنْ وَخْزِهَا يَكْفُ

(١) القرف : الخمر . (٢) تفرز : ضعف في أمره .

(٣) البرد بالسكون : الرقيق . وبالفتحريك : حب الغمام . والطلل : الشرب بعد الشرب .

(٤) هذا البيت وما بعده من اختيارات مسالك الأبهار لأسامة (١٠ : ٥٠٣)

(٥) مضطرب : أماه مطر ضعيف .

(٦) الكلم : الجرح . ويدي : يخرج منه الدم . وقرف القرفة فخرها .

(٥٩)

وقال :

قُلْ لِلْوَالِمِ : كُفُّوا عَنِ مَلَامِكُمْ فَإِنَّهُ يَسْتَبِيرُ الْهَمَّ وَالْأَسْفَا
لَا تُذَكِّرُونِي نَجْنِيهِ ، وَهَجْرَتَهُ لِحُبِّهِ شَاغِلٌ عَنْ كُلِّ مَا سَلَفَا
إِذَا عَرَضْتُ عَلَى قَلْبِي إِسَاءَتَهُ هَفَاً^(١) ، وَأَنْكَرَ مِنْهَا كُلَّ مَا عَرَفَا
وَلِنْ هَمَمْتُ بِصَبْرٍ عَنْهُ وَاجْهَنِي مِنْ وَجْهِهِ بِشَفِيعِ زَادَنِي شَغَفَا

(٦٠)

وقال :

بَاحَتْ بِسِرِّكَ أَدْمَعُ تَكَيْفُ فِالْأَمِّ تُنْكَرُ ، وَهِيَ تَعْرِفُ
هَلْ يُغْنِيَنَّ عَنْكَ الْجُودُ ، إِذَا شَمَّهَ النُّحُولُ عَلَيْكَ وَالْكَفُّ

منها :

أَخْفَى غَرَامِي ، وَهُوَ مُشْتَبِرُ بَادٍ ، وَأَسْتَرُهُ ، وَيَكْشِفُ
أَحْسَنُ لِعُمْرٍ ، ضَاعَ مُذْهَبُهُ^(٢) فِي حُبِّكُمْ ، لَوَدَّهَ الْأَسْفُ
وَهَوَى عَيْنَيْ رِغْمٍ ذَمِّهِ فَاضَاعَهُ الْمُتَلَوِّنُ الطَّرْفُ^(٣)
أَنْفَقْتُ فِي كَسْبِي مَوَدَّتَهُمْ شَرَحَ الشَّبَابُ^(٤) ، فَأَعْوَزَ الْخَلْفُ
وَصَدَقْتُ عَنْ قَوْلِ الْوُشَاقِ ، وَمَا قَالُوهُ فِيَّ بِسَمْعِهِمْ شَقْتُ^(٥)
وَشَكَرُوا ، حَتَّى كَانَتْهُمْ مَا أَنْكَرُوا وَدَّى ، وَلَا عَرَفُوا
وَلَهُمْ لَدَيَّ ، عَلَى مَلَامِهِمْ وَدٌّ يَخْلِبُ الْقَلْبَ مُلْتَحِفُ^(٦)

(١) هفا : القاهب .

(٢) هفا : خفق .

(٣) الطَّرْفُ : مَنْ لَا يَثْبِتُ عَلَى مَا حَاطَ . (٤) مَرَحَ الشَّبَابِ : أَوَّلُهُ .

(٥) الشَّفُ : الْخَلْفُ . (٦) الْخَلَابُ بِالْكَسْرِ : لَحِيَةٌ رَقِيقَةٌ تَهْمِلُ بَيْنَ الْأَمْزَاجِ . أَوْ الْكَبْدُ .

بَنَى وَبَيْنَهُمْ ، وَإِنْ قُرُبُوا مِنْ هَجْرِهِمْ أَبَدًا ، نَوَى قُدُفُ
يَا جَانِبَيْنِ ، وَهُمْ أَعَزُّ عَلَى قَلْبِي مِنَ الطَّرْفِ الَّذِي طَرَفُوا
أَغْرَاكُمْ بِالْهَجْرِ عَلَيْكُمْ أَنِّي بِكُمْ مُسْتَهْتَرٌ كَلَفٌ^(١)

(٦١)

وقال :

مَا بِالْمَلَالَةِ حِينَ تَعْرُضُ مِنْ خَفَا إِنْ لَمْ تَحْنُ فَأَبْلَغُ رِضَاكَ مِنْ ابْخَفَا
فَالْيَأْسُ مِنْكَ ، إِذَا صَدَدْتَ ، خِيَانَةً وَإِذَا مَلَّتْ رَجَوْتُ أَنْ تَتَعَطَّفَا
إِنِّي لِأَضْعَفُ عَنْ صُدُودِكَ سَاعَةً وَأَرَى قَوَائِي عَنْ الْخِيَانَةِ أَضْعَفَا

قافية القاف

(٦٢)

وقال :

حَتَّى مَتَى يَا قَلْبُ ، لَا تَسْتَفِيقُ ! حَسْبُكَ ، قَدْ حُمِلَتْ مَا لَا تُطْلِقُ
أَضْنَاكَ إِشْفَاؤُكَ مِنْ غَدْرِهِمْ وَمَا عَمِي يُجِدِي حَدَارُ الشَّفِيقِ
إِنْ أَخْلَقُوا عَهْدَكَ ، أَوْ بَدَّلُوا فَكُنْ بِحُسْنِ الصَّبْرِ عَنْهُمْ خَلِيقُ
وَاعِزْ عَلَى سُلُوَانِهِمْ عَزْمَةً تَنْبِيكَ بَعْدَ الرِّقِّ حُرًّا طَلِيقُ
لَا تَبْكِهِمْ إِنْ تَرَحَّتْ دَارُهُمْ وَاهْجِرْهُمْ هَجْرَ الْخَلْقِ الْمُفِيقِ
لَنْ تَعْدَمَ الْأَعْوَاضَ عَنْهُمْ ، وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنْ أَنْتَ تَرَحَّلْتَ صَبِيقُ
دَعْ ذَا ، فَا النَّاسُ سَوَاءٌ ، وَلَا يَلْقَى الْفَتَى فِي كُلِّ أَرْضٍ صَدِيقُ

(١) تمام القصيدة ص ١٢٦ • والمستهتر بالثي : المولع به لا يزال بما ضل وشتم له •

وهبك تلقى عوضاً عنهم أراجع عصر الشباب الأنيق
 علقتهم حين رداء الصبا ضاف، وغصني ذو اعتدال وريق
 حتى إذا أشرب قلبي لم حبا جرى في الجسم جرى الرحيق^(١)
 أفسس الأعواض عنهم ، لقد أثبت ما ليس بمثل يلقى !
 أروعهم بالعب مستصليها ونحت ذلك العب قلب شفيق
 يرعى لهم ما ضيعوا ، إنّه يهيم ، على ما كانت منهم ، رقيق

(٦٣)

وقال^(٢)

قر إذا عاتبته^(٣) شغف به غرس الحياة بوجنته شقيقا
 وتلهمت نجلا ، فلولاً ماؤها مترقق فيها^(٤) ، لصار حريقا
 وأزور عني مطرقا ، فأضلني أن أهتدي نحو السلو طريقا
 فليحني من شاء فيه ، فصبوني بهواه سكر لست منه مفيقا

(٦٤)

وقال^(٥)

أنظر شماتة عاذلي وسروره بكسوف بدرى ، واشتار حقاظه
 غطى ظلام الشعر من وجناته صبغا تضيء الأرض من إشراقه
 وهو الجهول ، يقول : هذا عارض هو عارض ، لكن على عشاظه

(١) الرحيق : الخمر أو أطيبها .

(٢) هذه القصيدة مما روى لأسامة في ياقوت ٢٠٥ : ٥ وترجمة القصص ١ : ١٠٣ ولم تذكر الخريدة البيت الأخير .

(٣) في ياقوت « عاتبه » . (٤) في ياقوت والخريدة « فيه » .

(٥) هذه القصيدة مما روى لأسامة في الخريدة ١ : ١٠٣ .

(٦٥)

وقال :

بَيِّنَةٌ ، مَا أَعْرَضْتُ عَنْكَ مَلَلَةً وَلَا أَنَا عَمَّا تَعْلَمِينَ مُمِيقُ
وَلَكِنْ خَشِيتُ الْكَاشِحِينَ فَإِنِّي عَلَى مَرَّاتٍ مِنْ أَنْ يَذِيعَ شَفِيقُ
فَأَصْبَحْتُ كَالْهَيَّانِ ، عَيْنَ مَوْرَدٍ بَرُودًا ، وَلَكِنْ مَا إِلَيْهِ طَرِيقُ

(٦٦)

وقال^(١) :

لِللَّهِ لَيْتُنَا الَّتِي رُحِبَتْ لَنَا فِيهَا الْمَسْرَةُ فِي مَجَالِ ضَيْقِ
مَا شَابَهَا لَوْلَا مَشِيبُ ظَلَامِهَا كَثُرُ ، وَلَا رَاعَتْ يَوْاشِ مُحَقِّقِ
فَلَوْ اسْتَطَعْتُ خَضْبَتُهَا بِشَيْئِي وَجَعَلْتُ لَوْ نَ صَبَاحَهَا فِي مَفْرِقِ

(٦٧)

وقال :

يَا لَانِمِي ، أَنْتَظِرْ إِلَى كَفْرِ فِي الْأَرْضِ فِي وَجَنَاهِ شَفَقُ
وَبِحُجْدِهِ وَرَدٌ ، إِذَا نَظَرْتُ عَنِّي إِلَيْهِ تَنَاسَّرَ الْوَرَقُ
سَبْحَانَ مَنْ أَذْكَى بَوَاجِئِهِ نَارَ الْحَيَاءِ ، وَلَيْسَ يَحْتَرِقُ

(١) هذه القطعة مما روى لأسامة في مسالك الأبحار (١٠: ٥٠٣) .

(٦٨)

وقال :

وَعَزَّالٍ فِي فِيهِ رَاحٌ وَدُرٌّ وَعَقِيْقٌ رَطْبٌ ، وَمِسْكٌ فَنِيْقٌ ^(١)
شَبَّهُوا دُرَّ ثَغْرِهِ بِالْأَقَاخِي لَيْسَ لِلْأَقْحُوَانِ ذَاكَ الْبَرِيْقُ
بِي سُكْرٍ مِنْهُ وَنَحْرٌ ، فَلَا أُرَى فِيْ هَذَا ، وَلَسْتُ مِنْ ذَا أَفِيْقُ

قافية الكاف

(٦٩)

وقال :

عَادَيْتَنِيْ حِيْنَ عَادَيْتُ الْوَرَى فَبِكَا هَجَّرَ الْقَلَى وَالْتَجَنَّى كَانَ يَكْفِيْكَا
أَحِيْنَ خَالَفتُ فَيْكَ انْخَلَقْتُ كَأَهْمُ أَطْعَمَتْ بِيْ وَاشْبِيَا بِالْهَجْرِ يُغْرِبُكَا !
تُصَدِّقُ الطَّيْفَ ، يَسْعَى بِيْ ، قَهْجُرْنِيْ وَأَكْذِبُ الْعَيْنَ فِيمَا عَايَنْتُ فَبِكَا
تَزِيهِ مَحَاسِنَكَ الْآلَى خُصِمَتْ بِهَا عَمَّا يَشِيْنُ ، وَمَا يَهْوَاهُ شَانِيْكَا
أَغْضَيْتُ مِنْكَ عَلَى جَمْرِ الْغَضَا زَمْنَا وَخَلْتُ أَنَّ الرِّضَا بِالْجُودِ يُرْضِيْكَا
فَمَا نَهَاكَ وَلَوْعَى عَنْ مُبَاعَدَتِيْ وَلَا تَنَّاكَ خُضُوعِيْ عَنْ قَعْدِيْكَا
بِاللهِ يَا عُصَمَانَ بَانَ ، حَامِلًا قَرَأَ صُلِّ مُغْرَمًا بِكَ يُغْرِيه تَجْنِيْكَا
يَدْنُو ، وَهَجْرُكَ يُقْصِيْهِ ، وَيُبْعِدُهُ وَتَتَنِيْ عَنْهُ ، وَالْأَشْوَاقُ تُدْنِيْكَا
سُكْرَانٌ فِي الْحُبِّ ، لَا يَدْرِيْ أَسْكُرْتُهُ لِسِحْرِ عَيْنِيْكَ ، أَمْ لِقَمَرٍ مِنْ فَبِكَا

(١) فنيق : قوي الرائحة .

قافية اللام

(٧٠)

وقال :

أَمَا فِي الْهَوَى حَاكِمٌ يَعْدِلُ وَلَا مَنْ يَكْفُ وَلَا يَعْدُلُ
 وَلَا مَنْ يَفُكُ أُسَارَى الْفَرَا وَالْوَجْدِ مِنْ ثِقَلٍ مَا حَمَلُوا
 وَلَا مُنْصَفٌ عَالَمٌ أَنَّهُ إِذَا قَالَ بِالظَّنِّ يُسْتَجْهَلُ
 إِذَا هُوَ لَمْ يَتَرَّ مَا يَلْتَقِي أَخُو الْوَجْدِ مِنْ دَانِهِ يَسْأَلُ
 لِيَعْلَمَ أَنَّ مِهَامَ الْغَرَامِ قَبْلَ إِصَابَتِهَا تَقْتُلُ
 وَأَنَّ الدَّمْعَ إِذَا مَا سُفِحَ أَثَرُنْ لَقَى فِي الْحِشَا يُشْعَلُ
 وَإِنْ قَالَ مِنْ مِيَاهٍ ، فَقُلْ : صَدَقَتْ ، وَفِي الْمَاءِ مَا يَسْمَلُ^(١)
 مَسَاكِينُ أَهْلِ الْهَوَى ، مَا لَهُمْ حُجْرٌ ، وَلَا لَهُمْ مَوْتَلُ
 وَلَا رَاحِمٌ لَهُمْ يَسْتَدِ بِمِ حُسْنِ الْمَعَاذَةِ مِمَّا بَلُوا
 قَتْلُهُمْ مَالَهُ وَاتَرَّ وَمُظْلَمُهُمْ أَبَدًا يَحْدَلُ
 وَإِعْلَانُهُمْ لِلْهَوَى فَاضِحٌ قَتْلُ ، وَكَيْفَانُهُمْ أَقْتَلُ
 وَإِنْ جَعَلُوا الْحُبَّ خَوْفَ الْوُشَا أَقْرَبَتْ بِهِ أَدْمَعُ تَهْمَلُ
 وَفِي مُنْعِمِهِمْ ، إِنْ هُمْ أَنْكَرُوا صَابَتَهُمْ ، شَرَحَهَا الْجَمَلُ
 وَكُلُّهُمْ خَاضِعٌ ، يَسْتَكِينُ لِلظُّلَمِ ، أَوْ وَالَهُ^(٢) يُعُولُ

(١) سئل عنه : فقال .

(٢) الوله : الحيرة والخوف . وأحول : دفع حوته بالبقاء .

وَعِيشُهُمْ تَعَبٌ كُلُّهُ وَبِالْمَوْتِ رَاحَتُهُمْ تَحْصُلُ
 بِنَفْسِي مُسْتَهْتَرٌ بِالصُّدُورِ د ، حَازَ الْجَمَالَ ، وَلَا يُجْمَلُ^(١)
 جُنُونِي بِهِ أَهْدَأُ زَائِدٌ وَمَاضِي غَرَامِي مُسْتَقْبَلُ
 مَلِيحٌ بِإِحْجَاعِ كُلِّ الْأَنَا م ، سِوَاءَ مَحَبَّةٍ وَالْعَدْلُ
 مِنَ الْحَوْرِ ، رِضْوَانُهُ بِجُلَّةٍ وَرِيقَتُهُ الْبَارِدُ السَّلْسَلُ
 وَمَا ذُقْتُهَا ، غَيْرَ أَنَّ الْعُيُوفَ نَ شَهَادَتُهَا أَهْدَأُ تُقْبَلُ
 بِجَمَلٍ عَلَى مُقَلَّتِي بِالرَّقَا د ، وَلَسْتُ عَلَيْهِ بِهَا أَبْجَلُ
 سَقَامِي مُسْتَضْعَرٌّ عِنْدَهُ وَأَمْرِي مُطْرَحٌ مُهْمَلُ
 يَرَانِي مِنْ حُبِّهِ فِي السَّيَا ق^(٢) ، وَهُوَ بِمَا بِي لَا يَجْعَلُ
 أَطَابُهُ وَهُوَ لَا يَرَعِي وَأَطْلُهُ ، وَهُوَ لَا يَقْبَلُ
 فَلَا الْوَصْلُ لِي فِيهِ مِنْ مَطْمَحٍ وَلَا الْمَجْرُ فِيَّ لَهُ عَمَلُ
 وَلَا فِيهِ عَاطِفَةٌ تُرْتَجَى وَكُلُّ بَلَانِي بِهِ مُشْكَلُ
 وَمُسْكِرِي مِنْ حُبِّهِ لَا أَفِيئُ مَنَّهُ ، فَأَعْلَمَ مَا أَعْمَلُ
 وَبَعْدُ ، فَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ مَقَالِي ، فَإِنِّي بِهِ أَهْزَلُ
 وَمَا أَنَا بِالْحُبِّ ذُو خَبِيرَةٍ وَلَا هُوَ لِي عَنْ عَلَا مُشْغِلُ
 وَلَكِنْ كَمَا قَالَ رَبُّ الْعَالَمِآ د فِينَا : نَقُولُ وَلَا نَفْعَلُ

(١) أَجْمَلُ الصَّنِيعَةُ : حَسَنُهَا وَكَثْرَتُهَا .

(٢) يُقَالُ نَلَانٌ فِي السَّيَاقِ أَيُّ فِي التَّرَجُّعِ . وَالسَّيَاقُ تَرَجُّعُ الرُّوحِ .

(٧١)

وقال :

قَالُوا : قَلَاكَ ، وَمَلَا فَقُلْتُ : حَاشَا ، وَكَلَا
مَا صَدَّعَنِي مَلَالًا وَإِنَّمَا يَتَحَلَّى
وَهُوَ السَّوَادُ لِعَيْنِي لَا بَلَّ أَعَزُّ وَأَغْلَى
وَكَلَّمَا زَادَ عَزَا عَلَيَّ ، قَدْ زِدْتُ ذُلًّا

(٧٢)

وقال :

نَحْمُ ذَا التَّجْنِي ، وَكَثْرَةُ الْعَلَلِ لَا تَأْمَنُوا مِنْ حَوَادِثِ الْمَلَالِ
وَلَا تَقُولُوا : صَبُّ بَنَّا كَلَفُ فَأَقُولُ الْيَاسِ آخِرُ الْأَمَلِ
وَلَسْتُ مِمَّنْ يُرِيدُ شَقَّ عَصَا الذَّنْبُ ذَنْبِي ، وَالْحُبُّ يَسْفَعُ لِي
هَبُونِي أَخْطَأْتُ عَامِدًا ، فَهَبُوا نَجَلَةً عُذْرِي مَا كَانَ مِنْ زَلَالِي
وَاعْتَمُوا الْقَرَبَ قَبْلَ يَفْجُرُنَا الْبَيْنُ ؛ فَكُلُّ مَنْهُ عَلَى وَجَلِ

(٧٣)

وقال :

قُلْ لِلْمَلُولِ الَّذِي أَعْبَا تَلَوْنَهُ : تَرَى مَلَائِكَ هَذَا غَيْرَ مَمْلُولٍ
إِذَا تَجَاهَلْتُ عَمَّا سَاءَ مِنْهُ أُنَى مِنَ الصُّلُودِ بِذَنْبٍ غَيْرِ مَجْهُولٍ
وَمَا جَنَى قَطُّ إِلَّا جِئْتُ مُعْتَلِرًا إِلَيْهِ ، لَكِنْ عُذْرِي غَيْرُ مَقْبُولٍ

(٧٤)

وقال :

كَيْفَ انْتِخَالُصَ لِقَلْبِي مِنْ يَدَيِ قَرِيٍّ أَسِيرٌ نَازِرُهُ بِالْوَجْدِ مَغْلُولُ
جُرْحِي لَدَيْهِ جُبَّارٌ^(١) ، لَا قِصَاصَ لَهُ فِي حَكْمِهِ ، وَدِي فِي الْحَبِّ مَطْلُولُ

(٧٥)

وقال :

أَحْبَابُنَا ، إِنْ كَانَ هِجْرُكُمْ غَدْرًا ، فُودِيْ غَيْرُ مُتَقَلِّ
أَوْ كَانَ مِنْ مَلَلٍ طَرَا ، فَعَسَى تَطَرًّا مَلَالَةً ذَلِكَ الْمَلَلُ
وَالصَّبْرُ دَائِي ، أَوْ تَفَاجَيْتِي بُشْرَى الرِّضَا ، أَوْ رَاحَةُ الْأَجَلِ

(٧٦)

وقال :

يَلُومُونَنِي فِي حَبِّ لَيْلِي ، وَإِنِّي لَا تُكْرِمُهَا عَنْ عُرْضَةِ اللَّوْمِ وَالْعَذْلِ
وَقَالُوا : هَوَاهَا خَائِلٌ لَكَ ، فَاسْلُهَا وَمِنْ لَوْمِهِمْ ، لَا مَنِ هَوَايَ لَهَا ، خَلِي
هِيَ الشَّمْسُ ، تَبْلُو فِي رِدَاوِ مِنَ الدَّجَى عَلَى خُوطِ^(٢) بَانَ ، فِي كَثِيبٍ مِنَ الرِّمْلِ
تَهَادَى تَهَادَى الظِّلُّ هَوْنًا ، كَأَنَّمَا تَخَافُ عَنَارَ الْحَزَنِ فِي النَّهْسِ^(٣) السَّهْلِ
وَتَنْظُرُ مِنْ عَيْنِي مَهَابَةً^(٤) ، كَفَاهُمَا وَأَغْنَاهُمَا كُحْلَ الْمَلَاةِ عَنْ كُحْلِ

(١) الجبار بالضم : المهدر . يقال ذهب دمه جبارا .

(٢) الخوط بالضم : النسن الثام .

(٣) النهس : المكان السهل ليس يرمل ولا تراب . والحزن : ما غلظ من الأرض .

(٤) المهابة : البقرة الوحشية .

(٧٧)

وقال من قصيدة كتبها إلى الملك الصالح ، أولها :

ما خَطَرَ السُّلُوَانُ فِي بَالِي فَالَّذِي أَطْمَعَ عُدَّالِي
وَجَدِي بِهِمْ فِي الْعِرَمِ كَالْأَمْسِ ، مَا غَيْرُهُ مَا حَالَ مِنْ حَالِي
أَهْوَى ، وَمَا حَظَى مِنْهُمْ كَمَا أَهْوَى ، وَلَا قَلْبِي بِالسَّالِي
بِلِحَاجَةٍ فِي الْحُبِّ ، مَا نَحَنُّهَا سِوَى صَبَابَاتِي وَبِلَابِي^(١)
لِي الْقَلْبِ مِنْهُمْ ، وَمِنْ لَأْنِي فِيهِمْ طَوِيلُ الْقِيلِ وَالْقَالَ
وَمَا أَبَالِي بِالَّذِي نَأْتِي لَوْ أَتَى مِنْهُمْ عَلَى بَالِ
يَا قَرَأْ فِي غُصْنٍ^(٢) بَانَ عَلَى نَقَا^(٣) مَهُولٍ غَيْرِ مُنْهَالِ
مَيْلَكَ الْوَاشِي ، فَاحْبِلِي فِي أَهْبِيفِ الْقَامَةِ مِيَالِ
مُسْتَهْتَرٍ^(٤) بِالْهَجْرِ أَلْقَاهُ فِي الْأَحْلَامِ ، وَهُوَ الْمُعْرِضُ الْقَالِي
نَازِرُهُ الْفَتَاكَ لَا نَازِرٌ عَلَى تَعْدِيهِ ، وَلَا وَائِلِ
يَحْكُمُ فِي أَرْوَاحِنَا طَرَفُهُ حَكَمَ أَبِي الْغَارَاتِ فِي الْمَكَالِ

(٧٨)

وقال :

وَإِذَا مَرَرْتَ عَلَى الدِّيَارِ قَفِّفْ بِهَا وَاسْأَلْ مَعَالِمَهَا بِمَعِ سَائِلِ
مَا ظَنُّهَا يَطْعَمِينَ أَغْضَابَانَ النَّقَا مَا سَتَ مُنْصَلَّةً بِأَسْمِهِمْ بَابِلِ
هَدَرَ أَهْوَى دَمَهُ ، لِأَنَّ لِحَافَهُ أُرْدَتْهُ ، أَمْ أَقْبَى بَقْتُلِ الْقَاتِلِ

(١) اللبالب بالفتح : الوسوس والبرحاء في الصدر . وبالكسر : مصدر يلج : هيبه وحركة .

(٢) في هامش النسخة " غوط " .

(٣) النقا من الرمل : القطة تنقاد محمودة .

(٤) المستهتر بالفتح (المولع) لا يزال بما فعل فيه وشتم له .

(٧٩)

وقال :

نَفْسِي الْفَدَاءُ لِمَنْ يُعَاتِنِي فَأَسَدُ قَاهُ الْعَذَبِ بِالْقَبْلِ
وَأَصَمُّهُ ضَمُّ الشَّفِيقِ ، كَمَا صَمَّتْ جُفُونُ الْعَيْنِ لِلْمَقْلِ
فِيحَارُ مِنْ كَلْفِي ، وَيُشْرِقُ فِي خَدَّيْهِ وَرْدُ الْحُسْنِ وَالْحَبْلِ
وَيَعُودُ بَعْدَ الْعَتَبِ مُعْتَرَاً عُدَرَ الْمَسِيءِ إِلَى ، مِنْ زَلَى

(٨٠)

وقال^(١) :

نَفْسِي الْفَدَاءُ لِمَنْ يُعَاتِنِي وَقَى عَلَى فَمِهِ يُقْبَلُهُ
وَيُرِيدُ يُوضَحُ وَجْهَ حُجَّتِهِ وَاللَّثْمُ يُعِجِلُهُ ، وَيُخْجِلُهُ
حَقِّي إِذَا أَجْمَرْتُهُ سَرَّتْ مَا بَيْنَ فِي وَفِيهِ أَعْمَلُهُ
وَيَعُودُ مُعْتَرَاً لِيُشْغَلَنِي عَنْهُ بَعْدَ لَسْتُ أَقْبَلُهُ

(٨١)

وقال :

كُنْتُ بَنِي ، غَيْرَ أَنْ لَمْ أَطِقْ كِتْمَانَ فَيْضِ الْمَدْمَعِ الْهَامِلِ
السَّافِحِ السَّابِكِ الْمَاطِرِ

(١) روى هذا الشرفي صاحب الأبحار (١٠ : ٥٠٤) .

وَلَيْسَ يُنْزَى ، لِقَدْىِ جَائِلٍ فِي الْعَيْنِ قَاضَتْ أَمْ هَوَى دَاخِلٍ
قَاضِجٍ غَالِبٍ ظَاهِرٍ
كَالْوَرِقِ^(١) لَا يُدْرَى عَلَى هَالِكٍ نَاحَتْ ، أَمْ ارْتَاخَتْ إِلَى رَاحِلِ^(٢)
نَازِجٍ غَائِبٍ هَاجِرٍ

قافية الميم

(٨٢)

وقال^(٣) :

وَلَوْ ، فَلَا^(٤) رَجَوْنَا عَدْلَهُمْ ظَلَمُوا
مَا مَرَّ يَوْمًا بِفِكْرِي مَا يَرِيهِمْ
وَلَا أَضَعْتُ لَهُمْ عَهْدًا ، وَلَا أَطْلَعْتُ
فَلَيْتَ^(٥) شَعْرِي بِمَا اسْتَوْجِبْتُ هَجْرَهُمْ
حَفِظْتُ مَا ضَيَّعُوا ، أَغْضَيْتُ حِينَ جَنَوْنَا
حُرِمْتُ مَا كُنْتُ أَرْجُو مِنْ وَدَادِهِمْ
مَحَاسِنِي ، مِنْذُ مَلُونِي ، بِأَعْيُنِهِمْ
فَلَيْتَهُمْ حَكَمُوا فِينَا بِمَا عَلَمُوا
وَلَا سَعَتْ بِي إِلَى مَا سَاءَ مِنْ قَدَمٍ
عَلَى وَدَائِعِهِمْ فِي صَنْدَرِي أَلْتَهُمْ
مَلُّوا ، فَصَلَّوْهُمْ عَنْ وَصْلِي السَّامِ
وَفَيْتُ إِذْ غَدَرُوا ، وَاصِلْتُ إِذْ صَرَمُوا
مَا الرِّزْقُ إِلَّا الَّذِي يَجْرِي بِهِ الْقِسْمُ
قَدَّى ، وَذِكْرِي فِي آذَانِهِمْ صَهْمُ

(١) الورقاء : الجماعة .

(٢) ارتاح إليه : حزن إليه .

(٣) رويت هذه القصيدة أيضا في الخريدة ١ : ١٠٧ ومسمي البلدان ٥ : ١٠ والروضتين ١ : ١١٣ .

(٤) في الخريدة (ولما) .

(٥) لم يرو مسمي البلدان هذا البيت والحين بعده .

وبعد ، لو قيل لى : ماذا تحب ، وما
 هم مجال الكرى من مقلتي ، ومن
 تبتلوا بى ، ولا أبغى بهم بدلا
 منك من زينه الدنيا ؟ لقلت : هم
 قلبى محل المنى ، جاروا أو اجترأوا^(١)
 حسبي هو ، أنصفوا فى الحق ، أو ظلموا^(٢)

(٨٣)

وقال :

أقصر ، قلوبى فى حُبهم أم^(٣) وتاصح العاشقين منهم
 ما النى والرشد بالملامة والإغراء فى الحب ، بل هما قسم
 بالعدل فيهم ، وشقوى بهم وسوء حظى منهم ، جرى القلم
 طرفى أعمى عن عيهم ، فإذا رآته عني ، أقول : ذا حلم
 أصم عن نصيح من يعننى فيهم ، وما بى لولا الهوى صمم
 وهم إذا خطرة التوهم نا جتهم بذنب لم أجنه صرموا
 ضلالة فى الغرام : يكذب رأى العين فيها ، ويصدق الحلم
 فلا تزدنى جوى بلومك ، إن الحب نار بالعدل تضطرم
 لو يعلم الحاسدون حظى ، وما ألقاه منهم ، وفيهم ، رحما
 فوضت أمري إليهم ، ثقة بهم ، فلما تحكّموا ظلموا
 وما كذا تحفظ المواثيق فى الحب ، ورعى العهود والذمم
 فإلها هفوة ، نمت على ما كان منها ، لو ينفع الندم
 وما احتيال الفتى إذا عثر الجحد ، وزلت بسعيه القدم

(١) اجترأ : أذنب .

(٢) تمام القصيدة ص ١٤٦ .

(٣) الهم حركة : الجنون .

(٨٤)

وقال ^(١) :

لَا تَسْتَعِرْ جَلْدًا عَلَى هِجْرَانِهِمْ فُقُوكَ تَضَعُفٌ عَنْ صَلَودٍ دَائِمٍ
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ إِنْ رَجَعْتَ إِلَيْهِمْ طَوْعًا ، وَإِلَّا عُدْتَ عَوْدَةً رَاغِمٍ

(٨٥)

وقال :

قُلْ لِمَنْ تَأَهَّ بِالْجِسَانِ عَلَيْنَا : مَا عَسَى دَوْلَةُ الصَّبَا أَنْ تَلُومَا
عَنْ قَلِيلٍ ^(٢) تَرَى قَوَامَكَ ذَا الْمَآئِمْنَ ، قَدْ عَادَ ذَا اعْتِدَالٍ قَوِيَمًا
وَنَرَى طَرَفَكَ السَّقِيمَ وَقَدْ صَحَّ • كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ مَرِيضًا سَقِيمًا
وَنَرَى بَحْرَ وَجْهِكَ وَقَدْ عَادَ رَمَادًا ، وَبَقْلُهُنَّ هَشِيمًا
وَنُتَادَى: عَدُلٌ مِنْ اللَّهِ أَنْ أَصْبَحَ ذَلِكَ النَّهَارُ لَيْلًا بَيْمًا

(٨٦)

وقال :

جُفُونٌ نَسْتَهْلُ ^(٣) دَمًا وَجِسْمٌ مُشْعَرٌ سَقَمًا
وَأَنَّهُ مُوجَّعٌ يُبْلَى مِنَ الْأَفْجَانِ مَا كَمًا
وَقَلْبٌ لَوْ فُرِيَ ^(٤) بِمِثْلِهِمِ النَّيْرَانِ مَا عَلَمًا
وَحَالٌ لَوْ رَأَاهَا شَامَتْ أَوْ حَاسِدٌ رَحِمًا

(١) هذان البيتان من مختارات مسالك الأبحار لأسامة (١٠ : ٥٠٤) .

(٢) في هامش الديوان " قريب " . (٣) استعمل الخبر : اشتد انصبابه .

(٤) فراه : شقه .

(٨٧)

وقال :

مَلَّ ، وَأَبْدَى تَجْهَمُ السَّامَ وَضَاعَ وَدَى فِي الظَّنِّ وَالْتَهَمَ
وَحَانَ عَهْدِي ، وَقَلْبًا اجْتَمَعَ الْحُسْنُ وَرَغَى الْعَهْدِ وَالذَّمَّ
وَصَدَّ عَنِّي ، فَصَرْتُ اجْتَنَبُ النَّسَمَ ، حَذَارَ الصُّدُودِ فِي الْحُلْمِ
وَلَسْتُ أَدْرِ مَاذَا جَنَيْتُ سِوَى أَنِّي عَنِ الرَّشْدِ فِي هَوَاهُ عَمَى

(٨٨)

وقال :

يَا نَاسِيًا عَشْرَةَ التَّصَافِي وَخَافِرًا^(١) حُرْمَةَ الدِّمَامِ
إِلَامَ أَغْتَرَّ بِالْأَمَانِي فَيْكَ كُسْتَمَطِرِ الْجَهَامِ^(٢)
كَأَنِّي ، فِي اللَّذَى أُرْحَى بُلُوغَهُ مِنْكَ ، فِي الْمَنَامِ
وَمَطَالِبُ الْوَصْلِ مِنْ مَلُولٍ^(٣) كَطَالِبِ الْمَاءِ فِي الضَّرَامِ

(٨٩)

وقال :

بَرِيئِي مَا أَرَى مِنْكُمْ ، وَيَعْطِفُنِي إِلَى هَوَانِي وَقَاءُ لَسْتُ أَسَامَهُ
كَأَنِّي أُمُّ بُوٍّ^(١) مُتَرَبِّبٌ بِمَا تَرَاهُ مِنْهُ ، وَلَا تَنْفَكُ تَرَاهُ

(١) خفيه وخفزه خفرا وخفورا : قطن عهده وقطره ، كاخفزه .

(٢) الجهام : السحاب لا ماء فيه أو قد هراق ماءه .

(٣) يقال أملن وأمل على : أبرئني فهو ملون وملولة وهي ملون وملولة .

(٤) البو : الحمار . وقيل بعله يحشى تبا أو تبا ما أمر حشيشا لتطلف عليه الناقة إذا مات ولها ثم يقرب إلى أم
لتصيل لئلا يضر عليه . والبوا أيضا ولد الناقة . ورمت الناقة ولها : حلفت عليه ولزمته .

(٩٠)

وقال :

أَجْبِدُوا عِيَالَهُمُ الْهَوَىٰ بِالْأَدْمِجِ السَّجْمِ^(١)
 أَسْمَعَتْ يَا دَاعِي الْأَشْوَاكِ ذَا كَلْفٍ
 اللَّهُ أَنْتَ ، فَا أَعْرَاكَ مِنْ مَلَلٍ
 وَقُلْ لِمَنْ لَأَمْ : مَا السَّلَوَانُ مِنْ خُلُقٍ
 أَهْوَىٰ بِلَا مَلَلٍ يُسْلَى ، وَلَا طَمَحٍ
 فَا وَقَانِي بَرْتُ الْعَهْدَ مَتَكَتْ
 بَزِيدُهُ كَرَمًا مَرُّ السَّنِينَ كَجَا
 وَجْجٌ ، فَا الْحَبُّ فِي حَالٍ بِمَكْتَمٍ
 نَأْتِي الْحَلَّ ، وَإِنْ لَمْ تَدْعُ مِنْ أَمٍّ
 يُنْسِي الْعَهْدَ ، وَمَا أَرَعَاكَ لِلذَّمِّ
 وَلَا مُلَاءَمَةُ اللَّوَامِ مِنْ شَيْعَى
 يُمْلَى ، وَلَا رَيْبَةٍ تُرْزَى بَنَى كَرَمٍ
 وَلَا هَوَاىَ بَوَاهِي الْعَقْدِ^(٢) مُتَصَرِّمٍ
 زَادَ الْمُدَامَةَ لِإِشْرَاقًا مَدَى الْقَدَمِ

(٩١)

وقال :

مَا أَنْصَفُوا فِي الْحَبِّ إِذَا حُكُّوا
 أَحْيَيْتُهُمْ فِي عَضْوَانِ الصَّبَا
 حَتَّى إِذَا عَصَرُ الشَّبَابِ انْقَضَى
 صَدُّوا ، وَأَنَسَاهُمْ ذِمَامَ الْهَوَى
 فَن تَرَى يُحْفَظُ عَهْدُ الْهَوَى
 وَالْحَبُّ كَالْأَرْزَاقِ بَيْنَ الْوَرَى
 سَعَى بَنَا الْوَاهِي إِلَيْهِمْ ، فَمَا
 وَسَمِعُ مِنْ مَلِّ قَبُولٍ لِمَا
 سَلُّوا ، وَقَلْبِي بِهِمْ مُغْرَمٌ
 وَلَيْلُ فَوْدِي حَالِكٌ أَسْمِمْ^(٣)
 وَأَشْرَقَتْ فِي لَيْلِي الْأَنْجَمُ
 مَا اخْتَلَقَ الْوَاثُونَ وَالْأَوَّمُ
 إِنْ ضَيَّعُوهُ ، وَهُمْ مَا هُمُ
 يُرْزَقُ ذَامَتُهُ ، وَذَا يُحْرَمُ
 تَبَيَّنُوا الْحَقَّ ، وَلَا اسْتَفْهَمُوا
 يُزْعِرُفُ الْكَاشِحُ أَوْ يَزْعُمُ

(١) من أدم : من كتب .

(١) عجم اللعج : سال .

(٢) باق القصيدة ص ١٩٤ .

(٢) العقد : العهد .

(٣) القود : ناحية الرأس . والأسمج : الأسود .

وَلَا وَمَنْ أَشْرَبَ قَلْبِي لَمْ حُبَّارِي مِنْ حَيْثُ يَجْرِي الدَّمُّ
مَا خُشْتُمْ عَهْدًا ، وَلَا قَاهَ لِي بِمَا رَوَى الْوَاشُونَ عَنِّْي فَمِ
فَلَوْ رَأَوْا قَلْبِي رَضُوا كُلَّ مَا يُعْلِنُهُ فِيهِمْ ، وَمَا يَكْتُمُ
دَعَا ، فَمَا يُسْمَعُ عُنْدَ الْهَوَى بَعْدَ التَّقَالِي ، فَالْقَلْبُ أَبْكُمُ
بِرَاءَةُ الْمَلُولِ مَسْتَوْرَةً وَعُظْرُهُ الْوَاضِحُ مُسْتَهْمٌ^(١)
وَلَوْ سَعَى الطَّبِيفُ بِهِ فِي الْكَرَى لَقِيلَ : هَذَا الْمُنْزَلُ الْمُحْكَمُ
فَاصْبِرْ عَلَى جَوْرِ الْهَوَى ، إِنَّهُ بِهِ تَقْضَى الزَّمَنُ الْأَقْدَمُ

(٩٢)

وقال^(٢) :

قَسَمًا بِمَنْ لَمْ يَبْقَ خَوْفُ رَقِيبِهِ لِي مِنْهُ قَسَمًا^(٣)
خَافَ الْوَشَاةَ ، فَصَدَّ ، حَتَّى فِي الرِّقَادِ ، إِذَا أَلَمَّا
لَا خَاطِرَنَّ بُمُجْهَتِي فِي حُبِّهِ ، إِمَّا ، وَإِمَّا

(٩٣)

وقال :

قَوْلًا لَدَا الْغَضَبَانِ : يَا ظَالِمًا يَغْضَبُ ، أَنْ أَدْعُو عَلَى ظَالِمِي
أُظْنِتُهُ أَنْتَ ، وَإِلَّا فَلِمَ تَخْشَى دُعَائِي دُونَ ذَا الْعَالَمِ
يَا رَبِّ ، لَا يُقْبَلُ عَلَيْهِ — وَإِنْ جَارَ — دُعَاءُ الْمُغْرَمِ الْهَانِمِ

(١) أيهم الأمر : اشتبه كاستهم .

(٢) روى هذا الشعر في سلك الأبحار (١٠ : ٥٥٥) .

(٣) القسم بالكسر : النسيب .

(٩٤)

وقال :

لَمَّا رَأَوْا وَجِلِّي بِهِمْ تَجَرَّمُوا^(١) وَالزُّمُونِي الذَّنْبَ ، وَالْجَانِي مُمْ
قَالُوا : اسْتَزَارَ طَيْفَنَا ، تَبًّا لَهُ مِنْ مُغْرَمٍ ، وَهَلْ يَنَامُ الْمَغْرَمُ
أَيْنَ شُهُودٍ مَا أَدْعَى مِنْ حُجَيْنَا أَيْنَ الشُّهَادُ ، وَالْجَوَى ، وَالسَّقَمُ
أَيْنَ دُمُوعٌ كَلَّا غِيَضُهَا^(٢) تَدَقَّقْتُ ، وَمَا زَجَّ الدَّمْعَ دُمُ
أَخْفَى الْمَلَالُ عَنْهُمْ مَا لِي مِنْ بَرَجٍ قَلَامٌ ، وَالْمَلَالُ أَبْكُمُ
كَذِبْتُ فِيهِمْ مَا رَأَيْتُ مِنْ قَلِي فَلِمَ أَطَاعُوا فِيَّ مَا تَوَهَّمُوا

قافية النون

(٩٥)

وقال :

مُحِيًّا مَا أَرَى ، أَمْ بَدْرُ دَجَنٍ وَبَارِقُ مَبِيعٍ^(٣) أَمْ بَرَقُ مُزْنٍ^(٤)
وَنَفَرٌ ، أَمْ لَالٍ ، أَمْ أَقَاجٍ وَرَيْقٌ ، أَمْ وَحِيقٌ بِنْتُ دَنْ
وَلَحْظٌ ، أَمْ سَنَانُ رَكْبِهِ بَاسْمَرٍ مِنْ نَبَاتٍ انْخَلَطَ لَدَنْ
وَأَيْنَ مِنَ الْقُلْبَا الْحَاظُ ظَلَمِي ثَنَانِي عَنْ سُلُوكِي بِالتَّنَتِي
إِذَا جَاءَ الْمَلَالُ لَهُ يَجْرِمُ نَحَاهُ وَجْهَهُ بِشَفِيعِ حُسْنِ

(١) تجرَّم : قومه .
(٢) الزُّمُونِي : السحاب .

(٣) تجرم عليه : ادعى عليه الجرم وإن لم يجرم .
(٤) الميزم كقول : الفخر . وقمته : التيسم .

فها من منه قلبي في سعي
حيالك هواي متى محض ود
وقبلك ما تملكه حبيب
أحين خلقتي ، وملكك قلبي
فهلاً قبل يعلق في قوادي
تساورني هموي بعد وهن^(١)
ألم يكف العواذل منك هجري
إذا فكرت في إقلاق عمري
وأسف ، كيف أخلق عهدودي
وأوجع ما لقيت من اللالي
تقلب قلب من منواه قلبي
وعني منه في جناب عدن
تزه عن مداجاة^(٢) وضيق
ولا سمحت به نفسي لخذي
قلبت خلقتي ظهر المجن
هواك ، وقبل يعلق^(٣) فيك رهني
قترى كل جارية بوهن
وقلبك ما يجن من التجني
ضباعاً في هواك قرعت سني
وآسى كيف أخلف فيك ظني
وأى فعالم في لم يسؤني
وجفوة من طبقت^(٤) عليه جفني

(٩٦)

وقال :

إصلاح قلبك أعياني ، فأحياي
كم ذا التجني ، وما ذنبك سوى
والياس منك إلى السلوان الخاني
حني ، فصنعاً عن المستغفر الخاني

(١) المداجاة : المداواة .

(٢) غلق الزمن في يد المرتين : إذا لم يقدري على انكسار .

(٣) الوهن من الليل : الطاقه منه . وقيل هو نحو من نصف الليل ، أو هو بعد ساعة منه . وقيل هو حين يبر الليل . والوهن في آخر البيت : الضيف .

(٤) في تريدة القصر " ضمنت " وقد ذكر البلاد من هذه القصيدة ص ١٠٣ ثمانية أبيات : الثلاثة الأولى والثلاثة الأخيرة والسادس والثالث عشر .

هواك أخطأتني قصدي، وكنت أرى أن الهوى منك يدنيني ، فأقصاني
أغراك ظنك أنني لا يطاوعني قلبي إذا سُمته صبراً بهجراني
ولست أنكرُ منه فرط صبوته لكنه عن هوى بالمهون ينهاني

(٩٧)

وقال :

يأربُّ خذ يدي من ظلم مُقتدرٍ على قد لَجَّ في صدى وهجراني
لئن قساوته لي ، أو قيسر لي صبراً ، لأحظى بوصل أو بسلوان
أوفاطفِ بكرة خديه ، وأيقظ جفـنيه الذين أراقا ماءً أجفاني

(٩٨)

وقال :

إذا أوحشتني جفوة الخلل ردني إليه وفاءً بالإخاء ضنين
كأنني أمُّ البؤس تُكرِّ شخصه ويعطفها وجدُّ به وحسين

(٩٩)

وقال :

بالله يا مغرئ بهجراني وبأُمِّيح السمع أجفاني
هل في القضايا أن من ماجني يخضع بالعذر إلى الجاني .

(١٠٠)

وقال :

إلى كم أرجمُ فيك الظنونا وأدفعُ بالشكِّ عنك اليقيناً
وأملُ عطفك بعدَ الحفا ، وقسوةَ قلبك لي أن تليناً
وأصبرُ للهجر صبرَ الأسيرِ على قله^(١) ، صاغراً مُستكيناً
وآبى ، وقد خُنت عهدَ الهوى ولم تزعِ ذمته ، أن أخوناً

(١٠١)

وقال :

زفني جوى يا حبيبهم ، وأضيتني
لا تتهني عنهم ، فإنَّ صباي
أحييتهم ، أزمان غصني ناضراً
فأرجع بيأرك ، لست أول أمرٍ
يا مُرشدي عن منهج السلوان
لا أستطيعُ تطيعُ من يتهاني
حتى عسا^(٢) ، وعصى بنان الحاني
شق الغرام عصاه بالدهيان

(١٠٢)

وقال :

أياها جراً كتباً زدت في خضوعي له زاد هجرانه
ترقن بقلب إذا ما ذكرت بدا للمحدث كتمانهُ
محلّك منه محلّ السوا د من ناظر أنت إنسانهُ

(١) يقال أمره بالقدح : بالسير من الجهد غير المدبرج .

(٢) عا النبات سوا : غلظ راشت .

(١٠٣)

وقال ^(١) :

يَا مُعْرِضًا ^(٢) ، راضياً وَغَضِيحاً
صَدَدْتُ ^(٣) إِنَّمَا لَهْفَةٌ فَرَطْتُ مَنَى ، وَإِنَّمَا ظُلُمٌ وَعُدْوَانٌ
طَيْفُكَ ، مَا بِالْهَ يَا حَرْنِي مَنْ أَعْلَمَ الطَّيْفَ بِالَّذِي كَانَا

(١٠٤)

وقال :

يَا فِتْنَةً عَرَضَتْ لِي بَعْدَ مَا عَزَفَتْ نَفْسِي عَنِ الْآلِهَةِ وَاقْتَادَ الْهَوَى رَسَنِي ^(٤)
هَلَاءَ ، وَأَبْلَى غَرِيبًا ^(٥) ، وَأُنْجَمَهُ غَوَارِبٌ ، وَشَبَابِي نَاصِرُ الْعُصْنِ

(١٠٥)

وقال :

أَحْيَيْتُهَا فِي عُضْوَانِ الصَّبَا وَقُلْتُ : إِنَّ الشَّيْبَ يُسْلِفُنِي
فَرَادَنِي شَيْءٌ جُنُونًا بِهَا حَتَّى كَأَنَّ الشَّيْبَ يُغْرِبُنِي
وَالشَّبَابَ الشَّيْبُ ، لَا مِزَّةَ بَيْنَهُمَا عِنْدَ الْمُجَانِزِينَ !

(١) رويت هذه الأبيات في الخريدة ١ : ١٠٣ .

(٢) في الخريدة « يا هاجرا »

(٣) في الأصل « وسنا » والتصويب من الخريدة

(٤) في الخريدة « هجرت »

(٥) الزمن : الحبل وما كان من زمام على أنف .

(٦) أسود غريب : حالك .

تأفية الماء

(١٠٦)

وقال :

يَا هَلَالًا إِذَا تَبَدَّى رَأَاهُ السَّوْرَى لَا يَمْلُ رَأُوهُ سَهْ
وَرَأَى الْهَلَالِ فِي كُلِّ شَهْرٍ لَيْلَةً ، ثُمَّ تُعْرَضُ الْعَيْنُ عَنْهُ
لَمْ يَخُنْ عَهْدَكَ الَّذِي لَمْ يُطْعَمَ فِيهِ — كَ نَصِيحًا ، فَلَمْ ، فَدَاكَ ، تَحْنُهُ ^(١)
كُلِّ حُسْنٍ فِي الْخَلْقِ مُجْتَمِعٌ فِيكَ ، فَإِنَّهُ لَا تَسِيَهُ ، وَصْنَهُ
إِنْ تَكُنْ مَا رَأَيْتَ مِنْ جَمْعِ الْإِحْسَانِ وَالْحُسْنِ فِي الْمَلَاكِ فَكُنْهُ

(١٠٧)

وقال :

قُلْ لِمَنْ أَوْحَشَ بِالْمَجْرُ جُفُونِي مِنْ كَرَاهَا
وَالَّذِي أَوْهَمَ عَيْنِي أَنَّ فِي النَّوْمِ قَدْ آهَا
يَا مَلُولًا ، قَلْبًا اسْتَرْ عِيْ عُهُودًا فَرَعَاهَا
يَا ظَلُومًا كَلِمًا اسْتَعْطَفْتُهُ صَدًّا وَتَاهَا
زِدَتْ فِي تَيْهَلِكِ وَالْقَفَى ، إِذَا زَادَ تَنَاهَى

(١) جنم الفعل للضرورة . وما استفهامية لاجازة .

تَقْضَى دَوْلَةُ الْحُسْنِ ، وَإِنْ طَالَ مَدَاهَا
رَاحَتِي لَوْ سَمِعَ الشُّكْوَى إِلَيْهِ ، وَوَعَاهَا
غَيْرَ أَنْ الصَّمَّ لَا تَسْمَعُ نَجْوَى مَنْ دَعَاهَا
وَهُوَ لَوْ نَادَى نِظَامِي رِمَّةً لَيَّ صَدَاهَا
مُتْلِفٌ بِالْهَجْرِ نَفْسِي وَإِلَيْهِ مُشْتَكَاها
مُسْتَقْلٌ كُلِّ مَا تَلَقَّاهُ فِيهِ : مِنْ أَذَاهَا

(١٠٨)

وقال^(١) :

نَحْنُ عَلَى ذُنُوبِهِ فِي حَبِّهِ وَبَرَى ذُنُوبِي قَبْلَ أَنْ أُجْنِبَهَا
فَكَأَنَّهُ عَنِّي: تَرَى عَنِّي ، وَلَا يَبْلُغُنِي الْعَيْبُ الَّذِي هُوَ فِيهَا

(١٠٩)

وقال :

زَيْتُ أَنَّهُمْ بَعْدَ الْإِعَادِ نَسُوا عَهْدِي ، وَقَالُوا : مَضَى أَمْسٌ بِمَا فِيهِ
وَهُمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ : مِنْ هَوَى وَقَلَى إِنْسَانُ عَنِّي ، قَبِيحٌ بِي تَنَاسِيهِ
وَكَلَّمَا اقْتَرَفُوا ذَنْبًا يَزْهَدُنِي أَقَامَ حَتَّى لَمْ عُلُرًا يُعْفِيهِ

(١) البيان من مديح المالك لأسامة (٥٠٦: ١٠) ..

قافية الياء

(١١٠)

ونال :

يَغَالِطُنِي فَبِكُم هَوَايَ ، فَأَنْتَنِي إِلَيْكُمْ ، عَلَى انْتِكَارٍ مَا قَدْ بَدَأَ لِيَا
كَعَظْفَةٍ أُمِّ الْبَرِّ (١) تَرَامُ شِلْوَهُ (٢) وَقَدْ رَأَيْتُهَا مِنْهُ الَّذِي لَيْسَ خَائِفًا (٣)

(١١١)

وقال :

يَا سَائِلِي عَمَّا بِيَّةٍ سِرِّ الْحُبِّ عَلَايَةٍ
أَنْظُرُ إِلَى جَسَدِي ، لَتُخْبِرَكَ الْعِظَامُ الْعَارِيَّةُ
عَنْ مُهْجَةٍ بِالْهَجْرِ قَدْ تَلَقَّتْ وَعَيْنَ جَارِيَةٍ
وَصَبَابَةٍ لَا أَسْتَطِيعُ أُبَيِّهَا ، هِيَ مَا هِيَ
وَلَيْتَ الْوَمُ ، وَإِنَّمَا عَنِي عَلَى الْجَانِيَةِ

(١١٢)

وقال :

يَا قُرِّ ، أَنْجَبُ مَا فِيهِ دُرٌّ بِدِيعُ النِّظَمِ فِي فِيهِ ،
قَدْ زِدْتِ فِي التَّيِّبَةِ ، وَمَنْ لَا يَرَى مِثْلًا لَهُ يُعَذِّرُ فِي اللَّهِ .

(١) انظر ما سبق في شرحه ص ٤٣ .

(٢) الشلو : الضو والجسد من كل شيء .

(٣) الجان من اختيارات المسالك لأسامة (١٠ : ٤٠٦) .

ما قاله في شكوى الفراق ، ووصف الحنين والاشتياق

قافية الباء

(١١٣)

قال :

أَحْبَابَنَا مَنْ غَابَ عَنْ يَدِهِ فَيَا نَ عِنْدِي بَعْدَهُ وَاقْتَرَابُهُ
إِذَا الْمَيِّتُ وَارَى تَخَصُّصَهُ عَقْرُ الثَّرَى فَهَلْ يَدِينُهُ أَنْ يَقِلَّ تَرَابُهُ
وَكُلُّ غَرِيبٍ الدَّارِ فَالْأَرْضُ دَوْنَهُ وَإِنْ كَانَ حَيًّا فَالْحِمَامُ اغْتَرَابُهُ

(١١٤)

وقال :

الْمَاءُ^(١) ، إِنْ شَطَّتْ بَنَى الدَّارَ عَنَوَهُ قَدَارَكَ أَجْفَانِي الْقَرِيحَةَ وَالْخَلْبُ^(٢)
تَدَانَتْ بَنَى الْأَهْوَاءُ ، وَالْبَعْدُ بَيْنَنَا وَمَا فَرْقَةُ الْأَحْبَابِ حَزْنٌ وَلَا مَسَبٌ^(٣)
وَلَكِنَّمَا الْبَيْنُ الْمُشْتِ هُوَ الْقَلْبُ وَإِنْ قَرَّبُوا ، وَالْبَعْدُ أَنْ يَبْعَدَ الْقَلْبُ
وَكَمْ مَهْمَةٍ^(٤) نَسْتَهْوِلُ الشَّمْسُ قَطْعَهُ طَوْنُهُ لَنَا الْأَشْوَاقُ نَحْوَكُ وَالْحَبْ
عَقَلْتُ بِهِ الْعَيْسَ^(٥) الْمَرَا سِيلَ بِالْوَجَى^(٦) إِلَيْكَ ، فَأَدْنَتْهَا الْمُطَهَّمَةُ^(٧) الْقُبُ^(٨)

(١) لم يركض لي وركض لي : اسودت شفته ، وهو إلى وهي ليا .

(٢) الخلب بالكسر : حيلة دقيقة تصل بين الأضلاع ، أو الكبد ، أو جهاها .

(٣) السبب : القلة . والحزن : ما غلظ من الأرض .

(٤) المهمة : الهزيمة البعيدة .

(٥) العيس بالكسر : الإبل البيض يتعاطى يأخذا شقرة .

(٦) الوجى : الحنى وهو أن يرق القدم والحافر .

(٧) المطهمة : الناعة الخلق .

(٨) الخليل القرب : الضواصر .

فلما وصلنا (برقعيد^(١)) تخاضدت على صباباتي ، وعغني الركب
ولج اشتياقي ، كنت أنهم النوى عليه ، إلى أن زاد سورته^(٢) القرب
فأيقنت أن لا قرب يسني من الجوى ولا ينقضي ذا الحب أو ينقضي النحب^(٣)

(١١٥)

وقال :

يا آمري بالصبر ، إنَّ الين موعده الغروب
والصبر محمود العواقب ، لو أطاقت القلوب
لكن أباه على أحشاء يلقلها النحب
ومدامع كالبحر ، لا يرحى لمفعمه نضوب

(١١٦)

وقال^(٣) :

يادهر ، مالك لا يصدك عن إساءتي العتاب
أمرضت من أهوى ، وياً بي أن أمرضه المحباب
لو كنت تنصف كانت الأمراض بي^(٥) ، وله التواب

(١) برقعيد : بلدة في طرف قضاء الموصل من جهة نصيبين (ياقوت) .

(٢) سورة انخرو فيها : حلتها .

(٣) النحب : الأجل .

(٤) هذه القطعة مما روی لأسامة في ياقوت ٢ : ١٩٧ ونزهة القصر ١ : ٥٠٠ .

(٥) الرواية في ياقوت « ل » .

(١١٧)

وقال :

عَلَامَ يَادَهُرُ، بِالْعَدْوَانِ تَحْبِسُنِي فِي غَيْرِ جَنْسِي، وَلَمْ أَفْقِدْ، وَلَمْ أُغَيِّبِ
هَلَّا بِأَدْنَى الْعَذَائِيْنَ اقْتَنَعَتْ لَنَا فَالذَّبْحُ أَرْوَحُ مِنْ تَعْذِيبِ مُقْتَرَبِ

(١١٨)

وقال :

رَمَتْنَا اللَّيَالَى بِافْتِرَاقٍ مُشْتَبٍ أَشْتَّ، وَأَتَأْتِي مِنْ فِرَاقِ الْمُحْصَبِ^(١)
تَخَالَفَتِ الْأَهْوَاءُ، وَانْشَقَّتِ الْعَصَا وَشَعَبَهُمْ وَشَكَ النَّوَى كُلَّ مَشْعَبِ^(٢)
وَقَدْ تَرَّرَ التَّوْدِيعُ مِنْ كُلِّ مُقْلَةٍ عَلَى كُلِّ خَدٍّ لَوْثُورًا لَمْ يُنْقَبِ

(١١٩).

وقال :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو عِيشَةً قَدْ تَنَكَّدَتْ عَلَيَّ، وَدَهْرًا قَدْ أَحَلَّتْ نَوَائِبُهُ
تَنَكَّدَ مِنْ بَعْدِ الصَّفَاءِ نَمِيرُهُ وَأَحْزَنَ مِنْ بَعْدِ السُّهُولَةِ جَانِبُهُ
وَقَصَّرَ كَفِّي عَنْ نَوَالٍ تُبْلِيهِ وَزَاوَلَهَا عَنْ نَيْلٍ مَا أَنَا طَالِبُهُ

(١) المحصب : موضع دى الجمار بينى .

(٢) المشعب : الطريق .

(١٢٠)

وقال :

إلى كم أعتى بالسرى والسباسب^(١) ويصدع شملى بالنوى والنواب
فَن لاقه يوماً من الدهر منزلاً فما منزلى إلا ظهورُ النجائب^(٢)
ومن رآقه خِلُّ يسرٍ يقربه فيا ويح قلبى من فراق الأقارب
فلى كل يوم من جوى الهم صاحبٌ يُجندُ أحرانى على فقد صاحب
ولى منزلاً ما مسَّ جلدى ربابه ولا فيه أترابى ، وملهى ملاعبى

(١٢١)

وقال :

أمسيتُ مثل الشمع : يُشرقُ نوره والنارُ فى أحشائه تتلهبُ
حيران ، وجهى للتجمل^(٣) ضاحكٌ طلق ، وقلبي للهموم مقطبُ

قافية الجيم

(١٢٢)

وقال :

لم ينه العذل ، لكن زاده لهجاً والعالُ مما يزيد المستهام شجى
أضعتُ نصحك فيمن ليس يسمعه ولا يرى فى ضلالات الهوى حرجاً

(١) أظن ما سبق من شرحه ص ١ . (٢) النجائب : جمع نجبة ، وهي الناقة الكريمة .

(٣) التجمل : التصبر .

ما قلبه حاضر التجوى ، فرددّه الذّ
 مدله ، فارق الأحباب أعبط ما
 يستعبر الدّار عنهم صبرة ، فإذا
 فاضت بقاني الدّم المنهل مقلته
 يا ويحه من جوى يغدو عليه ، ومن
 أفدى خيالاً سرى ليلاً ، فأشرق الله
 عجبت منه ، تخطى الهول معترضا
 إذا رأيت حباب الراج مُستظاً
 يالى من الين ، لازالت مطيهم
 سارت بإنسان عيني في هواجسها
 فارقهم ، فكأنى ما سمرت بهم
 اهي ، ولا نبيه في سميحه ولحنا
 كانوا ، وكان بهم جلدان مُبتجبا
 أعيت عليه جواباً ناح أو نسجا^(١)
 فكلّ راو رآها ظنّها ودجاً^(٢)
 جوى يروح ، إذا ليل الموم دجاً
 نيا بأنواره ، والصبح ما ابتلجاً
 أرض العدا ووشاة الحى ، كيف تجا
 ذكرت ذلك الرضاب العذب والبلجاً^(٣)
 حسرى ، إذا ارتحلت ، معقولة يوجى^(٤)
 فما رأت منظرًا من بعدهم بهجاً
 يوماً ، وقد عشت مسروراً بهم حجاً

قافية الحاء

(١٢٣)

وقال :

كتم الجوى القلب القريج
 فاذا عه الدمع الفضوخ
 إن الدموع لها له
 أن بالأسى لسن قصيح

(١) شج الباكي شجاً : غص بالبكاء في حلقه من غير انخباب .

(٢) الودج : عرق في العنق . .

(٣) البلج : قنطرة ما بين الحاجبين .

(٤) الوجى : الحزن . راجع ص ٥٤

وإذا النُّمُوعُ تَرَحَّنَ قَالِزَفَرَاتُ بِالشُّكُوى تَبَوَّحُ
أَحْبَابَنَا ، كَمْ ذَا يُشْتَتُّ شَمَلَنَا الِينُ الطَّرُوحُ^(١)
وَكَمْ التَّفَرُّقُ ؟ ! أَنْ أَنْ تَنْفُو لِلدَّيَارِ ، وَأَنْ تَرَوْحُوا
مَاذَا يُجِنُّ مِنَ الْخَيْسِرِ إِلَيْكُمْ الْقَلْبُ الْهَرِجُ
أَنَا بَعْدَكُمْ كَالْوُوقِ^(٢) فِي أَغْصَابِهَا أَبَدًا تَنُوحُ
لَكِنَّمَا غَاضَتْ مَدَا مَعَهَا ، وَلِي دَمْعُ سَفُوحُ
مَرْجَتُهُ بِالْدَّمِ مَقْلَةٌ لِإِنْسَانِهَا أَرْقُ جَرِجُ
يَا لَأَمَى^(٣) فِيهِمْ سَهْرٌ ، وَتَأَمُّ عَنْ لَيْلِي النَّصِيحُ
يَلْحَى الْمَرْوَعُ بِالنَّوَى وَهُوَ الْخَلِيُّ الْمُسْتَرْجُ
يَالِي مِنَ الْحَسَرَاتِ ، كَمْ تَغْتَوُّ عَلَيَّ ، وَكَمْ تَرُوحُ
لَمْ يَبْقَ مِنْ لَدُنِّي وَأَنْسَرَابِ الصَّبَا خِلُّ نَصُوحُ
غَالَتُهُمُ الدُّنْيَا ، وَصَدَّ عَنْ شَمْلِهِمْ زَمَنُ نَطُوحُ
أَنَا بَعْلَهُمْ مَيِّتٌ ، وَلِي مِنْ جَسَمِي الْبَالِي ضَرِجُ
فِيهِ دَمًا^(٤) رُوحٌ مِنْبَتُهَا غُبُوقٌ أَوْ صَبُوحُ
وَلَقَلَّ تَنَقَّى ، وَكَمْ تَنَقَّى مَعَ التَّعْذِيبِ رُوحُ
أَقْلًا لِقَاءَ يَنْهَبُ الْحَسَرَاتِ ، أَوْ مَوْتُ مُرْهِجُ

(١) الورق : جمع ورقاء ، وهي الحماة .

(٢) القمام : بقية النفس .

(٣) طرحه - رماء وأبلىه .

(٤) في حاشي الدبران (يا ناصي) .

(١٢٤)

وقال :

يَا نَازِحِينَ واصْطَبِرِي وَالْأَمْسَى يُجِمْ^(١) ذَا دَمِي ، وَهَذَا يَتَرَحُّ
لَا أَسْأَلُ الْآيَامَ تَعْوِيضًا بِكُمْ لَأَنهَا بِمِثْلِكُمْ لَا تَسْمَحُ
غَيْبُكُمْ ، وَأَشْبَاهُكُمْ يَنَاطِرِي كَانَهَا إِنْسَانُهُ ، لَا تَسْبِرُ
وَلَا نِي يَوْمُ فَيْكُمْ ، وَالْهَوَى يُصَحِّبُهُ^(٢) طَوْرًا ، وَطَوْرًا يَجْمَعُ
يَلِجُ فِي نُصْحِي ، وَمَا أَشْغَلَنِي بِالْيَيْنِ وَالْمَجْرَانِ عَمَّنْ يَنْصَحُ

قافية الدال

(١٢٥)

وقال :

يَا دَارُ ، إِنْ بَجَلْتِ عَلَى مَعْنَاكِ سَارِيَةَ الْعِيَادِ^(٣)
فَلَا مَطَرَنكِ مِنْ دُمُو عِي مَا يَنْوِبُ عَنْ الْغَوَادِي
كَمْ حَلَّ رَبْعَكَ مِنْ غَضَبِي خِصِّ الطَّرْفِ مَنُوجِ الْوَدَادِ
يَسْتَوْفُّ الْأَبْصَارَ فَهِيَ عَلَيْهِ حَائِثَةٌ صَوَادِي
قَرَمَتْ جُمُوعَهُمُ اللَّيَالِي بِالْتَشْنِثِ وَالْبِعَادِ
وَصُرُوفُ هَذَا الدَّهْرِ تَطْرُقُ بِالْخَوَادِثِ ، أَوْ تُقَادِي
يُحْسِنُ لَا عَمْدًا ، وَيَا تَيْنَ الْإِسَاءَةِ بَاعْتِمَادِ

(١) أحسب : قد واقتاد .

(٢) أحم الماء : تركه يجمع .

(٣) في أساس البلاغة : سقطت المعاد وهي أقطار الربيع بعد الوسمي . الواحدة عهدة .

مالي وللأيام ؟ ! كم تُصَيِّ نَوَافِدُهَا^(١) قَوَادِي
رَفَقَنَ^(٢) من وَرْدِي ، وَأَمَلَّ جَوْرُهَا عَمْدَ أَمْرَادِي^(٣)
وَقَصَدَنِّي سَوَائِبُ وَالْيَهْنُ بِلَا اِقْتِصَادِ

ومنها :

وَالَيْكَ أَشْكُو بَرَحَ هُمٍ كُلِّ يَوْمٍ فِي ازْدِيَادِ
حَظَرَ السُّرُورَ عَلَى قَوَادٍ لَا يَسُرُّ بِمُسْتَفَادِ
لَوْلَا تَأَلُّهُ لِمَا يَلْقَى لَعُدَّ مِنَ الْجَادِ

(١٢٦)

وقال :

أَتَقَنَّ صَبْرَكَ مُنْجِدًا إِنْ أُنْجِبُوا هِيَاثَ ، لَيْسَ لِمُسْتَهَامِ مُسْعَدُ^(٤)
إِنِّي لِأَحْسَبُ أَنَّ قَلْبَكَ ذَاهِلٌ عَمَّا سَيَلَّقِي فِي غَدٍ أَوْ جَلَدُ
هَذَا الْفِرَاقِ هُوَ الْفِرَاقُ ، فَإِنْ تَطَنَّ جَلَدًا ، فَيَعَادُ اللِّقَاءُ الْمَوْعَدُ^(٥)
قَالُوا : غَدًا لِنَوَى الْأَحْبَةِ مَوْعَدُ وَالسَّهْرُ أَجْمَعُ بَعْدَ لَيْلَتِنَا غَدُ
فَالْأَمُّ تَحْتَسِبُ السَّمُوعَ ، وَلِلنَّوَى ذُرْعَتُ ، وَأَيُّ ذَخِيرَةٍ لَا تَنْفَدُ
حَمَلَتْ نَفْسَكَ يَاضِعِيفُ مِنَ الْهَوَى مَا لَيْسَ لِلْجَلَدِ الْخَلْقُ بِهِ يَدُ
وَوَرَدَتْ جَهْلًا مَوْرَدًا لَا مَصْدَرُ عَنْهُ ، فَقَدْ أَهْلَكَ ذَاكَ الْمَوْرَدُ

(١) أصح الصب: رماه قتل مكاه - والنوافذ: السهام النافذة .

(٢) رفق: كده .

(٣) المراد بالفتح: مرعى الإبل ، من راد النعم في المرعى ويأدا .

(٤) أسد: أمان - وأتجد: دخل نجدا . (٥) الموعد: يوم القيامة .

أَنى جَسَرْتُ عَلَى الْفِرَاقِ وَأَنْتَ فِي قُرْبِ الدِّيَارِ بِهِمْ مَعْنَى مُكْدُ
فَارَقَهُمْ ثَقَّةٌ بِصَبْرِكَ عَنْهُمْ فَاصْبِرْ لِنِيرانِ الْأَمَى يَا مُوقِدُ
لَوْ رُضْتُ قَلْبَكَ فِي الدُّنْيَا بِهِجْرَهُمْ لَعَلَّتْ بَعْدَ الْيَنِّ هَلْ تَجَلَّدُ

(١٢٧)

وقال :

مَا يُنْكِرُ الْأَخْلِيَاءُ مِنْ كَدِّى لَا بَزَعَى مُسْعِدِى ، وَلَا جَلَدِى
خَانَ اصْطِبَارِى ، وَغَاضَ بَعْدَ نَوَى الْأَحْبَابِ دَمْعِى ، وَكَانَ مِنْ عُدِّى
وَكَلَّمَا أَضْرِمْتَ حَشَاىَ لَذِكْرَاهُمْ ، تَأَوَّهْتُ ، ثُمَّ قُلْتُ : قَدِّى^(١)
فَلَوْ رَمَتْ بِالْإِشْرَارِ بَعْدَهُمْ أَخْنَاءُ صَدْرِى ، مَا قُلْتُ : وَبِكَ قَدِّى
أَحْبَابِيَا ، دَعْوَةٌ أَحْسَنُ لَهَا - لَوْ أَسْمَعْتُمْ - بَرْدًا عَلَى كَبْدِى
أَهْ لِيَعْنِي ، مَا كَانَ أَنْعَمَهُ بِقُرْبِكُمْ ، وَالزَّمَانُ طَوَّعَ يَدِى
أَيَّامٌ وَرَدَّى مِنْ مَاءِ أَوْجُهُكُمْ عَذَبٌ ، وَقَلْبِى بَعْدَ الْوُرُودِ صَدِّى
فَفَرَّقْنَا النَّوَى ، فَوَاطَمَتْنِى إِلَى ارْتِشَافِ الْعُقَارِ^(٢) مِنْ بَرْدِ
وَيَا أَيْحَى الْبَرِّي ، أَعْيَدْكَ مِنْ لَوْى ، فَكُلَّ الْعُقُوقِ فِي قَدِّى^(٣)
أَفْضَ مَعِ عِبْرَةِ التَّجَمُّلِ إِسْعَافًا لِبَاكِ بَعْبِرَةِ الْكَدِّ

(١٢٨)

وقال :

دَعُونِى أَيْحَى ، مَا مَثَلُ وَجْدِى يُجْعِدُ عَسَى جَهْرَاتُ فِي الْجَوَانِحِ نَحْدُ
أَجْنَمُ قَمْعِى كَتَمَ مَا أَنَا كَاطِمٌ عَلَيْهِ ، وَمَا لِي بِاللَّيِّ رَمْتُهُ يَدُ

(١) قد : اسم فعل مرادفة ليكن ، واسم مرادف لحب . (٢) العقار : الخمر .

(٣) التذيق فتم الفاء والنون : إنكسر القلب من الحزن أو المرض وقد يستعمل في غير الكبر .

ووجدى بمن فارقت ، لولا تجلدى وما قدر^(١) ما يجدى على التجلدى !
كوجد ليد ، أو كوجد متمم ومن مالك مع من فقدت وأربد^(٢)

(١٢٩)

وقال :

أبلام مسلوب الفؤاد فقيده بحد الغرام ، فثبته شموه
والسر في يوم الوداع كأنه قبس نضرم في الظلام وقوده
وإذا أقرت بالهوى زفراته لم يغن عنه ، وإن أصر بحوده
برج الخفاء ، وبان يأسك منهم فالأم أنت جوى الفؤاد عميده
يلي الزمان هوى القلوب ، وحبهم لا يضمحل ، ولا يربث^(٣) جديده
وكان دمعك حين يخطر ذكركم عقد وهى ، فائتال منه فريده
تحكى الغمام : زفير شوقك برقه ونسج دمعك وبله ورعوده
تبكى لأنتك الحام ، وطالما هاج الهوى لأنى الهوى تفريده
ياراقد الأجفان عن قلبي الحشا ولما أنقذى طرفه تسبيده
ماذا عليك إذا بكى أحبابه ذو غربة نائي الحيا بعبده

(١٣٠)

وقال :

ولما تصافينا وأخلص ودنا ورد ييأس كأنه وحسود
طرت هجرة لم تحتسب ، وتقطعت علائق وصل ، واستر صلود

(١) في هامش الديوان : " وإن قل " .

(٢) مالك بن نويرة وأخوه منهم شاعران وليدين ربيعة وأدبين ربيعة شاعران - واقعة (٣٣١) ص ٢١٠

(٣) رث : على .

فَلَيْتَ زَمَانَ الْمَجْرِ يَتَقَصُّ مِنْ مَدَى حَيَاتِي ، وَسَاعَاتِ الْوَصَالِ تَبُودُ
وَكُنْتُ لَيْلَى الْوَصْلِ مُشْرِقَةً بِهِ كَمَا أَنَّ أَيَّامَ الْقَطِيعَةِ سُورِدُ

(١٣١)

وقال :

أَسِيرُ إِلَى أَرْضِ الْأَعَادَى ، وَفِي الْحَشَا لِيُغْضِمُ نَارُ تَلْظِي وَتَوْدُهَا
إِذَا زُرْتُهَا طَالَتْ طَرِيقُ ، وَإِنْ أَعُدَّ "أَرَى الْأَرْضَ تُطَوِّى لِي ، وَيَدْنُو بَعِيدُهَا"

(١٣٢)

وقال :

إِذَا مَرَّ ذِكْرًا لَمْ يَبْقَى تَضَابَقَتْ ضُلُوعِي عَمَّا تَحْتَنَنْ مِنَ الْوَجْدِ
وَأَعْجَبُ مِنْ تَسَنُّبِنَا بَعْدَ الْقَةِ وَمَنْ نَقَلْنَا بَعْدَ الدُّنُوِّ إِلَى الْبُعْدِ

(١٣٣)

وقال :

عَلَيْكَ بِالصَّبْرِ يَا قَلْبِي ، فَإِنْ خَفِيتُ سَبِيلَهُ عَنْكَ ، فَاسْأَلْ عَنْهُ مِنْ فَقْدَا
فَلَنْ تَرَى وَاجِدًا فِي النَّاسِ فَارَقَ مَنْ يَهْوَى ، فَأَجْدَى عَلَيْهِ أَنْ قَفَى ^(١) كَدَا
بِالْأَمْسِ رَأَعْتُ يَنْ مَا احْتَسَبْتُ بِهِ عَمَى الْلِقَاءِ الَّذِي لَمْ تَحْتَسِبْهُ غَدَا

(١٣٤)

وقال :

هَبْ أَنْ مِهْرَجَانُ الْخُلْدِ : مَا اشْتَهَى الْنَفْسُ فِيهَا مِنَ اللَّذَاتِ مَوْجُودُ
مَاذَا انْتَفَاعِي إِذَا كَانَتْ زَخَارِفُهَا مَوْجُودَةً ، وَحَيْبُ النَّفْسِ مَفْقُودُ
زَمَا الْحَيَاةُ لِمَنْ بَانَتْ أَحَبَّتُهُ رِضًا ، وَلَا هُوَ فِي الْأَحْيَاءِ مَعْدُودُ

(١٣٥)

وقال :

بَنَفْسِي بَعِيدُ الدَّارِ ، بِي مِنْ فِرَاقِهِ جَوَى لَوْرَاهُ الْبُعْدُ رَقَى لِي الْبُعْدُ
بِقَلْبِي مِنْ شَرْقٍ إِلَيْهِ ، وَلَوْعَةٍ عَلَيْهِ ، غَلِيلٌ لَيْسَ يُرِدُّهُ الْوَرْدُ
وَمَا بَرَدُ أَحْشَانِي عَلَى مَا تَضَمَّنْتَ مِنْ الْوَجْدِ إِلَّا مِثْلَهَا يَرَدُّ الزَّيْدُ

(١٣٦)

وقال :

تَنَاءَتْ بِنَا عَنْ أَرْضِ نَجْدٍ وَأَهْلِهِ نَوَى خُرَيْبَةَ كَالصَّدِجِ فِي الْحَجَرِ الصَّيْدِ
وَقَدْ قِيلَ : فِي الْيَأْسِ الشَّقَاءُ مِنَ الْهَوَى وَدَائِي الَّذِي أَقْضَى بِهِ الْيَأْسُ مِنْ نَجْدِ
بِلَادُهَا صَاحِبْتُ شَرِّخَ شَيْبَتِي وَفَارَقْتُ إِخْوَانِي الْكَرَامَ ذَوِي وَدَى
إِذَا خَطَرَتْ مِنْهُمْ عَلَى الْقَلْبِ خَطَرَةٌ تَمَلَّتْ حَتَّى مَا أُعِيدُ ، وَلَا أَبْدَى

(١٣٧)

وقال :

أَقُولُ لِعَيْنِي يَوْمَ توديعِهِمْ وَقَدْ بَرَحْتُ بِنَجِيعٍ^(١) فَوْقَ خَدَيَّ مُرِيدٍ :
خُدَى بِنَصِيبٍ مِنْهُمْ قَبْلَ يَتْنِهِمْ وَدُونِكَ ، وَاللِّمَعَ [الْمُخْضَبُ]^(٢) فِي غَدِ

(١٣٨)

وقال :

قَدْ مَرِنْتُ قَلْبِي نَا عَلَى النَّوَى فَا تَسَكَّى مِنْ أَلِيمِ الْوَجْدِ
كَأَنَّ حُسْنَ صَبْرَهَا عَلَى لَفَى أَشْوَاقِهَا حُسْنُ اصْطِبَارِ الزَّوْدِ

(١٣٩)

وقال من قصيدة عند الخروج من مصر مع الأفضل عباس^(٣) :

أَتَمُّهُمْ فَيْكُمُ لَانِمَى ، وَأَتَجِدَا وَمَا أَفَادَ سُلُوءٌ إِذْ فَتَدَا^(٤)
أُرْشِدَنِي بِزَعْمِهِ ، وَمَا أَرَى سُلُوءَ قَلْبِي عَنْ هَوَاكُمُ رَشَدَا
يَا لَانِمَى فَيَرْبِمُ ، أَعْدَ ذِكْرُهُمُ وَاللَّوَمَ فِيهِمْ ، وَأَتَجِدُ عِنْدِي بَدَا
رُوحَ بَذِكْرَهُمْ قَوَادَا مُضْرَمَا لَوْ مَاتَ حَوْلًا كَامِلًا مَا بَرَدَا
لَوْ كَانَ مَا يَسْكُوهُ مِنْ حَرِّ الْأَمَى نَارًا لَبَاخَتْ ، أَوْ زِنَادَا أَصْلَدَا
لَا تَحْسِنَنَّ الْيَأْسَ أَسْلَانِي ، وَلَا أَنْسَانِي النَّأْيُ هَوَى مِنْ بَعْدَا
شَرِطُ الْهَوَى لَمْ عَلَى أَنِّي بِهِمْ مَعْنَى الْقَلْبِ صَبُّ أَبَدَا

(١) النجيع : دم الجوف . (٢) تمكة يابس بالأصل يطها يستقيم الوزن ويحمل المعنى .

(٣) هو عباس بن يحيى الصنهاجي وزير الظاهر الظاهري ، وهو ألقى أتهم ولده نصر بقتل الخليفة ، فهربا من مصر .

وصحبها في ترويعها أسامة .

(٤) أتهم : آت تهاة . وأتجد : دخل تجدا . وفند : خطا الرأي .

لا أَسْتَفِيْقُ مِنْ هَوًى، لَّا إِلَى
أَفْدَى خِيَالًا زَارَ رَحْلِي مَوْعِنًا^(١)
عَهْدُهُ مُوسِمًا رَأْدًا^(٢) الضَّحَى
عُلَالَةً عَلَّيْ الشَّوْقُ بِهَا
ثُمَّ هَيِّتْ، لَا بِكَ الْوَجْدُ الَّذِي
مُدَّمًا، أَمْسَحُ عَيْنِي، عَسَى
كَفَانِيصَ قَاتَ الْقَبِيصُ يَدِهِ
أَحْبَابَنَا وَجَدًا نَدَاؤُكُمْ
غَالَتْ يَدُ الْأَيَّامِ مِنْ بَعْدِكُمْ
مَا لِأَضْطَبَّرِي مَدَدَ بَعْدِ النَّوَى
لَكِنِّي مَا رُمْتُ إِطْفَاءَ الْجُحَى
يَا رَوْعًا لَطَائِرَ نَاحٍ عَلَى
أُظُنُّه فَارِقُ الْأَقَا، كَمَا
أَدَى بِرَاحَاتِ بَقْلِي لِلنَّوَى
لَكِنْ يَبْجُجُ الْحَزِينُ بَثُّ

ومنها :

قُلْ لِمَنْ أَشْمَتَهُ فِرَاقُنَا
إِنْ مَرَّكَ الدَّهْرُ بِنَا الْيَوْمَ فَهَلْ
وَمِرَّةً أَنْ جَارَ دَهْرُ وَاعْتَدَى:
أَمَنْتَ أَنْ يَسْرَتَا فَيْكَ غَدًا^(٣)

(١) الموهن : غوم من نصف الليل -

(٢) رَأْدُ الضَّمَى : وقت ارتجاع الشمس عند انقراض الأول من النهار وانسياط ضوئها وذلك شباب النهار - وموسمًا :

من الزمن وهو شدة اليوم -

(٣) تَقْدَعُ : القِلَادَةُ - (٤) الإِسْرَةُ بالكسر وتضم : القِلَادَةُ وما يَأْتِي بِهِ الْحَزِينُ - الجمع : يسى بالكسر ويضم -

(٥) راجع النقطه (٣٣٢) ص ٢١٠ -

قافية الذال

(١٤٠)

وقال :

صَدُّوه ، وهو صَدَيْ^(١) القُوَادِ إِلَيْهِمْ ظَلَامٌ ، يُحُومُ عَلَيْهِمْ وَيَلُودُ
وَبَعَثَهُمْ إِنْ حَافَظُوا مِيثَاقَهُ زَمَنَ الْوِصَالِ مِنَ الصُّدُودِ يَغُودُ
وَبَلِيَّةُ الْمَشْتَابِ أَنَّ هُمُومَهُ جَمُوعَةٌ ، وَقَوَادِهِ مَشْنُودُ

قافية الراء

(١٤١)

وقال :

لَا غَرَوَ إِنْ هَجَرَ الْخِيَالُ الزَّائِرُ مَا يَسْتَرِيرُ الطَّيْفُ طَرْفُ سَاهِرُ
دُونَ الْكَرَى خَطَرَاتُ هَمٍّ ذُدْنَهُ عَنْ نَاطِرِي ، فَهُوَ النَّوَارُ^(٢) النَّافِرُ
لَا سَوْرَةَ الصَّبَاءِ^(٣) تَصْرِفُهُ ، وَلَا يُلْهِى قُوَادِي حِينَ يَطْرُقُ سَامِرُ
وَإِذَا فَرِغْتُ إِلَى الْأَمَانِي صَدَنِي يَأْمُسُ يُحَقِّقُهُ الزَّمَانُ انْخِلَاتِرُ^(٤)
أَسْتَعِظُ الْآيَامَ ، وَهِيَ صَوَادِفُ وَالْوُمُهَا ، وَهِيَ الْمِصْرُ الْجَاهِرُ
وَتَزِيدُنَا الشَّكْوَى إِلَيْهَا قَسْوَةً وَلَقَلَّكَ يُسْكِي^(٥) الظُّلُومُ الْقَادِرُ
أَشْكُو بِحَرَاحَاتٍ بَقْلِي تُعْجِزُ الْآ مِي ، وَلَمْ يَبْلُغْ مَدَاهَا السَّابِرُ

(١) الصدى : العُشَّان .

(٢) النوار : المرأة القوم من الرية .

(٣) الصبَاء : الغمر .

(٤) انْخِلَاتِر : القند والقندية ، أو أريج القند .

(٥) يُسْكِي : أزال شكايته .

غَبِرْتُ عَلَى دَخَلٍ، وَرَوْعَاتُ النَّوَى يَقْرَأْنَ^(١) مَا دَمَلَ الزَّمَانُ الْغَابِرُ
وَعَلَى الرَّاكِبِ، لَوْ أَبَاحَ السَّمْعُ لِي نَظَرًا إِلَى تِلْكَ الْخَلْدُورِ، جَادِرُ
سَارُوا بِقَلْبٍ أَسِيرَهُمْ بَعْدَهُمْ مُتَلَدِّ^(٢)، فَهُوَ الْمَقِيمُ السَّائِرُ
غَاضَتْ دُمُوعِي فِي الْمَنَازِلِ وَارْعَوَى صَبْرِي، وَرَاجَعَتْنِي الرَّقَادُ النَّافِرُ
إِن لَمْ أُحِبَّ بِهَا سَحَابَ أَدَمِجِ يَنْجَابُ خَشْيَتَهَا الْغَامُ الْبَاكِرُ
أُحْمِلُ الْأَطْلَالَ مَنَّةً عَارِضِ^(٣) وَسَحَابُ دَمِي مُسْتَهْلٌ مَاطِرُ
إِنِّي إِذْنُ بِسُتُونٍ عَيْنِي بِأَخِلِّ وَيَعْهَدُ مَنْ سَكَنَ الْمَنَازِلَ ثَادِرُ

(١٤٢)

وقال :

تَنَاءَوْا، وَمَا شَطَّتْ بِنَا عَنْهُمْ الدَّارُ وَمَالَتْ بِهِمْ عَنَّا خُطُوبُ وَأَقْدَارُ
هُمْ جِيرَتِي، وَالْبَعْدُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ وَأَعْجَبُ شَيْءٍ بَعْدُ مَنْ هُوَ لِي جَارُ
لَمْ يَمْنِ الْعُتْبَى، إِذَا مَا تَجَرَّمُوا وَبَذَلَ الرِّضَا، إِنْ أَنْصَفُونِي، أَوْ جَارُوا
أَجِيرَةً قَلْبِي، وَالَّذِينَ هَوَاهُمْ تَوَافَقَ إِغْلَانٌ عَلَيْهِ وَإِسْرَارُ
تَظُنُّونَ أَنَّ الصَّبْرَ يُجَدُّ بَعْدَكُمْ عَلَى بُعْدِكُمْ، هَيَاتَ، صَبْرَتِي غَرَارُ
إِذَا عَنَ ذِكْرَاكُمْ عَرَّتْنِي سَكْرَةٌ كَأَنِّي سَسَقَانِي الْبَابِلِيَّةَ تَحْمَارُ^(٤)
حَفِظْتُ هَوَاكُمْ حِفْظَ جَفْنٍ لِمُقْلَةٍ وَضَاعَتْ مَوَدَاتٌ لَدَيْكُمْ وَأَمْرَارُ
وَعَارُكُمْ أَنَّ تَغْتَرِيكُمْ مَلَلَةٌ وَخَاشَى هَوَاكُمْ أَنْ يُدْنِسَهُ الْعَارُ

(١) القرف : النكس في المرض . والنخل : العود والمكر . والنير : فساد الجرح .

(٢) تلدد : تفتت فيما وشمالا وتغير متبدا وتلث .

(٣) العارض : السحاب المفترض في الآتي .

(٤) البابلية : نعتت إلى بابل : مكان بالعراق .

أعَاتِبْكُمْ ، أَرْجُو عَوَاطِفَ وَدِّكُمْ وَفِيكُمْ عَلَى مَا أَوْجَبَ الْعَنْبَ إِصْرَارُ
وَمَنْ عَجِبَ أَنِّي أَرَفْتُ لِرَاقِدٍ وَأَلْزَمَنِي حِفْظَ الْمَوَدَّةِ غَدَارُ
أَحِينَ اسْتَرَقَّ الْقَلْبَ ، وَاتَّادَنِي الْهَوَى وَأَسْلَدَنِي مِنْ حُسْنِ صَبْرِي أَنْصَارُ
تَصَدَّدِي لَصَدْدِي ، وَاعْتَرَتْهُ مَلَالَةٌ قَفَضَتْ بِيْعَادِي ، وَالْمَلَلَاتُ أَطْوَارُ
فَهَلَّا وَدَمْعِي ، مَا أَرَيْتُ جَهَامَهُ^(١) وَتَلَّيْ لَمْ تُسْعَرْ بِأَرْجَانِهِ النَّارُ

(١٤٣)

وقال^(٢) :

مَا أَنتَ أَوَّلُ مَنْ تَنَاءَتْ دَارُهُ فَعَلَامَ قَلْبُكَ لَيْسَ تُحِبُّو نَارُهُ
إِمَّا السُّلُوءُ أَوْ الْهَمَامُ ، وَمَا سِوَى هَذَيْنِ قَسْمٌ ثَلَاثٌ تَخْتَارُهُ
مَا بَعْدَ يَوْمِكَ مِنْ لِقَاءٍ يُرْتَجَى أَوْ يَلْتَقِي جُنْحُ الدُّجَى وَنَهَارُهُ
هَذَا وَفَوْقُكَ لِلْوَدَاعِ ، وَهَذِهِ أَظْلَعَانُ مَنْ تَهْوَى ، وَتِلْكَ دِيَارُهُ
فَاسْتَبَقِي دَمْعَكَ فَهُوَ أَوَّلُ خَاذِلٍ بَعْدَ الْفِرَاقِ وَإِنْ طَلَمَا تَيَّارُهُ
مَدَدُ الدُّمُوعِ يَقْلُ عَنْ أَمَدِ التَّوَى إِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ بِلْحَةٍ تَمْتَارُهُ^(٣)
لَيْتَ الْمَطَالِبَا مَا خَلَقْنِ ، فَكَمْ دِمِ سَفْكُهُ يُقْلُ غَيْرَهَا أَوْزَارُهُ
مَا مَاتَ صَبٌّ إِلَّا إِلَيْكَ نَازِحٌ وَجَدَا بِهِ إِلَّا لَنَسِيبَا نَارُهُ
فَلَوْ اسْتَطَعْتُ أَبْحَثُ سَبِي سَوْقَهَا حَتَّى يَعَافَ دِمَاءُهُنَّ ذِرَارُهُ^(٤)
لَوْ أَنَّ كُلَّ الْعَيْسِ نَاقَةٌ صَالِحٌ مَا سَاعَنِي أَنَّى الْغَدَاةُ قُدَارُهُ^(٥)

(٢) روى بعض هذه القصيدة في الغريدة ١ : ١٠٢ .

(٤) الفرار : حذو السيف .

(١) الجاهل : سخط الملك .

(٣) آثار : جلب الطعام .

(٥) قدار : طائفة صالح .

مَا حَتَّبَ أَنْفَسًا سِوَاهَا ، إِنَّمَا
 وَأَمَّا مَغْلُوبُ الْعَزَا تَنَاصَرَتْ
 هَاجَتْ لَهُ الذَّاءُ الْقَدِيمُ أَسَاثُهُ
 كَتَمَ الْهَوَى ، حَتَّى وَتَتْ لَوَامُهُ
 وَمَحْجَبُ كَالْبَدْرِ : يَدْنُو نُورُهُ
 بِحِكْمِ الْغَزَالَةِ وَالْقَضِيبِ قَوَامُهُ
 فِي غَلَّةٍ أَقْضَى بِهَا مِنْ حُبِّهِ
 وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ أَعَافَ مَعَ الظَّالِمِ
 أَشْتَاقُهُ ، وَهُوَ السَّوَادُ بِنَاطِرِي
 إِنْ لَمْ أَمُتْ أَسْفًا عَلَيْهِ ، فَإِنِّي
 يَا زَهْرَةَ الدُّنْيَا ، وَلَسْتُ بِوَاجِدٍ
 مَالِي إِذَا عَاتَبْتُ قَلْبِي فِيكُمْ
 وَإِذَا عَرَضْتُ عَلَيْهِ وَصَلَكَ صَدِّهِ
 فَإِلَى مَتَى يُمَسَّى وَيُصْبِحُ فِي لَفْظِي
 مُتَضَادِّ الْأَحْوَالِ بَيْنَ غَرَامِهِ
 أَمَلْتُ مِنْ دَاءِ الْهَوَى إِفْرَاقَهُ (١)
 وَفِرَاقُ مَجْدِ الدِّينِ مُعْظَمُ دَائِهِ
 فَارْقُهُ وَظَنَنْتُ أَنَّ لَيْدِنَا

لِمَيِّ الْحِمَامِ أُتِيحَ ، أَوْ لِنَذَارُهُ
 أَشْوَاقُهُ ، وَتَحَاذَلَتْ أَنْصَارُهُ
 وَتَقَى الْكَرَى عَنْ جَفْنِهِ سُمَارُهُ
 فَطَفَفَتْ عَلَى دَمْعِ الْأُمَى أَسْرَارُهُ
 مِنْ عَيْنِ رَائِيهِ ، وَتَنَاقَشَتْ دَارُهُ
 وَلِحَاطُظِهِ ، وَبِهَاقِهِ ، وَفَقَارُهُ
 وَأَرَى الْوَرُودَ يَدْنُو عَنْ عَارِهِ
 مَاءَ الْفُرَاتِ لِأَنَّ بَدَنَهُ أَكْذَارُهُ
 مَا حِيلَتِي ، وَغَدَا يَسْطُو مَزَارُهُ
 مَذْقُ (٢) الْوَدَادِ عَلَى التَّوَى غَدَارُهُ
 رَوْضًا سِوَاكَ يَشْوِقُنِي نُورُهُ
 أَبْدَى الْجَبَّاحِ ، وَسَاءَنِي لِضَرَارُهُ
 عَنْهُ الْعَفَافُ ، فَمَا عَسَى لِثَارُهُ
 مِنْ وَجْدِهِ ، يَرِيمُ الْمُطْعَى أَوَارُهُ (٣)
 وَإِيَانِهِ ، مَا يَسْتَقِرُّ قَرَارُهُ
 فَرَمَتْهُ مِنْكَ يَنْكِبُهُ سِنَجَارُهُ (٤)
 وَشَفَاؤُهُ رُؤْيَاهُ أَوْ أَخْبَارُهُ
 أَمْدًا ، فَطَالَ مَدَاهُ وَاسْتَمَرَّارُهُ

(١) الأزار : القهب .

(٢) سنجار : مدينة .

(٣) طلق الود : لم يحكمه فهو طلاق وعفاق .

(٤) أفرق من مرضه : برى .

وأخافُ أنَّ الينَ يُقْدِي نَاظِرِي بفراقه ، ما أومَصْتُ أَشْفَارُهُ
ظَنًّا مَرَى الإِشْفَاقُ فِي تَرْجِيمِهِ^(١) ولربَّما أَرْدَى الشَّفِيقَ حَدَارُهُ
وَإِذَا الْقُنُوطُ دَجَى عَلَى ظِلَامِهِ وَصَحَّ الرَّجَاءُ ، وَلاَحَ لِي إِسْفَارُهُ^(٢)
وَوُثِّقَتْ بِاللَّطِيفِ الْخَلْقِي مِنَ اللَّذَى تَجْرَى بِمَا يَلْقَى الْفَقَى أَقْدَارُهُ

(١٤٤)

وقال بمصر من قصيدة ، وقد بلغه أن بعض من أشار إليهم في القصيدة التي على حرف الميم لمَّا سمعها ، قَالَ : هذه كلها مسروقة ، ولم يفرق بين التضمين والسَّرقة ، فقصد التضمين في هذه القصيدة^(٣) :

أطاعَ الهوى من بعدهم ، وعصى الصَّبْرُ فليسَ له نهيٌ عليه ولا أمرُ^(٤)
وعاودهُ الوجدُ القديمُ ، فشَفَّه^(٥) جَوَى ضَاقٍ عن كتمانهِ الصَّدْرُ والصَّبْرُ
كَذَنَ النَّوَى لَمْ تَخْتَرِمَ غَيْرَ شَمْلِهِ ولم يَجْرِ إِلَّا بِالَّذِي سَاءَهُ الْقَدْرُ^(٦)
وهل لِنَيِّ الدنيا سرورُ ، وإلما هو العيشُ والبُومى ، أو الموتُ والقبرُ
وكلُّ اجتناعٍ مُرَصَّدٌ لَتَهْرُقَ وكلُّ وصالٍ سوف يعقبُهُ هجرُ
وما يدفعُ انخِطَبَ الْمُلَمِّ إِذَا عَرَى سوى الصَّبْرِ ، إِلَّا أَنَّهُ كَاسِيهِ صَبْرُ
أَسْكَانَ أَخَافِ الْعَوَاصِمِ دَعْوَةَ بِنَى بَرودًا ، وهى في كَبْدِي جمرُ^(٧)

(٢) أسفر الصبح : أضاء .

(١) الترجيم : النقل .

(٣) راجع بقية هذه القصيدة ص ١١٩ .

(٤) حسين ليت أي فراق الخلداني :

(٥) أشفه ألم : هزله .
(٦) القدر حركة القضاء والحكم ، كالقدر يسكن الهـ الـ .

(٧) مجزيت المتني :

أرقبك أم بقاء النمامة أم نمر بني برودا وهو في كبدي جمر .

لقد أظلمت دُنْيَايَ بعد فِرَاقِكُمْ فكلُّ زَمَانٍ لَيْلَةٌ مَاهَا بَقَرُ
أُطَاتِبُ أَبَايَ عَلَيْكُمْ ، وَمَاهَا وَلَا لَيْلًا فِي الدُّنْيَا بَيْنَا عُدْرُ
لقد صَدَعْتُ بعد التَّفَرُّقِ شَمَلَنَا كَصَدْعِ الصَّفَا، مَا إِنَّ لَهُ أَبَدًا جَبْرُ
وَمَا زَالَ صَرْفُ الدَّهْرِ يَسْعَى بَيْنَنَا فَلَمَّا انْقَضَى مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ^(١)
فَوَيْحَ زَمَانٍ فَوْقَنَا صُرُوفُهُ أَكَانَ عَلَيْهِ فِي تَقَرُّقِنَا نَعْرُ
إِذَا عَرَفَ ذِكْرَكُمْ نَبَايَ مَضْجِي كَانَ فِرَاقِي حَالًا مِنْ دُونِهِ الْجَحْرُ
فَأُذْهِلُّ حَتَّى لَا أَجِيبَ مَنَادِيَا وَأُهَيْتُ، لَا عَرَفْتُ لَدَى ، وَلَا نَكْرُ^(٢)
وَأُرَى فِجَاجَ الْأَرْضِ لِحَوِّ بِلَادِكُمْ بِطَرَفٍ كَلِيلٍ دَمْعُهُ بَعْدَكُمْ قَطْرُ
أَرَأَيْتَ جِجَامَ^(٣) الدَّمْعِ فِيكُمْ فَإِنْ دَعَا بِهِ الْوَجْدُ لِي ، وَهُوَ مُسْتَكْرَهُ تَزْدُ
وَجَانِبَ طِيبِ النَّوْمِ بعد فِرَاقِكُمْ فَمَا تَلَقَّى مِنْهُ عَلَى سِنَةِ شُفْرِ
عَسَى نَظْرَةُ مِنْكُمْ يُبْطِئُ بِهَا الْقَدَى وَهِيَا تَ، عَرْضُ الْأَرْضِ مِنْ دُونِكُمْ سِتْرُ
وَأَنْ وَعَدْتَنِي بِاقْرَائِكُمُ الْمُنَى نَهَيْتَنِي عَنْ تَصْدِيقِ مَوْعِدِهَا بِهَرُ
وَكَيْفَ بِكُمْ ، وَالدَّهْرُ غَيْرُ مُسَاعِدٍ وَدُونَكُمْ الْأَعْدَاءُ وَالْفَجْجُ الْخَضِرُ

(١) مجزيت لأبي صهر المذل (الجماعة ج ٢ : ٦١) :

لَمَّا انْقَضَى مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ هَيْتَ لِمَنْ الدَّهْرُ يَسْعَى بَيْنَنَا

(٢) ضمن قول أبي صهر المذل :

أُهَيْتُ لَا عَرَفْتُ لَدَى وَلَا نَكْرَ وَمَا هُوَ إِلَّا أُنْزَالُهَا بِلَانَةِ

(٣) جِجَام : جمع جِمْ ، وهو من الجِجَاءِ بَطْنُهُ .

مهالك لو سارت بها الريح عاقها السويجى^(١)، وثناها عن تقحهما الذعر
ولم يبق إلا ذكر ما كان بيننا ولا عجب للذعر أن يدرس الذكر
وروعة شوق تعزى إليكم كما انتفض المصفور، بالله القطر^(٢)
فيا روعى ، لا تسكني بعد بعدهم ويا سلوة الأيام ، موعذك الحشر^(٣) .

(١٤٥)

وقال ،

أحبابنا ، ما أشتكى بعد بعدهم سوى أنني باني ، ولبي حاضر
وما هكذا يقضى وقائي ، وإنما برحت بهواها لا هواي المقادر
وقد كان للين المشت أوائل وليس له ، حتى المات ، أو آخر

(١٤٦)

وقال^(٤) :

يا عين ، في ساعة التوديع يشغلك السبكا عن لذة^(٥) التوديع والنظر
خذي بحظك منهم قبل بينهم^(٦) وبعدهم^(٧) فاجهدى في الدمع والسهر^(٧)

(١) روى المصنف : إذا حنى ، وهو أن يرق للقدم والمخاف ويضع .

(٢) مجزيت أبي صحر :

واني لعمري قد كراك حزة كما انتفض المصفور بله القطر

(٣) مجزيت أبي صحر :

فيا حيا زدى جوى كل ليلة ويا سلوة الأيام موعذك الحشر

(٤) هذان البيتان رواهما الهادي أيضا في النونية (١٠٤ : ١) ولباب الآداب ص ٤١٨ .

(٥) هذه رواية لباب الآداب وفي الأصل « آثر التلميح » .

(٦) رواية النونية « ثم اجهدى بدمع الدمع والسر » - رواية لباب الآداب « فنى عند تغرق الدمع ... » .

(٧) عبر عن هذا الخلط في بيوت آخرين ص ٦٦ (وانظر القسطة ١٧٥) .

(١٤٧)

وقال :

يَا مَصْرُ ، مَا دُرِّتَ فِي وَفِي ، وَلَا خَلَدِي وَلَا أَجَالَتْكَ خَلَوَانِي بِأَفْكَارِي
مَا أَنْتِ أَوَّلُ أَرْضٍ مَسَّ تَرْبَتَهَا جَسْمِي ، وَلَا فِيكَ أَوْطَانِي وَأَوْطَارِي
لَكِنْ إِذَا حُمِّتِ الْأَقْدَارُ كَانَ لَهَا قُوَى ، تُؤَلِّفُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالنَّارِ

(١٤٨)

وقال :

يَا غَائِبَ ، رَجَايَ طِيءِ بَابِ الْعَيْشِ مُذْ رِثْمُ غُرُورِ
أَتَسْنِي الْأَيَّامَ فَكَيفَ يَكُونُ بَعْدُكُمْ السُّرُورُ

(١٤٩)

وقال :

يَا دَمْعُ ، انْجِدْنِي عَلَى بُعْثِهِمْ فَقَدْ تَرَى قِلَّةَ أَنْصَارِي
بَرْدِ جَوَى فِي الْقَلْبِ مِنْ ذِكْرِهِمْ أَحْرًا نَارًا مِنْ لَغْوِي النَّارِ
فَلَيْسَ شَيْءٌ مُذْهَبٌ لِلشَّجْوَى مِثْلَ انْهَمَالِ الْمَدْمِجِ لِلْحَارِي

(١٥٠)

وقال بمدينة حلب ، وقد وصله إليها بعض أصحابه ، وأخبره أنَّ من كان له
بمصر : من الأهل والأولاد وصلوا ، وأنَّ المركب انكسر بهم في ساحل عكا ،

ونهب الإفرنج كل ما فيه ، ولم يصلوا إلى دمشق إلا بأنفسهم ، وأن ملك الفرنج أعطاهم خمسمائة دينار ، توصّلوا بها إلى دمشق ^(١) :

إلى الله أشكوا فرقة دميت لها جفوني، وأذكت بالهموم عميري
تحدّث إلى أن لاذت النفس بالمني وطارت بها الأشواق كل مطير
فلما قضى الله اللقاء تعرضت مساء دهرى في طريق سرورى

(١٥١)

وقال :

وجدت حوَجدي بعدما كان قد عفا وراجعت حلي، ووأزرت صبري
هتوف الضحى مفجوعة باليفها تبيح أشجان الفؤاد ، وما تدرى
ولو أنها إذ أعولت فاض دمعها لقلت: هي الخنساء، تبكي على صخر
ولكنها لم تذر دمعاً ، وأدعى إذا قرنت بالقطر زادت على القطر

(١٥٢)

وقال :

كأنّي عجول، أو نكول، إذا جرى بسمعي عن غير اعتدائكم ذكر
ولو أسعفتني مقتلتي بقطرة شفت داء أحشائي ، ولو أنها قطرة ^(٢)

(١) رويت الأبيات الثلاثة في الروضتين ١ : ٩٩ .

(٢) العجول : الواله من النساء والإبل .

(٣) القطر بالكسر : النحاس القذاب .

(١٥٣)

وقال من قصيدة كتبها إلى الملك الصالح :

نَأَوَّا ، فَأَدَّتْكَ مِنْهُمُ الدِّكْرُ وَمِثْلُهُمْ لِقَاكَ الصُّكْرُ
بِرَاهِمٍ بِالْوِدَادِ قَلْبِي ، عَلَى الْبُعْدِ ، وَإِنْ لَمْ يُدْرِكْهُمُ النَّظَرُ
وَحَسَرْتُ أَنِّي أَنَا الْمَعْرُضُ النَّاسِي ، وَمَا أَعْرَضُوا ، وَلَا هَجَرُوا
بُعْدْتُ عَنْهُمْ ، إِذْ كُلُّ عَصْرُهُمْ بِهِمْ رَيْعٌ ، وَلَيْلُهُ سَحَرُ
وَنَاقَسْتِي الْأَيَّامَ فِيهِمْ ، وَبِحَيِّ السَّعِيشِ دَانٍ ، وَرَوْضُهُ نَفْسُ^(١)

(١٥٤)

وقال :

غَرَضْتُ^(٢) مِنَ الْمَهْجَرَانِ ، وَالشَّمْلُ جَامِعٌ وَلَمْ يَتَعَمَّدَنَا بِفُرْقَتَا الدَّهْرِ
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا ، وَشَطَّتْ بِنَا التَّوَى تَمَيَّنْتُ لَوْ دَامَ التَّجَاوُرُ وَالْمَهْجَرُ

(١٥٥)

وقال :

وَصَفَّ الصَّبْرَ لِي جَهْلٌ بِأَمْرِي فَارْغَ الْبَالُ مِنْ هُمُومِي وَفِكْرِي
مَسْتَرْجٍ مَا قَلْبُهُ مِثْلُ قَلْبِي لَا ، وَلَا دَهْرُهُ ظِلُومٌ كَدَهْرِي
مَالَهُ بِالْهُمُومِ عَهْدٌ ، وَلَا اضْطُرَّ إِلَى الصَّبْرِ بِاقْتِسَارٍ وَقَهْرٍ
وَأَنَا ، الدَّهْرُ ، فِي خُطُوبِ زَمَانٍ أَشْرَبُ الصَّبْرَ فِيهِ مِنْ حُسْنِ صَبْرِي
صَارَ لِي عَادَةٌ ، فَلَوْ ضَاقَ رَحْبُ الْأَرْضِ عَنِّي ، مَا ضَاقَ بِالصَّبْرِ صَدْرِي

(١) بقية القصيدة في ص ١٧٢ .

(٢) الغرض محركة : الضجر والملال . غرض كغرض .

قافية الضاد

(١٥٦)

وقال :

فِي ذَلِكَ الْحَيِّ الْمُعْرِضِ لِي هَوًى وَدَعْتُهُ حَذَرًا بِطَرْفٍ مُعْرِضِ
أَحْسَى طَلِبَهُ الْكَاشِحِينَ ، فَكُلُّهُمْ غَضَبَانُ يُسْخِطُهُ هَوَانًا ، لَأَرْضِي
فَطَفَّئْتُ عَيْنِي الْمَرِيضَةَ بِالْبُكَاءِ وَالْيَنِّ ، تَأْمَلُ نَظْرَةً مِنْ مُرْمَضِي
وَقِيَابِهِمْ فِي الْآلِ^(١) تَطْفُو مِثْلَنَا يَطْفُو الْحَبَابُ عَلَى الرَّحِيْقِ الْأَبْيَضِ
حَتَّى إِذَا يَأْتَتْ دَعَتْ زَفْرَاتُهَا فَبِضِّ الْمَدَامِجِ بِالشَّجَا الْمُتَعْرِضِ

قافية الطاء

(١٥٧)

وقال من تصبده في الملك الصالح رحمه الله :

أَجْبِرَةٌ قَلْبِي ، إِنْ تَدَانَوْا ، وَإِنْ شَطُّوا وَمَنْعَةً نَفْسِي ، أَنْتَصِفُونِي أَوْ اشْتَطُّوا^(١)
عَصَبْتُ اللَّوَاخِي فِيكُمْ ، وَأَطَعْتُمْ مَقَالِمٌ ، مَا هَكَذَا فِي الْهَوَى الشَّرْطُ
وَلَوْ عَلِمُوا مَقْدَارَ حَتَايَ مِنْكُمْ وَهَمِي بِكُمْ زَالِ التَّنَافُسِ وَالْعَبْطُ^(٢)
إِذَا كَانَ حَظِّي مِنْكُمْ فِي دُنُوعِكُمْ صِلُودٌ وَهَجْرٌ ، فَالْتَدَانِي هُوَ الشَّمْحُ^(٣)

(١) الآل : السراب .

(٢) هذه القصيدة مازحة لقصيدة أبي العلاء :

لَنْ جِبْرَةٌ سَجَاؤُا النَّوَالِ ظَمَّ يَنْطَوَا يَنْظَلُّهُمْ مَا ظَلَّ يَنْبِيءُ الْخَلَطِ
رَشَطٌ : يَبْدُ . وَاشْتَطَّ : جَار .

(٣) النبط من قرطم : غيظت الرجل أغبطه إذا غيبت أن يكون لك مثل حاله من غير أن يزول عنه . والمسدان

رَبْدٌ إِزَالَتَا عَنْهُ .

(٤) الشَّطْحُ : الْبِدْ . يَخَالُ شَحْلَتِ الدَّارِ ، إِذَا بَعَثَ .

فيا قلب مهلاً ، لا تُرْع ، إِنَّ قُرْبَهُمْ
هَوَاهُمْ هَوَى ، لا البعدُ يُبْلِي جَدِيدَهُ
أَحْبَبُهُمْ حُبِّي الحَيَاةَ ، حَبَّةً
لَمْ مِنْ قُوَادِي مَوْضِعِ السَّرِّ وَالْهَوَى
يُعَلِّمُنِي شَوْقِي بَزُورَةٍ طَيفِهِمْ
وَطَرَفِي بِرَاغِي النَّجْمِ حَيْرَانٍ مِثْلَهُ
عَجِبْتُ لَهُ ، كَيْفَ اهْتَدَى لِرِحَالِنَا
وَكَيْفَ فَرَى عَرْضَ الْفَلَاحِ مِنْ يَثُودِهِ
فَلَمَّا اسْتَفَاضَ الصَّحْرُ كَالْبَحْرِ ، وَانْبَثَرَتْ
أَسْفَتْ عَلَى زُورٍ^(١) أَتَانِي بِهِ الْكَرَى
إِذَا مَا سَ خَلْتُ الْمَسَّ غَالٍ عَقُولَنَا
يَقُولُونَ : خُوطُ ، أَوْ قَنَاءَةٌ قَوِيمةً
شَبِيهَةٌ أَمْ الْخُشْفُ^(٢) جِيداً وَمُقَلَّةً
رَوَّضَ جَوْ جُبَيْتِهِ ، وَتَضَوَّعَتْ
حَكِي وَجْهَكَ الشَّمْسُ الْمُنِيرَةُ فِي الضُّحَى

- (١) انطلق بالكسر : كل ما غايط الشيء .
(٢) في الأصل (منطق) ولعل الصواب ما اختاره .
(٣) يشير إلى قول امرئ القيس :

فأنا بك من ذكرى حبيب وموئل
بسمت القوي بين المنحول لحول

- (٤) الهبط : التسفل .
(٥) غرى : شق . ويثوده : يبالغ منه المجنود . والبير : اقتطاع النفس من الإحياء .
(٦) ظله في الماء : غمسه ، فأنط .
(٧) الزور : الزائر وهو في الأصل مصدر وضع موضع الاسم كصوم ونوم بمنى صام ، وام .
(٨) الاسفط بكسر القاف : يفتح : الخمر .
(٩) الخشف مطع : وله التلي أول مايو .
(١٠) المرط بكسر الميم : كساء من صوف أو خز .

فَكَتَّ بِبَنَّاكَ الْحُسَامَ ، إِذَا هَوَىٰ
وَمَا حَلَّتْ أَسَادَ الثَّرَىٰ إِذْ تَبَهَّتْ^(١)
فِيَا عَجَبًا مِنْ فَاتِرِ الطَّرْفِ ، فَاتِرِ
فَارْدَاهُ فَرْدُ الْحُسْنِ فَرْدًا ، وَلِلَّهِ
أَيَا سَاكِنِي مَعِيرٍ ، رَضَانًا لِبُعْدِكُمْ
إِذَا عَنَّ ذِكْرَاكُمْ ظَلَلْتُ كَأَنِّي
وَالزِّمَ كَنَّى صَدَعَ قَلْبٍ ، أَطَارُهُ
قَهْلُ لِي إِلَيْكُمْ ، أَوْ لَكُمْ بَعْدُ بُعْدَكُمْ
أَرَاكُمْ عَلَى بَعْدِ الدِّيَارِ بِنَاطِرٍ
إِذَا عَايَنَ التَّوْدِيعَ أَرْسَلَ لُؤْلُؤًا
وَمَا شَفَّهَ إِلَّا نَوَىٰ مِنْ يَوْدهُ
فِرَاقِي أَنِّي لَمْ تُخْبِرِ الطَّيْرُ كَوْنَهُ
تَلَقَّتهُ مِنِّي سُلْطَةٌ وَصِرْمَةٌ^(٢)
وَمَا كُنْتُ أَدْرِي أَنَّ لِلشَّوْقِ زَقْفَةً
عَلَى مُفَرِّدِ ثَنَاهُ^(٣) فِي الْمَعْرِكِ الْقَطَطِ
فِرَاقِي غَزْلَانِ الصِّرْمَةِ^(٤) ، إِذْ تَعَطَّوْا^(٥)
سَعَا بِكُنَى^(٦) ، لَمْ يَزَلْ فِي الْوَعَى يَسْطُو
لِيَرْهَبُهُ مِنْ رَهْطٍ قَاتِلِهِ الرَّهْطُ
عَنِ الْعَيْشِ وَالْأَيَّامِ - لَا تَبْعُدُوا - سَطَطُ
غَرِيقُ بَحَارٍ مَا لُجَّتْهَا شَطَطُ
جَوَى الشَّوْقِ ، لَوْلَا أَنْ تَدَارَكُهُ الصَّبْطُ
إِيَابُ ، فَقَدْ طَالَ التَّفَرُّقُ وَالشَّطَطُ
لَكَرَّ فِرَاقِي مِنْ مَدَامِعِهِ قِسْطُ
مِنَ الدَّمْعِ لَمْ يَجْمَعْ فِرَائِدَهُ اللَّقْطُ
وَفِرْقَةُ الْأَفِّ هِيَ الْمَيْتَةُ الْعَبْطُ^(٧)
وَلَا رَفَعُوا فِيهِ الْحُدُوجَ^(٨) وَلَا حَطُّوا
وَمِنْ لِي أَنِّي بَعْدَ وَشِكِ النَّوَى سَلَطُ^(٩)
تَزِيدُ ، كَمَا يَنْتَنِي ، وَيَضْطَرِمُ السَّقَطُ^(١٠)

(١) أي أن حساه الباطل يشق الشخص نصفين . والقَطَطُ والقَدِّ والبُكُّ : القطع .

(٢) تَبَهَّتْ : تَجَبَّرَ . وَالتَّبَهُّتُ : التَّجَبُّرُ وَالْأَسَدُ يَتَبَهَّسُ فِي مَشْيِهِ وَتَبَهَّسَ أَيِ يَتَجَبَّرُ .

(٣) الصِّرْمَةُ : الْقِطْعَةُ الْمُخْتَصَّةُ مِنَ الرَّمْلِ تَصْرَمُ عَنْ سَائِرِ الرَّمَالِ .

(٤) تَعَطَّوْا : تَنَاقَلُوا . عَطَرَهُ أَطْلَقَهُ إِذَا تَنَاقَلَهُ .

(٥) مَاتَ عَجَلَةً : إِذَا مَاتَ شَابًا صَحِيحًا .

(٦) الْحُدُوجُ بِالْكَسْرِ : مَرْكَبُ لِقَاءٍ كَلْفَتُهُ وَجْهَهُ حُدُوجٌ وَاحِدًا .

(٧) الصِّرْمَةُ : الْغَزِيَّةُ .

(٨) الْحَطُّ : الْمَدِيدُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ .

(٩) السَّقَطُ مَثَلَةٌ : مَا سَقَطَ بَيْنَ الزَّيْدَيْنِ قَبْلَ اسْتِحْكَامِ الْوَرَى .

رَغِمَى أَنْ تُنْمِىَ وَتُهَبِّحَ دُونَكُمْ قِيَافَ ، لَا يَدْنَى الْجُرْدُفَى وَغَرِهَا لَغَطٌ ^(١)
وَأَنْ تَقْرُلُوا دَارَ الْقَطِيعَةِ وَالْقَلَى وَجِرَانُكُمْ بَعْدَ الْكَرَامِ بِهَا الْقَبْطُ ^(٢)

(١٥٨)

وقال :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مِنْ جَوَى لَمْ أَجِدْ لَهُ مَسَاغًا ، وَلَا طُولُ الْبَكَاءِ يُعِطُهُ
وَمِنْ حَرِّ قَلْبٍ ، كَلَّمَا رُمْتُ بَرْدَهُ بِسَوْيْفِهِ أَذْكَى جَوَاهُ قُتُوبُهُ
أَعَارَ جُفُونِي مَا يُصْعِدُ مِنْ دِمٍ فَلَهَا تَقْضَى قَاضٍ مِنْهَا عَيْطُهُ ^(٣)

قافية العين

(١٥٩)

وقال :

أَحَابِبَنَا ، لِي عِنْدَ خَطَرَةٍ ذِكْرُكُمْ نَفْسُ تَقُومُ لَهُ حَيَا يَا أَضْلَى
أُنْسِيتُ بَعْدَكُمْ السُّرُورَ ، وَأُنْكِرْتُ عَيْنِي الْكَرَى ، وَنَبَا يَجْنِي مَضْجَعِي
أَلْقَى نَسِيمَ الرِّيحِ مِنْ تِلْقَائِكُمْ بِجُفُوتِ مَكْرُوبٍ ، وَأَنَّهُ مُوجِعُ
وَإِذَا السَّحَابُ سَرَى فَتَارُ بُرُوقُهُ مِنْ زَقَرَنِي ، وَمِيَاهُهُ مِنْ أَدْمِي

(١) القَطُ ويحرك : الصوت والجلابة أو أصوات سبعة لا تفهم ج أ ل ناط . والجُردُف : جمع أجرد وهو الفرس القمير الشمر .

(٢) انظر تمام القصيدة في صفحتي ١٧٤ و ٢١١

(٣) يقال لحم ودم ورضران عيط ، بين العطة بالضم : طوى .

(١٦٠)

وقال :

يا قلب ، دَعَهُمْ ، فقد حَرَبَتْ غَدْرَهُمْ وَفَى التَّجَارِبِ بَعْدَ الْغِيِّ مَا يَزْعُ^(١) :
أَكْفَرَ البَعْدُ عَنْهُمْ مَا جَنَوَهُ ، أَمْ الْبَآيَأُ أَسْتَكَّ بَعْدَ الْيَنِّ مَا صَنَعُوا
وَهَبَهُمْ أَحْسَنُوا ، هَلْ يُرْجِعُهُمْ إِلَيْكَ وَجْدُكَ ، أَوْ يُدْنِيهِمُ الْهَلَعُ
أَلَسْتُ بِالْأَمْسِ فَارَقْتَ الشَّبَابَ ، وَلَا أَغَزَّ مِنْهُ ، فَلَيْلٌ لَا رَدَّهَ الْجَزَعُ

(١٦١)

وقال :

إِلَى مَنَى أُمْسَى وَأَضْحَى بِالنَّوَى مُرَوَّعًا
مُرْتَحِلًا كُرْهًا عَنِ الْأَحْبَابِ ، أَوْ مُودَعًا
تُرَى الْإِلَهِي تَذَرْتُ أَلَّا تُرَى يَوْمًا مَعًا

(١٦٢)

وقال ، وكان القاضي المكيُّ أَبْرُ المعالي عبدُ العزيزِ بنُ الحسينِ المعروف بابن
الجبَاب^(٢) ، رحمه الله ، قد مدح الملك الصَّالح بقصيدة ، أولها :
أَرَأَيْتَ بَيْنَ مَعَاطِفِ الْأَجْرَاعِ وَمَضَانِ ذَاكَ الْبَارِقِ اللَّمَّاعِ
فَقَضَى الْمَلِكُ الصَّالِحُ إِلَيْهِ نُسَخَتَهَا ، عَطَفَ كِتَابَ مِنْهُ ، لِيُعَارِضَهَا بِقَصِيدَةٍ عَلَى
وزنها ، وقافيتها ، فعارضها بهذه القصيدة وأولها :

مَا أَنْكَرُوا مِنْ عَزَمَتِي وَزَمَاعِي شَوْقٌ دَعَا ، أَفَلَا أَجِيبُ الدَّاعِيَ !
أَأَجِيبُ دَاعِيَ الْحَرْبِ فِي غَمْرَاتِهَا وَيَصُدُّ عَنْ دَاعِيَ الْغَرَامِ سَمَاعِيَ !

(١) يزغ : يخف - وذلك مجازية لقبح صدره : أهل الحقيقة إلا أن يجزيهم ...

(٢) ورد اسمه في النجوم الزاهرة والخريدة والتكت الصرية (ابن الجباب) .

هِيَمَاتٌ ، مَا قَالِي لِأَوَّلِ مَسْلُوءٍ عَرَضْتُ ، وَلَا تَأْهِى إِلَهِي بِمَطْلَاعِ
أَفْدَى الدِّيَارِ ، وَمَا كُنْتُهَا ، لَأَنْتُمْ لَهْمُ الْأَحَبَّةِ ، وَالرِّبَاعُ رِبَاعِي
سَلَبَتِي الْآيَامُ نِعْمَةً تُرِيهِمْ وَمَوَاهِبُ الدُّنْيَا إِلَى اسْتِرْجَاعِ
فَزَعْتُ^(١) عَنْهُمْ مَكْرَهًا ، وَإِلَيْهِمْ حَتَّى الْلِقَاءِ تَشْوِقِي وَزَعَايَ
أُودِعْتُ عَهْدَهُمْ عَلَى شَحْطِ النَّوَى قَلْبًا لَدَيْهِ الْعَهْدُ غَيْرُ مَضَاعِ
قُلْ لَأَوَانِي : لَسْتُ بِالرَّاعِي الْهَوَى إِنْ مَرَّ لَوْمُكُمْ بِسَمْعٍ وَاعِ
كُفُّوا ، فَإِنَّ عَذَابَ أَبْنَاءِ الْهَوَى مُسْتَعَذِبُ الْأَوْصَابِ وَالْأَوْجَاعِ
أَيْنَ السُّلُوءِ مِنَ الْمَرْوَعِ دَهْرَهُ بِقَطِيعَةٍ مَوْصُولَةٍ بِوَدَاعِ !
هُوَ وَالْأَحَبَّةُ ، كَالْأَصَابِلِ وَالضُّعَا لَا يَحْظَبَانِ بِسَاعَةٍ اسْتِجَاعِ

قافية الغين

(١٦٣)

وقال :

يَا لَأَيْمَ الْمَشْتَاكِ ، دَعُهُ ، فَقَلْبًا يُصْنِي إِلَى نَصْحٍ وَوَعْدٍ بِالْفِغِ
تَلَحَّى الْحَبِّ ، وَقَلْبُهُ مَلَانٌ مِنْ حَسْرَاتِهِ ، عَيْبًا ، بِقَلْبِ قَارِغِ
دَعِ لَوْمَهُ ، فَكَفَاهُ تَعَذِيبُ الْهَوَى وَاسْتَبَقِ عَافِيَةَ النَّعِيمِ السَّائِغِ

قافية الفاء

(١٦٤)

وقال :

اسِيرُ نَحْوِ بِلَادٍ لَا أُمْرِيهَا إِذَا تَبَدَّتْ لِعَيْنِي هَيْجَتُ أَسْنِي
تَطُولُ أَرْضِي ، إِذَا يَمَمْتُ سَاحَتَهَا بَغْضًا لَهَا ، ثُمَّ طُؤَى عِنْدَ مُنْصَرَفِي

(١) تزعمه : انتهى به . وترجع إليه : اشتاق .

(١٦٥)

وقال :

يَا لَاتِمِ الْمَشْتَاقَ ، تَعْنِيْفُ الْمَشُوقِ الْعَصَبُ عُنْفُ
انْظُرْ إِلَى عَيْنِ مُسَهَّدَةٍ ، وَجَنِّ لَا يَجِفُّ
وَسَقَامِ جَسِمِ كُلِّ مَرٍّ لِلْهَوَى مِنْهُ يَشْفُ
وَاعْطِفْ عَلَيْهِ فَلْيَكِرَا مِ عَلَى أَوَّلِ الْفَرَاءِ عَطْفُ

(١٦٦)

وقال ، وكان يلازمه بنصيرين خياط اسمه مهدي ، يُحِيطُ ثياباً للغلمان ،
ولا يزالُ يَحْتَمِلُهُ حديثَ معاشه ومكسبه :

أَحَابِبَنَا ، مَنْ لِي لَوْ دَامَ التَّدَانِي وَالْحَفَا
فَإِنِّي أَرَى النَّوَى مِنَ الصُّلُودِ أَتْلَفَا
شَتَبَ الْآيَامُ ظُلُمًا شَمَلْنَا الْمُؤْتَلَفَا
وَكثُرَتْ مِنْ عَيْشِنَا مَا كَانَ طَابَ وَصَفَا
وَأَوْقَعْتَنِي بَعْدَكُمْ مِنَ النَّوَى عَلَى شَفَا^(١)
حَتَّى رَأَى الْحَاسِدُ بِي مَا كَانَ يَهْوَى ، وَاشْتَقَى
وَصَارَ بَعْدَ الْيَمِينِ بَدَ مَا نِيْ مَهْدَى ، وَكَفَى
كَأَنِّي اعْتَصَمْتُ مِنَ اللَّهِ بِِ الثَّمِينِ الْعَبْدَقَا

(١) يريد : على شفا الخلافة .

(١٦٧)

وقال ، من قصيدة في الملك الصالح :

أذكرهم الودَّ، إن صلُّوا، وإن صدَّقوا^(١) إنَّ الكرامَ إذا استعطفتهم عطفوا
ولا تُردُّ شافعاً إلا هواءك لم يكفبك ما اختبروا منه ، وما كُشفوا
به دتوت ، وإخلاصُ الهوى نَسب كما نأيت ، وإفراطُ الهوى تلفُ
رأى الحسودُ تداني ودنا ، فسعى حتى غدت بين دارينا نوى مُذفُ
وما البعيدُ الذي تنأى الديارُ به بل من تداني ، وعنه القلبُ منصرفُ
أجيرة القلب ، والقسطاطُ دارهم لم تُصقب الدارُ، لكن أصقب الكلف^(٢)
أذنى التداني الهوى ، والدارُ نازحة وأبعدُ البعد بين البحيرة الشنف^(٣)
فارقتم مكرها ، والقلبُ يُحيرني أن ليس لي عوض منكم ، ولا خلفُ
ولو تعوضتُ بالذنيا غيبتُ ، وهل يعوضني من نفيس الجوهر الصدفُ
ولست أنكر ما يأتي الزمانُ به كلُّ الورى لِرزايا دهرهم هدفُ
كم قاجاني اللبالي بالخطوب ، فـ رأيت قوادى من روعاتها يغيثُ
واسترجعت ما أعارت: من مواهبها فما هفاني على آثاره الهف^(٤)
ولا أسفتُ لأمرٍ فات مطلبه لكن لفرقة من فارقت الأسف^(٥)

(١) مدف : انصرف وأعرض .

(٢) يقال أصقت دارم : دفت . والكلف : شدة الجب .

(٣) شنف له كفرح : أجهته وتكره .

(٤) الهف : الحزن والتصر .

(٥) انظر تمام القصيدة في باب المدح وهي القصيدة رقم ٣٠٩ ص ١٧٩ .

(١٦٨)

وقال ، من قصيدة في الملك الصالح ، رحمه الله :

ما منهم لك مُعتاضٌ ، ولا خَلْفٌ فكيف يَصْبِرُ عنهم قَلْبُكَ الكَلْفُ
 إن جَارَ صَرَفُ اللَّيَالِي فِي فِرَاقِهِمْ فليس عنهم ، على الحَالَاتِ ، مُنْصَرَفُ
 هُمُ الهَوَى ، إن تَنَاءَوا عَنْكَ أَوْ قَرَّبُوا هُمُ المُنَى ، أَقْبَلُوا بِالْوَدِّ أَوْ صَدَفُوا^(١)
 لَا تَعْتَلِرُ بِالنَّوَى ، إِنَّ الهَوَى أَبَدًا سَيَّانٍ فِيهِ التَّدَانِي ، وَالتَّوَى الْقُدْفُ
 فَالشَّوْقُ تُطَوَّى لَهُ الْأَرْضُ الْفَضَاءُ ، كَمَا تُطَوَّى إِذَا اسْتَوْعَبَتْ مَضْمُونَهَا الصُّحُفُ
 جَاهِزٌ بِوَجْدِكَ وَاعِصِ الْأَلَمِينَ ، وَبِحُجْ بِحُبِّهِمْ ، إِنَّ كِتْمَانَ الهَوَى تَلَفُ
 فَكَلِمَةُ الْحُبِّ إِنْ لَمْ يَقْضِ مِنْ كَيْدِ فِيهِهِ لِإِصَابَاتِ الرَّدَى هَدَفُ
 كَسَائِرِ النَّارِ فِي أَنْوَابِهِ غَرَرًا بِهَا ، تُحَرِّقُهُ يَوْمًا وَتَنْكَشِفُ
 هَلْ يَحْتَنِي الْحُبُّ ، أَوْ يَغْنَى الْجُودُ ، إِذَا تَحَدَّثَتْ بِالْهَوَى أَجْفَانُكَ الدُّرُفُ
 كَمْ مِنْ هَوَى لِلْعَالِي فِيهِ رَتَبَةٌ مِنْ نَالَ الْمَعَالِي ، وَفِي إِسْرَافِهِ شَرَفُ
 وَبِحِجِّ الْمَفَارِقِ ، لَا صَبْرٌ يُؤَاوِرُهُ وَلَا تَسْتُتُّ شَمْلِي الْحَيَّ يَأْتَلِفُ
 يَزِيدُهُ يَأْسُهُ مِنْهُمْ بِهِمْ شَغَفًا وَقَلْبًا يَتَلَقَّى الْيَأْسُ وَالشَّغَفُ
 عَلَى شَفَا جُرُفٍ مِنْ شَوْفِهِ ، وَأَرَى أَنْ سَوْفَ يَبْهَارُ مِنْ وَجْدِهِ بِهِ الْخُرْفُ
 يَا غَافِلِينَ عَنِ الْقَلْبِ الَّذِي كَلَّمُوا^(٢) بَيْنَهُمْ ، وَعَنِ الطَّرَفِ الَّذِي طَرَفُوا
 قَدِيمُكُمْ مُهْجَتِي ، لَا أَرْفُضُ لَكُمْ فِدَاءَ جِسْمِي ، وَهُوَ النَّاحِلُ الدَّنْفُ^(٣)
 حَاشَاكُمْ مِنْ جَوَى قَلْبِي ، وَلَوْعَتِهِ عَلَيْهِمْ ، وَحَشَا لِلْوَجْدِ تَرْجِيفُ

لَنْ أَلُومُ ! وَمَنْ ذَاكَ يَرِقُّ إِذَا شَكَوْتُ نَيْي ، أَوْ أُرْدَانِي اللَّهْفُ
أَنَا الَّذِي شَطَّ عَنْ أَحْبَابِهِ ثِقَّةٌ بِصَبْرِهِ ، وَهُوَ بِالْتَّخْرِيطِ مُعْرِفُ
فَارَقْتُهُمْ ، وَهُمْ عَصَرُ الشَّبَابِ ، وَمَا مِنَ الشَّبَابِ وَلَا مِنْ عَصَرِهِ خَلْفُ
وَحَيْثُ كَانُوا ، وَشَطَّتْ دَارُهُمْ ، فَلَهُمْ مَنِي هَوَى بِسُودَا الْقَلْبِ مُلَحِحُ^(١)

قافية القاف

(١٦٩)

وقال :

لَوْ أَحْسَنُوا فِي مَلِكِنَا ، أَوْ اعْتَقُوا لَصَفَا لَهُمْ مِنْ وَدُنَا مَا رَفُّوا^(٢)
مَلَكْتُهُمْ رَقِي ، كَمَا حَكَمَ الْهَوَى فَاذِي اعْتَسَافُ^(٣) بِجَاهِلِمَ أَنْ يَرْفُفُوا
لَهَجُوا يَهْجَى فِي الدُّنُو ، كَانَتْهُمْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الزَّمَانَ يُفَرِّقُ
أَمْشِييَ بِاللَّحِظِ خَوْفَ رَقِيهِ وَالنَّمْعُ مِنْ أَجْضَانِهِ يَتَرَقُّقُ
قَدْ كُنْتُ أَخْضَعُ قَبْلَ بَيْنِكَ لِلنَّوَى فَالآنَ لَسْتُ مِنَ التَّمَرِّقِ أَفَرِّقُ
هَذِي النَّوَى ، قَدْ نَالِي مِنْ صَرْفِهَا مَا كُنْتُ مِنْهُ زَمَانَ وَصَلَكَ أَشَقُّ

ومنها :

وَيَسْبِغُنِي بَعْدَ انْدِمَالِ صَبَابِي وَرَقَاءُ مَا دَرَبَا قَضِيبُ مَوْرِقُ
عَجَاءُ ، تَنْطِقُ بِالْحَيْنِ ، وَلَمْ يَهْجُ شَوْقُ الْقُلُوبِ كَأَعْجَمِي يَنْطِقُ
بِي مَا بَهَا ، لَكِنْ كَتَمْتُ ، وَأَعْلَنْتُ وَدَمَوْعُهَا حُسْبَتْ ، وَدَمْعِي مُطْلَقُ

(١) تمام القصيدة في ص ١٨٣ .

(٢) رَقِي : كَذَر .

(٣) الاعتساف : الغلظ .

ومنها :

كَمْ دُونَ رَيعِكَ مَهْمَةٌ مُتَقَاذِفٌ تَشْقَى الزَّيَاكِبُ بِهِ ، وَهَيْدٌ سَمَلَقُ^(١)
مَلَّ الشَّرَى فِيهِ الصَّحَابُ ، فَهَرَسُوا وَالشَّوْقُ يُوْضِعُ بِي إِلَيْكَ ، وَيُعْرِقُ^(٢)
قَطَعْتَ إِلَيْكَ بِنَا الْمَطِيَّ ، وَحَنَّا أَشْوَاقُهَا ، وَالشَّوْقُ نَعْمَ السَّيْقُ
بَارَتْ مَطَارِحَ لِحْظِهَا ، فَيَحُلُّهَا السَّرَّانِي ، تَسَابَقَ لِحْظُهَا وَالْأَسْوَقُ^(٣)
تَسْكُو إِلَيْنَا شَوْقَهَا ، وَحَنِئَهَا وَلَرَكْبُهَا مِنْهَا أَحْنُ وَأَشْوَقُ
مَعْقُولَةٌ يَسِدُ الْغَرَامَ طَلِيقَةٌ هَلْ يُفْتَدِي ذَاكَ الْأَسِيرُ الْمَطْلُقُ
مُنَيْتٌ بِجَوْلِ غَرَامِنَا وَغَرَامِهَا فَهَجَشِمْتَ مَا لَا تُطْلِقُ الْأَيْتُ^(٤)

(١٧٠)

وقال :

يَا تَلْبُ ، كَمْ يَسْتَخْفُكَ الْقَلْقُ غَيْرُ جَمِيلٍ بِمَثَلِكَ الْخُرْقُ^(٥)
أَكَلْ هَذَا خَوْفَ الْفِرَاقِ ، وَهَلْ يُجَلِّى عَلَيْكَ الْحِذَارُ وَالْفِرْقُ
أَيْنَ تَصُونُ الْأَسْرَارَ فَيْكَ ، إِذَا تَحَكَّمَ الْوَجْدُ فَيْكَ وَالْخُرْقُ
لَكَ التَّائِي بِالنَّاسِ ، كَمْ عَثَرَ السُّدَّهْرُ بِشَمْلِ الْجَمِيعِ ، فَافْتَرَقُوا
مَا أَنْتَ بِدَعٍ فِي مَخْطِ سِيرَتِهِ كُلُّ عَلَى النَّهْرِ سَاخِطٌ حَقِيقُ
دَعْ ذَا ، فَصَبْرٌ عَنْ لَوْمِنَا صَمٌّ وَهُوَ بِنَا — مَا عَلِمْتَهُ — عُقُقُ^(٦)

(١) سَمَلَقُ : قَاعٌ مَصْفُوفٌ . وَالْمَهْمَةُ : الْهَازِلَةُ الْجَبِيَّةُ . وَمُتَقَاذِفٌ : تَهْدِفُ السَّائِرِينَ مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرٍ .

(٢) أَرْضَعْتَ النَّاقَةَ : أَمْرَعْتَ فِي سَبْعِهَا . وَأَعْرَقَ : أَسْرَعَ .

(٣) الْأَسْوَقُ : جَمْعُ سَاقٍ .

(٤) جَمْعُ نَاقَةٍ . وَانْظُرْ قَامَ الْقَصِيدَةِ ص ١٢٧ .

(٥) الْخُرْقُ بِالضَّمِّ : بِالْتَمَرِيقِ ، وَهِيَ الْرَقِيقَةُ ، وَالْأَيْمَنُ الرِّجْلُ السَّلْبُ وَالْأَمْرُ : وَالْجَنَى .

(٦) عَقَى : ضِدُّ بَرٍّ ، فَهُوَ حَاقٌ . وَحَقٌّ وَحَقٌّ حَرَكَةٌ وَبَضْمَتَانِ .

(١٧١)

وقال :

مَاذَا يَرُوعُكَ مِنْ وَجْدِي وَمِنْ قَلْبِي
هَناكَ بُرُوكَ مِنْ دَانِي، وَمِنْ سَقَمِي
إِنْ كُنْتَ قَدَّرْتَ أَنَّ الْحَبَّ مَوْرَدُهُ
لِتَسْتَبِيحَ مَلَامِي، أَوْ لِيَفْسَحَ لِي
لَا تَحْسَبَنَّ الْهَوَى مَا كُنْتَ تَسْمَعُهُ
هَذَا الْهَوَى، لَا هَوَى الْقَيْسَيْنِ^(١)، إِنَّمَا
فَإِنْ بَقِيْتُ، وَبِي مَابِي، فَقُلْ: رَجُلٌ
وَلِنْ أَتَانِي حِمَامٌ أَسْتَرِيحُ بِهِ
وَلَسْتُ أَشْكُو اضْطِرَابِي عِنْدَ نَائِيَةٍ
وَلِنَّمَا أَشْتَكِي دَهْرًا يُكَلِّفُنِي
يَرُوعُنِي كُلَّ يَوْمٍ بِالْفِرَاقِ، وَمَا
فَا غَدَوْتُ بِشَمْلٍ غَيْرِ جَمِيعِ
وَلَا تَبَسَّمْتُ، أَبْدَى لِلْعَدَا جَلَدًا
وَقَدْ خَرَضْتُ^(٢) بَعِيثِي مِنْ مُفَارَقَتِي

أَمْ مَا يَرِيْبُكَ مِنْ أَجْفَانِي الدَّقِيقِ
وَنَوْمُ جَفْنَيْكَ عَنْ هَمِّي، وَعَنْ أَرْقِي
سَهْلٌ فَإِنَّكَ مَغْرُورٌ بِهِ، فَذُقِ
سِدَادُ رَأْيِكَ فِي جَهْلِي، وَفِي نُرْقِي
مِنْ مُدَّجٍ لَمْ يُعَالِجْهُ، وَتُحْتَلِقِي
عَاشَا مَلِيًّا، وَذَا مُوَيْفٍ عَلَى رَمَقِي
فِي الْمَبِيتَيْنِ، وَلَكِنْ لِلشَّقَاءِ بَقِي
قَبَالَا مِئَةً لَلْوَبِ فِي عُقْنِي
وَلَا تُؤَادِي بِخَفَافِي، وَلَا قَلَقِ
مَالَا أَطِيقُ، فِعَالُ الْقَادِرِ الْحَنِيقِ
بِقَاءُ صَبْرِي مَعَ الرُّوعَاتِ وَالْفِرَقِ
إِلَّا وَرُحْتُ بِهِمْ غَيْرَ مُفْتَرِقِ
إِلَّا تَمَيَّزْتُ مِنْ غَيْظٍ وَمِنْ حَنَنِ
أَغْرَأْدِعَ طَلَقَ الرَّاحِمِينَ تَقِي^(٣)

(١) القيسان : قيس بن المرح ، وقيس بن خديج .

(٢) خرض كفرج : ضمير وعل .

(٣) باقى القصيدة ص ١٢٩ .

(١٧٢)

وقال :

ولمّا وقفنا للوداع عشيّةً وطرفي وقلبي أدمعٌ وخضوبٌ
بكيتُ ، فاضحكتُ الوشاةُ شِئانةً كَأَنِّي سحابٌ ، والوشاةُ بروقُ

(١٧٣)

وقال :

أَلِفَ الْقَلْبِ ، وَأَجَابَ دَاعِيَةَ النَّوَى قُبِلْتُ مِنْهُ بِهَجَرَةٍ وَفَرَاقٍ
وَالصَّبْرُ رَاحَتُهُ الْبُكَاءُ ، وَمُذْنَأَى لِمَنْ سَأَلَ عَنِّي أَنَحَلْتُ آمَأَى
لَوْ كُنْتُ أَطْمَعُ فِي بَقَاءِ عُهُودِهِ سَكَتَتْ بِلَالُ قَلْبِي انْخَفَأَتْ

(١٧٤)

وقال :

رَفَقًا بِلِقَابِ الصَّبِّ ، رَفَقًا هُوَ دُونَكُمْ بِالْيَمِينِ يَسْتَقِي
لَا تَحْسَبْنَهُ يَا خَلِيَّ الْقَلْبَ بَعْدَ الْبُعْدِ يَتَقِي
فِي زُمْرَةِ الشُّهَدَاءِ يُحْشَرُ فِي غَدٍّ ، إِنْ مَاتَ عَشَقًا

(١٧٥)

وقال ^(١) :

أَقُولُ لِلْعَيْنِ فِي يَوْمِ الْفَرَاقِ ، وَقَدْ فَاضَتْ بِدَمْعٍ عَلَى الْخُلْدَيْنِ مُسْتَتَقِي
تَزَوَّدِي الْيَوْمَ مِنْ تَوَدِّعِهِمْ نَظْرًا فَقِي غَدٍ تَفْرُغِي ^(٢) لِلدَّمْعِ وَالْأَرْقِ ^(٣)

(١) هذه القصيدة مما يروى لأسامة في الخريدة ١ : ١٠٤ . ومساك الأبحار ١٠ : ٣٠٠ .

(٢) في خريدة القصر (ثم أفرغى في غد ...) .

(٣) عبر عن هذا المصطلح في بيتين سبقا ص ٦٦ ، وآخرين ص ٧٤ . وهما رقم ١٢٧ و ١٤٦ .

(١٧٦)

وقال :

مَنْ مُبْلَغُ النَّانِي المَقِيمِ نَحْبَةً مِنْ رَاحِلِ شَاكٍ جَوَى أَشْوَاقِهِ
لَجَّجَ مَعَ الْيَأْسِ الْمُبِينِ بَذْكِرِهِ قَلَقِ الْحَسَا لِيَعَادَهُ خَفَاقِهِ
وَهُوَ انْخَلِيقُ بَأَن يَمُوتَ كَأَبَةٍ لَكِنَّ حُسْنَ الصَّبْرِ مِنْ أَخْلَاقِهِ

(١٧٧)

وقال :

أَحْبَابَنَا ، مَا لِي إِلَى الصَّبْرِ عَنْكُمْ دَلِيلٌ ، وَقَدْ ضَلَلْتُ عَلَى طَرِيقِهِ
فَهَلْ نَظَرَةٌ مِنْكُمْ عَلَى بَعْدِ دَارِكُمْ يُدَاوِي بِهَا صَبُّ الْفَوَادِ مَشُوقِهِ

(١٧٨)

وقال :

إِنْ تَقَطَّعَ الْيَوْمُ مِنْكَ عِلَاقَتِي فَأَنَا الْمُوَاصِلُ بِالْوَدَادِ الصَّادِقِ
أَرْضَى مِنْ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ رَغْبِي وَمَنْ الزَّيَارَةِ بِالْخِيَالِ الطَّارِقِ
هَذَا ، وَعِنْدِي لِلْفِرَاقِ مَا يُمُّ فِيهَا التَّجَمُّلُ وَالْعَزَاءُ مُفَارِقِي
وَالْأَمُّ فِي شَكْوَى جَوَايَ ، وَقَلْبًا يَحْطِى الْمَفَارِقُ بِالرَّافِقِ الرَّافِقِ
هَلْ يُغْنِيَنَّ صَبْرِي عَنِ الشَّكْوَى ، إِذَا شَكَتِ الْجَوَى زَفَرَاتُ قَلْبِي انْخِلَافِي
هَنِي ^(١) أَكْفَيْكَ زَفَرَتِي وَمَدَامِي مَا حِيلَتِي ، وَتَجَمُّلِ خَانِقِي !!
أَنَا كَالْحَمَامِ : تَبُوحُ ، حِينَ تُنُوحُ ، بِالشَّكْوَى ، وَلَمْ تَقْعُرْ لَهَا فَمَ نَاطِقِ

(١) هذا البيت وما بعده اختصاراً لأسأله في سلك الأبحار (١٠: ٦٠٣) .

(١٧٩)

وقال :

طَأَلْتُ يَدَ الْبَيْنِ فِي تَفْرِيقِ الْفَتَنَةِ قَالَهَا قَصْرَتْ عَنْ جَمْعِ مَا اقْتَرَفَا !
كَأَنَّ الْمَاءَ سَهْلٌ حِينَ تُهْرَقُ وَجَمْعُهُ مُعْجَزٌ مِنْ بَعْدِ مَا انْهَرَقَا
لَكِنْ قُدْرَةٌ مَنْ يَطْوِي الظَّلَامَ ^(١) عَنْ الدُّنْيَا ، وَيَنْشُرُ فِي آفَاقِهَا الْفَلَاقَ ^(٢) .
يَرُدُّ تَهْمِلِيَّ بِجَمْعًا ، وَقَلْبِي مَسْرُورًا ، وَيَايَسُ عُودِي كَاسِيًا وَرَقًا

(١٨٠)

وقال :

بِالْغُورِ أَهْلُكَ يَا بَيْنَ ، وَأَهْلُنَا بِالْأَبْرَقَيْنِ ، فَإِنَّ ابْنَ الْمُلْتَقَى !!
بَعْدَ الْمَزَارِ ، فَلَوْ سَرَى لِرِيَارِي طَيْفُ الْخِيَالِ ثَنَاهُ هُوَ الْمُرْتَقَى
كَمْ شَمْتُ بِرَقٍّ مِنْكَ أَخْلَفَ نَوْهَ قَبْلَ النَّوَى ، وَظَنَنْتُ ظَنًّا أَخْفَقَا
فَعَلَامَ أَجْرُعُ لِلْفِرَاقِ ، وَلِإِنِّي لَأَرَاهُ أَرَأَفَ بِالْقُلُوبِ وَأَرْفَقَا

(١٨١)

وقال :

كَمْ تَرْزِي ^(٣) وَلَمْ تَحْنِي يَا نَاقِ حَسْبُكَ ، قَدْ هَجَّتِ الْحَوَى وَالْأَشَوَاقِ
هِيَ النَّوَى ، فَا غَنَاءُ الْإِشْفَاقِ تَقَسَّمْنَا بِالْشَتَاتِ الْآفَاقِ
كَأَنَّا خَلَقُ ، وَنَحْنُ أَرْزَاقُ حَتَّى إِذَا أَدَى الْبُكَاءُ الْآمَاقِ
أَصْغَبَتِ الدَّارُ ، وَقَلْبِي مُشْتَاقِ مَا أَتَعَبَ الْحَامِلَ قَلْبًا تَوَاقِ
كَالْبَرَقِ ، مَشُوبَ الضَّرَامِ خَفَاقِ

(١) في الأصل الضياء تحريف والتصويب لآله مزحف شتتا في طامش الصفحة .

(٢) الفلق : الصبح . ^(٣) أُرْزِمَتْ النَّاقَةُ : حَفَّتْ عَلَى وَلَدِهَا .

(١٨٢)

وقال :

لَيْتَ مَنْ يَسْأَلُ جِيرَانَ النَّفَا هَلْ لَنَا بَعْدَ اقْتِرَاقِ مُلْتَقَى
عَانَتَنَا^(١) الدَّهْرُ ، فَاضْحَى شَمْلَنَا بَعْدَ مَا كَانَ جَمِيعًا فَرَقَا
وَهِيَ الْأَيَّامُ مِنْ عَادَاتِهَا رَدُّ صَفَرِ الْعَيْشِ طَرَفًا رَنَقَا^(٢)
كُلُّ شَيْءٍ غَيَّرَتْ مِنْهُ النَّوَى بَعْدَكُمْ إِلَّا الْهَوَى وَالْخُرَقَا
خَانَ فِيكُمْ حُسْنُ صَبْرِي ، وَوَفَى لَكُمْ الدَّمْعُ ، قَالَى : لَا رَقَا^(٣)
لَيْتَ مَنْ يَغِيظُ أَبْنَاءَ الْهَوَى ذَاقَ مَا يَلْقَوْنَ فِيهِ : مِنْ شَقَا

(١٨٣)

وقال :

أَشْتَاكُمْ ، فَإِذَا نَظَرْتُ إِلَيْكُمْ زَادَ الدُّنُو صَبَابِي وَشَوْقِي
فَتَى أَفِيقُ ، وَبَعْدَكُمْ يَذِكِي جَوَى قَلْبِي ، وَيُضْرِمُ شَوْقَهُ أَنْ تَلْتَقِي ؟!

(١٨٤)

وقال :

خَلِيلِي ، زُورَانِي "رُؤْيَقَةً" ، أَيْ إِلَيْهَا ، عَلَى قُرْبِ الزِّيَارَةِ ، شَيْقُ
خَلِيلِي ، مَا أَتَذَّ عَيْشًا ، وَلَا لَهُ إِذَا مَا نَأَتْ عَنِّي "رُؤْيَقَةً" - رَوْنُقُ
إِذَا بَرَزْتُ بَيْنَ النَّسَاءِ حَسِبْتُهَا هِيَ الشَّمْسُ ، أَوْ مِنْ وَجْهِهَا الشَّمْسُ تُنِيرُ
تُتَازَعُهُمْ تَرَرًا عَلَيْهِ سَكِينَةٌ وَتُعْرِضُ عَنْ لَمَعِ الْخَدِّ وَتُطْرَقُ

(١) عانتا : حداثا . (٢) الطوق : الماء الذي خوضته الإبل ويؤخذ فيه كالمطروق . والثرى : الكدر .

(٣) رقا الدمع : جف .

قافية الكاف

(١٨٥)

وقال (١) :

نَافَقْتُ دَهْرِي ، فَوَجَّهِي ضَاحِكُ جَدْلٍ طَلَّقَ ، وَقَلْبِي كَثِيبٌ ، مُكَمِّدٌ ، بَاكٍ
وَرَاحَةُ الْقَلْبِ فِي الشُّكْوَى ، وَلَسْتُهَا لَوْ أَمَكَنْتُ ، لَا تُسَاوِي ذِلَّةَ الشَّاكِي

(١٨٦)

وقال :

يَا قَلْبُ ، مَتَى كَدَّدَا عَلَيَّ مَنْ غَبَتْ عَنْهُ ، وَغَابَ عَنْكَ
لَا تَلْتَقِي بَدَلًا بِهِ وَسَيَلْتَنِي الْإِبْدَالُ مِنْكَ

قافية اللام

(١٨٧)

وقال :

لَا ذَنْبَ لِلصَّبِّ الْمَشُوقِ ، إِذَا بَدَتْ أَسْرَارُهُ ، يَوْمَ النَّوَى ، لِلْعُدْدِ
زَفْرَاتُهُ نَمَتْ ، وَلَمْ يُفْصَحْ بِمَا يُخْفِي ، بَخَاءِ الدَّمْعِ بِالْخَبْرِ الْجَلِي
أَفْتَى صَدُودُكَ فِي الدُّنُوِّ تَعْبِيرِي وَأَتَى الْفِرَاقُ فَبَزَّ حُسْنُ تَجْمِيلِ
فَالْعَمْرُ أَجْمَعُ بَيْنَ هَجْرِ مَالِفٍ مَاضٍ ، وَبَيْنَ آتِيٍّ مُسْتَقْبِلِ

(١) هذان البيتان ديواناً لأسامة في سيم الأدياب : ١٩٩ ، وتاريخ ابن عساكر : ١٧٣ .

(١٨٨)

وقال :

نَفْسِي الْفَدَاءُ لِمَنْ قَبْلَهُ عَجَلًا وَالْيَنْ يَعْجُبُ مِنْ وَجْدِي وَمِنْ عَجَلِي
فَقَالَ عَنِّي فِيهِ ، ثُمَّ عَرَّضَ لِي خَدًّا : بَرَى فِيهِ مَاءُ الْحَسَنِ وَالْخَجَلِ
فَأَخْضَلَتْ أَدْمِي تَوْرِيْدَ وَجْهِهِ فَرَادَ إِشْرَاقُ ذَاكَ الْوَرْدِ بِالْبَلْبَلِ
فَارْتَاعَ مِنْ حَرِّ أَفْهَامِي ، وَحُرْقَةِ أَحْشَانِي ، وَهَبَى فَاهُ الْعَذْبَ بِالْقُبْلِ
وَرَابَهُ مَا رَأَى مِنْ رَوْعِي ، فَبَكَى وَقَالَ : لَا كَانَ ذَا تَوْدِيْعٍ مُرَّجِلِ

(١٨٩)

وقال :

وَنَازِجٌ ، فِي فُرَادِي مِنْ هَوَاهُ صَدَى^(١) لَمْ يَرَوْ غُلْتَهُ بِالْعَلِّ وَالْتَهَل^(٢)
فِي فِيهِ مَا فِي جَنَانِ الْخُلْدِ مِنْ حُرْدٍ وَمِنْ أَفَاجٍ ، وَمِنْ تَعْمَرٍ ، وَمِنْ عَسَلِ
لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ الْيَنْ يَفْجُوْنِي رَوَيْتُ قَبْلَ الْتَوَى قَلْبِي مِنَ الْقَبْلِ

(١٩٠)

بِنَفْسِي عَذُولٌ . لَمْ فِيكُمْ ، فَرَدَّ لِي بِذِكْرِكُمْ رَوْحَ الْحَيَاةِ عَذُولُ
لَحَى نَاصِحًا فِيكُمْ ، فَادْكِي صَبَاحِي وَتُدْكِي الرِّيحَ النَّارَ . وَهِيَ بَلِيلُ
أَسُوفٍ^(٣) صَعِيدَ الْأَرْضِ ، إِذْ وَافَقَ اسْمُهُ صَعِيدًا بِهِ أَهْلُ الْحَبِيبِ تُزُولُ
وَأَعْدُو عَلَى أَسْوَانٍ^(٤) أَسْوَانٌ فِي الْحَشَا لِيُعْدَى عَنْهَا لَوْعَةٌ وَغَلِيلُ

(١) الصدى : العكس . (٢) ال : الشرب جد الشرب ، والتهل : أول الشرب .

(٣) الأسوف : الشم .

(٤) أسوان ، بضم الهزة ، مدينة سرورية بصعيد مصر . وأسوان بفتح الهزة : حزين .

قافية الميم

(١٩١)

وقال :

ما استَجْهَلْتَكَ مَعَالِمُ ورُسُومُ إِلَّا لِيُعْلَنَ سِرُّكَ المَكْتُومُ!
أَوْ بَعْدَ نَاهِيَةِ المَشِيبِ جَهَالَةٌ يَا بِي الوَقَارُ عَلَيْكَ والتَّحْلِيمُ!
مَا جُرَتْ فِي دَاخِلِ الشَّبَابِ، فَكَيْفَ إِذْ وَصَحْتَ بِقُودِكَ للشَّيْبِ نُجُومُ

ومنها :

أَعَوَّذِلْ، كُفُّوا، فَلَيْسَ بِمُسْمَى نُصَحْ، وَبَعْضُ التَّاحِصِينَ مَلُومُ
وَقَرَّتْ دَوَاعِي الِيبَنِ سَمِيَّ بَعْدَهُمْ فَلَنْ يُعْنَفَ نَاصِحٌ وَيَلُومُ!
لِي كُلِّ يَوْمٍ رَوْعَةٌ بِمَوَدِّعٍ وَنَوَى، فَهَيَّ طَارِفٌ وَقَدِيمُ
وَعَلَى الرُّكَّابِ مَا طُلَّ بِدِيُونِنَا عَسِرُ الْقَضَاءِ مَعَ الْيَسَارِ، ظُلُومُ
مُتَبَدِّلٌ عَنْ ذِي غُرُوبٍ^(١) وَاضِحٌ يُعْزَى إِلَيْهِ اللُّؤْلُؤُ الْمُنْظُومُ
فِي وَجْهِهِ مَاءُ الْمَلَاخَةِ حَازِرٌ فَقَلْبُونَا الظَّمَايَ عَلَيْهِ نَحُومُ
أَتَبْتَعُهُمْ قَرَحَى الْجَفُونِ كَلِيلَةً تُصْحِي بِدَمِي نَارَةً وَتَغِيْمُ
مَسْمُوءَةً^(٢) بِمَدَامِجِ حَالَتِ دَمًا فَكَاثِمًا إِنْسَانًا مَكْلُومُ
يَا نَازِحًا ضَنْ الزَّمَانُ بِقُرْبِهِ وَجَدِي عَلَيْكَ، وَإِنْ رَحَلْتَ، مُقِيمُ

(١) حله تخلياً : جعله حلياً أو أمره بالحلم .

(٢) غروب النجم : كثرة وقته وبه وجهه غروب ، وغروب الأستار مابق ريقها وقيل أطرافها وحديثها وما زاد .

(٣) جعل حيه : قضاها .

لى مقلّة قَدَيْتَ بِيْعَدِكَ ، بَرَّهَا فَيَضُ الدُّمُوعَ ، وَعَقَّهَا التَّهْوِيمُ^(١)
ساوَى بِعَادِكَ لَيْلَهَا وَنَهَارَهَا كُلُّ ، كَمَا قَضَتِ الْمَمُومُ ، بَهِيمُ
كَمْ أُنْشَأْتُ ذِكْرَكَ بَيْنَ جَوَانِحِي مِنْ زَفْرِ قَلْبِي بِهَا مَوْسُومُ
نَفْسُ يَقُومُ لَهُ اعْوِجَاجُ أَضَالِي وَيَضِيقُ عَنْ تَزَوَاتِهِ الْحَيْرُومُ^(٢)
مَا أَخْطَأْتُ فِيكَ التَّوَى عَادَاتِيَا لَكِنَّ تَغْرِيفُ^(٣) الْكَلُومِ أَلِيمُ

(١٩٢)

وقال :

إِنْ لَمْ تُطِيقَا يَوْمَ رَامَةٍ^(٤) أَنْ تُسْعِدَا ، فَذَرَا الْمَلَامَةَ
عَقَمَتَايَ أَنْتَ مَرْدٌ تُمْزِلُ أَقْصَى ذِمَامَةَ
هُوَ مَتَزِلُ الْأَحْبَابِ ، لَمْ يَدْعِ إِلَيَّ إِلَّا رَمَامَةَ
وَعَلَى حَقٍّ أَنْ تُصَا فَحُ حُبُّ أَجْفَانِي رَغَامَةَ
وَأَيْكَا ، لِأَرْوَيْنَ ، وَلَوْ سَحَّ دِمٌّ أَوَامَةً^(٥)
مَا الدَّمْعُ لِلْأَطْلَالِ لَكِنْ أَهْلُهَا أَجْرُوا سَجَامَةَ^(٦)
فَوَلَامَ لَوْمُكَا ! أَفَى رَغِي الْعُودَ عَلَى آمَةٍ^(٧)
وَاهَا لِقَلْبٍ لَا يَفُو زُبْلُوه ، تَشْفَى هِيَامَةَ
غَرَضًا لَيْنَ لَا يَزَا لُ مَقْرُطَسًا^(٨) فِيهِ سِهَامَةَ
أَبْدًا يَدُ الْأَيَّامِ تَقْصِفُ^(٩) كَلِمَا انْدَمَلَّتْ كِلَامَتُهُ^(١٠)

(١) التَّهْوِيمُ : حُرِّ الرُّؤْيَا مِنَ النَّاسِ .

(٢) الْحَيْرُومُ : حُرِّ الرُّؤْيَا مِنَ النَّاسِ .

(٣) الْقَرْفُ : التَّكْسِفُ فِي الْمَرْضِ . (٤) رَامَةٌ : مَوْضِعٌ بِالْبَادِيَةِ . (٥) الْأَوَامُ : شِدَّةُ الطَّشْرِ .

(٦) جَمُّ الدَّمْعِ جَمًّا : سَالَ تَلِيلًا أَوْ كَثِيرًا . (٧) الْأَمَةُ بِتَحْقِيفِ الْمِمْ : الْعَيْبُ قَالَ الشَّاعِرُ :

مَهْلَا آيَتِ الْفَنِّ مَهْلَا لَا إِنْ فَيَا لَتِ آمَةُ

(٨) فِي الْقَامُوسِ . الْقَرُطَاسُ : كُلُّ أَدَمٍ يَنْصَبُ لِلتَّضَالِ . وَدَى قَرُطَسُ أَمَابُ الْقَرُطَاسِ .

(٩) كَلَامٌ : جَمْعُ كَلِمٍ ، وَهُوَ الْبَرْجُ . وَبَاقِي الْقَصِيدَةِ فِي ص ١٤١ .

(١٩٣)

وقال :

لَمْ أَتُجْ بِهَوَاكَ قُلْنَ لَوَانِي : ذَا مُبْطِلٌ ، مَا لَكُمُ شَيْمَةٌ هَانِي
وإنْ أَدْعَى خَوْفَ الْوُشَاةِ ، فَمَا الْهَوَى لَنُكْدِيْنَ ، فَمَا لِأَبْنَاءِ الْهَوَى
شُكْلَتْ قُلُوبُهُمْ بِرَوْعَاتِ النَّوَى وَالْمُهْجَرِ عَنْ خَوْفِ الزَّمَانِ الْعَارِمِ^(١)
قَرَاهُمْ صَوْرًا كَطَلٍّ مَائِلٍ^(٢) : لَا يَرْعَوْنَ نَزَاجِرَ أَوْ لَائِمٍ
وَأَمَّا لِأَيَّامِ الْحَيِّ ، لَوْ أَنَّهَا دَامَتْ ، وَهَلْ عَيْشٌ يَسُرُّ يَدَانِي
إِذْ أَجْتَلَى الْقَمَرَ الْمُرْدَى بِالذَّبْحِ يَجْلُو الشُّمُوسَ عَلَى الْقَضِيبِ النَّاعِمِ
مُكْرَى بِنَظَرِهِ ، وَرَاجَ رُضَاهِ وَكُتُوسِهِ ، طَوْلَ الزَّمَانِ ، مُلَازِي
مَاغَالِ عَقْلِي [قَطْ]^(٣) سَحَرُ جُفُونِهِ إِلَّا جَعَلْتُ ذُوَابِنِهِ نَمَانِي
ثُمَّ اقْتَنَانَا بَعْتَهُ ، فَإِذَا الَّذِي كُنَّا نُسْرُ بِهِ فُكَاةً حَالِمِ

(١٩٤)

وقال :

أَحِبَابِنَا ، مُذْ أَفْرَدْتَنِي مِنْكُمْ صُرُوفُ اللَّيَالِي ، أَفْرَدْتَنِي بِالْهَمِّ
وَحَمَلْتُ ثَقْلَ الشَّوْقِ عَنْكُمْ ، وَأَخْنِي لِأَضْعَفُ عَنْ حَمْلِ التَّشَوُّقِ وَالسَّقَمِ
كَأَنَّ عَوْدًا^(٤) أَوْ هَنْ الثَّقَلُ حَصْبَهُ فَرَدُّوا عَلَيْهِ ثِقَلَهُنَّ عَلَى رَغَمِ

(١٩٥)

وقال :

قُلْ لِلَّذِينَ نَأَوَّا ، وَالْقَلْبُ دَارُهُمْ : وَجَدَانَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَ كُمْ عَدَمٌ^(٥)
جَهَلْتُ أَثَرِي بِكُمْ ، وَالِدَارُ دَانِيَةٌ حَتَّى إِذَا تَرَحَّتْ أَدْمَى يَدِي النَّدَمُ

(١) حرم : اشتد . (٢) مثل : زال عن موضعه . (٣) تكله لسقط بالأمل يقتضيه الوزن .
(٤) العود : المنس من الإبل والنا . (٥) عجزيت لثني صدره : " يا من يبرطينا أن نقادهم "

(١٩٦)

وقال :

كَمْ قَدْ جَزَعْتُ لِبَيْنٍ مِنْ فَارِقَتِهِ وَصَبِرْتُ عَنْهُ ، وَالْحَشَا يَتَضَرَّمُ
كَالْقَوْسِ تَرْمِي السَّهْمَ ، ثُمَّ تَرْنُ مِنْ جَزَعٍ ، وَيَبْدُو الْيَأْسُ مِنْهُ ، فَتَكْظُمُ
وَالْوَجْدُ لَوْ أَجْدَى عَلَى ذِي لَوْعَةٍ مَا مَاتَ بِالْكَهْدِ الْقَدِيمُ مَتَمُّ^(١)

(١٩٧)

وقال :

وَهَاجَ لِي الشَّوْقُ الْقَدِيمَ حَمَامَةً عَلَى غُصْنٍ فِي غَيْبَةِ^(٢) تَرْنُ
دَعَتْ شَجْوَهَا مَحْزُونَةً لَمْ تَغْضُ لَهَا دُمُوعٌ ، فَفَاضَتْ أَدْمُعِي ، مَرَّجَهَا دُمُ
فَقُلْتُ لَهَا : إِنْ كُنْتَ خِنَاءَ لَوْعَةٍ وَوَجِدًا قَوْنِي فِي الْبَكَاءِ مَتَمُّ^(٣)

(١٩٨)

وقال :

سَهَرْتُ بِمَجْرِيَّتِ^(٤) ، فَطَالَ لَيْلِي عَلَيَّ ، وَلَمْ يَطُلْ لَيْلُ الْيَأْسِ
أَفْكَرَ فِي مُفَارِقَتِي رِجَالًا هُمُ الْكُزَمَاءُ أَبْنَاءُ الْكِرَامِ
كَأَنَّ السَّهْمُ يَقْرُدُ بِإِعْتَادٍ لَتَزْعُ الْقَوْسُ ، مِنْ بَيْنِ السَّهَامِ

(١٩٩)

وقال ، بَارِضَ مَلَطِيَّةَ^(٥) ، بِإِزَاءِ الْجَبَلِ الْأَعْرَ :

مَالِي ، وَلِلْجَبَلِ الْأَعْرَ ، وَإِنَّمَا كُلُّ الْهَوَى جَبَلٌ أَشْمُ بَيْمٍ^(٦)
مَوْفٍ عَلَى أَرْضِ الشَّامِ ، كَأَنَّمَا جُودُ السَّحَابِ فِي ذُرَاهُ جُثُومُ

(١) هو تَمُّ بن نُويرة القتيبي حذو حذو فاعلا على أعين مالك ورواه رفاعه مؤثرا .

(٢) الغيبة : مجتمعة الشجر في منفض ماء . (٣) حسن في أقصى ديار بكر .

(٤) بلدة من بلاد الروم كانت تناغم الشام . (٥) البيم : الأسود .

ما زال مطرَحَ نَاطِرِي، حتى إذا
فَارَقْتُهُ، ونَايْتُ عَنْهُ، وَمَا نَأَى
وَإِذَا ذَكَرْتُ النَّازِلِينَ بِسَهْلِهِ
وَبِهِمْ، وَإِنْ شَطَّتْ نَوَايَ، أَهْمُ
دَارَتْ بِي الْأَرْضُ الْفَضَاءُ، كَأَتَمَّا
لَا حَتَّ بِقَوْدِي لِلشَّيْبِ مُجُومُ
وَجِدِي بِهِ، وَهَوَى الْكَرِيمِ كَرِيمُ
بِئِ الْمَوْمُ^(١) أَوْ لَعِبْتُ بِي الْخُرْطُومُ^(٢)

قافية النون

(٢٠٠)

وقال :

ما يُرِيدُ الشَّوْقُ مِنْ قَلْبٍ مُعْنَى
حَسْبُهُ مَا عِنْدَهُ : مِنْ شَوْقِهِ
كَلِمًا شَاهِدَ شَمَلًا جَامِعًا
عَاضَهُ الدَّهْرُ مِنَ الْقُرْبِ نَوَى
فَرَّقَنِي مِنْ رَحْمَةٍ عَاذَلُهُ
وَيَحْتَهُ مِنْ زَفَرَةٍ تَعْنَادُهُ
يَا زَمَانَ الْقُرْبِ، سُقِيَا لَكَ، مِنْ
لَمْ تَكُنْ إِلَّا كَطِيلِ زَائِلِ
سَاعَتَنَا مَا سَرَّنا مِنْ عَيْشِنَا
ذَكَرَ الْأَلْفَ وَالْوَصَلَ، لِحَنًا
وَكَفَاهُ مِنْ جَوَاهُ مَا أَجَنَّا
طَارَ شَوْقًا، وَهَفَا وَجَدًا، وَأَنَا
وَمِنَ الْغَبْطَةِ بِالْأَحْبَابِ حُرْنًا
وَرَأَى الْحَاسِدُ فِيهِ مَا نَمْنَى
وَهُمُومٍ جَمَّةٍ، تَطْرُقُ وَهْنًا^(٣)
زَمِنْ، لَوْ كَانَ قُرْبُ الدَّارِ أَغْنَى
وَالْمَسْرَاتُ ثَلَاثِي، ثُمَّ تَقْنَى
بَعْدَ مَا رَاقَ لَنَا مَرَأَى وَجَحَى

(١) الموم : الحمى .

(٢) الخُرطوم : الخمر .

(٣) الهم : العاطفة من الليل ، وقيل نحو من ضفة .

فاقترنا بعد ما كنا صدى
وكذا الأيام : من عاداتها
خلق للدمى : ما أولى امرأ
وكذا الباخل : ما أسدى يدا
قل لأحباب نأت دأرهم
ساء ظنى بأصطبارى بعدكم
لأبجئن الجوى من كبدي
وأذيلن^(١) : دموعاً لو رأيت
أسفاً ، لا بل حياةً أنى
لاصفاً لي العيش من بعدكم
وعجيب ، والثاني كونكم
حيث كنتم فقوادي دأركم

إن دعوتنا ، وكفانا قول : كذا
أنها تعقب سهل العيش حزننا
نعمة منه ، فلاة^(٢) ، وهنا
قط ، إلا كثر المن ، ومننا^(٣)
وعلى قريهم أفرع سننا :
ولقد كنت به أحسن ظناً
موضعاً لم يتبدل عزاً وضناً
فيضنّ المزن^(٤) خاتهن مرناً
بعدكم باق ، وإن أصبحت مضى
ما تمادت مدة الين وعشنا
أنكم منى إلى قلبي أدنى
وعلى أشباحكم أغرض جفنا

(٢٠١)

وقال :

ياناق ، شطت دأركم ، لحي
ما أرزمت^(٥) وهنا لفقد إليها
تذكرت الألفها ، فهيجت
أبكي اشتياقاً ، ونحن وحشة

وأعطني الوجد الذى نجي
إلا رمت جوارحي بوهن^(٦)
لأعج شوقي ، وذكرت خدني
فقد تيجاني حزنها وحزني

(١) ملاك الله حييك : منك به .

(٢) الحق : الإقام . ومن طيه : عدله ما فعله من الصانع .

(٣) أذال النى : أمانه .

(٤) المزن : السحاب ، أو أبيضه .

(٥) أرزت الثقة : حنت على ولدها .

(٦) الوهن : الضعف .

حَسْبُكَ قَدْ طَالَ الْحَيْنُ وَالْأَمْسَى
وَلَا تَمَلْ مِنْ مَسِيرٍ وَسَرَى
حَتَّى تُنَاجِيَ مَحْتِ بَانَاتِ الْحَمَى
أَهْوَى الْحَمَى، وَأَهْلَهُ ، وَبَانَهُ
شَطُوا، وَشَطَّتْ بِي دَارِي عَنْهُمْ
لَمْ يُذَكِّرُوا لِي قَطُّ إِلَّا امْتَلَأْتُ
وَمُمْ أَعَزُّ إِنْ نَأَوَا، وَإِنْ دَنَوَا
نَقَسَى فِدَاءً مِنْ أَوْرَى بِالْحَمَى
مُمْ، إِذَا قُلْتُ: سَقَى أَرْضَ الْحَمَى
صَنَاءُ بِهِمْ عَنْ أَنْ يَطُورُ^(١) ذَكَرَهُمْ
أَحْيَيْتُهُمْ مِنْ قَبْلِ يَنْجَابِ دَجَى
حُبًّا جَرَى بِجَرَى الْحَيَاةِ مِنْ دَيِ
فَلَوْ تَعَوَّضْتُ بِهِمْ عَصَرَ الْعَصَا
فَارَقْتُهُمْ أَشْغَفَ مَا كُنْتُ بِهِمْ
أَلْزَمُ كُنِّي قُرَادًا مَالَهُ
لَكُنِّي أَدْعُو بَلْعَ تَمَلُّنَا

وَمَا أَرَى طُولَ الْحَيْنِ يُغْنِي
فِي مَهْمِهِ سَهْلٍ وَغَيْرِ حَزَنِ
سَقَى الْحَمَى وَالْبَانَ صَوْبُ الْمَرْنِ
وَلِأَنْ نَأَيْتُ، وَتَنَاءَوْا عَنِّي
وَمُمْ إِلَى قَلْبِي أَدْنَى مِنِّي
بِالْدَّمْعِ أَجْفَانِي، وَقَالَتْ: بَقْلُنِي^(٢)
مِمَّا حَوَى خَلْبِي^(٣)، وَضَمَّ جَفْنِي
وَالْبَانَ عَنْ أَسْمَانِهِمْ وَأَسْكَنِي
وَبَانَهُ صَوْبُ الْحَيَاةِ، مَنْ أَغْنِي
بِمَسْمَحٍ ، وَمُمْ مَكَانُ الْعَيْنِ
فَوَدَى عَنِ الصَّبْحِ، وَيَبْزَى غُضُنِي
أَصَمَّ عَنْ كُلِّ نَصِيحٍ أَذْنِي
لَبَانَ فِي صَفْقَةِ بَيْتِي غَنِي
وَعَدْتُ قَدْ أَدَمْتُ بَنَاتِي سِنِي
مِنْ بَعْلِهِمْ رَوْحُ سَوَى التَّمِي
مُسِيرَ الشَّهْبِ ، وَمُجْرَى السُّفْنِ

(٢٠٢)

وقال^(٤) :

أَعْلَمْتُ مَا قُلْتُ بِهِ أَجْفَانَهُ سَحَّتْ ، فَبَاحَتْ بِالْهَوَى أَشْجَانَهُ
نَمَتْ عَلَى حَسْرَاتِهِ زَفْرَاتُهُ وَكَلَّا يَنْمُ عَلَى الصِّرَامِ دُخَانَهُ

(١) قتل : يكتفى . (٢) الغلب : الحيلة رقيقة تصل بين الأضلاع . (٣) طاريطور : حام ودنا .

(٤) اختار صاحب المصاحف لأسامة من هذه القصيدة الأبيات الثالث والرابع والتاسع والعاشر والعاشر

وَأَخُو الْهَوَىٰ مِثْلُ الْكَأَبِ: دَلِيلُ ذَا عُنْوَانُهُ
تَحْكِي الْبُرُوقُ نَوَادِهِ : فَضْرَامُهَا أَشْوَابُهُ . وَخُضْرُهَا خَفَقَاتُهُ
صَمِنَ الْهَوَىٰ أَلَّا يَزَالَ أَخَا ضَنِّي وَصَمَانَهُ ^(١) ، فَوَقَى بِذَلِكَ صَمَانَهُ
يَا مُدْعَى السُّلُوفِ عَنْ أَحْبَابِهِ أَيْنَ السُّلُوفُ ، وَأَيْنَ مِنْكَ أَوَانُهُ
شَطَطَتْ دِيَارُكَ عَنْهُمْ ، وَهَفَا بِكَ الشُّوقُ الْمَبْرُحُ ، وَالتَّظَلَّتْ نِيرَانُهُ
وَأَبَانَ بَيْنَهُمْ هَوَاكَ ، فَمَاعَسَى بِكَ فَاعِلُ هَذَا الْهَوَىٰ وَبَيَانُهُ
كَاتَمَتْ وَاشْيَكَ الْهَوَىٰ قَبْلَ النَّوَى قَبْدَالَهُ مِنْ بَعْدِهَا كِنَانُهُ
وَعَصَاكَ دَمْعُكَ عِنْدَ خَطَرَةِ ذِكْرِهِمْ وَيَقْدِرُ طَاعَتِكَ الْهَوَىٰ عَصِيَانُهُ
فَإِذَا تَبَادَرُ مِنْ جُفُونِكَ خِلَتَهُ فَقَدَاً وَهَى مَرَجَانُهُ وَحِمَانُهُ
لَوْ أَيْقَنَ الْحَقُّ الْحُسُودَ عَلَيْهِمْ حَظَّيْ لِحَالَتِ رَحْمَةٍ أَضْغَانُهُ ^(٢)
بَيْنَ الْمَحَبِّ وَبَيْنَهُمْ مِنْ هَجْرِهِمْ يَنْ طَوِيلُ بَرَحِهِ ^(٣) وَزَمَانُهُ
أَبْدَالُهُ مَلَكٌ ^(٤) الْقَرِيبُ ، مَعَ النَّوَى وَتَنَاسَى الثَّانِي ، وَهُمْ جِيرَانُهُ
وَتَخَلَّقَ الطَّبِيفُ الْعُرُوقَ يُخْلِفُهُمْ فَإِذَا أَلَمَ يَرُوعُنِي هِجْرَانُهُ
وَهُمُ الصَّبَا : أَيَّامُهُ مَحْبُوبَةٌ وَلَمَّا اعْتَدَى فِي غَيْهِ شَبِطَانُهُ
وَحَالُمُ كَفَّارَةٌ لِلْمَلَامِ وَالْهَجْرُ ذَنْبٌ يُرْتَجَى غُفْرَانُهُ
لَوْ يَعْلَمُونَ مَكَاتَهُمْ مَا أَضْرَمُوا قَلْبِي بِهَجْرِهِمْ وَهُمْ سُكَّانُهُ
وَلَهْلِهِمْ طَارَفُوا بَطُولَ صُدُودِهِمْ وَمَلَامِهِمْ طَرَفِي . وَهُمْ إِنْ سَأَلْتُهُ

(١) الضمّة : المرض .

(٢) أَمْنَان : جمع ضنن وهو الحقد .

(٣) البرح : التقدّد .

(٤) في الأصل (ملك) تحريف ولعل الصواب ما اختاره .

(٢٠٣)

وقال :

أَمْكَدَا أَنَا ، بَاقِيَ الْعَمْرِ مُغْتَرِبٌ نَاءٌ عَنِ الْأَهْلِ وَالْأُوطَانِ وَالسَّكَنِ
لَا نَسْتَقِرُّ جِيَادِي فِي مُعَرَّسِهَا^(١) حَتَّى أُرَوِّعَهَا بِالشَّدِّ وَالظَّلَعِنِ

(٢٠٤)

وقال :

أَيْنَ السُّرُورُ مِنَ الْمُرُوجِ بِالنَّوَى أَبَدًا ، فَلَا وَطَنٌ ، وَلَا خُلَّانٌ
عِيدُ الْبَرِّيَّةِ مَوْسِمٌ لِعَوِيلِهِ وَسُرُورُهُمْ فِيهِ لَهُ أَحْزَانُ
وَإِذَا رَأَى الشَّمْلَ الْجَمِيعَ تَرَاخَتْ فِي قَلْبِهِ الْأَمْوَاهُ وَالْتِيَانُ

(٢٠٥)

وقال :

قَسَمَ الْهَوَى دَهْرَ الْمُرُوجِ بِالنَّوَى شَعْرَيْنِ بَيْنَ شُؤْنِهِ وَشُجُونِهِ^(٢)
هُوَ فِي الدُّجَى كَالشَّمْعِ يَقْطُرُ دَمْعُهُ نَارًا ، فَتَحْرِقُهُ مِیَاهُ جُفُونِهِ
فَإِذَا بَدَا وَضَحُ الصَّبَاحِ رَأَيْتَهُ مِثْلَ الْحَمَامِ يُنُوحُ فَوْقَ غُصُونِهِ

(٢٠٦)

وقال بجماعة ، في جفلة أهلها من الروم ، وكان بداره أولادٌ لغلام له ، مات
في الزلزال رحمه الله ، وضمَّ أولاده إليه ، وكان فيهم طفلٌ اسمه منصور ،

(١) المعرس : البيت .

(٢) الشجون : جمع شجن ، وهو الحزن . والشئون : جمع شأن وهو مجرى الدعاء إلى العین .

وكان يَأْتُهُ ، بِحَقْلُوا مَعَ مَنْ جَفَلَ مِنَ الْأَهْلِ وَالْحَاشِيَةِ إِلَى قَلْعَةِ جُبَيْرٍ ،
وَمَنْصُورٍ مَعَهُمْ :

مَنْصُورٌ دَارُكَ أَفْخَعْتَ مِنْكَ مُوَحِّشَةً قَدْ أَفْخَرْتُ بَعْدَ سُكَّانٍ وَجِيرَانٍ
أَخْضَى الَّذِي كَانَ مِنْهَا أَمْسٍ أَفْخَعَكُنِي وَسَرَّيْ ، هَاجَ أَشْجَانِي وَأَبْكَانِي
عَهْدُهَا نَادِيًا لِلْهَوَى، مُجْتَمَعًا لِلْأَنْسِ ، مَلْعَبَ أَتْرَابٍ وَوِلْدَانٍ
فَأَصْبَحَتْ مَائِهَا مِمَّا عَهْدْتُ بِهَا سِوَى صَدَى ، كُلَّمَا نَادَيْتُ لِبَائِي

(٢٠٧)

وقال :

وَقَدْ أَفْرَدْتَنِي الْحَادِثَاتُ ، فَلَيْسَ لِي أَنْيْسٌ ، وَلَا فِي طَارِقِ الْخَطْبِ أَعْوَانُ
كَأَنِّي مِنْ غَيْرِ الْأَتْرَابِ ، نَبَتْ بَنَى الْبِلَادُ ، فَسَالِي فِي الْبَسِيطَةِ أَوْطَانُ
أَجُولُ ، كَمَا جَالَتْ قَدَاةٌ بِمُقَلَّةٍ وَأَسْرَى وَسَارَى النِّجْمِ فِي الْأَفْقِ حَيْرَانُ

قافية الهاء.

(٢٠٨)

وقال :

سَلَا قَلْبَهُ : مَا غَالَ حُسْنَ سُلُوهُ وَرَدَّاهُ فِي عَمَى الْهَوَى وَغُلُوهُ
وَمَا بِالْهُ يَشْكُو الْعِرَاقُ ؟ وَأَيْنَ مِنْ قَسَاوَتِهِ شَكْوَى الْهَوَى وَعُتُوهُ
وَمَا خِلْتَهُ مَهْوَى الْهَوَى وَمَقِيلُهُ وَمَأْوَى الْأَمْسَى وَالْبَثِّ عِنْدَ هُدُوهِ
تَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الصَّبَاحِ تُجْبَوُهُ وَيَأْوِي إِلَيْهِ الْهَمُّ عِنْدَ هُلُوهِ

بَفَقِي مَنْ أَهْدَى إِلَى نَجِيَّةٍ عَلَى بُعْدِهِ ، وَافَتْ بَرِيًّا^(١) دُنُوهُ
فَاذْكُرْ مَنْ لَمْ تُنْسِهْ عَهْدَهُ النَّوَى وَلَا طَمِعَتْ فِي يَأْسِهِ وَنُبُوهُ
يَحْنُ اشْتِيَاقًا بِالْأَصَابِلِ وَالضُّحَا وَيَرْتَاحُ فِي رَوْحَاتِهِ وَغُلُوهُ

(٢٠٩)

وقال :

أَلَا مَنْ لِحَادٍ ، وَالْمَوَارِدُ جَمَّةٌ لَهُ عَلٌّ^(٢) مِنْ بَرْدِهَا لَمْ يُرَوِّهِ
يُبَاقُ^(٣) عَلَيْهِ ، حِينَ يَسْمَعُ نَبَأَهُ بِذِكْرِهِمْ ، أَوْدَعُوهُ مِنْ مُنُوهِ
إِذَا مَا دَعَاهُ الشَّوْقُ نَحْرًا كَأَنَّمَا بِهِ الْمَوْتُ ، لَوْلَا أَنَّهُ الْمَنَآوَهُ

(٢١٠)

وقال^(٤) :

بُكَاءُ مِثْلِي مِنْ وَشِكِ النَّوَى سَفَهُ وَأَمْرُ صَبْرِي بَعْدَ الْيَنِّ مُشَدِّبُهُ
فَمَا يُسَوِّفُنِي فِي قُرْبِهِمْ أَمَلٌ وَلَيْسَ فِي الْيَأْسِ لِي رَوْحٌ وَلَا رَقَهُ
أَكْثِمِ النَّاسَ أَتْجَانِي ، وَأَحْسِبُهَا تَحْفَى ، قُتِلْتُهَا الْأَسْقَامُ وَالْوَلَهُ
كَأَنِّي مِنْ دُحُولِ الْهَمِّ فِي سِنَةٍ وَفَاطِرِي قَرِحُ الْأَجْضَانِ مُنْتَبِهُهُ
أَذْنَبْتُ ، ثُمَّ أَحَلَّتْ اللَّذْبَ مِنْ سَفَهُ عَلَى النَّوَى ، وَلَيْسَ الْعَادَةُ السَّفَهُ
أَقَمْتُ طَوْعًا وَسَارُوا ، ثُمَّ أَتَبَهُمْ^(٥) أَلَا^(٥) حَبَبْتُ نَوَاهُمْ حِينَمَا أَتَجَهَّوْا !

(١) إلها : الريح الطيبة .

(٢) الطل بحركة : الشربة الثانية ، أو الشرب بعد الشرب تباحا .

(٣) غين على قلبه غينا : غشى عليه .

(٤) رويت هذه القطعة في خرقة القصر أيضا : ١٠٤ .

(٥) في الخرقة « حلا » .

أَضْرَبِي نَظْرُي تَدْمَى حَاجِرُهُ وَخَاطِرُهُ، مُذْنَاوًا، حَيْرَانُ مُنْشِدُهُ
فَا يُلَانِمُ ذَا بَعْدَ النَّوَى فَرَحُ وَلَا يَرُوقُ لِهَذَا مَنَظَرُ تَرَهُ
سَقِيًّا لِدَهْرٍ ، نَعَمْنَا فِي غَضَابِهِ إِذْ فِي الْحَوَادِثِ عَمَّا سَاءَ نَا بَلَهُ
وَعَيْشُنَا لَمْ يُخَالِطْ صَفْوَهُ كَكْرُ وَوَدُنَا لَمْ تَشَبْ إِخْلَاصَهُ الشُّبْ
مَضَى ، وَجَاءَ زَمَانٌ لَا تُسْرِيه كُلُّ الْبَرِيَّةِ مِنْهُ^(١) فِي الَّذِي كَرِهُوا

(٢١١)

وقال :

يَا قَلْبُ، رَفَقًا بِمَا أَبْقَيْتَ مِنْ جَلْدِي كَمْ ذَا الْحَيْنِ إِلَى مَنْ أَنْتَ مَنَوَاهُ
مَآغِبَ عَنِّي، فَأَتَسَاءُ، وَلَسْتُ أَرَى فِي الْخَلْقِ لِي عِوَضًا عَنْهُ ، فَاسْلَاهُ
قَدْ كُنْتُ فِي الْقُرْبِ أَرْعَاهُ، وَأَحْفَظُهُ وَمُذْ بَعُدْتُ تَوَلَّى حَفَظَهُ اللَّهُ

(٢١٢)

وقال :

مَا وَجَدُ مِنْ فَارَقٍ أَحْبَابَهُ كَوَجَدُ مِنْ فَارَقٍ رَوْحَ الْحَيَاةِ
فَارَقْتُ مَنْ أَمْوَالُهُ عِنْدَهُ عَارِيَةً مَضْمُونَةً لِلْعُقَاةِ
مَنْ طَابَ لِلْجَنَانِ جَنَاهُ ، وَمَنْ كَفَّرَ بِالْعَقْرِ ذُنُوبَ الْجَنَانَةِ
أَعَزُّ مِنْ أَجْفَانِ عَيْنِي عَلَى عَيْنِي ، وَمِنْ قَلْبِ حِبَاهُ هَوَاهُ
إِذَا مَدَحْنَا مَا جَدَّا غَيْرَهُ فَأُردْنَا بِمَدِيحِ سِوَاهُ
فَنِيسَاوِي فَقَدْ هَذَا بِحَبْوِ بِ إِذَا مَا غَابَ عَنْهُ سَلَاةُ

(١) في الأصل « منها » تحريف ، والصواب من نسخة النسخ .

قافية الألف المقصورة

(٢١٣)

وقال :

يَأْبَى هَوًى فَارَقْتُهُ ، وَلِئْلِهِ	لَوْ كَانَ يُوجَدُ مِثْلُهُ ، خَلَقَ الْهَوَى
حَازَ الْجَمَالَ بِأَسْرِهِ ، لَمْ يَحْوَ مِنْ	قَتَنِ الْمَلَاةِ يُوسُفُ مَا قَدَحَوَى
فِي الْقَلْبِ مِنْهُ غُلَّةٌ ، فَلَوْ اغْتَدَى	فِي مَاءِ خَدِيدِهِ غَرِيقًا ، مَا ارْتَوَى
يَلْحَى عَلَيْهِ خَلٌّ بِإِلٍ مَا دَرَى	دَمَعَ الْغَرَامَ ، وَلَا دَرَى كَيْفَ الْجَوَى
مَتَكَلَّفٌ مَقَّتَ النَّصِيحَةَ ، مَا لَهُ	رُشْدُ الْمَحَبِّ ، وَلَا عَلَيْهِ إِنْ غَوَى
وَأَنَا الْمَرْوَعُ بِالنَّوَى ، لَوْ أَتَيْتِ	أَحْيَيْتَهَا لِحَرَّتْ فِرْقَتُهَا نَوَى
فَعَلَامَ يَلْحَى اللَّائِمُونَ بِجَهْلِهِمْ	مَنْ جُرْحُهُ فِي الْحَبِّ عَنْدهُمْ شَوَى ^(١)

• •

(١) النوى : الأمر المكين .

ما قاله في المكاتبات ، وما يتخَرَّطُ في سلكها من المعاتبات

قافية الهزرة

(٢١٤)

قال ، وكتب بها إلى شمس الدولة أبي الحارث عبد الرحمن ابن أخيه نجم الدولة أبي عبد الله محمد بن مُرْشِد ، وكان سار إلى مصر ، وسار هو إلى الحجاز سنة خمس وخمسين وخمسمائة :

لَنْ غَرَبَتْ شَمْسِي الْمَنِيرَةُ فِي النَّوَى	فَلَيْلِي وَصُبْحِي فِي الظَّلَامِ سَوَاءُ
فَنِي أَسْوَدَتِي قَلْبِي وَطَرَفِي مَحَلُّهُ	وَإِنْ بَعُدَتْ أَرْضُ بَنَاءٍ وَسَمَاءُ
تَرْحَلُ غَرْبًا ، وَارْتَحَلْتُ مُشْرِقًا	وَحُلْفُ ارْتِحَالِ الظَّاعِنِينَ عَنَاءُ
إِذَا زَادَنَا الْقُرْحَالُ بُعْدًا ، فَمَا الَّذِي	يُقَرِّبُنَا إِنْ كَانَ كَانَتْ لِقَاءُ
يَلَى ، إِنْ لُطِفَ اللَّهُ بِجَمْعِ شَمَلْنَا الشَّ	تَيْتَ ، وَيُدْنِي الدَّارَ كَيْفَ يَشَاءُ

قافية الباء

(٢١٥)

وقال^(١) :

لَمْ يَبْقَ لِي فِي هَوَاكُمُ أَرْبُ	سَلَوْتُكُمْ وَالْقُلُوبُ تَنْقَلِبُ
وَضَعْتُ عَنِّي أَنْقَالَ حُبِّكُمْ	وَحَامِلُ الْحَبِّ مُثْقَلٌ تَعَبُ
وَرَدَى قَلْبِي بِوَدِّكُمْ ، وَغَضَى أَجْفًا	نِي عَلَيْهِ ، مِنْ فَعْلِكُمْ عَجَبُ

(١) هذا الشعر من مرويات باقوت : ١٩٦ : ١ والخريدة : ١٠٠ : ١ مع اختلاف في الترتيب وقد ذكرنا المثلث والأربعة الأبيات الأخيرة .

إِلَّامَ دَمْعِي مِنْ هَجْرِكُمْ سَرِبُ قَانٍ ، وَقَلْبِي مِنْ غَدْرِكُمْ يَجِبُ
 إِنْ كَانَ هَذَا لِأَنْ تَعْبَدَنِي الْحُبُّ ، فَقَدْ أَعْتَقَنِي الرَّبُّ
 أَرْجُوْنِي^(١) نَهَجَ السُّلُوْ ، وَقَدْ كَانَتْ بِي الطُّرُقُ عَنْهُ تَشَعَّبُ
 أَحْيَيْتُكُمْ فَوْقَ مَا تَوْهَّمَهُ النَّاسُ ، وَخُتِمَ أَوْعَافُ مَا حَبَسُوا

(٢١٦)

وكتب إلى صديقي له :

وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَرَاكَ ، وَبَيْنَنَا مَقَاوِزُ أَدْنَاهَا الشَّنَاحِبُ^(٢) وَالسَّهْبُ^(٣)
 فَلَمَّا تَدَانَيْنَا يَكُنْتُ ، وَزَادَنِي تَبَارِجُ شَوْقِي ضَمْتُ دَرْعًا بِهَا ، الْقُرْبُ

(٢١٧)

وقال^(٤) :

تَبَدَّلُ^(٥) ، حَتَّى قَدْ مَلَلْتُ دِتَابَهُ وَأَعْرَضْتُ عَنْهُ ، لَا أُرِيدُ اقْتِرَابَهُ
 إِذَا سَقَطْتُ مِنْ مَفْرِقِ الْمَرْشَعَةِ تَأَفَّفَ مِنْهَا أَنْ تَمَسَّ شِيَابَهُ

(٢١٨)

وكتب إلى أخيه عز السولة :

أَيَا نَارِجًا لَمْ أَحْتَسِبْ بَعْدَ دَارِهِ وَقَدْ كَانَ ، لَوْنِلْتُ الْمُتَى ، قُرْبُهُ حَسْبِي
 تَعَرَّضْتُ لِأَخْطَارِ دُونَ لِقَائِنَا وَصَدَّ النَّتَانِي عَنْ مُوَاصَلَةِ الْكُتُبِ
 وَقَدْ صَارَ يَأْنِي بَعْدَ حَوْلِ مُجْرِمٍ^(٦) كِتَابُكَ مَقْصُورًا عَلَى اللَّوْمِ وَالْعَتَبِ
 فَيَا أُنْسَ قَلْبِي ، لَا تَرِدْنِي وَحْشَةً وَيَا رَوْحَ كَرْنِي ، لَا تَكُنْ سَبَبَ الْكَرْبِ

(١) الرواية في باقوت ونريدة القصر "أوصتم لي سبل السلو" .

(٢) الشنوية : رأس الجبل . والجمع شناخيب .

(٣) السهب : الغلالة .

(٤) مما رواه البراء لأسامة في الخريدة .

(٥) في الخريدة (تجزم) .

(٦) يقال حول مجرم كظم : تام .

(٢١٩)

وكتبَ إلى صديقي له :

يَا مَنْ بِهِ سَلَوْنِي عَنْ كُلِّ مُفْتَقِدٍ وَمَنْ مَوَدَّتْهُ أَدْنَى مِنَ النَّسَبِ
شَكَوْتَ هَمَّكَ بِي لِمَا اسْتَكَيْتُ، فَلَا زِلْتَ الْمُوقَى مِنَ الْآلَامِ وَالنُّوبِ
أَبْلَ جَسَمِي مِنْ أَوْصَايِهِ ، وَأَرَى قَلْبِي مِنَ الْهَمِّ لَا يَنْفَكُ ذَا وَصَبِ
وَدَاؤُهُ بَاطِنٌ ، لَا طِبَّ يُلْغُهُ إِنْ لَمْ يَدَارِكْهُ لَطْفٌ غَيْرُ مُحْتَسَبِ
وَمَا الَّذِي نَالَهُ مِنْ دَانِهِ عَجَبٌ لَكِنْ سَلَامَتُهُ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ

(٢٢٠)

وقال ، وكتب بها إلى ابن أخيه شمس النولة ، وقد سيره إلى مصر ،
لى الملك الصالح :

أَيَا غَائِبًا ، يُدْنِيهِ شَوْقِي عَلَى التَّوَى لَأَنْتَ إِلَى قَلْبِي مِنَ الْفِكْرِ أَقْرَبُ
وَمَا غَابَ مِنْ أَفْقَاهُ : عَيْنِي وَخَاطِرِي لَهُ مَطْلَعٌ مِنْ ذَا ، وَفِي تِلْكَ مَغْرَبُ
غَبَطْتُكَ نَعْمَى ، فَرَّتْ دُونِي بَنِيْلَهَا وَغَفَرًا، لَهُ ذَيْلٌ عَلَى السُّحْبِ يُسْحَبُ
جَوَارِكَ مَنْ يَجْمَعِي عَلَى الدَّهْرِ جَارَهُ وَيَطْلُبُ مِنْهُ جُودُهُ كَيْفَ يَطْلُبُ
هُوَ الْبَحْرُ، تَرَوَى الْأَرْضُ عِنْدَ سُكُونِهِ وَتَغْرَقُ فِي تَيَّارِهِ حِينَ يَغْضَبُ
فَمَنْ لِي لَوْ كُنْتُ الرَّسُولَ بِرَأْيِهِ لَتُبْرِدَ رُؤْيَاهُ حَشَا تَلْهَبُ
وَأُبْلَغُ مَا أَتَقَفْتُ فِي أَمَلِي لَهُ مِنْ الْعُمْرِ عَشْرًا ، كَأَنَّهَا لِي مُتَعَبُ
فَارَقْتُ لِي فِيهَا نَسِيمُ أَصَائِلِي وَلَا رَاقَ لِي فِيهَا مِنَ الْهَمِّ مَشْرَبُ

ولولا رجاء الصالح الملك الذي به طال، واستعلى على الشرق مغرب
وأني سآوى من حماه إلى حمي يرى كل خطيب دونه يتذبذب
لئت، وما موتى عجيب، وقد نأت بي الدارعه ، بل بقائي أعجب

(٢٢١)

وقال ، وكتب بها إلى الوزير نظام الدين أبي الكرام المحسن بن الحسين بن
أبي المضاه (رحمه الله) في صدر كتاب :

وما سكنت نفسي إلى الصبر عنكم ولا رصيت بعد الديار من القرب
ولكن أياي قضت سئلتنا ففارقكم جسي ، وجاوركم قلبي
ولو جمعنا الدار بعد تفرق لكثمن من الدنيا ونعمتها حسبي
فوقف عليها الملك الصالح (رحمه الله) ، وأجاب عنها بهذه القصيدة :

من اليوم لا أغتر ما عشت بالحُب ولا أطلب الغنى^(١) من الخل بالعقب
ولا أرتضى بالبعد من ذي مودة وأقع منه بالرسائل والكتب
ولا سيما إن قال لي متصفا : ففارقكم جسي ، وجاوركم قلبي
على أنني قد قلت حين أجبه بلا حكمة : ما أشبه العذر بالذنب
أخلى ، لو رمت دنوا لما أبي سرى العيس^(٢) ، بل ركض المطهمة القب
ولكنكم يتم وفاء بغدرة غداة اشتريتم وحشة البعد بالقرب
عليكم سلام الله ، إن أعادكم لأعظم ما قد كان من ذلك الخطب

(١) الغنى : الرضا .

(٢) العيس : الإبل اليس يتألف يانها شقرة . والمطهمة : الباعة الجال . والعقب : الخيل المرتفعة .

وَلَوْ أَنَّا كُنَّا فَلَقْنَا هُم نَكُنْ
 عَلَى أَنَّهُ قَدْ نَالَ بِالْعَدْرِ مِنْ بَنِي
 وَهْل نَالَ مِنْهُمْ آلُ حَرْبٍ وَغَيْرُهُمْ
 عَدَا وَالْعَا^(١) كَالْكَلْبِ ظُلْمًا وَحَزَبَهُ
 وَيَالَيْتَهُ ، لَوْ كَانَتْ فِيهِ مِنَ الْوَقَا
 وَحَاشَاكُمْ ، مَا خُتِمَ الْعَهْدَ مَثَلَهُ
 وَمِنْ مِثْلِ مَا قَدْ نَالَكُمْ مِنْ ذَنْبِهِ
 وَمَا رَوْضَةٌ غَنَاءُ هَبْ نَسِيمَهَا
 سَقَاهَا الْحَيَا مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ مُزْنَةً
 فَاضْتَحَتْ تُغَوِّرُ الْأَفْهَانَ صَفِيلَةً
 بِأَحْسَنِ ، مَجْدَ الدِّينِ ، مِمَّا تَصَرَّفَتْ
 وَمَا هُوَ إِلَّا الشَّمْسُ أُخْضِيَ زُورُنَا
 أَحْبَابَنَا ، يَاطَالُ مَا كَانَ قَرَبُكُمْ
 وَكُتِمَ إِلَى قَلْبِي ، إِذَا مَا لَقَيْتُكُمْ
 زَكَمْتُ مُدَوِّهَ النَّيْلِ ، يَرَوِي بِهَا الظَّمَا
 هُوَ الْآيَةُ الْعَظِيمَى الَّتِي دَلَّ حَكْمُهَا
 بِحَيْثُ الْأَمَانَى لَيْسَ تُخْلَفُ سَحْبُهَا
 وَمَا اعْتَصَمْتُ مِنْهُمْ عُدَاةً نَقَلْتُمْ
 وَإِنِّي عَلَى مَا قَدْ عَهْدُهُمْ مُحَافِظٌ

نُظَاهِرُ دُونَ النَّاسِ عَهَاسٌ^(٢) بِالْحَرْبِ
 نَجَّى الْهَدَى مَا لَمْ يَنْتَلِهُ بَنُو حَرْبٍ^(٣)
 مِنَ النَّاسِ فَوْقَ الْقَتْلِ وَالسَّهْرِ وَالنَّهْبِ
 دِمَاءَهُمْ ، لِاحَاطَهُ اللَّهُ مِنْ حَزَبِ
 لِمَالِكِهِ بَعْضُ الَّذِي هُوَ فِي الْكَلْبِ
 وَلَا لَكُمْ فِيمَا جَرَى مِنْهُ مِنْ ذَنْبٍ
 يُحَافِرُ أَنْ تَدْنُو الصَّحَاحُ مِنَ الْجَرْبِ
 عَلِيلًا ، فَلَمْ يُوقِظْ بِهَا نَائِمَ التُّرْبِ
 كَأَيَّمَانَا ، لِمَا هَمَّتْ بِنْدَى سَكَبِ
 تَضَاحِكُ فِي أَرْجَانِهَا أَوْجَهَ الشَّرِبِ^(٤)
 بَنَانُكَ فِي تَقْوِيفِ أَمْرِهِ الْقُسْبِ
 بِمَسْرَاهُ مِنْ شَرْقِ الْبِلَادِ إِلَى الْغَرْبِ
 إِلَى مِنْ الدُّنْيَا وَنَعْمَتِهَا حَسْبِي
 عَلَى ظُلْمٍ ، أَشْمَى مِنَ الْبَارِدِ الْعَذْبِ
 وَيُخْلِفُهَا مِنْ جُودَتِهَا النَّيْلُ فِي الْبَحْدِ
 بِأَوْطَانِنَا أَنْتَ الْعَنَاءَةُ لِلرَّبِّ
 بِسُقْيَا ، إِذَا مَا أَخْطَفَتْ دَرَّةَ السُّحْبِ
 بِكُرِهِ إِلَى جَدْبِ الْبِلَادِ مِنَ الْخُصْبِ
 عَلَى الْوَدِّ مِنْكُمْ فِي بَعَادٍ وَفِي قُرْبِ

(٢) هم بنو أمية .

(١) هو الوزير عباس الصنهاجى . راجع المقدمة .

(٣) ولغ الكلب في الإماء : شرب ما فيه بأطراف لسانه .

(٤) الشرب : الشارون .

أَحْنُ إِلَى أَخْلَاقِكُمْ ، وَأَعُدُّكُمْ بَلَا مَرِيَّةٍ مِنْ جُمْلَةِ الْأَهْلِ لَا الْعَصَبِ
 أُسَامَةُ^(١) لِي مِنْهُ اعْتَرَامُ أُسَامَةٍ وَمَرْهَفُ^(٢) فِيهِ هَزَةُ الْمَرْهَفِ الْعَصَبِ^(٣)
 فَإِنْ تَبْعُدُوا عَنَّا ، فَنَحْفِظْ رِبَكُمْ وَإِنْ تَقْرُبُوا مِنَّا فَنَزِلِ الرَّحْبِ
 (٢٢٢)

وقال :

لَتَنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ الْمَشَيْتَ شَمَلَنَا فَأَصْبَحْتُ فِي شَرْقٍ ، وَأَمْسَيْتُ فِي غَرْبِ
 لَقَدْ عَزَّهُ تَهْرِيقُ صَدَقٍ وَدَنَا وَأَعِزَّهُ إِبْعَادُ قَلْبِكَ مِنْ قَلْبِي
 (٢٢٣)

وقال ، وكتب بها إلى صديقين له ، سأله السَّفَارَةَ عند بعض الأمراء ، لرجل
 سأله ذلك ، فتأخر جوابه :

أَبَا الْبَرَكَاتِ ، لِي مَوْلَى جَوَادُ مواهبُهُ كَنَهْلُ السَّحَابِ
 يُحْكَمُ فِي مَكَارِمِهِ الْأَمَانِي وَلَوْ كَلَّمْتَهُ رَدَّ الشَّبَابِ
 قَلَّ بَالِي أَرَى مَا أَبْتَغِيهِ بَعِيدًا عِنْدَ مُنْقَطَعِ السَّرَابِ
 وَعَدْرُكَ فِي قَضَائِي شُغْلِي قَضَاءُ يُصَرِّفُهُ ، قَلَّ عُنْرُ الْجَوَابِ
 (٢٢٤)

وقال :

لِي صَدِيقٌ أَفْضَى إِلَيْهِ بِسَرِّي وَخَبَايَا صَدْرِي وَمَكُونِ قَلْبِي
 لَا أَرَى دَوْنَهُ لِسَرِّي مِثْرًا فِي مُتَاجِرِهِ وَمُضْمُونِ كُتْبِي

(١) أُسَامَةُ فِي أَوَّلِ الْبَيْتِ هُوَ ابْنُ مَقْدُ ، وَقَطَعَ أُسَامَةُ بَعْدَهُ يَرِيدُ بِهِ الْأَمَدَ .

(٢) هُوَ مَرْهَفُ بْنُ أُسَامَةَ .

(٣) الْمَرْهَفُ : السِّيفُ الْمُنْفِقُ . وَالْعَصَبُ : الْقَاتِلُ .

لو أَتَيْتَنِي صَحِيفَتِي فِي حَيَاتِي قُلْتُ : خُذْهَا ، فَانْظُرْ قِبَاعِي ذَنْبِي
وَهُوَ إِنِّ جَاءَهُ كِتَابٌ طَوَاهُ وَطَوَاهُ عَنِّي اطْرَاحًا لِعَنَتِي
وَأَرَى أَنْتَ كُتِبَ لَيْسَ فِيهَا غَيْرُ سَيِّئِي ، وَغَيْرُ نَقِصِي وَتَلِي
فَلِهَذَا عَذَرْتُهُ ، وَلَعَمْرِي إِنَّ عَذْرِي لَمَوْءُومٌ مِثْلُ ضَرْبِي

قافية التاء.

(٢٢٥)

وقال (١) :

وما أَشْكُو تَلَوْنَ أَهْلِي وَدَيَّ وَلَوْ أَجَدْتُ شَكَايَتَهُمْ شَكَوْتُ
مَلَلْتُ عَنَابَهُمْ ، وَبَأْسَتْ مِنْهُمْ فَمَا أَرْجُوهُمْ فِيمَنْ رَجَوْتُ
إِذَا أَدَمْتُ قَوَارِصَهُمْ فَوَادِي كَقَطْمَتْ عَلَى أَذَاهُمْ ، وَانْطَوَيْتُ
وَرُحْتُ عَلَيْهِمْ طَلَقَ الْحَيَا كَأَنِّي مَا سَمِعْتُ وَلَا رَأَيْتُ
تَجَبَّوْا لِي ذُنُوبًا مَا جَنَّتْهَا يَدَايَ ، وَلَا أَمَرْتُ ، وَلَا نَهَيْتُ
وَلَا وَاللَّهِ ، مَا أَضْمَرْتُ غَدْرًا كَمَا قَدْ أَظْهَرُوهُ ، وَلَا نَوَيْتُ
وَيَوْمَ الْحَشْرِ مَوْعِدُنَا ، وَتَبَلَّوْا صَحِيفَةً مَا جَنَّوْهُ وَمَا جَنَيْتُ

قافية التاء.

(٢٢٦)

وقال، وكتب بها إلى أخيه بهاء النُّوْلَةِ، أَبِي الْمَغِيثِ مُنْقِذٍ (رحمه الله تعالى) :
أَيَا مُنْقِذِي، وَالْحَادِثَاتُ تَنْوِشُنِي^(٢) . وَدَافِعَ هُمِي إِذْ تَرَادَفَ بَعَثُهُ
لِسَانِي عَنْ شَكْرِي أَيَادِيكَ مُقْعَمٍ وَأَنْتَ ، فَاعْلَى مِنْ ثَنَاءِ أَبْنَيْهِ

(١) رويت من هذه القصيدة في مسالك الأبحار (١٠ : ٥٠٧) الأبيات الأربعة الأولى .
(٢) النوش : التناول والطلب .

تَحَمَّلَتْ عَنِّي كُلَّ خَطْبٍ يَثُودُنِي^(١) وَتَاهَلَّتَنِي^(٢) عَيْشِي ، وَقَدْ بَانَ حُجْبُهُ
فَلَدَى لَكَ ، يَا طَوَّاعَ الْإِخَاءِ أَمِيَّةَ عَلَى غَيْبِهِ ، مُسْتَكْرَهُ الْوَدِّ رَهْ
نَسِي لِمَا يُؤَلِّي ، وَمَا طَالَ عَهْدُهُ مُلُولٌ لِمَنْ يَهْوَى ، وَمَادَامَ لَبَهُ
وَمَا أَشْنَكِي شَوْقِي إِلَيْكَ مُجَلِّدًا عَلَى أَنَّهُ بَلْبَالٌ قَلْبِي وَبَثُهُ
وَقَاسَمَنِي قَلْبِي عَلَى الصَّبْرِ عَنْكُمْ وَلَا عَجَبٌ إِنْ بَانَ بِعَدِّكَ حِثُّهُ
وَمَا زَالَ يَتْنَبِّهُ إِلَيْكَ حِفَاطُهُ وَغَدْرُ صُرُوفِ الدَّهْرِ عَنْكَ تَحْتُهُ
وَشَارَكَنِي فِيهِ هَوَاكَ ، فَهَمُّهُ وَأَفْكَارُهُ عِنْدِي ، وَعِنْدَكَ مُكْتُهُ
وَمَا ضَعُفَتْنِي الْحَادِثَاتُ ، وَإِنِّي كَعَهْدِكَ : وَغَرُّ الْخَلْقِ فِي الْخَطْبِ وَعَثُّهُ
جَرَى عَلَى الْأَهْوَالِ ، وَالْمَوْتُ مُحِجُّ مَرِيرُ الْقَوَى ، وَاللَّهْرُ قَدْ بَانَ نَكْتُهُ
كَظُلْمٍ عَلَى غَيْظٍ يَضِيقُ بِهِ الْحَشَا فَلَسْتُ ، وَإِنْ آد^(٣) اصْطَبَارِي ، أَبْثُهُ
وَلَمْ أَرِثِ الصَّبْرَ الْجَمِيلَ كَلَالَةً وَلَكِنَّهُ عَن مَّرْشِدٍ^(٤) لِي إِرْثُهُ
عَنِ الْمُتَرَيِّ أَخْلَافَ دَهْرٍ تَسَابَهَتْ أَطَائِيهِ ، إِلَّا عَلَيْهِ ، وَغَثُّهُ
قَدْ أَهْ رُبَيْعٌ يُنْعَشُ النَّاسَ سَيِّبُهُ إِذَا أَخْلَفَ الْوَسْمَى جَادَ مَلِكُهُ^(٥)
يُضَاعِفُ دَاءَ الْحَاسِدِينَ كَجَلِّهِ عَلَى أَنَّهُ يَسْنِي مِنَ الدَّاءِ نَفْتُهُ

(١) الْأَوْد : الْإِقْدَال . وَيُقَالُ آدَى يَثُودُ : أَتَقَلَّى .

(٢) التَّهَلَّلَان : الزَّيَان .

(٣) الْوَحْث : الشَّعَّة .

(٤) مَرَشِد : جَدِّ أَسَاسَةٍ .

(٥) مَرَى النَّاقَةِ : مَسَحَ ضَرْعَهَا ، وَالنَّشْي : اسْتَعْرَجَهُ . وَالْأَخْلَاف : جَمْعُ خَلْفٍ وَهُوَ لِقَاقَةُ كَالْفَرْعِ لِلشَّاةِ .

(٦) الْكَلْب : دَوَامُ الْهَطْرِ وَالنَّشْي : وَأَثَّ الْهَطْر : دَامَ أَيَّامًا لَا يَقْلَعُ . وَالْوَسْمَى : مَطَرُ الرَّبِيعِ الْأَوَّلِ .

(٢٢٧)

وكتب إلى أخيه عز الدولة :

يَا ثَانِيًا لِلنَّفْسِ ، وَهَوِ لِنَاظِرِيْ أَعَزُّ نَالِكِ
وَنَجِيْ فِكْرِيْ دُونَ سَا زِيْ مِنْ أَنَايِيْ أَوْ أَحَادِثِ
أَشْكُو فِرَاقَكَ ، فَهَوِ أَوْ جَعُ مَالِقِيْ مِنَ الْحَوَادِثِ
شَكْوَى مَشُوقٍ يَسْتَرْسِحُ إِلَيْكَ ، وَالْمَصْدُورُ نَافِثِ
وَالْوَمُ دَهْرًا جَدًّا فِي تَسْتَبِيْ شَمْلِيْ ، وَهُوَ عَائِثِ
إِلَى عِلْقَتِيْ مِنْ اضْطِبَا رَى عَنْكَ أَسْبَابًا وَثَائِثِ^(١)
ءَاهِدْتُهُ إِلَّا تُضْمَ ضَمُّهُ النَّوَى ، وَأَرَاهُ نَاكِثِ
وَكَأَنَّ قَلْبِيْ حِينَ يَخْطُرُ ذِكْرُكَ فِي كَفِّ ضَائِثِ^(٢)
وَبَقَايَ بَعْدَ فِرَاقِكُمْ خُطْبُ لِعَمْرَأَيْكَ ، كَارِثِ

قافية الدال

(٢٢٨)

وكتب إلى أخيه بهاء الدولة :

يَا مَنْ هَوَاهُ عَلَى الثَّنَا فِي وَالتَّدَانِي فِي اِزْدِيَادِ
أَصْبَحْتُ مُغْتَرِبًا لِبُعْدِكَ ، يَنْ أَهْلِيْ فِي بِلَادِيْ
مَسْتَوْحِشًا مَعَ كَثْرَةِ السَّخْلَانِ وَخَشَنَةِ ذِي اِنْتِهَادِ
وَأَقْلُ مَالِقِيْ بَعْدَكَ مِنْ تَبَارِيْجِ اِلْعَادِ
شَوْقِيْ إِلَيْكَ أَبَاحَ فَيْضِ مَدَامِعِيْ ، وَحَمَى رُقَادِيْ

(٢) شَيْبُكُ : بَعْضُ عَلَيْهِ بَكَّة .

(١) رَث : بَلَى .

(٢٢٩)

وكتب إلى أخيه عز العولة :

أَسَاكَ قَلْبِي ، وَالْمَهَامَةُ بَيْنَنَا وَإِنْسَانٌ عَيْنِي ، وَالْمَزَارُ بَعِيدُ
تُمَثِّلُكَ الْأَشْوَاقُ لِي كُلَّ لَيْلَةٍ فَهَمِّي جَدِيدٌ ، وَالنِّرَاقُ جَدِيدُ
وَمُعْظَمُ هَمِّي أَنْتَ عُمْرُ فِرَاقِنَا مَدِيدٌ ، وَعُمْرِي ، لِلشَّوَاءِ ، مَدِيدُ
فِيَا صَخْرُ ، مَا الْخِنْسَاءُ مِثْلِي ، وَلَا نَهْيُ بَوَادِرَ دَمْعِي مَا قَضَاهُ لَيْدُ^(١)

(٢٣٠)

وكتب إليه :

أَبَا حَسَنِ ، وَافِي كِتَابِكَ شَاهِرًا صَوَارِمَ عَنَبٍ ، كُلُّ صَفْحٍ لَهَا حَدُّ
فَقَابَلْتُ بِالْعُتْبَى مَضِيضَ عَتَابِهِ وَلَمْ يَتَجَهَّمْ الْحِجَاجُ وَلَا الْجُحْدُ
وَأَعْنَيْ عَيْنِي لِدَيْهِ ، وَلَمْ أَزَلْ إِذَا لَمْ تَكُنْ خَصَمِي لِي الْحِجَابُ^(٢) أَلَدُّ^(٣)
فِيَا حَبْدًا ذَنْبٌ إِلَيَّ نَسَبَتَهُ وَمَا خَطَأٌ مِنِّي أَنَا ، وَلَا عَمْدُ
وَلَوْ كَانَتْ مَا بَلَغْتَهُ ، فَظَنَنْتَهُ لَكَفَرَهُ حَقُّ الْأُخُوَّةِ وَالْوُدُ
فَاهْلًا بِعَنْبٍ تَسْتَرْجِي بَيْتَهُ وَيُؤْمِنُنِي أَنْ يَسْتَمِرَّ بِكَ الْحَقْدُ
لَقَدْ رَاقَ فِي قَلْبِي ، وَلَدَّ سَمَاعُهُ بِسَمْعِي "فَزِدْنِي مِنْ حَدِيثِكَ يَا سَعْدُ"

(٢٣١)

وقال :

أَلَا أَلِغَا عَنِّي أَنَا سَا حَبِيبُهُمْ فَاحْظُوا عَهْدًا ، وَلَا رَاعُوا الْوُدَا
بَاقِي ، وَإِنْ حَالَتْ بِي الْحَالُ ، لَمْ أَقُلْ لَهُمْ وَأَصِفَا شَوْقًا ، وَلَا شَا كِيًا وَجَدَا :

(١) يشير إلى قول ليد لآخيه :

لقد الحول ثم اسم السلام عليك ومن يك حولا كاملا قد اعتر

(٢) مجزيت لأبي فراس صدره سأست إجلالا لعلني أنه ...

خَذُوا بِزِمَامِي ، قَدْ رَجَعْتُ إِلَيْكُمْ رَجوعَ مُرِيدٍ ، لَا يَرَى مِنْكُمْ بُدَا
وَلَكِنْ لِي الْأَعْوَاضُ فِي النَّاسِ مِنْكُمْ وَكُلُّ سَمَاءٍ مِنْ سَمَاؤِكُمْ أَتَدْنَى

قافية الراء

(٢٣٢)

وقال من قصيدة تقدم أولها^(١) :

أَحِبَابَنَا ، خَطْبُ التَّفْرِقِ شَاغِلٌ عَنْ الْعَبَلِ لَكِنْ جَاشَ بِالْكَدِّ الصَّدْرُ
لَأَسْرَعَ مَا حُلْتُمْ عَنِ الْعَهْدِ بَعْدَمَا تَصَرَّمْ فِي حَفَلِي وَدَادِكُمْ الْعُمْرُ
وَلَا عَجَبٌ ، أَنْتُمْ بَنُو الدَّهْرِ ، مِثْلُهُ : عُهُودُكُمْ غَدَرٌ ، وَوُدُّكُمْ خَقَرٌ^(٢)
كَأَنَّكُمْ الدُّنْيَا : تَمُدُّ رِجَاءَنَا بِزُرْفِهَا ، وَالْمَوْتُ فِيهَا لَنَا قَصْرٌ^(٣)
مَلَأْتُمْ ، فَلْتُمْ مَحْوَ دَاعِيَةِ النَّالِي وَخُتُمْ ، فَدَتُمْ بِالَّذِي شَرَعَ الْغَدَرُ
وَأَنَسَاكُمْ حَفَظَ الْعُهُودِ مَلَأُكُمْ وَكَمَا قَدْ تَنَسَّى لَبَّ شَارِبِهَا الْعِلْمُ
وَأَيُّ لَتْنَيْنِي إِلَيْكُمْ حَفِظْتَنِي إِذَا مَا شَنَأْتُمْ عَنْ مُحَافَظَتِي الْعُمْرِ^(٤)
وَأَكْذِبُ رَأْيَ الْعَيْنِ فِيكُمْ ، وَإِنَّكُمْ لَنَقُضُونَ فِي هَجْرِي بِمَا خَيَّلَ الذِّكْرُ
أَسَاهِلُ فِيهَا رَأْبَ مِنْكُمْ ، وَكُوثَ مَا أُؤَمِّلُ : مِنْ لِنَاصِفِكُمْ مَسَلُكٌ وَعُرُ
لِهَجْمٍ بِهَجْرِي ، وَالْدَّيَارُ قَرِيبَةٌ وَمَا قَرُبَ دَارِ حَالٍ مِنْ دُونِهَا الْمَجْرُ
وَأَغْضَى تَجَنُّبِكُمْ جُفُونِي عَلَى الْقَدَى إِلَى أَنْ تَقْضَى ذَلِكَ الْإِمْنُ النَّضْرُ

(١) انظر أول القصيدة ص ٧٢ .

(٢) الخمر : التندر والخلدية أو أمتع النذر .

(٣) قصر : غاية .

(٤) النمر : من لم يبرز الأمور .

فلما تَفَرَّقْنَا أَتَانِي قَوَارِصُ بِهَا يَنْفُضُ الْأَحْلَاسَ ^(١) فِي السَّفَرِ السَّفَرُ
أَسْرَمْتُ أَنْ حِلْمُ الدَّهْرِ سَاءَنَا وَقَرَّتْ بِنَا ، لَا قَرَّتْ ، الْأَعْيُنُ الْخُزُرُ ^(٢)
وَجَاهِرُ بِالْشَّحْنَاءِ قَوْمٌ عَهْدُهُمْ يَسُوءُهُمْ ، لَوْ لَمْ أَشِبْ عَنْهُمْ ، الْجَهْرُ
وَأَصْغَيْتُمْ إِذْ لَمْ تَقُولُوا ، وَطَلَمَا تَعَرَّضَ فِي الْأَسْمَاعِ مِنْ ذِكْرِ الْوَقْرِ

(٢٣٣)

وقال ، وكتب بها في كتاب :

وَكِتَابٍ مِنْكَ فَاجَانِي كَبِيرُ جَاءَ بِالظَّفَرِ
رَدِّي شَرَحَ الشَّابِ بَوْمَا غَالَتْ الْأَيَّامُ مِنْ عُمُرِي
ظَنَنِي الرَّائِي مَكْتَابَةً وَهُوَ أَصْدَافٌ عَلَى دُرِّ

(٢٣٤)

وقال :

يَا بَعِيدًا أَحَلَّهُ الشُّوقُ قَلْبِي وَنَظْرِي
مَا نَأَى مَنْ خَيَالُهُ حَاضِرٌ فِي صَمَائِرِي
وَالْتَنَائِي ، إِذَا صَفَا وَدُنَا ، غَيْرُ صَابِرِ

(٢٣٥)

وكتب إلى أخيه بهاء النولة من الرزم بطري ^(٣) :

يُكَائِرُ مَاءَ الرِّزْمِ ^(٤) عِنْدَ ادِّكَارِكُمْ دُمُوعِي ، وَلَكِنْ ذَا بَرُودٍ ، وَذِي قَطَرٍ ^(٥)
وَلَوْ لَمْ أُعْرِهَا بَعْدَكُمْ كُلِّ مَنْ بَكَى لِأَعْظَمِهَا عَنْ أَنْ يُكَائِرَهَا الْقَطَرُ

(١) الحلس : كما على ظهر البعير تمت البذعة . (٢) الأعين الخلود : الضيقة ، كناية عن الأعداء .

(٣) لله اسم موضع . (٤) الرزم : واد في أرض أرمينية فيه ماء كثير يصب في دجلة (بالهوت) .

(٥) القطر : النحاس القالب .

(٢٣٦)

وكتب إلى شمس النولة ابن أخيه :

أشمس النولة ، اسمع بثَّ شوقي يَضيقُ بِمِثْلِهِ ذَرْعُ الصَّبْرِ
لقد أوحشتَ دُنْيَا ، كُنْتَ أَنَسِي بها ، وَسَلَبَتِي رَغَدَ السُّرُورِ
إذا ما الشَّمْسُ لم تَظْهَرْ بِأَرْضٍ فما طِيبُ الحَيَاةِ بِغَيْرِ نُورِ
وإن أصبحتَ في خَلْدِي مُقْبَاً بَحِثْ بِجَوْلِ فِكْرِي من صَمِيرِ
فَقُرْبُ الدَّارِ خَيْرٌ من بَعَادٍ ورُؤْيَا العَيْنِ أَشْفَى لِلصُّنُورِ

(٢٣٧)

وكتب إليه القاضي الرشيد أبو الحسين أحمد بن علي بن الزبير^(١) من مصر
كاتباً اقتنعه بهذه الأبيات :

أَحِبَّائَنَا ، مَا مِصْرُ بَعْدَكُمْ مِصْرُ وَلَكِنَّا قَفَرُ ، إِلَيْكُمْ بِهَا قَفَرُ
وإن نَحَلُّ يَوْمًا بُقْعَةً من شُغُورِكُمْ فلم يَحُلْ يَوْمًا من مَوَدَّتِكُمْ صَدْرُ
وإن تُنْفِكُمْ حَتَّى المَهَامِهُ وَالسَّرَى تُقَرِّبُكُمْ مِنَّا المَوَدَّةُ وَالذِّكْرُ
رحلتم ، فعَادَ النَّهْرُ لَيْلاً بِأَسْرِهِ وَلَيْسَ لَهُ إِلَّا بِأَوْبَتِكُمْ بَحْرُ
تُرَى فَاقْضَ مَا أَلْقَى من الهمِّ وَالْأَمْسَى لِبَعْدِكُمْ ، فَاسْوَدَّ من صِبْغِهِ النَّهْرُ
وكيف أَلُومُ اللَّيْلَ إِنْ طَالَ بَعْدَكُمْ وَقَدْ غَابَ عَنِّي مِنْكُمُ الشَّمْسُ وَالْبَدْرُ

فكتب إليه جواباً عنها :

تُذَكِّرُهُ أَحِبَّائِهِ الْأَنْحُمُ الزُّهْرُ فَيَا وَيْجَهْ مَاذَا بِهِ صَنَعَ الذِّكْرُ
هَمْ مِثْلُهَا : بُعْدًا ، وَنُورًا ، وَرَفْعَةً وَلَكِنْ لَهَا ، إِذْ شُبِّهَتْ بِهِم ، الصَّخْرُ

وقد كنت أشكو هجرهم في دنوهم
سقى مصر جود الصالح الملك ، إله
قضايا كرام أسعروا بحروا يحيى
ومن عادتي الصبر الجميل ، وليس لي
إذا ما "أمين الدين" عن أذكاره
يذكرني القاضون ، وإن غنوا
إذا حضر النادى فرضوى رجاحة
ويصحبني منه تدفق عليه
تأنت بنا الداران ، والود مصقب^(١)
كان اليلالي إذ قضت بفراقنا
أحل بها إن غاب عنها ، وإن أغب
قلت تلاقينا ، ولو بعض ساعة
لأحظى رؤياه ، وأشكر^(٢) منه^(٣)
فإن لي لو دام الثاني والمجر
هو الوابل المحي البرية لا القطر
يبغيم جراً ، به يحرق الجر
على بعدي ، لادرأ النوى ، صبر
ذهلت ، كآتي خامرت لي الخمر
جداول إن قيسوا به ، وهو البحر
وإن قال فالدر المنظم والسكر
وأعجب منه كيف يجمعه صدر
فالقرب شطر ، والبعد له شطر
قضى جورها أن ليس تجمعنا مصر
يحل بها ، فأعجب لما صنع الدهر
يهم^(٢) وشيكا ، قبل أن ينفد العمر
وإن لم يقم عني بواجبه الشكر

(٢٣٨)

وكتب في صدر كتاب :

لأشكرن اهتماماً منك يذكرني في البعد ، حتى كآتي مصقب الدار^(١)
عدت عنه ، فلا أنكرت خطته^(٢) مع الثاني ، وكم أنكرت من جار

(٢) هم الأمر بالضم : قضى .
(٤) الخط بالضم : الصداقة .

(١) أمقت دارهم : دنت .
(٣) لن : إيتام .

(٢٣٩)

وكتب إلى أخيه بهاء النحلة :

أصبحتُ بعدك يا شقيق النفس في بحر من الهم المبرج زانح
متفرداً بالهم ، من لى ساعة يرفاق شعياً ، أو علالة داهر
داهر : صاحب للوزير الكامل أبي القاسم بن المغربي (رحمه الله) الذى
يقول فيه :

كنى حزناً أتى مقيم ببلدة يعلنى بعد الأجرة داهر
يحدثنى ما يجمع عقله أحاديث منها مستقيم وجائر
وشعياً : صاحب للقاضى أبي المجد بن سليمان المعرى (رحمه الله) الذى
يقول فيه :

لقد ولى زمانٌ نحن فيه فسقياً للحكام به ورعياً
إساراً بين أتراكٍ ورومٍ وقد أحبة ورفاق شعياً

قافية السين

(٢٤٠)

وقال ، وكتبها في كتاب :

كأبى ، ولولا أن يأمى قد نهى أشيقا ، لذاب الطرس من حر أقماسي
وبعد ، فعندى وحشة لو تقسمت على الخلق ، لم يستأنس الناس بالناس

قافية العين

(٢٤١)

وكتب إلى أبيه :

مَالِي وَلِلشِّعَاءِ فِيمَا أَرْجَى مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ فِيَّ ، وَهُوَ شَفِيعِي
أَعَذَّتْ لِي مِنْ جُودِكَ مَوْرِدِي فَصَفَا ، وَأَمْرَعُ مِنْ نَدَاكَ رَبِّيعِي
وَبِكَ اعْتَلَيْتُ ، وَطَلْتُ^(١) مِنْ سَامِيَتِهِ نَفْرًا بِجَدِّكَ لَا بِحُسْنِ صَنِيعِي
وَقَضَى بَعْدِي عَنْكَ دَهْرٌ جَائِرٌ وَإِلَى جَنَابِكَ ، إِنْ سَلِمْتُ ، رُجُوعِي

(٢٤٢)

وكتب في صدر كتاب إلى الوزير نظام الدين :

نِظَامَ الدِّينِ ، لَا سُقْيَا نَحْلِي رَمَانًا بِالنَّوَى بَعْدَ اجْتِنَاعِ
عَدَا حَتَّى عَلَى حُسْنِ اضْطِعَارِي وَضَنَّ عَلَى حَتَّى بِالْوَدَاعِ
فَمَا قَلِي لُسُلَانٍ مُطْبِعٌ وَلَا السُّلُوفُ عَنْكَ بِمُسْطَاعِ
وَلَوْ أَمَلْتُ أَنْ أَلْقَاكَ حَتَّى أَبْنِكَ مُضْمَرِ الْقَلْبِ الشَّعَاعِ^(٢)
لَسَرَّتْنِي الْأُمَانِي أَوْ لَسَرْتُ^(٣) جَوَى قَلْبِي ، لِبُعْدِكَ ، وَالتَّيَاعِي^(٤)

قافية الفاء

(٢٤٣)

وكتب إلى ولده مُرْهَف :

مُوَاصِلِي كُتُبِي إِلَيْكَ تَزِيدُنِي إِلَيْكَ اشْتِيَاقًا ، بِلِ عَالِيكَ تَأْسُفَا
وَلِي أُسْوَةٌ فِي النَّاسِ لَوْ نَفَعَ الْأُمِّي فَمِنْ قَبْلِنَا يَعْقُوبُ فَارَقَ يُوسُفَا

(١) طلت : كنت المولود له . (٢) قلب شعاع : خزفت همه وآراؤه ، فلا تنبه لأمرهم .
(٣) من سرتني عنى المم . (٤) الالتئاع : الاحتراق من الغم .

ولكنّ نعيمى قد تملكها الأمى وقلى ، إذا سكتة بالأمى هفا
وما أحسب الأيام تقنع بالنوى ولا أن صرف الدهر بالفرقة اشتقى

(٢٤٤)

وقال ، من قصيدة تقلم أولها^(١) :

واهترنى رأى عز الدين ، مستلباً
أصافى عنه هماً شجيت به
أنته عني أحاديث مزخرقة
لكنها وافقت من قلبه مللاً
وما الرضا ببعود من خلايقه
ومنها :

يامن حوى قصبات السنين أجمعها
أقفت مذهب عمرى فى رضاك، وما
لكننى اعتضت منه حسن رأيكلى
حتى إذا أنا ما ثلث النجوم علأ
أريتنى ، بعد بشر ، هجرة وقلى
فعدت صفر يد مما ظفرت به
هنيئاً^(٢) أتيت بجهل ما قذفت به
فأرى اثنان فى تفضيله اختلفا
رأيت منق عمر واجداً خلفاً
فلت منه العلا والعز والشرفا
وقلت : قد نلت من أياى الزلفاً^(٣)
وبعد بر ولطف ، قسوة وجفا
كأن مانلت من كفى اختطفاً
فأين حلك^(٤) والفضل الذى عرفا

(١) انظر أول القصيدة ص ٢٧ . (٢) النفر: السبق والكثرة . (٣) الزلف : جمع زلفة وهى القرية .

(٤) هذا البيت وتألياه رواها أسامة أيضا فى باب الآداب ص ٣٨٠ .

(٥) رواية لباب الآداب (فأين ضلك والحلم ..) .

ولاً، وَمَنْ يَعْلَمُ الْأَسْرَارَ حَلْفَةً مِنْ
 مَا حَدَّثْتَنِي فَصَبِي عِنْدَ خَلْوَتِهَا
 لَكُنْهَا شِقْوَةٌ حَانَتْ ، وَأَقْضِيَةٌ
 تَدَاوَلَتْ فِي أُمُورٍ غَيْرٍ وَاحِدَةٍ
 وَأَقْضَيْتَنِي ^(١) سَهَامُ الْحَاسِدِيِّ عَلَى
 وَبَعْدَ مَا نَأْتِي ، إِنْ جُدْتَ لِي بِرِضًا
 وَذَلِكَ ظَنِّي ، فَإِنْ يَصْدُقُ فَأَنْتَ لَمَّا
 حَاشَاكَ تَقْدُو ظُنُونِي فِيكَ مُحْفَقَةً
 وَجِئْتَنِي مِنْ زِمَانِي حُسْنُ رَأْيِكَ لِي
 أَلْقَتْ مِنْكَ حُزْنًا مَذْكُوتٌ ، وَقَدْ
 وَغَيْرُ مُسْتَكْرَمٍ مِنْكَ الْحَنُوءُ عَلَى
 فَعْدُ لِأَحْسَنِ مَا عَوَدَتْ مِنْ حَسَنِ
 وَاسْلَمْ لَنَا ثَلَاثًا لِلنَّسِيرِينَ عَلَا
 أَيَّامُنَا بِكَ أَعْيَادٌ بِأَجْمَعِهَا
 يَرُفُّ فَيَا أَتَى ، إِنْ قَالَ ، أَوْ حَلْفًا
 بِمَا تُعْصِفُنِي فِيهِ إِذَا انْكَشَفَا
 حَقِيقَتِي أَلَمْ مَذْ طَامِينَ وَالْأَسْفَا
 لَوْ حَمَلُ الطُّودِ أَدْنَى ثِقَلِهَا نُسْفَا
 فَوَزَى بِقُرْبِكَ حَتَّى قَرَطُسُوا ^(٢) الْمَدْفَا
 فَقَدْ غَفَرْتُ لِنَهْرِي كُلِّ مَا سَلَفَا
 رَجَوْتُ أَهْلًا ، وَإِنْ يُخْفِقُ فَوَا أَسْفَا
 أَوْ يَنْتَحِي أَمَلِي بِالْيَاسِ مُنْصَرِفَا
 أَكْرَمَ بِهَا جُنَّةً ، لَا الْبَيْضُ وَالزَّعْفَا ^(٣)
 فَقَدْتُهُ ، وَشَدِيدٌ فَقَدْ مَا أَلْفَا
 مِثْلِي ، وَلَوْ زَاغَ يَوْمًا ضَلَّةً ، وَهَفَا
 يَأْمَنُ إِذَا جَادَ وَفَى ، أَوْ أَدَمَ ^(٤) وَفَى
 وَزِدَ إِذَا نَقَصَا ، وَاشْرَفَ إِذَا كَسَفَا
 فُدِمَ لَنَا مَا دَجَا لَيْلٌ ، وَمَا عَكَفَا

(٢٤٥)

وكتب إلى أبيه من قصيدة تقدم أولها ^(٥) :

لَكُنْتَنِي أَشْكُو قَوَارِصَ مِنْ تَلْقَانِهِمْ ، قَلْبِي هَا يَجُفُ
 وَمَلَأَتْ مِنْهُمْ يَبِينُ عَلَى أَثْنَانِهَا الشَّتَانُ وَالشَّنْفُ ^(٦)

(١) أقصد السهم : أصاب ، قاتل مكانه . (٢) قرطس ، أصاب القرطاس ، وهو كل آدمي يصب الفضال .

(٣) الخوف : المدح البلية الواحدة المحكة ، أو الرقعة الحسة السلاسل .

(٤) أدم له عليه : أخذه القبة ، وقلاً : أجاره .

(٥) انظر القصيدة ٢٩٩ وأولها : (ياحت برك أدم تكف) .

(٦) الشف بالضم يرك : البض والتكر . والشتان : البض .

أُنْكِرْتُ قَسْوَتَهُمْ ، وَأَعْرِفُهُمْ كُرْمَاءَ ، إِمَّا اسْتَطَعُوا عَطْفُوا
 قَطَعُوا أَوَاصِرَ بَيْنَنَا وَبَحَثَ أَسْبَابُهَا الْأَنْسَابُ وَالسَّلَفُ
 وَإِذَا سَلِمْتَ ، أَيْ سَلَامَةً ، لِي فَصَابُهُ كُلُّ رِزْيَةٍ ظَلَفْتُ^(١)
 لِي سَلَوَةٌ بِكَ عَنْ بَنِي زَمَنِي فَلِيَجْهَدُوا فِي الْقَدَرِ ، أَوْ لِيَقُوا
 قَارَعَتْ دُونِي الْحَادِثَاتِ ، فَلَا طَرَقَتْ فَنَاءَكَ ، مَا دَجَا السَّدْفُ^(٢)
 وَكَفَيْتَ آمَالِي بِجُودِكَ أَنْ تُضَيِّحِي إِلَى الرَّغْبَاتِ تَشْتَرِي^(٣)
 فَعَدَوْتُ لِأَخْطَبًا أَخَافُ ، وَلَا أَنَا لِرَمِيٍّ قَائِلٍ أَسِفُ

قافية القاف

(٢٤٦)

وقال ، يخاطب والده من قصيدة تقدم أولها^(٤) :

يَا بِنِ الْأَلَى جَمَعَ الْفَضَارَ لِيَبْتَنِمَ مَا شَتَّوْهُ مِنَ الْعَطَاءِ ، وَفَرَّقُوا
 وَتَمَلَّكُوا رَقَّ الْأَكَارِمِ بِاللَّيْ فَكُّوا بِهِ رَقَّ الْعُنَاةِ^(٥) ، وَأَطْلَقُوا
 أَشْكُو إِلَى عَلِيَّكَ هَمًّا ضَاقَ عَنْ كِتَابَتِهِ صَدْرِي ، وَمَا هُوَ ضَيِّقُ
 وَطَوَارِقًا لِلَّهِمْ أَقْرَبِيهَا الْكَرَى^(٦) وَتَلَطَّ^(٧) بِي صُبْحًا ، فَمَا تَتَفَرَّقُ
 لَوْلَمْ أَمِنْ النَّفْسَ أَنَّكَ كَاشَفُ كُرْبَاتِنَا عَنْهَا لَكَادَتْ تَزْهَقُ
 أَنَا عَائِدٌ بِكَ مِنْ عُقُوقٍ مَحْطٍ عَمَلِي ، فَعَصِيَانِي لِأَمْرِكَ مُوَبِّقُ^(٨)

(١) السدف : القلعة .

(٢) انظر ص ٨٧ .

(٣) أي أي أجل اليوم فراحا .

(٤) العنائة : جمع عنان ، وهو الأسير .

(٥) تَلَطَّ بِالْكَانِ وَالْهَاءِ وَالْظَّ عَلَيْهِ : أَطَامَ وَالْج . وَالْإِنْطَاطُ : نَزَمَ الشَّيْءَ وَالْمُتَابَعَةُ عَلَيْهِ .

(٦) أَوْجَهه : أَطْلَعَهُ .

لا تُزِمْنِي بِالْمَوَاتِ وَحَمَلِهِ
دَعْنِي وَقَطَعَ الْأَرْضِ دُونَ مَعَاشِرِ
تَغْلِي عَلَى صُدُورِهِمْ ، مِنْ غَيْظِهِمْ
تَعَشَّى إِذَا نَظَرُوا إِلَى عَيْبِهِمْ
كَسَدَتْ عَلَى بَضَائِي فِيهِمْ ، فَلَا
أَعْيَا عَلَى رِضَاهُمْ ، فَيَسْتُ مِنْ
إِنْ أَغْشَتْهُمْ ، قَالُوا : خَلُوبٌ^(١) ، مَا ذُقُ^(٢)
قَدْ أَفْسَدُوا عَيْشِي عَلَى ، وَعَيْشُهُمْ
فَاسْمَحْ بَعْدِي عَنْهُمْ بِرِضَاكَ لِي
فَلَعَلَّ بَعْضَ الْعُمَرِ ، وَهُوَ أَقْلُهُ
وَعَسَى قُلُوبُ أَعْضَلَتْ أَدَاؤَهَا
فَضُلُ الْأَقَارِبِ رِثْمٌ وَخُنُومٌ
أَتَظُنُّنِي أَرْجُو عَوَاطِفَ وَدَّهِمْ
بَنِي وَبَنِيهِمْ هِنَاتٌ فِي الْحَشَا
لَا تَغْتَرِرْ بِرَجَائِهِمْ أَنْ يُحْسِنُوا
خُذْ مَا تَرَاهُ ، وَدَعْ أَحَادِيثَ الْمُنَى
وَأَعِثْ ، فَإِنَّ السَّيْلَ قَدْ بَلَغَ الزَّبْيَ^(٣)

إِنَّ احْتِمَالَ الْمَوْتِ^(١) ثَقُلَ مُرْمِي
كُلَّ عَلَى لَيْسِيرِ جُرْمٍ مُحْتِ^(٢)
فَكَادُ مِنْ غَيْظٍ عَلَى تَحْرِقُ
حَتَّى كَأَنَّ الشَّمْسَ دُونِي تُشْرِقُ
أَدْنَى ، وَلَا نَسِي ، عَلَيْهِمْ يَنْفَقُ^(٣)
إِدْرَاكِه ، مَا التَّجَمُّ شَيْءٌ يُلْحَقُ
أَوْ أَجْضُهُمْ ، قَالُوا : عَدُوٌّ أَزْرُقُ
فَأَنَا الشَّقِيُّ بِهِمْ ، وَبَنِي أَيْضًا شَقُوا
إِنَّ الَّذِي تَرْضَى عَلَيْهِ مُوقِفُ^(٤)
أَلَّا يُكَدَّرَ بِالْمُحْمُومِ ، وَيُمَذَّقُ^(٥)
فِي قُرْبِنَا بَعْدَ التَّخْرِقِ تُحْرِقُ^(٦)
فَإِذَا جَفَوْنِي فَالْأَبَاعِدُ أَرْفَقُ
إِنِّي إِذَا عَبْدُ الْمُطَامِعِ ، أَنْحَرُقُ
مِنْهَا نُوبُ^(٧) ، مَا بَقِيَتْ وَمَا بَقُوا
كَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ رَجَاءٍ يُخْفَقُ
إِنَّ الْأَمَانِي فِيهِمْ لَا تَصْدُقُ
حَقًّا ، وَأَدْرِكُنِي قُمَيْلَ أَنْزِقُ

(١) الموت : المَوَاتِ . (٢) الحق : التَّيْظُ . (٣) قن : رَاجَ .
(٤) خَلُوبٌ كَسَمَرَةٍ خَلَا وَخَلَابًا وَخَلَابَةً بِكسر الْأَخِيرَيْنِ : عَذَابٌ . (٥) مَذَّقَ الْوَدَّ : لَمْ يَطْعَمَهُ .
(٦) أَرْفَقَ مِنْ مَرَضَةٍ : بَرَأَ . (٧) نُوبٌ : جَمْعُ نَبْءٍ ، وَهُوَ أَثَرُ الْجُرْحِ الْبَاقِي عَلَى الْجِلْدِ .
(٨) أَوْبَى : جَمْعُ ذِيَّةٍ وَهِيَ الزَّايَةُ .

(٢٤٧)

وكتب إليه من قصيدة تقدم أولها^(١) :

إيها ، بحقك مجد الدين تعلم أنت الصبر عنك أو السلوان من خلقي
أو أنني بعد بعدى عنك مضطرب بالعيش ، إني به ، لا تكذب ، شقي
يا ويح قلبي من شوق ، يلقله إلى لقائك ماذا من نواك لقي
وناظر فرحت أجزائه أسفا عليك في لحظة من دمه غرق
وبعد ما ، فإشفاقي يهددني بسوب رأيك بالتكدير والرتق
وأن قلبك قد رأت عليه من الـ وأشين بي جفوة، بهاء ، كالغسق^(٢)
ونافسوني في حسي ظنونك بي حتى غلوت وسوء الشك في نسق
بهم تبارج أشواق إليك ، وما أجن : من زفرائ بالحوى نطن
أما كفاهم نوى دارى ، وبعدك عن عيني ، وفرقة إخوان الصبا الصديق
وأنتى كل يوم قطب معركة دريئة السمر والهندية اللؤلؤ^(٣)
أعشى الوعى مفرداً من أسرى ، وهم هم إذا الخيل خاضت لحظة العلق^(٤)
هم المحامون ، والأشبال مسلمة والملثون الردى بالأوجه الطلق
وموضى منك لا تسمو الوشاة له ولا يغيره كينى^(٥) ولا حمقى
وإنما قالة جاءت ، فضاقت لها صدرى ، ولو غيرك المعنى لم يعنى
كذبها ، ثم ناجتى الظنون بأن الدهر ليس بمأمون ، فلا تتيق

(١) انظر ما سبق ص ٨٩

(٢) البهاء : القلادة لا يندى فيها . والأليم : من لا عقل له ولا فهم . والنسق : ظلة أول الليل . وران

على قلبه : غلب .

(٣) الدريئة : الخفة يعلم الظنون والمرى عليها . والسمر : الزمان . والهندية : السيوف . والأثني : الخادة .

(٤) العلق : الدم .

(٥) الكينى : الغفل .

كَمْ قَدْ أَغْصَسَ بَمَا^(١) تَمَرَّى مَذَاقَهُ وَنَفَسَ الْبَارِدَ السَّلْسَالَ بِالْشَّرْقِ
تَوَقَّعَ الْخُوفَ مِنْ أَنْتَ آمَنَهُ قَدْ تَنَكَّأَ الْكَلِمَ كَفَّ الْأَمِي الرِّقِ
فَقُلْتُ : مَا لِي وَكُنْتِي مَا تُحَايِلُنِي فِيهِ الظَّنُّونُ كَفَعَلَ الْمُغْضَبِ الْمَلِكِ^(٢)
أَدْعُو لِمَا بِي صَدَى صَوْتِي وَمَوْضِعَ شَكْوَايَ وَحَامِلَ ثِقَلِي حَيْثُ لَمْ أَطِقِ
فَإِنْ يَكُنْ مَا نَمَى زُورًا ، وَأَحْسَبُهُ فَعِنْدَهُ الْعَفْوُ عَنْ ذِي الْهَفْوَةِ الْعُقِّي^(٣)
وَإِنْ يَكُنْ ، وَأَحَاشَى لِحُجْدِهِ ، ثَلَجَتْ عُتَابَهُ حَرًّا حَشًّا بِالْهَمِّ مُحْتَرِقِ
هُوَ الْأَبْنَى الَّذِي تُحْشَى بِوَادِرِهِ وَرُبَّمَا عَفْوُهُ فِي سَوْرَةِ الْحَنَقِ
عُتَابَهُ تَلْقَى ذُنُوبِي قَبْلَ مَعْدَرَتِي وَمَاءُ وَجْهِهِ مَصُونٌ فِيهِ لَمْ يُرَقِ
لَا غَيَّرَتْ رَأْيَهُ الْإِيَّامُ فِيَّ ، وَلَا نَالَتْ مَكَانِي مِنْهُ لَقْعَةٌ^(٤) الْحَدَقِ

(٢٤٨)

وقال^(٥) :

أَحْبَابَنَا ، هَلَا سَبَقَتْ بَوَصِلَنَا صُرُوفَ اللَّيَالِي قَبْلَ أَنْ نَتَفَرَّقَا
تَشَاغَلْتُ بِالْهَجْرِ ، وَالْوَصْلُ مُكْمَنٌ وَلَيْسَ إِلَيْنَا فِي الْحَوَادِثِ^(٦) مُرْتَقَى
كَأَنَّا أَخَذْنَا مِنْ صُرُوفِ زَمَانِنَا أَمَانًا ، وَمِنْ جَوْرِ الْحَوَادِثِ^(٧) مَوْتَانًا

(١) صدى الطعام فهو مرى : هوى .

(٢) الملك : الضيف .

(٣) العُقِّي : العاق .

(٤) لقع تلاعبه أصابه بها .

(٥) هذه القطعة مما يروى لأسامة في خريدة القصر ١ : ١٠٣ ، وصمم الأدباء ٥ : ٢٠٥ .

(٦) في الخريدة وصمم الأدباء . (لحوادث) .

(٧) هذه رواية المصدرين السابقين وفي الأصل " الحبال " وبما أثبتنا يستقيم الوزن .

(٢٤٩)

وكتب إلى أخيه عزّ القولة :

بَعُدْتُ مَسَافَةً بَيْنَنَا ، وَتَوَحَّشْتُ حَتَّى عَلَى طَيْفِ الْخِيَالِ الطَّارِقِ
وَيَثُتُ مِنْ أَنْ نَلْتَقَى ، لَكُنِّي الَّتِي تَذْكُرُكُمْ بِقَلْبِ خَافِقِ
وَأُغِيضُ الْعِبْرَاتِ ، وَهِيَ فَرَادُ مِنْ لُؤْلُؤٍ ، فَتَغِيضُ مِطَّ عَقَائِقِ

(٢٥٠)

وكتب إليه :

أَبَا حَسَنِ ، لَوْلَا التَّلَلُّ بِالْمُنَى قَفَى كَمَدًا قَلْبٌ إِلَيْكَ مَشُوقُ
إِذَا مَا اعْتَرَتْهُ ذُكْرُهُ مِنْكَ خَلَّتْهُ جَنَاحًا وَهِيَ عَظَاهُ ، فَهُوَ خَفُوقُ
يَزِيدُ اشْتِيَاقًا كُلَّمَا زَادَ يَأْسُهُ فَيَا عَجَبًا لِلْيَاسِ كَيْفَ يَسُوقُ
وَمَا سَاءَنِي أَتَى لِبَعْدِكَ جَارِعُ لِأَنَّ جَمِيلَ الصَّبْرِ عَنْكَ عُقُوقُ

(٢٥١)

وكتب إلى أبيه :

لَا تُفْسِدَنَّ نَصِيحَتِي بِشِقَاقِ وَأَيْلِكَ مَا السَّلَوَانُ مِنْ أَخْلَاقِ
حَظَرَ الْوَفَاءَ عَلَى أَنْ أَسْلُو ، فَلَا فَكَّ السَّلُو مِنْ الْغَرَامِ وَتَنَاقِ
لَا تَرْجُونَ لِي الشِّفَاءَ مِنَ الْجُحَى وَالْيَاسُ كُلُّ الْيَاسِ مِنْ إِفْرَاقِ^(١)
كَيْفَ الْإِفَاقَةُ لِلدَّبِغِ أَجْبَى الْهَمَى مِنْ دَائِهِ ، وَالسُّمُّ فِي التَّرْيَاقِ^(٢)
سَقَمُ الْجُفُونِ سَقَامُهُ ، وَشِفَاؤُهُ فِيهَا ، فَتَهَا الدَّاءُ ، وَهِيَ الرَّاقِ

(١) الترياق : الترياق .

(٢) أفرق المريض والمحموم : يرى .

وَأَعْنَى^(١) رَاعِنِي النَّوَى بِفِرَاقِهِ
أَخْلُوْا بِأَفْكَارِي ، لَتَدْنِيْ شَخْصَهُ
وَأَكْرُرُ التَّمَالَ عَنْهُ لِبَاهِلٍ
فَإِذَا تَسَاخَ لِي الزَّمَانُ بِقُرْبِهِ
بِأَنَّهُ وَجَدِي ، وَقُلْتُ : يَرْقُ لِي
وَيُلَوْنِي فِيهِ رَفِيقٌ يَدْعِي
لِيْهَا ، كَلَانَا بِشَتَايَ حَرِّ الْهَوَى
أَنْتِ اسْتَضَاءَتْ بِنَارِهِ مَبْصَرًا
أَتَلَوْنِيْ بَعْدَ الْمُبُوبِ مِنَ الْكَرَى
لَا دَرْدُوكَ ، سَوْفَ يُغَرِّدُكَ الْهَوَى
أَسَلَبَتِي لِلْوَجْدِ ، إِنْ أَرْضَاكَ أَنْ
إِنْ بَحَرْتُ عَنْ نَهْجِ الْكَرَامِ فَرِشْدُ^(٢)
فَاعْتَمِدْ لِحْجِدِ الدِّينِ ، تَلَقَّ الْمَجْدَ مَا
فَإِذَا وَصَلَتْ لِي أُغْرَءُ مَحْجَبٍ
فَارِجٌ بِرَيْحٍ لَا يَزَالُ تَزِيلُهُ
وَابْلُغْ نَجْمَةَ نَازِجٍ قَذَفَتْ بِهِ
قَدْ كَانَ بِالشَّامِيِّ يُعْرِفُ بُرْهَةً
أَنْصَى الْوَجِيفُ^(٣) رِكَابَهُ وَجِيَادَهُ

(٢) جد أسامة .

(١) ظلي أعني : يخرج صوته من غيائيه .
(٣) الوجيف : ضرب من سير الخيل والإبل .

وهو الجليد على خطوط زمانه لا يشتكي منها سوى الأشواق
يترو للذكر أبي سلامة قلبه فيكاد يمرق من شحاً وصفاقاً^(١)
واهتف به : يا خير من أرجوه إلهواه^(٢) أو أدعوه يوم تلاق
بي لوعتان عليك يضعف عنهما جلدي : من الأشواق والإشفاق
فالشوق أنت به العليم ، وغالب إلا شفاق مما أنت في ملق
وإذا أخطأتك الحادثات ، فكل ما ألقاه محمول على الأحداق
فأجابه ، رحمه الله ، بقصيدة أولها :

أظن أني بعد بعدك باقي أجزى عن الأشواق بالأشواق
يقول فيها :

أبا المظفر دعوة تشني الظما مني ، وإن أخصى بها إحراق
لم أستكن أبدا لخطب نازل إلا لبعلك ، فهو غير مطاق
فإذا أطعت الوجد فيك أطاعني قلبي ، ويدي ، إن عصيت ، شقاق
فإذا ذكرتك خلت أني شارب نمل ، سقاء من المدامة ساق
قال : ووقف مؤدب الشيخ الحالى أبو عبد الله محمد بن يوسف المعروف
بـابن المنيرة ، رحمه الله ، على القصيدة ، فأجبنى عنها بقصيدة أولها :

يا راكب الشدنية^(٣) القيداق^(٤) ومتابع الزملان^(٥) بالإعناق
في فنية وصلوا السرى حتى انبرت أجسامهم أحنى من الأرماق

(١) الصفاق (كتاب) : الجذ الأسفل تحت الجلد القى عليه الشعر ، أرماء الجذ المهران ، أوجه البليزكه .

(٢) إلهواه : الشدة . (٣) الشدنيات محررة من الإبل منسوبة إلى موضع باليمن أو طل .

(٤) القيداق : الطريق .

(٥) زمل زمل (بضم الميم وكسرهما) : هذا مستند إلى أحد شقيه وأما جنبه الآخر . والإعناق : الإمراع .

من كل مهتر بكف نفاسه هر الوليد ثنائة المخراق^(١)
 وضع النعاس على الألف خلودهم فكأنهم خلّقوا بلا أعناق
 إماماً بلغم سالمين ، فلفّوا أوفى تحية مشيم ليراق
 وتوسّموا ذاك الحيا ، وامترّوا تلك البنان مفاتيح الأرزاق
 من آل مُقيد الذين يرأصهم ملأى من الزوار والطراق
 اللّاسين من المكارم جنة ما للعايب غيرها من وافي
 يتهلّلون لدى النّوال ، وفي الوعى يسطون بالإرعاد والإبراق
 يأبها المولى الذى بعباده عنى ، قرّب من الردى المعتاق
 لى أنّه الشاكي الشجى لما به إماماً ذكرت ، ولوعة المشتاق
 وإذا الجفون نظرن بعدك زهه عاقبتن بدمعى المهرق
 لا تطلبن منى المسرة؛ إنها علراء ، قد متعتها بطلاق
 أمّا أبوك فدأؤه مستحكّم ما إن له بسواك من إفراق^(٢)
 كيف السلو له ، وأنى صبره عن مصطفى بمكارم الأخلاق
 ذو مهجة قزّو إليك ، ومقلة تبكى عليك إليك بالأشواق
 لما علمت بعجزه عن نظم ما ينهى إليك ، وذلك باستحقاق
 أجريت طرفى فى سباقك دونه وعهدته أبداً من السباق !
 وبذلك جهدى بالثبابة عه بالـ تزر القليل من الكثير الباقي
 جرياً على شغنى بكم ، ومحبنى لكم ، وحفظ العهد والميثاق

(١) المخراق : المتدليل بكف لضرب به . والثبابة حبل من صوف أو شعر أو غيره .

(٢) أفراق : بغي .

(٢٥٢)

وكتب إلى أخيه عزّ النّولة ، رحمه الله :

قد كنتُ أحسبُ أن آ مد^(١) منتهى أمد الفراق
وأسكنُ القلبَ الخفوَ قَ إليكم مَعْنَى التّلاقِ
وأقولُ : قد رَقَّ الزّما نُ لبرجِ وجدِي واشتياقِ
وإذا به مُستصغِرٌ ما قد لقيتُ ، وما أَلَقِ
يقضى بنشئتي ولما جاء اللقاء إلى التّلاقِ^(٢)

(٢٥٣)

وكتب إلى الأمير السّيد ضياء الدّين ، أبي عبد الله ، زيد بن محمد بن محمد
ابن عبيد الله الحسني ، نقيب الطالبين بالموصل :

ضياء الدّين ، ما شوقُ دُعائي فاسمعي بمصرَ من العراقِ
بمجلود ، فأشرحه ، ولا في قوى الأقلام تسطيرُ اشتياقِ
ولكنّي سأرجئه ، وأرجو مُشافهتي به عند التّلاقِ
إذا ما كنتُ جارك ذا اشتياقِ إليك فكيف بي بعدَ الفراقِ
ولي شكوى من الأيّام أضحتْ لها نفسي تردّد في التّراقِ^(٣)
أكأف من أذاها فوق وُسي وأحملُ كارها غير المطاقِ
ويلزمني الإباءُ الصّبرُ فيما ينوبُ ، وطعمه مرُّ المذاقِ
ومغفورٌ لها ، إن أسعفتني بقربك ، ما لقيتُ ، وما أَلَقِ

(١) آمد : أعظم مدّة ديارٍ يكر ، وأجلها قدراً ، وأخبرها ذكراً . (باقرت) .

(٢) يريد يوم التّلاق : يوم القيامة .

(٣) التّراق : جمع ترقوة : مقدم الحلق في أعلى الصدر ، حيثما يترقّ فيه النفس .

وكتب إليه الملك الصالح رحمه الله هذه القصيدة بخط يده^(١) :

أيها المُقْنَدِيُّ^(٢)، أَنْتَ عَلَى الْبُعْدِ صَدِيقُ لَنَا ، وَنَعْمَ الصَّدِيقُ
لَيْسَ فِيمَا تَأْتِيهِ مِنْ بَرٍّ أَفْعَا لَكَ لِلطَّالِبِ الْحَقُوقِ عَقُوقُ
فَلِهَذَا نَرَى مُوَاصِلَةَ الْكُتُوبِ تَبَاعًا إِلَيْكَ مِمَّا يَلِيقُ
وَتُنَاجِيكَ بِالْمَهْمَاتِ إِذْ أَنْتَ بِإِلْقَانِهَا إِلَيْكَ خَلِيقُ
وَأَهْمُ الْأُمُورِ^(٣) أَمْرُ جِهَادِ الْكُفْرِ ، فَاسْمَعْ ، فَعِنْدَنَا التَّحْقِيقُ
وَأَصْلَتُهُمْ مِنَ السَّرَايَا^(٤) فَاشْجَا هُمْ^(٥) بِكُورٍ مَنَاحِمُ ، وَطُرُوقُ
وَأَبَاحَتْ دِيَارَهُمْ ، فَأَبَادَ الْقَوْمَ قَتْلَ مَلَاظِمُ وَحَرِيقُ
وَانْتَظَرْنَا بَرْقَنَا بَرَّةَ نُورِ الْبَدِينِ عَلَمًا مَنَّا بِأَنْ سَيُفِيقُ
وَهُوَ الْآنَ فِي أَمَانٍ مِنَ اللَّهِ ، وَمَا يَعْتَرِيهِ أَمْرٌ يَعُوقُ
مَا لِهَذَا الْمُهْمِ مِثْلُكَ . مَجْدُ الْبَدِينِ ، فَانْتَهَضَ بِهِ فَأَنْتَ حَقِيقُ
قُلْ لَهُ ، لِأَعْدَائِهِ ، رَأْيٌ وَلَا زَا لَ لَدَيْهِ لِكُلِّ خَيْرٍ طَرِيقُ :
أَنْتَ فِي حَسْمِ دَاءِ طَاغِيَةِ الْكُفَّارِ ذَاكَ الْمَرْجُوِّ وَالْمَرْمُوقُ
فَاغْتَمِ بِالْجِهَادِ أَجْرَكَ ، كَيْ تُلْفِيَ رَفِيقًا لَهُ ، وَنَعْمَ الرَّفِيقُ

(٢٥٤)

فأجابه بهذه القصيدة :

كَمْ إِلَى كَمْ يُلْحَى الْحُبُّ الْمَشُوقُ وَهُوَ مِنْ سَكْرَةِ الْهَوَى لَا يُفِيقُ
حَمْلُوه ، وَهُوَ الضَّعِيفُ مِنَ التَّعْسِيفِ فِيهِمْ وَاللَّوْمُ مَا لَا يُطِيقُ
تَجَمُّعُهُ عَلَى الْقَطِيعَةِ ، وَالصَّادِبُ مِنَ الصَّدِّ وَالْفَرَاقِ فَرُوقُ^(٦)

(١) النص في الروضتين أيضا : ١ : ١١٦ . (٢) نية إلى مقعد : أحد آباء أسامة . وفي الروضتين : المقندي .

(٣) في الروضتين : المهم . (٤) السرايا : جمع سرية . وهي الطائفة من الجيش .

(٥) أشجاء : أحرته . (٦) يلحى : يلام . (٧) فرق كفرح : فرح .

وَلَحَوْهُ مِنْ سَاحِلِ الْبَحْرِ ، وَالْمَسْكِينُ فِي لُجَّةِ الْغَرَامِ غَرِقُ
وَالسَّقِيمُ الْعَالِي يُعَانِي مِنَ الْأَوْ صَابٍ ^(١) مَا لَا عَاقِبَ الْمَعَادِ الطَّلِيْقُ
يَا عُدُوْلِي ، إِلَيْكَ عَنِّي ، فَا أَنْتَ ، كَمَا تَدْعَى ، الصَّدِيقُ الصَّدُوقُ
لَيْسَ لِلصَّبِّ مِنْ تَبَارِيحٍ مَا يَلْتَقِي مُعِينٌ ، وَلَا رَفِيقٌ رَفِيقُ
إِنَّمَا الْحُبُّ كَالْقِيَامَةِ : مَا فِيهِ حِمِيمٌ ، وَلَا شَفِيقٌ شَفِيقُ
وَأَخُو الْوَجْدِ مَا إِلَى قَلْبِهِ الْمَوْجِبُ بِالْحُبِّ السَّلْوُ طَرِيقُ
خَانَهُ الْأَصْفِيَاءُ حَتَّى التَّأَنَّى وَجْهَهُ حَتَّى الْخِلَالُ الطَّرِيقُ
وَإِذَا نَهَتْهُ الدُّمُوعُ اسْتَجَمَّتْ ^(٢) وَهَمَّتْ ، وَهِيَ لُؤْلُؤٌ وَعَقِيقُ ^(٣)

(٢٥٥)

وَكُتِبَ إِلَى الْوَزِيرِ نِظَامُ الدِّينِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ :
نِظَامَ الدِّينِ كَمْ فَارَقْتُ خَلَاءَ وَكَمْ صَلَيْتُ حَشَايَ لَظَى اسْتِيَانِ ^(١)
فَلَمْ أَجْزَعْ لِفُجْجَاتِ التَّنَائِي وَلَمْ أَفْرَقْ لِرُوعَاتِ التِّرَاقِ
وَهَانَذَا لِيَعْلَدُكَ أَلْفَ هَمٍّ تَغِيضُ لَهُ الشُّوْسُ مِنَ الْمَآقِ
أُمْنِي قَلْبِي الْخُفَاقَ شَوْقًا إِلَيْكَ يُقَرِّبُ أَيَّامَ التَّبْلَاقِ

(٢٥٦)

وَكُتِبَ إِلَى شَمْسِ الْقَوْلَةِ ابْنِ أَخِيهِ :
أَبَا الْحَارِثِ ، أَسْلَمَ مِنْ حَوَادِثِ دَهْرِنَا
أَذْمُ إِلَيْكَ الْبَيْنَ ، إِنَّ وَشِيكَهَ ^(١)
وَأَضْلَلْتُ شَمْسِي ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ نَاشِدًا
أَرْوَحُ وَأَغْلُو فِي هُمُومٍ تَعُودُنِي
وَمِنْ حَرِّ أَتْقَانِ الْمَشُوقِ الْمُفَارِقِ
رَمَى كُلَّ عَظِيمٍ مِنْ عِظَامِي بِعَارِقِ ^(٢)
لَهَا ، وَهِيَ فِي غَرْبٍ ، بِأَرْضِ الْمَشَارِقِ
فِيَا لِي مِنْ هَمِّينَ : غَادٍ ، وَطَارِقِ

(١) جزم واجتمع : كثر واجتمع .
(٢) مثل النار : فاسد مرها . والنار : النار أو طليها .
(٣) مرق العظم مرها : أكل ما عليه من العظم .

(١) الوصب : المرض .
(٢) باقى القصيدة من ١٨٨ .
(٣) وشيك : سريع .

قافية اللام

(٢٥٧)

وقال ، وكتب بها إلى أخيه عز الدولة :

أبا حَسَنٍ ، قَدْرَانُ^(١) ، بعد بَعَادِكُمْ على القلبِ ، هُم ، ما أراه يَزُولُ
أَعْلَى تَقِيهِ أَتَى مَأْبَهُ إذا ما التقينا ، لَوِ الرَّجَاءُ مَطُولُ^(٢)
إذا قُلْتُ : في أعقابِ ذَا العَامِ نَلْتَقِ تَمَادَى ، وَأَيَّامُ الهمومِ تَطُولُ
وأَقْتُلْ أدْوَانِي بِعَادُ أَحْنَى وداءُ الثَّانِي ، ما عِلَّتْ ، قَتُولُ
وقد ساءتْني أَنْ اللَّيَالِي غَيَّرَتْ أَخْلَايَ ، حَتَّى ما يَدُومُ خَلِيلُ
وجفوةُ مُجِدِّ الدِّينِ أَعْدَلُ شَاهِدِ على أَنْ أهْوَاءَ القُلُوبِ تَحُولُ^(٣)
أساءَ الثَّانِي ظَنَّتْني ، وإِنِّي لَأَعْهَدُهُ في القُرْبِ ، وهوَ جَمِيلُ
جَفَانِي زَمَانًا لا مَلَأَا ، وإِنَّمَا نَهْتَهُ حُزُونُ بَيْنَتَا^(٤) وَمُسْهُولُ
مَفَاوِزُ لا يَسْتَطِيعُ قَطَعَ فِجَاجِهَا^(٥) رسولُ ، ولو أَنَّ الخِيَالَ رَسُولُ
ولا ذَنْبَ إِلاَّ لِلْبِعَادِ فَما لَنَا دُنُونًا ، وَحَفَى في الدُّنُو قَلِيلُ

(٢٥٨)

وكتب إليه ، وقد وصله منه كتابٌ غيرُ مختوم :

وإني كُتِبْتُكَ مَفْرُوحًا ، فبَشِّرْني يَفْتَحُ سُبُلَ اللِّقَاءِ الزَّجْرُ^(١) وَالْقَالَ
قُلْتُ : أَحَبُّ بِهَا بَشْرِي إِلَى ، وَإِنْ تَعَرَّضْتُ ، حُونَ ما نَرَجُّهُ ، أهْوَالُ

(١) الحل : التَّصْوِيفُ بِالْعَدَةِ .

(٢) في رواية : بِهَا مَشَّ الْخِيَرَانُ (دونا) .

(٣) زجر الطير : غفله به .

(١) ران : غلب .

(٣) تحول : تَهَوَّلَ .

(٥) الفجاجة : جمع فج وهو الطريق الواسع بين جبلين .

ثُمَّ اعْرَظْنِي أَشْوَاقُ ، مُجْهَلِّئِي كَيْفَ اطْمَأَنَّتْ بِقُلُوبِي بِعَدَاكَ الْحَالُ
وَكَيْفَ بَقِيَ ، وَمَا يَنْفَكُ ذَاوَجَلٍ خَوْفًا عَلَيْكَ ، وَفِي الْأَوْجَالِ^(١) آجَالُ
وَكُتِبَ إِلَيْهِ الشَّرِيفُ ضِيَاءُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ زَيْدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِيُّ
وَهُوَ بَظَاهِرُ الْمَوْصِلِ :

أَبَا الْمُظْفَرِ ، أَشْوَاقُ مَبْرُحَةٌ وَمَا اسْتَقَلَّتْ^(٢) بِكُمْ لِلدِّينِ أَجْمَالُ
وَأَتَمُّ حَيْثُ إِبْطَالِي بَيْنَكُمْ وَمَا نَأَتْ دَارُ مَنْ يُبْدِيهِ إِطْلَالُ
فَكَيْفَ بَنَى عِنْدَ الْهَرَمَاسِ^(٣) مَشْرَبَكُمْ وَحَالَ مَنْ دُونَكُمْ مَرَّتْ^(٤) وَأَحْجَالُ^(٥)
إِذَا تُخْبِرُكَ الرُّجَانُ عَنْ كَيْدِ تَدْمِي^(٦) ، وَعَيْنِ لَهَا سَحْبٌ وَتَهْمَالُ
وَعَنْ مُودَعٍ قَلْبٍ قَدْ رَحَلْتُ بِهِ يَعْتَادُهُ لَكُمَا مُمْ وَبَلْبَالُ^(٧)

(٢٥٩)

فَأَجَابَهُ :

يَا خَيْرَ مَنْ عَلِقَتْ كَفِّي مَوَدَّتَهُ وَصَدَقَتْ لِي فِي عَلَيْهِ آمَالُ
مَاذَا أَقُولُ ، وَقَلْبِي قَدْ تَحَلَّفَ عَنْ جَسَمِي ، وَزُيِّمَتْ لَوْشَكَ الْبَيْنِ أَجْمَالُ^(٨)
وَكَمْ فُجِعْتُ بِرُوعَاتِ الْفِرَاقِ ، وَلَا كَهْلَهُ ، لَمْ يَرْنِي قَطُّ رَحَالُ
وَقَبْلَ وَشَكَ النَّوَى قَدْ كُنْتُ أَحْذَرُهَا كَأَنَّ ذَاكَ النَّوَى قَبْلَهَا قَالَ
فَإِنْ تَمَادَتْ بِنَا أَيَّامُ فُرْقَتِنَا وَكُلُّ سَاعَاتٍ بَعْدِي عَنْكَ آجَالُ
فَاخْظُ فَوَادًا مَقِيًّا فِي ذُرَاكَ ، وَلَا تُسْلِبْهُ لِلشَّوْقِ ، إِنَّ الشَّوْقَ قَتَالُ

(١) اسقل : ارجل .

(٢) الأرجال : جمع رجل ، وهو الخوف .

(٣) الهرماس : نهر . (٤) المَرَّتْ : المُرَّة : الأرض لا نبات ، أو الأرض لا يجب تراها ولا نبات مرعاها .

(٥) دمي كرمي : تلوذ بالدم .

(٦) الخيل من الرمل : المنجوع الكثير السعال .

(٧) زَمَ البعير : خطبه ، وقدم في السير .

(٨) الليال : الوسواس وشقة الدم .

وكتب إليه الملك الصالح ، رحمه الله قصيدة من نظمته بخط يده :
 أيها السائر الجُهد إلى الشام تبارى^(١) ركبهُ وانخيل
 خذ على بلدة بها دارُ مجد السدين^(٢) ، لا ريع ربيعها المأهول
 وتعرف أخباره ، واقره منّا سلاماً فيه العتاب يُجول
 قل له : أنت نعمَ ذخر الصديق اليوم ، لكنك الصديق الملول
 ما ظننا بأن حالك في القرب ولا البعد بالملال تحول^(٣)
 لا كتاب ، ولا جواب ، ولا قول ، به لليقين منّا حصول
 غير أنا نواصل الكتب إذ قصر منك البرّ الكريم الوصول^(٤)

(٢٦٠)

فأجابه :

أين سمى عما يقول العذول أنا بالهجر والنوى مشغول
 وسيل السلو بادٍ لعمى ، ولكن مالي إليه سبيل
 ما قليل الغرام ، يامسرح القلب ، مما يلقي الحب ، قليل
 بالهوى هام في الفلاقيس ليل وبه مات عروة^(٥) وبجميل
 فاعف من لومك الحب ، كفاه من جواه نسيده والنحول
 لا تظن وجد من فارق الأنطعان بحثهن حاد بحول
 تقطع اليد حاملات شموساً ما لها في سوى الخلود أقول
 كل شمس تثير فوق قضيب يهادى به كتيب مهيل
 لا ولا وجد نازح فارق الأو طان ، يتهاجه الضحى والأصيل

(١) لقب أسامة .

(٢) تبارى أى تبارى . وباراه : عارضه .

(٣) باقى القصيدة فى ص ٢١٧

(٤) حال الشئ : تحول .

(٥) هو عروة بن حزام من منى العرب ، كان يحب ابنة عم له اسمها صفراء . وجعل هو جميل بنية .

كَلَّمَا لَأَمَّهُ الْعُلُولُ مَرَى^(١) دَمْعًا تُبَارِيهِ زَفْرَةٌ وَعَوِيلُ^(٢)
مَثَلٌ وَجَدِي لِقُرْفَةِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ ، وَهُوَ الْمَرْجُوُّ وَالْمَأْمُولُ
وَمِنْهَا :

يَا أَمِيرَ الْجِيوشِ ، يَا أَعْدَلَ الْحُكَّامِ فِي فِعْلِهِ وَفِيَا يَقُولُ
أَنْتَ تَقْضِي بِالْحَقِّ ، لَسْتُ ، وَإِنْ زَالَتْ جِبَالُ الْأَرْضَيْنِ ، عَنْهُ تَزُولُ
فَمَاذَا قَضَيْتَ يَا سَيِّدَ الْحُكَّامِ طَرًّا عَلَى أَنِّي مَلُوكُ
مَنْ يَمْلُ الْحَيَاةَ ، أَمْ مَنْ عَلَيْهِ مِنْ تَوَالِي أَنْفَاسِهِ تَنْقِيلُ
لَا تَرْغَبُ بِالْعَنْبِ ، فَهُوَ ، عَلَى قَطْعِ رُسُومِ التَّشْرِيفِ عَنِّي ، دَلِيلُ
لِي رُسُومٍ ، مِنْهَا مَوَاصِلَةُ الْكُتُبِ ، وَأَنْتَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ الْوَصُولُ
وَسِوَاهَا أَغْنَيْتَنِي عَنْهُ بِالْإِنْعَامِ ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ لِي تَأْمِيلُ
فَأَعَذَّنِي مِنْ قَطْعِهَا ، فَهِيَ لِي نَخْرٌ ، بِهِ أُدْرِكُ الْعُلَا ، وَأَطُولُ
فِي دَيْ لَوْ أَطْلَعْتَ عَلَى قَلْبِي ، فَيُدْوَكَ الْوَلَاءُ الدَّخِيلُ
وَتَرَى أَنَّ مَا زَرَعْتَ مِنَ الْإِنْعَامِ ، لَمْ يُحْصَ رَبِّعُهُ التَّجْمِيلُ^(٣)

قافية الميم

(٢٦١)

وَقَالَ ، وَكُتِبَ إِلَى أَبِيهِ مِنْ قَصِيدَةٍ تَقْدِمُ أَوَّلَهَا^(٤) :

أَبْنَى السُّرَى وَالْيَدِ ، لَا أَغْرَى الزَّمَانُ بِكُمْ عُرَامَةً^(٥)
هَلْ فِيكُمْ مِنْ مُبْلِغٍ عَنِّي السَّلَامَ أَبَا سَلَامَةٍ

(١) العويل : رفع الصوت بالكاء .

(٢) مَرَى : استخرج .

(٣) لَهُ يَرِيدُ بِالتَّجْمِيلِ رَدَّ الشَّيْءِ عَنْ تَخَرُّفٍ . أَوْ مِنْ أَجْلِ الْحَسَابِ :

(٤) رَسْمٌ يَكُونُ : أَمْرٌ بِهِ .

رَدَّهُ إِلَى الْجَلَّةِ . وَبِالْهَامِشِ قَلْعًا عَنْ خَطِّ وَفَدِهِ مَرْهَفٌ بِالْهَامِشِيَّةِ :

وَتَرَى رُبَّ مَا زَرَعْتَ مِنَ الْإِنْعَامِ عِنْدِي لَمْ يَحْصِهِ التَّجْمِيلُ .

(٥) السرى : ميراثه الليل . واليد : القلا . وعرام الزمان :

(٦) انظر ما سبق ص ٩٧ .

وَنَجِيَّةٌ كَشَدَا فَنِيَقِ الْمَسْكُ ، صُقِقَ بِالْمُدَامَةِ^(١)
تُهْدَى ، يَضُوعُ^(٢) نَسِيمُهَا لِأَغْرَ عَصَا مَلَامَةٍ
مِنْ جَامِجِ الْعَزَمَاتِ ، لَا يَرْضَى عَلَى هُونِ مُقَامَةٍ
وَقَعْنَ^(٣) غَارِبَهُ انْخَطَوُ بٌ ، وَلَمْ يَزَلْ يَأْبَى الظُّلَامَةَ
يَابِنِ انْخَضَارِمَةِ^(٤) الْكَرَامِ ، أَوَّلِي الْمَكَارِمِ وَالْكَرَامَةِ
مِنْ كُلِّ بَسَامٍ نَسُحٌ يَدَاهُ لِلْعَافِينَ سَامَةٌ^(٥)
خَضِلُ الْجَنَابِ إِذَا تَرَدَّى الْجَوُّ مِنْ مَحَلِّ قَتَامَةٍ^(٦)
أَسَامٌ خَسَفًا ، ثُمَّ لَا آبَى ، فَلَسْتُ إِذَا أُسَامَةٌ
هِيَاثَ لَا تَرْضَى الْمَعَا لِي صَاحِبًا يَرْضَى اهْتِضَامَةً^(٧)
وَعَلَامَ يَخْشَى النَّاسَ مَنْ لَمْ يَخْشَ فِي حَالِ حِمَامَةٍ
مَنْ لَا تَرَاهُ لِثَرْتِي وَفَاقَتْ يَدِي النَّدَامَةَ
وَإِذَا حَوَى الرِّغَابَاتِ أَمَضَى لِلْعَلَا^(٨) فِيهَا احْتِكَامَةٌ
لَوْ أَنْكَرْتُ أَجْفَانَهُ طَيْفَ الْخِيَالِ جَفَا مَنَامَةً
(٢٦٢)

وقال ، وكتب بها إلى القاضي الرشيد^(٩) ، أبي الحسين أحمد بن علي بن الزبير
إلى مصر ، في ضمن كتاب :

وَكَيْفَ أَشْكُرُ مَنْ أَسَدَى إِلَى يَدَا مَرَّتْ سُرَى الطَّيْفِ مِنْ مَهْرٍ إِلَى الشَّامِ
رَأَى مَكَانِي عَلَى بُعْدِي ، وَقَدْ عَثَبْتُ عَنِّي عَيُونُ أَخْلَانِي ، وَأَيَّامِي
مُحَافِظًا لِمَهْودِي ، حِينَ أَفْرَدَنِي ظَلِي ، وَأَعْرَضَ عَنِّي طَيْفُ أَحْلَامِي

(١) فتن الطيب : خلطه . والصفيق تحوّل الشراب من إناء إلى إناء مجزوا ليصفو .
(٢) ضاع المسك : تحرك ، فانتشرت رائحته . (٣) وقته كوضه : كويته .
(٤) انخضارمة : جمع خضرم وهو الجواد المطا . والسيد الجلول .
(٥) السام : القعب والقفزة . (٦) القتام : التبار . والمحل : الجلب .
(٧) الاحتضام : الظلم . (٨) في رواية بهامش الديوان (العتى) . (٩) انظر ما سبق ص ١٢١ .

(٢٦٣)

وكتب إلى الأمير السيد الشريف القريب ضياء الدين ، اعتذر من تأخر
كتبي عنه ، في ورق أصفر :

قَصَّرْتُ فِي خِدْمِي تَقْصِيرَ مُعْتَرِفٍ وَمَا كَذَّاءُ يَفْعَلُ الْإِخْوَانُ وَالْخَدَمُ
حَتَّى تَعْصِفَ لَوْنُ الطَّرِيسِ مِنْ وَجَلٍ فَإِنْ صَفَحْتَ جَرَى فِي وَجْهِهِ دُمُ
وَلَوْ تَجَافَتْ لِيَ الْآيَاتُ عَنْ وَطَرِي لَنَابَ عَنْ قَلْبِي فِي سَعْيِهِ الْقَدَمُ
وَبَعْدَ عُنُورِي فَقَدْ أَفْرَحْتُ مِنْ أَسَفٍ جَفْنِي ، وَأَدْعَى بَنَانِي بِعَدْلِكَ النَّدَمُ
أَطَعْتُ حُكْمَ اللَّيَالِي فِي فِرَاقِي مَنْ وَجَدَانَا كُلُّ شَيْءٍ بَعْدَهُ عَدَمٌ^(١)
لَمْ لَا تَصَامَتْ عَنْ دَاعِي الْفِرَاقِ ، وَمَا بَالِي صَلَيْتُ لَفَافِهِ ، وَهُوَ يَحْتَدِمُ
إِنْ تَقَلَّبِي اللَّيَالِي عَثَرِي ، وَأَفْزُرُ بِالْقُرْبِ مِنْكَ فَيَعَادُ اللَّقَا الرَّدَمُ^(٢)

فكتب إليه جوابا عنها أبياتا أولها :

جَاءَ الْكِتَابُ ، وَقَدْ تَعْصِفَ لَوْنُهُ خَوْفَ الْهَلَاكِ عَلَيَّ مِنْ إِبْطَالِهِ
فَأَعَادَ لِي رَوْحَ الْحَيَاةِ وَوُصُولُهُ وَلَقِيتُ قَاصِدَةَ الْمُنَى بِلِقَائِهِ

(٢٦٤)

وقال ، وكان له على ديوان الصناعة ، قبل أيام الملك الصالح (رحمه الله)
في كل سنة خروجُ كَتَانٍ بمائة دينار ، فأحال بها تجارا من أهل الشام عن ثمن
كُسوة قبضها منهم ، وتمادى مقامهم في الديار المصرية إلى أن خرج منها ،

(١) ضمن قول أبي الطيب المتنبي (٢٥٤ ط مطبوعة) :

يا من يزعلنا أن تدارهم وجدانا كل شيء بعده عدم

(٢) الردم : بلدة بالبحرين وموضع بحكة .

فَنِعُوا مِنَ الْإِطْلَاقِ ، وَوَصَلُوا إِلَى الشَّامِ ، وَلَمْ يَقْبِضُوا مِمَّا لَهُمْ فِي جِهَتِهِ شَيْئًا ،
فَسَالُوهُ فِي رَقْعَةٍ يَرْفَعُونَهَا إِلَى الْمَلِكِ الصَّالِحِ رَحِمَهُ اللَّهُ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ مُطَالَعَةً ، ضَمَّنَهَا
هَذِهِ الْآيَاتُ :

يُلَظُّ^(١) بِاللَّذِينَ مِنْ مَوْلَاهُ مُسْلِمُهُ حَتَّى يُخْلَصَهُ السُّلْطَانُ وَالْحَكَمُ
لَكِنَّ مَوْلَايَ يَقْضِي مَا اسْتَدْنْتُ ، وَلَا يَلْقَى سُؤَالِي مِنْهُ الصَّدَّ وَالسَّامُ
فَكَفَّهُ الْبَحْرُ ، لَكِنْ مَوْجُهُ يَدْرُ^(٢) وَجُودُهُ الْغَيْثُ ، لَكِنْ وَبَلُهُ^(٣) نَيْمُ
فَأَمَرَ الْمَلِكُ الصَّالِحَ بِجَبْدِ التَّوْقِيعِ ، وَوَفَاءِ التَّجَارِ ، وَتَحْلِيدِ التَّوْقِيعِ فِي الدَّوَاوِينِ .
وَاسْتَمَرَّ الْإِطْلَاقُ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ مِنْ نَظْمِهِ بِخَطِّهِ :

أَقْسَمْتُ بِالْجُودِ مَنَّا ، إِنَّهُ قَسَمُ
إِنَّا لَنَحْفَظُ فِيكُمْ مَعَ بَعَادِكُمْ
وَكَلَّمَا رَأَى وَاشْرَاقَ نَقْصُ مَذْهَبِهَا
لَسْنَا كَقَوْمٍ ، وَلَا تُزْرَى عَلَى أَحَدٍ
بِعِلْمِنَا قَدْ حَكَمْنَا فِي إِخَائِكُمْ
لَمْ يَعْرِفُوا لَكُمْ قَدْرًا ، وَإِنْ كَرُمْتُ
وَلَيْسَ ذَلِكَ لَشَيْءٍ غَيْرِ أَهْمٍ
وَالْعُرْبُ ، أَقْتُلُ دَاءَ يَهْلِكُ بِنُورِهِ
تَرَفَعْتَ مِنْكَ ، مَجْدُ الدِّينِ ، هَمَّةٌ مِنْ

وَالْمُودَةِ مِنْكُمْ ، لَئِنْ رَحِمُ
ثَمَرِيَّةٌ سَنَهَا فِي دِينِنَا الْكَرَمُ
أَضَحَتْ تَوَكُّدَهُ الْأَخْلَاقُ وَالشَّيْمُ
وَلَوْ ، فَلَمَّا رَجَوْهُمْ عَدَلُمْ ظَلَمُوا^(٤)
دَهْرًا ، وَمَا حَكَمُوا فِيكُمْ بِمَا عَلِمُوا
أَخْلَاقَهُمْ ، وَعَرَفْنَا قَدْرَ فَضْلِكُمْ
بِالطَّبِيعِ لَا تَنْفَقُ^(٥) الْآدَابُ عَنْهُمْ
أَنْ تَمْلِكَ الْحُكْمُ فِي أَعْنَاقِهَا عَجَمُ
نُجُومُهُ فِي سَمَوَاتِ الْعُلَا اِلْهَمُ

(١) أَلَفَ الْفَرَسَ : مَنَعَ مِنَ الْخَطِّ . (٢) الْبَدْرُ : جَمْعُ بَدْرَةٍ ، وَهِيَ كَيْسٌ فِيهِ سَبْعَةُ آلَافٍ دِينَارٍ .

(٣) الْوَيْلُ : الْمَطَرُ الشَّدِيدُ الضَّخْمُ . (٤) أَزْرَى عَلَيْهِ : ضَايَعَهُ .

(٥) يُشِيرُ إِلَى قَصِيدَةِ أَهَامَةِ الْمِمْبَةِ الَّتِي مَطْلَعُهَا :

وَلَوْ لَمَّا رَجَوْهُمْ عَدَلُمْ ظَلَمُوا

فَلَيْتَهُمْ حَكَمُوا بِمَا عَلِمُوا (٦) فَخَى : دَاخٍ . (٧) (وَأَقْرَسَ ٤٠)

إذا تَأَخَّرَتِ الآدَابُ وَاُمْتَنَعَتْ
وَلِنْ نَظَمْتَ قَرِيبًا فِي مَكَاتِبِهِ
لَهُ كُتُبٌ تَوَالَتْ فِيهَا خُرْدٌ
يَقُلُّ فِي فَضْلِهَا أَمْنَاهَا ، فَإِذَا
سَأَلْتَ مَا قَدْ أَجْبَاهُ ، وَمَا بَرَحَتْ
إِنْ أَمْسَكَ الْغَيْثُ فَانْظُرْ مَا تَجِيءُ بِهِ
وَلَوْ حَلَلْتَ بِوَادِيَنَا عَلَى وَجَلٍ
وَالْأَرْضُ مَا بَرَحَتْ مِثْلَ الرِّجَالِ
كَذَاكَ إِنْ قُلَّ حَظُّ الْوَدِّ عِنْدَكُمْ
يَا غَائِبِينَ ، وَقَدْ أَصْحَتْ مَنَازِلُهُمْ
قُولُوا لَنَا : هَلْ وَجَدْتُمْ مَعَ جَفَائِكُمْ
بِالسَّهْلِ مِنْهَا اعْتَصِمْتُمْ عَنْ مُعَانِدِكُمْ
قَالُوا : الْمَعَارِفُ فِي أَهْلِ النَّهْيِ ذِمٌّ
وَمَا نُلْطِقُ^(٢٧) بِدَرِينٍ تَدْعُونُ بِهِ
بَلْ عِنْدَنَا إِنْ سَأَلْتُمْ وَاثْقِينَ بِنَا
بَعْدَكُمْ ، وَمُنَا الْآنَ قَرُبُكُمْ
لَوْ أَبْصَرْتُ ، لَأَرَاتُ سَوْءَ أَعْيُونِكُمْ

تَقَدَّمْتُ لَكَ فِي إِحْرَازِهَا قَدَمٌ
فَالْبَحْرُ مَا زَالَ مِنْهُ اللَّثْرُ يُنْظَمُ
مَنْ بَحَرَ عَلَيْكَ قَالُوا : لِيْنَهَا كَلَمٌ
تَلَوْتَهَا ، فَهِيَ الْأَمْثَالُ وَالْحِكْمُ
قُصَادَاتَا فِي الَّذِي نَحْوِيهِ تَحْكُمُ
أَنَوَاتُنَا^(٢٨) ، فَهِيَ مَهْمَا شِئْتَهَا دِيمٌ
أَيَقْنَتَ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَنَّهُ الْحَرَمُ
يُرَى مِنَ الرِّجَالِ لَهَا الْإِثْرَاءُ وَالْعُدْمُ
فَالْحِطُّ كَالرِّزْقِ مَا بَيْنَ الْوَرَى قَسَمُ
صُدُورُنَا ، هَلْ عَلِمْتُمْ أَنَّهَا حَرَمُ
رَحَابِهَا الْيَوْمَ أَحْمَى أَمْ حَصُونُكُمْ
وَالنَّاسُ مِنْ قَبْلِ الْأَجَالِ تَعْتَصِمُ
وَقَدْ غَدَا بَيْنَنَا الْعِرْقَانُ وَالذَّمُّ^(٢٩)
حَتَّى يَخْلَصَهُ السُّلْطَانُ وَالْحَكْمُ
فِي حَاجَةٍ نَعِمٌ ، جَوَابُهَا نَعِمُ
فَكَيْفَ يَعْتَادُنَا فِي وَدِّكُمْ سَأَمُ
جَوَارِحِي الْيَوْمَ فِيكُمْ وَهِيَ تَخْتَصِمُ

(٢٧) التور : المخر . (٢٨) يشير إلى قوله الخنثي (٢٥٤ ط هجوية) :

وَجِئْنَا لَوْ رَجَعْتَ ذَاكَ سَرِيعَةً

إِنْ الْمَعَارِفُ فِي أَهْلِ النَّهْيِ ذِمٌّ

(٢٩) انظر ما سبق من ١٤٤ .

تَقُولُ عَنِّي لَقَلْبِي : قَدْ ظَنَرْتُ بِهِمْ تُؤْنِي ، وَمَالَكَ مِثْلِي أَدْمَعُ بِيهِمْ^(١)
وَقَوْلُ قَلْبِي لِعَيْنِي : إِنْ حَظِيْتُ بِهِمْ مَعَ بُعْدِهِمْ قَلِيلَ الْأَشْوَاقِ وَالْأَلَمِ
إِذَا رَأَيْتَ مَلِيكًَا ظَلَّ يَمْلِكُهُ وَفَاؤُهُ ، وَبَنُو الدُّنْيَا لَهُ خَدَمُ

(٢٦٥)

وَقَالِي مِنْ قَصِيدَةٍ تَقْدِمُ أَوَّلَهَا^(٢) :

يَا رَاكِبًا تَقْطَعُ الْبِيدَاءَ هَمَّتْ وَالْعَيْسُ تَعْجِزُ عَمَّا تُدْرِكُ الْهَمُّ
بَلِّغْ أَمِيرِي : مُعِينَ الدِّينِ ، مَا لَكَ^(٣) مِنْ فَارِجِ الدَّارِ ، لَكِنْ وَدَّهَ أُمُّ^(٤)
وَقُلْ لَهُ : أَنْتَ خَيْرُ التَّرِكَ فَضْلَكَ الْحَيَاءُ ، وَالذِّينُ ، وَالْإِقْدَامُ ، وَالكَرْمُ
وَأَنْتَ أَعْدَلُ مِنْ يُسَكِّي إِلَيْهِ ، وَلِي شَكِيَّةٌ ، أَنْتَ فِيهَا انْخَصَمُ وَالْحَكْمُ^(٥)
هَلْ فِي الْقَضِيَّةِ يَأْمَنُ فَضْلُ دَوْلَتِهِ وَعَدْلُ سِيرَتِهِ بَيْنَ الْوَرَى عِلْمُ
تَضَيُّعُ وَاجِبٍ حَقٍّ بَعْدَ مَا شَهِدْتَ بِهِ النَّصِيحَةَ ، وَالْإِخْلَاصُ ، وَالْخِلْمُ
وَمَا ظَنَنْتُكَ تَنْسَى حَقَّ مَعْرِفَتِي إِنَّ الْمَعَارِفَ فِي أَهْلِ الْتَهْيِ ذِمَّةُ^(٦)
وَلَا اعْتَدْتُ الَّذِي بَنَى وَبَيْنَكَ : مِنْ وَدَّ ، وَإِنْ أَجْلَبَ الْأَعْدَاءُ ، يَنْصَرُّ
لَكِنْ بِقَاتِكَ مَا زَالُوا يَغْشَهُمْ^(٧) حَتَّى اسْتَوَتْ عِنْدَكَ الْأَنْوَارُ وَالظُّلُمُ^(٨)
بَاعُوكَ بِالْخَسِيسِ ، يَبْقَوْنَ الْغَنَى ، وَلَهُمْ لَوْ أَنَّهُمْ عَدِمُوكَ ، لِلْوَيْلُ ، وَالْعَدَمُ

(١) بسم الله : سأل . (٢) اختر القصيدة ص ٤٠ .

(٣) المألوك : الرسالة . (٤) الأم : القرب .

(٥) ضمن قول المتن : (يا أعدل الناس إلّا في ساطق) فبك الختام وأنت انخصم والحكم

(٦) عجزيت قلبي وانظر الحاشي (٢) بالصفة السابقة .

(٧) أجلبوا : تجموا . (٨) في التريدة (بنتهم) تحريف .

(٩) ضمن قول المتن (٢٥٣ ط حنية) :

(وما انتفاع أعي الدنيا بتأخره) إذا استوت هذه الأنوار والظلم

والله ما نصَحُوا ، لما اسْتَشَرْتَهُمْ
 كم حَرَّقُوا من مَقَالٍ في سَفَارَتِهِمْ
 أَيْنَ الْحَيَّةُ^(١) وَالنَّفْسُ الْأَبِيَّةُ ، إِذْ
 هَلَّا أَنْفَتَ حَيَاءً ، أَوْ مَحَافِظَةً
 أَسْلَمْتَنَا ، وَسَيُوفُ الْهِنْدِ مُغْمَدَةٌ
 وَكُنْتُ أَحْسَبُ مَنْ وَالَاكَ فِي حَرَمٍ
 وَأَنْ جَارَكَ جَارٌ لِلسَّمَاءِ^(٢) ، لَا
 وَمَا طَبَانُ^(٣) ، بَأُولَى مِنْ أَسَامَةِ بَالِسَوفَاءِ ، لَكِنْ جَرَى بِالكَائِنِ الْقَلَمُ
 هَبْنَا جَنِينًا ذُنُوبًا ، لَا يَكْفُرُهَا
 أَلْقَيْتَهُمْ فِي يَدِ الْإِفْرِجِجِ مَتَبَعًا
 هُمُ الْأَعَادَى ، وَقَاكَ اللَّهُ شَرُّهُمْ
 إِذَا نَهَضْتَ إِلَى مَجِيدِ تَوَلَّاهُ^(٤)
 وَإِنْ عَرَّتَكَ مِنَ الْأَيَّامِ نَائِبَةٌ
 حَتَّى إِذَا مَا انْجَلَتْ عَنْهُمْ غَيَابَتُهَا^(٥)
 رَشَفْتَ آجِنًا^(٦) عَيْشٍ ، كُلُّهُ لَدَّرُ
 وَإِنْ أَتَاهُمْ بِقَوْلٍ عَنكَ مُخْتَلَقٍ

وَكُلُّهُمْ ذُو هَوًى فِي الرَّأْيِ مَتَّبِعٌ
 وَكَمْ سَعَوْا بِفَسَادٍ ، ضَلَّ سَعِيمٌ
 سَامُوكَ خُطَّةً خَسِيفَ عَارُهَا يَصِمُ^(٧)
 مِنْ فَعَلٍ مَا أَنْكَرَهُ الْعَرَبُ وَالْعَجَمُ
 وَلَمْ يَرَوْا سَنَانَ السَّمْهَرِيِّ^(٨) دَمٌ
 لَا يَعْتَرِيهِ بِهِ شَيْبٌ وَلَا هَرَمٌ
 يَخْتَنِي الْأَعَادَى ، وَلَا تَقْتَالُهُ النَّقِمُ
 عُنْدُ ، فَاذَا جَنَى الْأَطْفَالُ وَالْحُرُمُ
 رِضًا عَدَا يُسَخِّطُ الرَّحْمَنَ فَعْلَهُمْ
 وَهُمْ يَزْعُمُهُمُ الْأَعْوَانُ وَالْخَلْدُمُ
 تَقَاعَلُوا ، فَإِذَا شَيْدَتْهُ هَدْمُوا
 فَكُلُّهُمْ لِلَّذِي يُبَيِّكَ مَبْتَسِمٌ
 بِحَدِّ عَزَمِكَ ، وَهُوَ الصَّارِمُ الْخَلْدُمُ^(٩)
 وَوَرْدُهُمْ مِنْ تَذَاكِ السَّلْسَلِ الشَّمِ^(١٠)
 وَاشِرْ ، فَذَاكَ الَّذِي يَجِي ، وَيُحَرِّمُ^(١١)

(٢) وَصَمُ الثَّيِّ : طَائِفَةٌ . وَسَامَهُ : كَفَنَهُ .

(١) الْحَيَّةُ : الْأَحْمَةُ .

(٣) السَّوْمِلُ بْنُ عَادِيَةَ .

(٤) السَّمْهَرِيُّ : الزَّرْعُ الْمَلْبُوبُ .

(٥) طَبَانُ خَادِمٌ تَزَكَّى كَانَ لِأَبِيكَ طَلَبُ الْأَمْرَاءِ زَنْكَبِنْ آقَ سَفَرُ هَرَبٍ مِنْ خَدَمِهِ إِلَى دِشْقٍ فَطَلَبَهُ أَهْلُكَ الشَّيْخُ وَجَلَ فِيهِ فَاشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْهُنَّ الْهِنْدِ أَنْزَلْنِي وَجَاهًا . فَلَا أَلْجُ فِي طَلَبِهِ سِيرَهُ إِلَى الْعَرَبِ إِلَى الْبَرِيَّةِ ، وَلَقَامَ لَهُ بِمَا أَحْتَاجُهُ إِلَى أَنْ يَرُدَّهُ إِلَى خَدَمِهِ بِدِشْقٍ (وَأَنْظَرِ الرُّوضَتَيْنِ ١ : ١١٣) .

(٦) غِيَاةُ كُلِّ شَيْءٍ : مَا سَتَرَ عَنْهُ .

(٧) أَهْلُهُ : أَصْلُهُ .

(٨) الْآجِنُ : الْمَاءُ الْخَالِجُ الْعَلِيمُ وَالْوَلَدُ .

(٩) الْخَلْدُمُ : الْقَاطِعُ .

(١٠) حَيَاءٌ : أَصْلُهُ .

(١١) الشَّمِ : الْبَارِدُ .

وكلُّ من ملَّته عه قَرَّبوه ، وَمَنْ
 بَغِيًّا ، وَكَفَرًا لِمَا أُولَيْتَ مِنْ مَّيْنٍ
 جَزِيَّتُهُمْ مِثْلُ تَجْرِيبِي ، لَتَضُرَّهُمْ
 هَلْ فِيهِمْ رَجُلٌ يُغْنِي غَنَائِي إِذَا
 أُمَ فِيهِمْ مَنْ لَهْ فِي الْخَطْبِ ضَاقَ بِهِ
 لَكِنْ رَأَيْكَ أَذْنَانَهُمْ ، وَأَبْعَدَنِي
 وَمَا تَخَطَّطُ بِعَادِي إِذْ رَضِيتَ بِهِ
 وَلَسْتُ آمَنِي ^(١) عَلَى التَّوَحُّلِ عَنْ بَلَدٍ
 تَعَلَّقْتُ بِجِبَالِ الشَّمْسِ مِنْهُ ^(٢) يَدِي
 لَكِنْ فِرَاقُكَ آسَانِي ، وَأَسْفَنِي
 فَاسْلَمْ ، فَاغَشَيْتَ لِي فَالْهَرُ طَوْعُ يَدِي
 وَالْآلَافُ هُوَ الَّذِي يُقْصَى ، وَيَهْتَمُّ ^(٣)
 وَمَرْتَعُ الْبَغِيِّ ، لَوْلَا جَهْلُهُمْ ، وَخِمٌّ ^(٤)
 فَلِلرَّجَالِ إِذَا مَا جُرُّوا قِيمٌ
 جَلَّالِ الْخَوَادِثِ حَدُّ السَّيْفِ وَالْقَلَمِ
 ذَرُّعُ الرِّجَالِ يَدُ يَسْطُو بِهَا وَفَمٌ
 فَلَيْتَ أَنَا يَقْدِرُ الْحُبُّ تَقْسِمُ ^(٥)
 وَمَا لِلْجُرْحِ إِذَا أَرْضَاكُمْ أَلَمٌ ^(٦)
 شُهْبُ الْبِرَاةِ سَوَاءٌ فِيهِ وَالزَّخْمُ ^(٧)
 ثُمَّ انْتَنَتْ وَهِيَ صَفْرُ ^(٨) ، مَلُؤَهَا نَدَمٌ
 فِي الْجَوَانِحِ نَارٌ مِنْهُ تَضْطَرُّمُ
 وَكُلُّ مَا نَالِي مِنْ بُؤْسِهِ نَعَمٌ ^(٩)

(٢٦٦)

وقال ، وكتب بها إلى ابن عمه الأمير ناصر الدين تاج النُّوَلَةِ أبي عبد الله
 محمد بن سلطان بن علي بن مقلَّد بن نصر بن منقذ ، رحمه الله ، يستعينه في فكِّك
 أخيه نجم النُّوَلَةِ أبي عبد الله محمد بن مُرشد بن عليٍّ من أُمِّ القُرَيْجِ ، وكان أَسْرَ

(١) الاحتضام : التلم . (٢) أرض وثمة : لا ينجح كلُّها .

(٣) مجزيت الخبي : (إن كان يحبها حب لفرقة) فليت أنا يقدر الحب تقسم

(٤) مجزيت الخبي : (إن كان سرَّكم ما قال حاسدا) فلا يلرح إذا أرضاكم أَلَم

(٥) أسيت عليه : حزن . (٦) مجزيت الخبي :

(وشر ما قصته راحتي قص) شهب البراة سواة فيه والزخم

والباقي : ضرب من الصدور . والثبية : يابض يصلمه سواد : جمع وثمة وهي طائر ضعيف .

(٧) في تحريدة القصر (فه) . (٨) صفر : خالية .

(٩) انحصر معجم الأديباء وكتاب الروضتين على بن من هذه التسمية مع اختلاف في القديم والتأخير أحيانا .

في طريق مصر ، وقد خرج معهم في خروجهم مع الأفضل عباس بن أبي الفتح ابن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس وزير مصر يومئذ والسلطان بها :

يا ناصر الدين ، يابن الأكرمين ، ومن بُغِي نَدَى كَهْ عَن وَايِلِ الدِّينِ^(١)
وَمَنْ حَوَى السَّبَقَ فِي فَضْلِ ، وَفِي وَرَجٍ وَفِي عَفَافٍ ، وَفِي هَيْبٍ ، وَفِي كَرَمٍ
أَنْتَ الْعَمِيُّ ، عَلَى مَا فِيكَ مِنْ لَسَنِ عَنِ (لَا) ، وَأَفْصَحُ خَلْقِ اللَّهِ فِي (نَم)
تَوَلَّى الْجَمِيلَ بَلَا مِنْ تَكْدَرُهُ لَا كَثُرَ اللَّهُ مَا أَوْلَاكَ مِنْ نِعَمٍ
هَذَا ابْنُ عَمِّكَ فِي أَسْرِ الْقَرْجِ ، لَهُ حَوْلٌ نَجْرَمٌ^(٢) ، فِي الْأَغْلَالِ وَالظُّلَمِ
يَدْعُوكَ ، لَا بَلَّ أَنَا الدَّاعِي نَدَاكَ لَهُ يَأْخِيزُ مِنْ عِلْقَتِهِ كَيْفَ مَعْتَصِمٍ
وَأَنْتَ أَكْرَمُ مَنْ تَنْبِيهِ عَاطِفَةُ الْقُرْبَى ، وَيَرْجُوهُ لِحْلَى ذَوِ الرَّحِمِ
وَمَنْ تَكُنْ أَنْتَ مَوْلَاهُ وَنَاصِرُهُ فَكَيْفَ تَسْطُو عَلَيْهِ كَيْفَ مَهْتَضِمٍ
لَا تُخَوِّجْنِي إِلَى مَنْ الرِّجَالِ ، فَا حُلُّ الْأَيْدِي ، وَإِنْ أَعْسَرْتُ ، مِنْ شَيْءٍ
وَلَا تَنْظَنِّي أَدْعُو سِوَاكَ ، وَلَا يَفْوُهُ مَجْتَدِيًا إِلَّا إِلَيْكَ فَيُ
عَلَامٌ أَرْتَشَفَ الرِّقَّ^(٣) الْأَجَاجَ ، وَقَدْ رَوَيْتَ كُلَّ صِدِّ مِنْ بِحْرِكَ الشَّمِ
أَنَا ابْنُ عَمِّكَ ، فَاجْعَلْنِي بِفِكَ أَمِيٍّ مِنْ أَمِيرِهِ ، لَكَ عَبْدٌ ، مَامَشَتْ قَدَمِي
فِيكَ مِثْلِي لَا يَغْلُو بِمَا بَذَلَ الْمُبْتَاعُ فِيهِ ، وَلَا يُسْتَامُ^(٤) بِالْقِيمِ
فَلَمْ يَحْرُكْهُ الشَّرُّ ، وَلَا سَعَى فِي خِلَاصِهِ ، وَلَا أَعَانَ عَلَيْهِ ، وَادَّخَرَ اللَّهُ تَعَالَى
أَجْرَ خِلَاصِهِ وَحَسَنَ ذِكْرَهُ ، لِلْوَلِيِّ الْمَلِكِ الْعَادِلِ نُورِ الدِّينِ آدَامَ اللَّهِ أَيَّامَهُ ، فَوَهَبَهُ
فَارِسًا مِنْ مَقْدَمِي الدَّوَايَةِ^(٥) ، يُقَالُ لَهُ الْمَشْطُوبُ ، قَدْ بَذَلَ الْقَرْجُ فِيهِ عَشْرَةَ آلَافٍ
دِينَار ، فَاسْتَخْلَصَ بِهِ أَخَاهُ مِنَ الْأَمْرِ .

(١) القديم : جمع دية وهي طريقهم في سكوت بلا ريد وريد . (٢) نجزم : نل .

(٣) في الأصل : الذب . والصحيح من رواية علي حاش التبعة . وروى المساء كفرح نصر رقا بسكون النون وضحا وروفا : كدر . والأجاج : الملح المر .

(٤) استام البطة : طلب يميها . (٥) الدواية : طائفة من القرع الصليبين .

قافية النون

(٢٦٧)

وقال ، وكتب بها إلى أخيه عزَّ النُّوْلَةِ رحمه الله :

هَذَا كِتَابُ قَيِّ أَحَلَّتْهُ النَّوَى أَوْطَانَهَا ، وَنَبَتْ ^(١) بِهِ أَوْطَانُهُ
شَطَطَتْ بِهِ عَمَّنْ يُحِبُّ دِيَارُهُ وَتَفَرَّقَتْ أَيْدِي سَبَا ^(٢) لِإِخْوَانِهِ
مُتَتَابِعِ الزَّفَرَاتِ بَيْنَ ضُلُوعِهِ قَلْبُ يَبُوحٍ بِسِرِّهِ ^(٣) خَفَقَانُهُ
تَأْوَى إِلَيْهِ مَعَ الظَّلَامِ هُمُومُهُ وَتَلَوْدُهُ ^(٤) عَنْ نَوْمِهِ أَشْجَانُهُ
أَلِفَتْ مُقَارَعَةَ الْكَلِمَةِ ^(٥) جِيَادُهُ وَسُرَى ^(٦) الْهَوَاجِرِ ^(٧) ، لَا يَنْبِي ذَمْلَانُهُ ^(٨)
يَوْمَانِ أَجْمَعُ دَهْرِهِ إِمَّا سُرَى أَوْ يَوْمُ حَرْبٍ تَلْتَظِي نِيرَانُهُ
لَكِنَّهُ لَا يَسْتَكِينُ لِحَادِثِ خَوْفِ الْحَمَامِ ، وَلَا يُرَاعِ جَنَائِهِ

(٢٦٨)

وكتب في صدر كتاب :

أَحْنُ لِيَكُمُ ، وَالْمَهَامَةُ يَبْنَتَا حَنِينَ الْوَيْفِ بَانَ عَنْهَا قَرِينُهَا
وَأَسْتُرُ أَشْوَاقِي ، وَأَعْلَمُ أَنَّ لِي لَدَى ذِكْرِكُمْ ، أَنْفَاسٌ وَجِدْتِيْنَهَا

(١) لم تواقع .

(٤) القود : البرد والدفء .

(٢) تفرقوا أي سبأ : تبعوا .

(٥) الكلمة : جمع كمي ، وهو الشجاع .

(٣) بهاشم النسخة (به) رواية .

(٦) السرى : سيرة طاعة الليل .

(٧) الهواجير : المهرج : النجيب الجليل والجليل من كل شيء . والفاقي القاضل على غيره .

كالمهر (ككتف) والمهاجر .

(٨) ذمل يذمل ضرب من سحر الإبل ، قبل هو السحر العين . ذمل يذمل ذميلاً وذملات .

(٢٦٩)

وكتب إلى صديق له بمصر :

نفسى القداء لمن أذود بذكره عني عواذى الهم والامحان
وإذا قررت من الخطوب جعلته قتي^(١) فيفرقها^(٢) امتناع مكاني
وكان معجزة المسيح كتابه فإذا قضيت^(٣) من الأسى أحياني

(٢٧٠)

وكتب إلى أخيه عز التولة :

وإن امرأ أضى "بإربل" داره وفي شيزر^(٤) أحبابه وشجونه
لغير ملوم في الحنين إليهم ومعلومة أن تسهل جفونه^(٥)

قافية الهاء.

(٢٧١)

وَمَا يَلْتَحِقُ بِهَذَا الْبَابِ قَوْلُهُ يُعَاتِبُ^(٦) :

إن ألقه مرة قربى ، وآسسه وإن أغب صد عني معرضاً، ولها
كأنني ميتٌ ، في النوم يُبهجه لقائه ، ثم ينساه إذا انتبها

(١) القصة : الطاعة .

(٢) يفرقها : يفرقها .

(٣) قضى : مات . والأسى : الحزن .

(٤) إربل : مدينة كبيرة من أعمال الموصل . وشيزر : قلعة كانت لدى مقلد بالقرب من حاة بالقسام .

(٥) في حاشى الديوان عن نسخة (شونه) . والشون : جمع شان وهو مجرى الدمع إلى العين . واستل المطر :

اشتد أمواجه .

(٦) اليجان من غنارات المسالك لأساسة (١٠ : ٥٠٩) .

قافية الياء

(٢٧٢)

وقال :

وافى كتابك مُعلنًا بسلامة قدَحَت زنادًا في الجوانح وأرياً^(١)
 وقرأته ، فوجدت طرفي ضاحكًا فرحًا برؤيته ، وقلبي بأرجا
 وتعمدتنى نافذاتٍ مِساهمه حتى إذا أصميتُ^(٢) عدتُ مكاوياً
 وتطلعتُ منه أراقمُ رَمَلَةٍ يُردى السليمُ لُعابها والراقياً^(٣)
 فكان ذلك العُرسُ^(٤) أضحى سَلَّةَ الحَاوِي ، وهاتيك السطورُ أفاعياً

(١) ورت النار : اجمدت .

(٢) أصمى الصيد : رماه ، قطع مكانه .

(٣) الأرقم : جمع ارقم وهو أعبت الحيات وأطلقها لقناس . ويرى : يهلك . والسليم : اللين .

(٤) العُرس : الصبيبة .

باب الأوصاف

قافية الباء

(٢٧٣)

من قصيدة كتبها إليه الملك الصالح ، يصفُ الزَّلْزَلَةَ الكائنة بِشِيرَ :
رَقَعْتُ أَرْضَهُ عَشِيَّةً غَنَى الرَّ عَدُّ فِي الْجَوِّ ، وَالكَرِيمُ طَرُوبُ
وَتَنَنَّتْ حِيطَانُهُ ، فَأَمَاتَتْهَا شَمَالُ بَزْمَرِهَا ، وَجَنُوبُ
لَا هُبُوبُ لَنَانٍ مِنْ أَمَانِيهِ ، وَلِلْعَاصِفَاتِ فِيهَا هُبُوبُ
وَأَرَى الْهَرَقَ شَامِتًا ضَا حَكَ السِّنِّ ، وَلِلْجَوِّ بِالْفَهَامِ قُطُوبُ
ذَكَرُوا أَنَّهُ تَلُوبُ بِهِ الشَّحْبُ ، فَمَا لِلصُّخُورِ أَيْضًا تَلُوبُ
أَبْتَنِبَ أَصَابَهَا قَدْرُ اللَّهِ ، فَلِلْأَرْضِ كَالْأَنَامِ ذُوبُ !

قافية الدال

(٢٧٤)

وقال في ضرس قلعه^(١) :

وَصَاحِبِ لَا تَمَلُّ^(٢) الدَّهْرَ مَحَبَّتَهُ يَشْقَى لِنَفْسِي ، وَيَسْعَى سَعَى مُجْتَنِدِ
لَمْ أَلْقَهُ مَذْ تَصَاحِبَتًا ، فَمِنْ بَدَا لِنَاظِرِي أَقْرَبْنَا فُرْقَةً الْأَبَدِ

(١) راجع ص ١٦٤ و ٢٩٦ وورد مخطوطة في الروضتين ١٠٦٠١ و ١١٨

(٢) هذان البيتان رواهما ياقوت ١٩٤ : ٥ ، وسالك الأبحار ١٠ : ٥٠٨ ، وكتاب الروضتين ٢ : ٢٩٤

(٣) الراوية في ياقوت والحريدة (لا أصل)

قافية العين

(٢٧٥)

وقال في الشَّعة :

أُنْبِئِي فِي لَيْلِ الْقَطِيعَةِ مُشَبِّهِ : مُحَوَّلًا ، وَتَسْهِدًا ، وَلَوْنًا ، وَأَذْمُعًا
أَوَاجُهُ وَجَهًا مِنْهُ حَيْثُ رَأَيْتُهُ مِنْيرًا إِلَى مَنْ أُمُّهُ مَتَطَلَعًا
فَلْبَسَ جِسْمِي سَقَمَ جَفْنِيهِ حَيْثُ بَدَأَ لِي عَائِنَتُ الْمَسْلَاحَةِ أَجْمَعًا

(٢٧٦)

وقال فيها :

وَمَفْرَدَةٍ تَبْكِي إِذَا جَنَّ لَيْلُهَا خُفَاتًا ، وَفِي أَحْسَانِهَا النَّارُ وَاللَّذُّعُ
تَنُوبُ جَوِّي ، إِمَّا لَصْدٌ وَهَجْرَةٌ وَإِمَّا لَبِيبٌ ، مَا لَتَشْتَبِيهِ جَمْعُ
فَلَمْ أَرْ جَمْرًا ذَائِبًا غَيْرَ دَمِهَا وَلَا جِسْمَ بَاكِ قَبْلَهَا كُلُّهُ دَمْعُ

قافية القاف

(٢٧٧)

وقال من أبيات :

وَمَلَّ عَنْكَ الْهَمُومَ إِنْ طَرَقَتْ بَيْنَتِ كَرِيمَ ، فِي الْكَأْسِ تَأْتَلِقُ
إِذَا فَرَاها^(١) الْمَزَاجُ أَضْرَمَهَا وَقَلَّتْ : أَيْدِي السُّقَاةِ تَحْتَرِقُ

(١) فَرَاها بغيره : شَقَّه . وَهَذَا الْبَيْتُ وَالْبَيْتُ بَدَلَهُمَا اخْتَارَهُ سَابِقُ الْأَبْجَارِ لِأَمَامَةِ (١٠ : ٥٠٣) .

تَوَجَّهَ الْمَاءُ مِنْ فَوَاقِهِ تَاجًا ، بِهِ تَرْتَدِي وَتَنْتَلِقُ^(١)
يُقَالُ : مَا تَسْتَقِرُّ وَالْهَمُّ فِي صَدْرٍ ، فَيَا نِعْمَتَاهُ لَوْ صَدَّقُوا
وَأَيْنَ مِنْ هَمِّي الْمُدَامُ ، وَقَدْ سُدَّتْ عَلَيْهِمَا مِنْ دُونِهِ الطَّرِيقُ

(٢٧٨)

وقال في ضرس قلعه^(٢) :

اَعْجَبَ لِحُجُبٍ عَنْ كُلِّ ذِي نَظَرٍ صَحْبَتُهُ النَّهْرَ ، لَمْ أُسْبِرْ^(٣) خِلَافَتُهُ
حَتَّى إِذَا رَأَيْتُ قَابِلَتَهُ ، فَقَضَى حَيَاؤُهُ وَإِبَانِي أَنْتَ أَفَارَقُهُ

قافية الميم

(٢٧٩)

وقال في مقلة كيمخت^(٤) أسود ، أهديت إليه ، وفيها أفلام مبرية وسكين :

وافتك حالك السواد ، يحالها صَبَغَ الشَّيَابُ النَّظِيرُ الْمُتَوَسِّمُ
فيها رماح الخبط مرهقة الشَّيْبِ^(٥) تُرْدِي الطَّعِينَ ، وَلَا يَضُرُّجَهَا^(٦) دَمُ
من كل أهيف إن جرى في طرسه نَاجِي ، فَأَفْهَمَ ، وَهُوَ لَا يَتَكَلَّمُ
بيض الأبدى في سواد لعايه فَكَأَنَّمَا الْأَرْزَاقُ مِنْهُ تَقْسَمُ
نحوي مُسَلَّطَةً^(٧) عليها ، يحشني مِنْ حَتَمِ الْمَاضِي الْحَسَامِ الْمُخْتَمِ^(٨)
تأديها لهم بقطع رؤوسهم إِنْ قَصَّروا فِي السَّعْيِ عَمَّا تَرُمُّ
فانعم بحسن قبولها متطولا فَالْشُّكْرُ لَا يَجُودُ إِلَّا مِنْكُمْ

(٥) الشبا : جمع شاة ، وهي حذق قبيح .

(٦) ضربه : لفته .

(٧) الملقطة هنا يراد بها : السكين .

(٨) المختم : القاطع .

(١) ترتدي : تلجس الزوا . وتنتلق : تغير المنطقة .

(٢) راجع وصفه للضرس ص ١٥٢ .

(٣) لم أسبر : لم أعتبر .

(٤) نوع من الجلود .

باب الملح

قافية الباء

(٢٨٠)

وقال على لسان الشيخ أبي صالح بن المهذب رحمه الله ، على سبيل المداعبة ،
في جارية اسمها شوق ، كانت لبعض العرب النازلين بشيزر ، وكانت ينفرُ
من ذكرها له :

قولا لريم ^(١) في حلة ^(٢) العرب :	إليك أشكو ما يصنعُ اسمك في
بما استجازت عينك سفك دمي	وأخذ قلبي في جملة السلب
جارك أولى برغي ذمته	إن أنت راعيت حرمة الصقب ^(٣)
لولالك ، والدهر كله عجب	ما خُفرت في ذمة العرب
هذا هو ، كنت في بلهنية	عنه ، فيا لرجال العجب
أسترق الكرم ذا النسب الوا	ضح عبد مستعجم النسب
ويحمل الثأر من به خور ^(٤)	عن احتمال الحبال والقلب ^(٥)
نشدتك الله في احتمال دمي	فعشيري ما يفوتهم طلبي
ما فات قومي آل المهلب من	قلي ثأر في سالف الحقب
فلا تريق دما لني أدب	يسطو بأقلامه على القضب ^(٦)

(١) الريم : الغلي الخالص اليابس .

(٢) الحلة بكسر الحاء : القوم النزول ، وجماعة يوت الناس .

(٣) الصقب بالتحريك : القريب والقرب .

(٤) انلور : الضعف .

(٥) الحبال : الخلائع . والقلب : سوار المرأة .

(٦) القضب : السيف .

قافية الساء

(٢٨١)

وقال بمحسن الطوبان^(١) على سبيل الدُّعابة :
مَنْ أَرَى الطُّوبَانَ قَدْ مَهَّدَتْ حِيطَانَهُ السُّودَ المَحَارِثُ
مَا فِيهِ إِلَّا رِيحُ عَادٍ ، وَأَجْلَافُ طِفْءٍ^(٢) ، وَرَاعِثُ

قافية الراء

(٢٨٢)

وقال ، على سبيل المجون ، في سَوْدَاءَ :
شَيْبَةً حَبَّاتِ القُلُوبِ ، لَكَ الهَوَى وَهَلْ لِفَوَادٍ عَنْ سُودَانِهِ صَبْرُ
عَلَى تَحْرِيكِ الدَّاجِي زَهَا النَّرِّ مِثْلَهَا زَهَتْ فِي دِيَارِي اللَّيْلِ أَنْجَمُ الزُّهْرِ
لَأَنْتَ شَبَابٌ مَا يَسِينُ سَوَادَهُ بَيَاضُ مِثْيَبٍ ، وَالشَّبَابُ هُوَ الْعَمُرُ
لَقَدْ أَكْثَرَ التَّوَامُ فِيكَ ، وَجَهْلُهُمْ إِذَا عَنَّفُونِي فِي هَوَاكَ ، هُوَ الْعُذْرُ

(٢٨٣)

وقال أيضا بمحصر ، وكان له جَارٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ يَعْرِفُ بِفَخْرِ الْمَلِكِ بْنِ طَلَيْبٍ ،
وَقَعَتْ فِي دَارِهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ ، وَقَصِدَ المِجُونُ مَعَهُ وَالْعَبَثُ :

أَنْظُرْ إِلَى الْأَيَّامِ ، كَيْفَ تَقْوَدُنَا قَسْرًا إِلَى الْإِقْرَارِ بِالْأَقْدَارِ
مَا أَوْقَدَ ابْنُ طَلَيْبٍ قَطُّ بِدَارِهِ نَارًا ، وَكَانَ هَلَاكُهَا بِالنَّارِ

(١) الطوبان : حسن من أعمال حصن أو حاة . (ياقوت) .

(٢) الطِفْءُ : أَوْغَاد النَّاسِ .

قافية الشين

(٢٨٤)

وقال ^(١) :

أَمِيرُنَا ^(٢) زَاهِدٌ، وَالنَّاسُ قَدْ زَهَدُوا لَهُ ؛ فَكُلُّ عَلَى الطَّلَاعَاتِ ^(٣) مُنْكَشُ
أَيَّامُهُ ، مِثْلَ شَهْرِ الصَّوْمِ : طَاهِرَةٌ ^(٤) مِنَ الْمَعَاصِي ، وَفِيهَا الْجَوْعُ ، وَالْعَطَشُ

قافية الصاد

(٢٨٥)

وقال :

رُمَاتُ مِصْرَ كَأَنَّهُ ذُرَّةٌ أَكَلَهُ شَاخِصٌ ^(٥) مِنَ الْغُصَصِ
وَالرِّيقُ فِيهَا ، قَدَحٌ سِوَاهُ ، إِذَا أَسَاغَهُ الْمَرْءُ كَانَتْ بِالْغُصَصِ
وَلَيْسَ بِرَضَى اللَّيْبِ عِيشَتُهُ فِيهَا ، وَلَكِنْ زُدَيْقٌ ^(٦) فِي الْقَفَصِ

قافية القاف

(٢٨٦)

وقال يداعب بعض الاصحاب :

إِذَا صَاحِبَتَ عَمْرًا فِي طَرِيقٍ فَقَدْ سَايَرْتَ ظِلَّكَ فِي الطَّرِيقِ
قَاتٍ لَمْ تَلَقْ إِنْسَانًا سِوَاهُ تُرَاقِبُهُ ، فَأَنْتَ بِلَا رَفِيقِ

(١) جذان البيان عارو يا لأسامة في الخريدة ١ : ١٠٣ ، ويا قوت في معجم البلدان ٥ : ٢٠٤ ، والروضتين ٢ : ١٢٩ .

(٢) في الخريدة ويا قوت "سلطاناً" .

(٣) في المصدين السابقين "انفجرات" .

(٤) في المصدين السابقين "خالية" .

(٥) شخص بصره : فتح عينيه وبصر لا يظرف .

(٦) زديق : طائر

قافية اللام

(٢٨٧)

وقال في أعرج :

عَابُوا هَوًى شَادِنٌ^(١) فِي رِجْلِهِ قَصْرٌ مِنْ سُكْرِ الْحَاظِلَةِ فِي مَشْيِهِ تَمَلُّ^(٢)
وَمَا هَوًى خُوطِ بَانَ مَاسٌ مِنْ هَيْفٍ عَيْبٌ، وَإِنْ كَانَ عَيْبًا فَهُوَ مُتَحَمِّلٌ

قافية الميم

(٢٨٨)

وقال ، وقد اجتازَ بقرية له من أعمال بالوا^(١) ، تسمى لُغَى كُوم ، كثيرة الفواكه
والأشجار ، باردة الماء ، وجميع فلاحيتها أُرْمُنٌ لا يعرفون العربية :

نَزَلْتُ بِأَرْضٍ (بَالُوَا) ، وَهِيَ حِصْنٌ عَلَا ، حَتَّى تَمْنَطُقَ بِالنَّجْمِ
بُرُومٌ ، لَا تَلَاثُمُهُمْ مِابَاعِي وَمَا الْعَرَبِيُّ ذُو الْإِلْفِ رُومِ
سَلَامُهُمْ (هَزَارٌ)^(٢) بَارِيكَ مَاذَا شَيْءٌ سَلَامِ نُزَانِ النِّعَمِ
وإن كَلَّمْتَهُمْ قَالُوا : (أَشْكَدِيمُ)^(٣) وَلَسْتُ بِعَالِمٍ مَعْنَى (أَشْكَدِيمِ)
وَمَا نَسَوِي^(٤) (لُغَى كُوم) وَإِنْ هِيَ سَجَا^(٥) لَيْلِي بِهَا ، وَصَفَا نَسِيمِي
وَبَرْدٌ مِابَاهَا ، وَجَنَى جَنَانِ تُحِيطُ بِهَا ، وَيَانَعَةُ الْكُومِ
مُقَامِي بَيْنَ قَوْمٍ ، إِنْ تَدَاعَوْا سَمِعْتُ دَعَاءَ أَصْدَاءِ^(٦) وَبُومِ

(١) الشادن : ولد الظبية قوى واستغنى بن أمه . (٢) انزل حركة : السكر . ثمل كفرح فهو ثمل .

(٣) الخوط : النصف الثاني .

(٤) في ياقوت : بالوقلة حببة وهدية من نواحي أرمينية بين أردن الروم وخراسان .

(٥) ر (٦) هذه ألفاظ غير عربية .

(٧) يقال هو لا يساوي شيئا . ولا يسوى كيرضى قلة . (٨) حيا : مكن .

(٩) أصدا : جمع صدى : ما يردده الجبل على الصوت فيه .

(٢٨٩)

وقال في ولده اسمه عتيق ، وكنيته أبو بكر ، على سبيل المحبون :
عتيقي كاهلال ، إذا تبدى لسارى الليل من تحت الغيوم
تقول ، إذا به الأتراب حَفَوا : أهذا البدر ما بين النجوم

قافية النون

(٢٩٠)

وقال بدمشق ، وكتب بها إلى أصدقائه ، وهم عند سماع ، على طريقة الصوفية ،
فيهم صبيُّ قَوَّال ، اسمه رضوان ، حسن الصنعة والوجه ، على سبيل المحبون :
يا ساكني جنَّة ، رضوان خازنها هنيئتم العيش في روج وريحان
مروا النَّسيم ، إذا ما الفجر أيقظه بحمله طيب نشر^(١) منه أحياني
أو فابعدوا نعمة منه يعيش بها قلبي ، فقد مات مذ حين وأزمان
ظهي أغن^(٢) تردى بالدجى ، وجلا تشمس النهار ، على عُصْن من ألبان
في فيه ما في جنان الخلد : من دُرِّ ومن رحيق ، ومن مسك ، ومرجان
إذا بدأ وشدا في مجلس ظنروا بمنية النفس من حُسن وإحسان
لا تنسيني يا أبا نصير^(٣) ، إذا حضرت قلوبكم بين مزموم وطرخاني^(٤)
كن لي وكلاء على الرؤيا ، ووكل لي سواك يسمع عني شدو رضوان

(١) النشر : الريح الطيبة .

(٢) الأغن من الغزلان وغيرها : القى في صوته غنة .

(٣) كان أبو نصر هذا أطروشا - اه قلا عن الهيران .

(٤) طرخان : اسم الرئيس الشريف : كلمة ترسانية . وزم القربة : ملاها .

وَقُلْ لَهُ : يَتَعَيَّ من قَلْبِهِ صَوْتًا يُجَدِّدُ لِي شَجْوَى ، وَأُفْجَانِي
نَسِيمَهُ يَتَلَقَّانِي بِزَوْرِهِ مُبَشِّرًا لِي بِهِ مِنْ قَبْلِ يَلْقَانِي

(٢٩١)

وقال ببغداد ، وهو متوجه إلى مكة :

وَصَفُّوا لِي بِبَغْدَادَ حِينًا ، فَلَمَّا جِئْتُهَا ، جِئْتُ أَحْسَنَ الْبُلْدَانِ
مَنْظَرٌ مَبْهِجٌ ، وَقَوْمٌ مَرَّاءُ^(١) قَدْ تَحَلَّوْا بِالْحُسْنِ وَالْإِحْسَانِ
لَيْسَ فِيهِمْ عَيْبٌ سِوَى أَنْ فِي كُلِّ بَنَانٍ عِلَاقَةٌ الْمِيزَانِ
وَسَمِعْنَا ، وَمَا رَأَيْنَا سِوَى أُمِّ ظُلُومٍ^(٢) فِيهَا مِنَ النِّسْوَانِ
وَهِيَ جِنِيَّةٌ كَأَقْبَحِ مَا شَرَّهَهُ رَبُّنَا مِنَ الْفِيلَانِ
إِنَّ فِيهَا مِنَ الصَّبَايَا كُفُوسًا فِي عُصُونٍ تَهْتَزُّ فِي كُثْبَانِ
شَغَلْنَا السَّبْعُونَ وَالْحُجَّ عَنْهُنَّ ، فَقَلْنَا بِالسَّمْعِ دُونَ الْإِيَانِ

(١) المرأة : السادة .

(٢) أم ظلوم : مجوز كانت في الدار التي نزلها ببغداد فيمة المنظر - اهتلا عن هاشم الهويان .

باب المديح

قافية الباء

(٢٩٢)

قال في الأفضل عباس بن أبي الفتوح^(١) ، شفاعة لإنسان :

لقد عمَّ جُودُ الأفضل السَّيدِ الورى وأغنى غناء الغيث حيثُ يصبُ
أعدتُ ربيعَ النَّاسِ في كُلِّ بلدةٍ فليسَ بها للرائدين جُذوبُ
وجادتْ لهمُ بالمالِ يُمنَّاكُ ، إنَّها بذولُ على بُحْلِ الزَّمانِ وهوبُ
”وفي“^(٢) كُلُّ حَيٍّ قد خَبَطَتْ بِنِعْمَةٍ حَقَّ لِنَاسٍ من نَدَاكَ ذُئوبُ“^(٣)

(٢٩٣)

وكتب إلى الملك الصَّالح من قصيدة سيأتى أولها :

غرَّني لامعُ السَّرابِ ، وهذا السَّجَرُ دُونِي عَذْبُ المِياهِ شَرُوبُ
مرْتُ أَسْتَقْرِئُ الحَوَّلَ ، وفي أَرَضَى مَرَعَى عَيْنِي^(٤) ، ووَادٍ قَشِيبُ
وسحابٌ منه تعلَّبتِ السَّحْبُ ، وإن لم تُشبهه ، كيفَ تصوبُ
سوءُ حِفْظٍ أَنَايَ عن الملكِ الصَّالحِ ، والحِظُّ يَتَهَى وَيُثُوبُ^(٥)
وإلى بابِهِ مَالِي ، ولَا يَنْقُصُ^(٦) حُسْنُ القَبُولِ حينَ يُنِيبُ^(٧)

(١) وزير مصرى قتلته الفرنج سنة ٥٥٠ هـ . راجع المقدمة .

(٢) هذا البيت لطيفة بن عبدة كافي اللسان (خبط) وشاس اسم أمى طقمة . وخطبة بنعمة : أعطاه .

(٣) الذئوب : الخطوط الصيب . (٤) العين : يقر الوحش .

(٥) ثاب : رجع . (٦) لا ينقص : لا يفتقر .

(٧) أناب : تاب .

غَابَ عَنْهُ جِسْمِي ، وَقَلْبِي مَا زَالَ لَكَ مَقِيماً بِيَايِهِ ، لَا يَغِيبُ
 إِذَا مَا سَمِعْتَ بِالنَّازِحِ^(١) اللَّهُ إِنِّي فُتِنْتُ ذَلِكَ الْبَعِيدُ الْقَرِيبُ
 وَمَتَى مَا قَرَّبْتُ مِنْهُ لِحُظِّي مِنْ عُلَاهُ التَّقَرُّبِ وَالتَّرَحُّبِ
 وَبِمَا نِلْتُ مِنْ نَدَى الْمَلِكِ الصَّالِحِ أَقْسَمْتُ صَادِقاً لَا أَحُوبُ^(٢)
 لَا ثَنَانِي الْإِعَادُ عَنْهُ ، وَإِنْ حَاكَ لَتَ أَعَادُ مِنْ دُونِهِ وَحُرُوبُ
 أَوْ يُرَوِّى بِرُؤْيِي وَجْهَهُ الْمِمْسُونُ قَلْبِي الصَّادِي وَطَرْفِي السَّكُوبُ
 وَيَقُولُ الْإِنَامُ : آدَمُ قَدْ عَا دَ إِلَى الْخُلْدِ ، إِنَّ ذَا لَعَجِيبُ
 لِحَيَاتِي ، وَإِنْ بَلَغْتُ بِهِ الْمَأْمُولَ ، فِي غَيْرِ ظِلِّهِ لَا تَطْلُبُ
 يَا أَحَا الْيَدِ وَالسَّرَى ، وَأَيْمَنِي السَّبْرَ ، إِذَا عَقَّتِي أَخٌ وَنَسِيبُ
 قُلْ لِنَفْسِي الْهَتُونِ فِي أَزْمَةِ الْحَمَلِ ، وَعَوْنِي إِنْ أَرَهَقَتْنِي الْخَطُوبُ
 كَاشِفِ الْقَمَّةِ الْمُبِيرِ عَلَى السُّحْبِ بِمَجْدٍ مَدَى الزَّمَانِ يَصُوبُ :^(٣)
 يَا رَبِّي الْمَرْبِعَ ، حَاشَاكَ أَنْ تُمَجِّلَ رَبِّي ، وَأَنْتَ ذَنْحِي ، الْجُدُوبُ
 أَنَا أَشْكُو إِلَيْكَ دَهراً لِحَا^(٤) عُو دِي ، وَأَعْرَاهُ ، فَهُوَ يَأْسُ سَلِيبُ
 وَخُطُوباً رَمَى بِهَا حَدِثُ اللَّهِ هِيَ سَوَادِي^(٥) ، وَكُلُّهُنَّ مُصِيبُ
 أَذْهَبَتْ تَالِدِي^(٦) وَطَارَفِي الطَّارِي فَضَاعَ الْمَوْرُوثُ وَالْمَكْسُوبُ
 فَهُوَ شَطْرَانِ بَيْنَ مَصِيرٍ وَبَحْرِ ذَا غَرِيقُ^(٧) فِي^(٨) ، وَذَا مَنُوبُ
 وَإِبَانِي أَرَاهُ عَنْ حَمَلِهِ الْمَنْ ضَعِيفاً ، وَهُوَ الْقَوِيُّ الرَّكُوبُ

(١) تَرَج : يَبْدُ . (٢) الْحُوب : الْإِيم .

(٣) الصَّوب : الْإِنصَاب . (٤) لَحَا الشَّجَرَةَ : قَشَرَهَا .

(٥) السَّوَاد : الْخُصْ . (٦) تَالِد : مَا وَلَهُ عَدْلُهُ مِنْ مَالِكَ أَوْ تَج : وَالطَّارِف : الْحَدِيثُ مِنَ الْمَالِ .

(٧) الْغَرِيقُ : الْغَرِيقَةُ .

وَبَرَى كُلَّ مَنَّةٍ لِسَوَى الصَّامِ لِحْجٌ غُلَا فِي حَمَلِهِ تَعْزِيبُ
 مَا اعْتَذَارُ الْمُتَى إِذَا مَطَّلَتْنِي بِطِلَافِي ، وَفَضْلُكَ الْمَطْلُوبُ
 أَوْ لَيْسَتْ مِصْرًا ، وَكُلُّ بَنَانٍ لَكَ بَحْرٌ ، وَكُلُّ عَبْدٍ خَصِيبُ
 وَالَّذِي طَبَعَكَ الْكَرِيمُ ، فَا أَهْنَى نَوَالًا تُنِيلُهُ ، وَتُنِيبُ
 جَلَاءَنِي وَالْبِعَادُ دُونِي ، كَمَا جَا بَتْ قِيَا^(١) الْبِلَادِ رَجَّحَ هَبُوبُ
 وَعَجِيبُ أَنْتَ الْمَوَاهِبَ تَسْرِي وَيَقِيمُ الْمُسْتَرْفَدُ^(٢) الْمَوْهُوبُ
 سَنَةً سَنَاهَا نَدَى الْمَلِكِ الصَّالِحِ ، فِيهَا لِكُلِّ خَلْقٍ نَصِيبُ
 مَنْ ثَنَانِي طَوَى إِلَيْهِ الْقِيَا^(١) وَهُوَ مِنْ كُلِّ ذِي اقْتِرَابٍ قَرِيبُ
 وَلَهُ بِالنَّوَالِ بَاعٌ طَوِيلٌ وَيَدٌ سِنَطَةٌ ، وَصِدْرٌ رَحِيبُ
 وَبِأَيَّامِهِ تَبَسَّمَتْ الدُّنْيَا سُورًا ، فَلَا اعْتَرَاهَا قُطُوبُ

فَأَجَابَهُ بِهَذِهِ الْقَصِيدَةِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ أَوَّلُهَا^(٣) :

يَا أَخْلَائِي بِالشَّامِ لَنْ غِبْتُمْ ، فَسَوْفَى إِلَيْكُمْ لَا يَغِيبُ
 غَصْبِنَا الْآيَامُ قَرِيبُكُمْ مَنَا ، وَلَا بَدَأَتْ تَرْدُ الْغُصُوبُ
 وَلَكُمْ ، إِنْ تَسْطَمُّ عِنْدَنَا الْإِ كَرَامُ ، وَالزُّفْدُ^(٤) ، وَالْحُلُّ الْخَصِيبُ
 قَدْ عَلِمْتُمْ بَأَنَّ هَيْثُ أَيَادِينَا عَلَى النَّاسِ بِالنُّضَارِ^(٥) سَكُوبُ
 وَبِنَا يُبْرِكُ الْمُؤْمَلُ مَا يَرِ جُوهٌ قَدَمًا ، وَيُنْقَدُّ الْمَكْرُوبُ
 نَحْنُ كَالسَّحْبِ : بِالْبَوَارِقِ وَالرَّعْدِ لَدَيْنَا التَّرْغِيبُ وَالتَّرْهِيْبُ

(١) القِيَا : جمع قِيَا ، وهي المعازة لَمَا ، فَيَا .

(٢) الْمُسْتَرْفَدُ : الْمُسْتَعِين .

(٣) مطلع القصيدة .

(٤) أَيِ مَخْصُوكِ الْقِيَا لَا يَغِيبُ عَنْ حَيَاتِي ، وَهُوَ الْبَعِيدُ الْقَرِيبُ

وَاضْرَحْ ص ٧ و ص ١٥٣ و ٢٩٦ . وَجَزْ : كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فِي الرَّوْمَيْنِ ١ : ١٠٦ و ١١٨ .

(٥) النُّضَارُ : الْقَهْبُ الْخَالِصُ .

(٤) الرَّدَى : السَّطَا ، وَالْمَلَّةُ .

تَارَةً تُسْعِرُ الْحُرُوبَ عَلَى النَّاسِ ، وَطَوْرًا بِالْمَكْرَمَاتِ نَصُوبٌ^(١)
كَرَّةَ الشَّامِ أَهْلَهُ ، فَهُوَ مُحَقَّقٌ بِالْأَلَا يُقِيمُ فِيهِ لَيْبٌ
إِنْ نَجَّاتْ عَنْهُ الْحُرُوبُ قَلِيلًا خَلَقَتْهَا زَلَّالٌ^(٢) وَخُطُوبٌ
وَمِنْهَا :

أَنَّ ظَنِّي ، وَالظَّنُّ مِثْلُ سِهَامِ الرِّمِي : مِنْهَا الْمُخْطِئُ ، وَمِنْهَا الْمُصِيبُ
إِنَّ هَذَا لِأَنَّ غَدَتُ سَاحَةِ الْقُدْسِ ، وَمَا لِلْإِسْلَامِ فِيهَا نَصِيبٌ
مَنْزِلُ الْوَحْيِ قَبْلَ بَعَثِ رَسُولِ اللَّهِ ، فَهُوَ الْمَجْجُوجُ وَالْمَجْجُوبُ
تَزَلَّتْ وَسَطُهُ الْخَنَازِيرُ وَالْخَمْرُ ، وَبَارَى النَّاقُوسُ فِيهَا الصَّلِيبُ
لَوْ رَأَاهُ الْمَسِيحُ لَمْ يَرْضَ فَعَلًا ذَكَرُوا^(٣) أَنَّهُ لَهُ مَنَسُوبٌ
أَبْعَدُ النَّاسِ عَنْ عِبَادَةِ رَبِّ النَّاسِ قَوْمٌ لِمَهْمٌ مَصْلُوبٌ
وَمِنْهَا :

وَلَعَمْرِي إِنَّ الْمُنَاصِحَ لِلدِّينِ^(٤) عَلَى اللَّهِ أَجْرُهُ مُحْسُوبٌ
وَجِهَادُ الْعَدُوِّ بِالْفِئَةِ وَالْقُوَّةِ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ مَكْتُوبٌ
وَلَكِ الرِّبَّةُ الْعَلِيَّةُ فِي الْأُمُورِ مَذَكَّتْ ، إِذْ تَشَبَّ الْحُرُوبُ
أَنْتَ فِيهَا الشَّجَاعُ ، مَا لَكَ فِي الطَّعْنِ ، وَلَا فِي الضَّرَابِ يَوْمًا ضَرْبٌ
وَإِذَا مَا حَرَضْتُ^(٥) فَالشَّاعِرُ الْمَفْلِقُ فِيمَا تَقُولُهُ ، وَالْخَطِيبُ
وَإِذَا مَا أَشْرَتْ فَالْحَزْمُ لَا يُنْكَرُ أَنْتَ التَّدِيرَ مِنْكَ مُصِيبٌ
لَكَ رَأْيٌ مَذْقَطٌ^(٦) ، إِنْ ضَعَفَ الرَّأْيُ ، عَلَى حَامِلِ الصَّلِيبِ صَالِبٌ^(٧)

(١) الصَّوبُ : الْإِصْبَابُ .

(٢) يُشِيرُ إِلَى الزَّلَّالِ النَّبِيَّةِ الَّتِي حَدَثَتْ بِالشَّامِ وَأَسْتَعْلَى شَيْزُونُ فِيهَا مِنْ أَهْلِ أَسَاسَةِ . رَاجِعْ مَقْدَمَةَ الْهَيَوَانِ .

(٣) فِي الرُّوسِيِّينَ : فِي الْبَلْغِيِّينَ .

(٤) فِي حَامِشِ الْهَيَوَانِ : زَعَمُوا .

(٥) فِي الرُّوسِيِّينَ : يَحْضَرُ .

(٦) فِي الرُّوسِيِّينَ : غَرَضَتْ .

(٧) الصَّالِبُ : الشَّدِيدُ .

فانهض الآن مُسرِعاً ، فبأَمَّا لك ما زال يُدرك المَطْلُوبُ
والتي عتَا رسالةً عند نُورِ الدِّين ، ما في إلقيائها ما يَرِبُ
قُلْ له ، دَامَ مُلْكُهُ ، وَعَلَيْهِ من لباس الإقبال بُردٌ قَشِيبٌ^(١)
أَيُّهَا الْعَادِلُ الَّذِي هُوَ لِلدِّينِ شَبَابٌ ، وَلِلْحُرُوبِ شَيْبٌ^(٢)
وَالَّذِي لَمْ يَزَلْ قَدِيمًا عَنِ الْإِسْلَامِ بِالْعَزَمِ مِنْهُ تَجَلَّى الْكُرُوبُ
وَعَدَا مِنْهُ لِلْفَرَنْجِ إِذَا لَا قُوَّةَ يَوْمٌ مِنَ الزَّمَانِ عَصِيبُ
إِنْ يَرُمْ^(٣) تَرْفَ حَقْدِهِمْ فَلأَشْطَبَانِ^(٤) قَنَاهُ فِي كُلِّ قَلْبٍ قَلْبٌ^(٥)
غَيْرُنَا مَنْ يَقُولُ مَا لَيْسَ بِمُضِيهِ بِفَعْلٍ ، وَغَيْرُكَ الْمَكْنُوبُ
قَدْ كَذَبْنَا إِلَيْكَ ، فَأَوْضَحْ لَنَا الْآنَ^(٦) بِمَ ذَا عَنِ الْكَأَبِ تُجِيبُ
قَصْدُنَا أَنْ يَكُونَ مِنَّا وَمِنْكُمْ أَجَلٌ فِي مَسِيرِنَا مَضْرُوبُ
فَلدِينَا مِنَ الْعَسَاكِرِ مَا ضَا قَ بَادَاهُمُ الْفَضَاءُ الرَّحِيبُ
وَعَلَيْنَا أَنْ يَسْتَهْلَ^(٧) عَلَى الشَّا رِمَ مَكَانَ الْغِيُوثِ مَا لُ صَيِيبُ
أَوْ تَرَاهَا مِثْلَ الْعُرُوسِ : تَرَاهَا كُلُّهُ مِنْ دَمِ الْعِدَا غَضُوبُ
لِطَائِنِ الشُّبُوفِ فِي فَلَقِ الصُّبْحِ عَلَى هَامِ أَهْلِهَا تَطْرِبُ
وَلِجَمْعِ الْحُشُودِ مِنْ كُلِّ حِصْنٍ سَلَبٌ مُهْمَلٌ لَهُمْ وَنُوبُ
وَيَحُولِ الْإِلَهِ ذَاكَ ، وَمِنْ غَا لَبِ رَبِّي قُوَّتُهُ مَغْلُوبُ^(٨)

(١) قشيب : جديد .

(٢) هو شبيب بن يزيد الشيباني أحد أبطال الحروب ومن كبار الثائرين على بني أمية . توفي سنة ٨٧٧ هـ .

(٣) هذه رواية الروضتين وفي الأصل : ترم .

(٤) الشطن بحركة : الحبل الطويل .

(٥) القلب : البئر .

(٦) في الروضتين : ما وُحِيَ الْآن .

(٧) استهل المطر : اشتد أصابه .

(٨) هذه القصيدة وصف لما أصاب القدس في عهده الحروب الصليبية واستباح من الوزير المصري الملك الصالح

ذلك المارد نور الدين محمود كي يجتمع شمل الدين لغيره الطرد من الوطن المختص .

قافية الجيم

(٢٩٤)

وقال :

يا مُتَهَيِّ الأَمَلِ امْتَدَّتْ مَطَارِحُهُ وَيَا حَيَّ مَنْ إِلَيْهِ فِي الْمَطْلُوبِ لَحَا
هَذِي نَتِيجَةُ فِكْرٍ كَانَ فِي الزَّمَنِ السَّامِضِ عَقِيماً ، وَلَوْلَا أَنْتَ مَا تُنْبِجَا
أَتَيْتَكَ تَحْمِلُ شُكْرًا لَوْ قَرَنْتَ بِهِ لَطِيعَةً^(١) لَا كُنْتُ مِنْ نَشْرِهِ^(٢) أَرْجَا^(٣)

قافية الحاء

(٢٩٥)

وقال^(٤) :

فَيَا أَخَا الْعَزَمِ يَطْوِي الْيَدَ مُنْصَلِتًا فِي سَيْرِهِ عَنْ مَسِيرِ الْعَاصِفَاتِ وَحَى^(٥)
قُلْ لَاهْتَذِبْ فِي فَضْلٍ ، وَفِي خُلُقٍ وَلِلْبَلِيغِ ، إِذَا مَا جَدَّ أَوْ مَزَحَا
مَنْ يَنْشُرُ الدَّرَّ فِي ثَرِّ الدَّائِيَةِ إِنْشَاءً ، وَيَنْقُضُهُ فِي النِّظَمِ إِنْ مَدَحَا
مَنْ لَقِظَهُ تَسْكِرُ الصَّاحِي فَصَاحَتُهُ^(٦) وَلَوْ وَحَى فَضْلُهُ ذُو سَكْرَةٍ لَصَحَا
أَتَيْتَكَ مُغْرِبَةً الْإِتْبَاءَ مُعْرِبَةً عَنْ مُخْلِصٍ ، إِنْ دَنَا فِي الْوَدِّ ، أَوْ تَزَحَا

(١) الطليعة : الملك .

(٢) انشعر : الريح الطليعة .

(٣) الأرج : توضيح ربح الطيب .

(٤) لعل أول القصيدة في باب القزل ص ١٦ قوله : أَرْتَه غَرَبَتْ فِي الْمَجَرِّ مَمْلَعَتِي .

أَوْ قَوْلُهُ : عَقَاتِلُ الْحَيِّ أَمْ سَرِبَ الْحَيَا سَمَا ...

(٥) الرحى : العجلة والإسراع . وانصلت : مضى وسقط

(٦) في حاشي الديوان : بلاغته .

فاسمع ، فلا زلت للغيرات مُستمعاً
 مولاى إن سدَّ عني باب أنعمه
 ولم يجذ لي بطرف من مواهبه
 بفؤده السكب إن أكدت^(١) محال^(٢)
 وكم له من يدٍ عندي تزيد على
 أقل ما نلت من جنوى^(٣) يديه غنى
 لقد غيبت به عنه ، كما غني السفدر بالشحب عنها ، بعد ما طفعا
 لكن بقلبي هم زاد سورته
 أظنني العجز في الحرب العوان ، وهل
 ومنها :
 ما شقَّ جيب الدجى صبح وما وضحاً :
 ألتني ، وكم من مطلب نجما
 لم ير ضيه ما حبا منها وما منحا
 وصرفه ما جنى جرماً ولا اجتراحاً^(٤)

قافية الدال

(٢٩٦)

وقال :

كناس سرب المها عريسة الأسد^(٥) فكيف بالوصل للسنهر^(٦) الكمد
 والبيض ، دون خدور البيض ، مصلته
 حكت جداول ماو غير مُطرد

(١) أبزل . (٢) أكدى : بجل ، أو قل خيره . أو قل عطاءه . (٣) محال : جمع خيلة من خال بمعنى ثان .

(٤) الجدى : العيلة . (٥) سورة الشرح : حدثه . ويخبر . يكن . وقدح بازند : رام الإبراء به .

(٦) صرف الدهر : نوائبه . واجتوح : اكتسب .

(٧) الكناس : مستتر القلي في الشجر . والمذا : بقر الوحش . والبرية : مأوى الأسد .

(٨) استبر بكذا على ما لم يسم فاعله : قن به ، وذهب عقله ، وانصرف همه إليه .

وَكُلُّ أَسْمَرَ فِيهِ لَمَذَمٌ ذَرِبُ^(١) بَكَذَوَةُ النَّارِ لَمْ تُقْبَسْ وَلَمْ تَقَدْ
إِذَا تَسَدَّدَ دَاوَى كُلِّ ذِي لَدَدٍ^(٢) وَإِنْ تَأَوَّدَ^(٣) سَاوَى مِيلِ ذِي الْأَوْدِ
وَالْيَضُّ وَالشُّمْرُ لَا تَرَوَى بغيرِهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِثَةِ الْأَرْجَاءِ بِالزَّيْدِ
صَدِينٍ حَتَّى جَلَّاهَا فِي التَّحْوِيرِ فِي السَّهَامَاتِ أَوْعُ يُرَوَى غُلٌّ^(٤) كُلُّ صَدٍ
مَنْ أَظْهَرَ الْجُودَ وَالْإِقْدَامَ إِذْ عُدِمَا إِلَى الْوُجُودِ بِضَرْبِ الْهَامِ وَالصَّفَدِ^(٥)
وَنَفَقَ الْعِلْمُ مِنْ بَعْدِ الْكَسَادِ ، فَمَا تَرَى سَوَى طَالِبٍ لِلْعِلْمِ مُجْتَهِدٍ
مَنْ عَدْلُهُ أَمِنْ الشَّاءِ الْمَهْمَلِّ فِي ۥ عَرِينِ أَنْ يَتَوَقَّى وَثْبَةً الْأَسَدِ
مَنْ يَلْتَقِي الْمُتَذَنِّينَ الْمُتَلَدِّينَ بِمَا جَنَوْهُ قَصْدًا بَعْفُو غَيْرِ مُقْتَصِدٍ
يُسْنِي الْمَوَاهِبَ مَسْرُورًا بِهَا جَدَلًا فَتَنَّهُ غَيْرُ يَمْنُونِ^(٦) وَلَا نَكِدِ
وَمَا تَذَمَّرَ مِنْ غَيْظٍ وَمِنْ غَضَبٍ إِلَّا جَلَّأَ عَنْ حُبِّهَا بِالْحِمَاءِ نَدٍ
كَالْمُشْرِفِيَةِ فِيهَا حُسْنُ رُونِهَا فِي السَّلْمِ ، وَالْحَرْبِ ، وَالْهَامَاتِ ، وَالْعُمْدِ

قافية الراء

(٢٩٧)

وقال :

يَا مُتَقَدِّدِي ، وَيَدُ الزَّمَانِ تَنُوشِي^(٧) وَمُقْبِلَ جَدِّي ، وَهُوَ كَابٍ عَائِرُ^(٨)
حَتَّامٌ أَنْتَ لِتَقْبِلَ قِيَّ حَائِلٍ وَلَمَّا يَهْيُضُ^(٩) الدَّهْرُ مِنِّي جَائِرُ
وَمُقَارِعُ دُونِي الزَّمَانِ وَأَهْلَهُ مُسْتَلْثَمِينَ^(١٠) ، وَأَنْتَ فَسَدُ حَائِرُ

(١) الهضم : القاطع من الأمتة . والقوب : الحاد . (٢) اللد : الخصومة الشديدة .

(٣) أود : أخرج . (٤) النل : الطش . والصدى : الطنان .

(٥) الصدف : الحركة . الوثاق .

(٦) تنوش : تناوَل .

(٧) أقال جده : رفعه من سقوطه . والجد : الخط . وكبا : انكب على وجهه .

(٨) هاض : كسر .

(٩) استلام : ليس إلا . والهاجر : المتكشف .

مهلاً ، فَدَى لَكَ مَهْجَةً دَافَعْتَ عَنْ حَوْبَانِهَا^(١) ، إِذْ لَيْسَ غَيْرَكَ نَاصِرُ
خَفِضَ عَلَيْكَ ، فَلِلْأُمُورِ نَهَايَةٌ وَإِلَى الْنَهَايَةِ كُلُّ شَيْءٍ صَارِ

(٢٩٨)

وَقَالَ يَمْدَحُ الْأَمِيرَ مُعِينَ الدِّينِ أُرُوْ قَدْ لَقِيَ الْقَرْمِجَ فَهَزَمَهُمْ :
كُلَّ يَوْمٍ فَتَحُ مِينٌ ، وَنَصْرُ وَاعْتِلَاءٌ عَلَى الْأَعَادَى وَقَهْرُ
قَدْ أَتَاكَ الزَّمَانُ بِالْعُدْرِ وَالْإِعْتَابِ^(٢) مِمَّا جَنَاهُ ، إِذْ هُوَ غَرُّ
صَدَقَ النَّعْتُ فَيْكَ ، أَنْتَ مُعِينُ الدِّينِ ، إِنْ النُّعُوتُ فَأَلْ وَزَحْرُ
أَنْتَ سَيْفُ الْإِسْلَامِ حَقًّا ، فَلَا قَوْلَ غِرَارِيكَ أَثِمَا السَّيْفُ دَهْرُ
بِكَ زَادَ الْإِسْلَامُ يَاسِبِقَهُ الْخِذَمُ^(٣) عِزًّا ، وَذَلَّ شِرْكُكُمْ وَكُفْرُ
ثِقَ بِإِدْرَاكِكَ مَا تَوَقَّلُ ، إِنْ اللَّهَ يَجْزِي الْعِبَادَ عَمَّا أَسْرَوْا
لَمْ تَزَلْ تَضْمُرُ الْجِهَادَ مُسْرًا ثُمَّ أَعْلَنْتَ ، حِينَ أَمَكَنَ جَهْرُ
كُلُّ ذَنْبٍ الْمُلُوكِ يَفْقَى وَذُخْرَاكَ ، هُمَا الْبَاقِيَانِ : أَجْرُ ، وَشُكْرُ
لِلنَّدَى مَالِكُ الْمُبَاحِ ، وَمَا مَا لَكَ إِلَّا جُرْدُ^(٤) ، وَبِغَضٍ ، وَتُمْرُ
عَمَّ أَهْلَ الشَّامِ عَدْلُكَ لَكُنَّا بَعْدَنَا ، وَغَايَةُ الْبَعْدِ مِصْرُ
خَرْمُنَا مِنْ بَيْنِهِمْ رَيِّعٌ مَا كُنَّا زَرْعَنَا ، وَقَالَ زَيْدٌ ، وَعَمَرُو
أَمِنْ الْعَدْلِ أَتْنَا فِي بِلَادِ الْكُفْرِ شَفْعٌ ، وَأَنْتَ فِي الْغَزْوِ وَتُرُ
كَانَ حَقِّي مِنْ ذَلِكَ ذِكْرًا شَنِيعًا ثُمَّ مَالِي فِيمَنْ يُجَاهِدُ ذِكْرُ

(١) أحيته : أعطاه النبي وهو الزنا .

(٢) جرد : جمع أجرد ، وهو التمرس القصير الشعر .

(٣) الخوياء : النفس .

(٤) خذمه : قطعه .

لَا تَنَامِي مَنْ كَانَ ظَلَمَكَ فِي الْعُسْرِ وَضَيِقَ الزَّمَانُ إِذْ جَاءَ يُسْرُ
إِنَّ حَسَنَ الْوَفَاءِ مِنْ مَلِكٍ مِثْلَكَ فَضْلُ ، يَرْوِيهِ بَدْوٌ وَحَضَرُ
فَاقِبُ ، وَاسْلَمْ ، وَزِدْ عَلَى رَغَمِ أَعْدَا نِكَ جَدًّا ، مَا أَعْقَبَ اللَّيْلُ بَحْرُ
لَا أَغْبَى الزَّمَانُ قَصْدَ أَعَادِيكَ ، وَلَا شَدَّ مِنْ تَهَيَّضَتْ جَبْرُ^(١)

(٢٩٩)

وقال :

صَدِيقُ لَنَا كَاللَّيْلِ : يَسْتَرُ السُّدُخَانَ ، وَيُبْدِي النُّورَ لِلتَّنُورِ
يُؤَارِي إِسَاءَةَ آتِي ، وَيُبْدِي مَحَاسِنِي وَيَحْفَظُ غَيْبِي فِي مَغْيِي وَمَحْضَرِي

(٣٠٠)

وقال في ناصر الدين نصير بن الأفضل عابس رحمه الله :

يَا مَنْ يُبَيِّنُ الْمَالَ فِي كَسْبِ الْعُلَا وَرَى الثَّنَاءَ أَجَلَ ذُنُوحٍ يُذْخِرُ
أَغْرَبْتُ فِي بَدْلِ النَّوَالِ ، وَخَاطَبْتُ السُّعْلِيَاءَ لَيْسَ بَضَائِعُ مَا يُبْمَهَرُ
وَسَعَيْتُ لِلْجِدِّ الَّذِي فِي مِثْلِهِ إِلَّا عَلَيْكَ حُزُونُهُ وَتَوَعَّرُ
وَبَذَلْتُ جُودَكَ لِلْعُقَاةِ^(٢) ، فَأَلْهَمَ وَرَدُ سِوَاهُ ، وَلَيْسَ عَنْهُ مَصْدَرُ
كَمْ مِنْ يَدٍ أَوْلَيْتُهَا ، أَثْمَرَتْ عِنْدِي ، وَمَا كُلُّ الْأَبَادِي تُثْمَرُ
وَكِرَامَةُ أَبَدًا ، أَبُوحُ بِشَكْرِهَا إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى الْكَرَامَةِ يُشْكُرُ
وَالشُّكْرُ مِنْ مِثْلِ بَزِينِ ، وَإِنَّمَا بِنَاءُ مَنْ يُثْنِي عَلَيْهِ يُفْخَرُ
وَصَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ كَالْوَسْمِيِّ : ذَا^(٣) مِنْ قَطْرَةٍ تَبَتْ ، وَهَذَا جَوْهَرُ

(٢) راجع مقدمة الديوان .

(١) أغبى : جاء يوما وترك يوما . وتيسر : أيسر .

(٤) القفاة : جمع قاف وهو طالب المعرفة .

(٣) أغرب : أتى بالغريب .

(٥) الوسمي : مطر الربيع الأول .

(٣٠١)

وقال في الملك الصالح ، وقد تقدّم أول^(١) القصيدة :

لكن مكاني من أنعم الملك الصا ليج لا تهتدي له الغير^(٢)
أنهائي ، ثم على جوده القم ر ، فبعدى عن بابه صلر^(٣)
فقل لمن مره يعادى : ما بعد أرض يؤمها المطر
ماضرنى البعد عن قدى ملك يبلغ ما ليس يبلغ الخبر
يطلب طلب جوده ، فلن يرجو مقام ، ولندى سفر
أبقت عطاياه لى غناى ، كما تقى عقيب السحاب الغدر

ومنها :

يامالكا أصبحت بدولته ال أيام تزهو تبها ، وتفتخر
أطال باعى جميل رأيك ، فال أحداث دوى فى باعها قصر
وشد أزرى ، حتى رجيت أن يحل عنى أنقال ما أزر
أشرت لى أسرتى ، فشكرى ، ما فاه فى ، فى البلاد منتشر
وانتشتهم^(٤) من يد الخطوب ، ولا ملجأ منها ينجى ولا وزر
سيرهم فضلك الذى أبجز الوصف ، ولم تتل مثله السير
فاعل ، ودّم ، ماعلا النهار ، وما أضاء فى حندس الدجى القمر^(٥)
مشرفاً عصرنا بهم^(٦) ، فأيامك فيه الأوضاح والغرر^(٧)

(١) أول القصيدة :

أما فادتك منهم الفكر ومنهم قلبك الفكر

راجع ص ٧٧ .

(٣) النيل : أول الشرب . والبلل : الشرب بعد الشرب . والنمر : الماء الكثير . والصد : الرجوع .

(٢) غير القدر : أحداثه .

(٥) الحفس : الظلة .

(٤) انتاشه : خربه .

(٦) بهم : الأسود .

(٧) الأوضاح : جمع وضح ، وهو يياض الصبح . والفرج جمع غرة ، وهو يياض فى الجملة .

وَأَجْتَلَاهَا بَنَتْ يَوْمَهَا ، ثُمَّ عَمَّرَ الدَّهْرَ ، حَتَّى يَفْنَى ، لَهَا عَمْرٌ
يَضُوعٌ مِنْهَا فِي كُلِّ قَطْرٍ مِنَ الْأَرْضِ ضَرْبُ ثَنَاءٍ كَأَنَّهُ قُطِرَ^(١)
وَلَوْ رَأَى الْجَوْهَرِيُّ أَلْفَ ظِلِّهَا الْفَرَّ لَمَّا شَكَّ أَنَّهَا دُرٌّ
هَذَا ، وَفِيهَا ، إِنْ رُمْتُ شُكْرًا لِإِنْعَاءِ مَكَ أَوْ حَصَرٍ بَعْضُهُ ، حَصَرٌ

(٣٠٢)

وقال :

سَارَحَلُ عَنْ جَنَابِكَ غَيْرَ قَالَ يُسْكِرُ يَفْعُمُ الْآفَاقَ نَشْرًا^(٢)
وَمَا شُكِرِي لِمَا أُولَيْتُ كُفًّا وَلَكِنِّي سَأَلِي فِيهِ عُدْرًا^(٣)

قافية السنين

(٣٠٣)

وقال :

لَقَدْ دَرَكْتُ مِنْ قَبْلِ أَيْدِيَّ بِهِ أَيَّامُنَا بِشَرِّ الزَّمَانِ الْعَاسِ
صَدَقْتَ أَمَانِي الْخَيْرِ فِيهِ ، فَلَمْ تَدَعْ صَدْرًا يُضْمُ عَلَى قُرَادِ آيِسِ
نَالَ^(٤) الْعُلَا ، حَتَّى أَقَرَّ بِفَضْلِهِ وَعُلَاهُ كُلِّ مُعَانِدٍ وَمُنَافِسِ
جُودٌ كَمَا الزَّيْنُ طَلَقَ خَالِصُ مَنْ مَنِّ مَتَّانٍ وَمَنْعٌ مُمَّا كَيْسِ^(٥)
وَمَوَاهِبٌ لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ الْوَرَى مَا كَانَ يَوْجَدُ فِيهِمْ مِنْ بَائِسِ
وَنَدَى يَدٍ لَوْ أَنَّهَا مَبْسُوطَةٌ فِي الْأَرْضِ أَتَمَرَ كُلَّ عَوْدٍ يَابِسِ

(١) القطر بالضم : المورد الذي يجري به . وضاع المسك : تحرك فانتشرت رائحته .

(٢) قلاه : أيقضه . وضعه الطيب : سد غياشيه . والنشر : الريح الطيبة .

(٣) أجلس عذرا : أداه إليه قبله .

(٤) يهاش الهويان (ساذج) رواية .

(٥) ما كنه في البيع : شاحه .

قافية الطاء

(٣٠٤)

وقل في الملك الصالح من قصيدة مضى أولها^(١) :

ومن عَظَمَتِ بالصَّالِحِ الْمَلِكُ كَفُهُ
فَلَيْسَ لَهُ دُونَ الْعَلَا وَالْغَنَى شَرَطُ
وَمِنْ دُونِهِ، إِنْ رَأَى خُطْبُ، ذَوَابِلُ
وَبِيضُ، وَجَرْدُ، لَا الْقِتَادَةُ وَالْخُرْطُ^(٢)
أَمَارَتُ جُدُودِي مَذْ عَظَمْتُ بِجَبِلِهِ
وَكَانَ لَهَا فِي خُطْبِ عَشَوَاتِهَا خَبِطُ^(٣)
لَهُ فَائِلُ يَسْرِي إِلَى كُلِّ أَمِيلٍ
”إِذَا جَبْرَةُ سَمِيَا النَّوَالِ فَلَمْ يَنْطَلُوا“^(٤)
عَلَى كُلِّ وَجْهِ نَضْرَةُ مِنْ نَوَالِهِ
وَفِي كُلِّ جَبْدٍ أَيْ الْيَأْسِ دُونَهُ
وَكُنْتُ أَرْجَى مِنْهُ مَا دُونَهُ الْغَنَى
فَلَمَّا وَرَى زَيْدُ الْمَعَالِي بِكَفِهِ
ثَأْتُ فِي اللَّيَالِي عَنْهُ، لَكِنْ جُودُهُ
كَذَا الْغَيْثُ يَدْرِي طَالِبًا كُلَّ طَالِبٍ
وَأَنْعَامُهُ كَالشَّمْسِ يَغْشَى ضِيَاؤُهَا
فَأَنْزَرُ حَتَّى مِنْ مُوَاهِبِهِ الْغَنَى

(١) مطلع القصيدة :

أَجْبَرَةُ قَلْبِي إِنْ تَدَانُوا وَإِنْ شَطُوا .

(٢) القِتَادُ : شِرْطٌ لَهُ شَوْكَةٌ كَالْإِبْرَةِ وَالْخُرْطُ : الْهَابَةُ الْجَوْحُ تَجْتَذِبُ رَسْمًا مِنْ يَدٍ مُمْسِكِهَا، ثُمَّ تَمْضِي،

وَأَجْبَعُ : خُرْطُ . وَالذَّوَابِلُ : الرِّيحُ - وَالْجَرْدُ : الْخَيْلُ الْقَصِيرَةُ الشَّرَّ . (٣) الْعَشَوَاتُ : الْغَلَّةُ .

(٤) مطلع قصيدة أبي العلاء المجرى :

لَمِنْ جَبْرَةِ سَمِيَا النَّوَالِ فَلَمْ يَنْطَلُوا

يَنْظُرُهُمْ مَا ظَلَّ يَنْبِثُهُ الْخَطُّ

وَأَنْطَلُ : أَعْلَى .

(٥) خَتْلُهُ : أَعْلَاهُ مَغْضَلًا .

حَبَانِي نَفُوسًا ، لَا قَيْسًا مِنَ اللَّهِ (١)
 وَمَا النَّاسُ إِلَّا آلُ رَزِيكَ ، لِتَنَهُم
 بَنُو الْحَرْبِ فِي يَوْمِ الْوَعَى ، وَبَنُو النَّدَى
 إِذَا مَا أَحْتَبُوا (٢) فَالْأَسَايَاتُ رَجَاحَةٌ
 لَهُمْ جَبَلٌ ، لَا زَعَزَعَ الْخَطْبُ رُكْنَهُ
 أَقْرَ الْوَرَى أَنْ لَيْسَ كُفْنًا لِمُلْكِهِ
 فَلَا زَالَتِ الْأَقْدَارُ تَجْرِي بِأَمْرِهِ
 فَأَجَابَهُ مُحَرِّضًا عَلَى الْجِهَادِ (٣) :

هِيَ الْبَدْرُ ، لَكِنْ الثَّرِيَّا لَهَا قُرْطُ
 مَشَتْ ، وَعَلَيْهَا لِلْغَمَامِ ظِلَالٌ
 تَسُومُ صَرِيحًا فِي الرَّحَالِ كَأَنَّهُ
 فَا اخْضَرَّ رَبُّ (٤) الْأَرْضِ إِلَّا لِأَنبَا
 وَلَا طَابَ نَشْرُ الرُّوْضِ إِلَّا لِأَنَّهُ
 وَلَا طَارَ ذِكْرُ الظُّلَى إِلَّا لِأَنَّهُ (٥)
 مِنَ الْبَيْضِ مِثْلَ الصَّبِيحِ ، مَا لِلظَّلَامِ فِي
 وَمِنْ أَنْجَمِ الْجُوزَاءِ فِي نَحْرِهَا سَمَطُ (٦)
 تُظَلُّ ، وَمِنْ نَسَجِ الرِّيحِ لَهَا بُسْطُ
 مِنَ السَّقَمِ ، وَالْأَيْدِي تَقْلُبُهُ ، خَطُ
 عَلَيْهِ . إِذَا زَارَتْ ، بِأَقْدَامِهَا تَخْطُو
 يُجَرِّ عَلَيْهِ مِنْ جَلَابِيهَا مَرَطُ (٧)
 يَصْدُ كَمَا صَدَّتْ ، وَيَعْطُو ، كَمَا تَعْطُو (٨)
 مُحَاسِنِهَا ، لَوْلَا ذَوَائِبُهَا ، قَسَطُ

(١) الهوى بالضم : الطلأ ، مفردة لوعة .

(٢) جمع أشيط . والشمط : لباس يتخلط سواد الشعر . (٣) احتجى بالنوب : اشتغل به .

(٤) تخط يخط تخطيلاً ، والنحاظ : تردد البكاء في الصدر من غير أن يظهر كأنه يخط ، والنحط شبه الزفير .

(٥) مات عبلة : شاباً صحيحاً .

(٦) النسيم يصفى في الخريدة المخلوطة ١ : ١٧٦ ، والروشتين ١ : ١١٩ . وثلاثة آيات منه في عقد الجنان :

(٧) السمط : العلادة .

القسم الثاني ، و امرأة الزمان ج ٨ .

(٨) المرط بالكسر : كساء من صوف أو خز ، جمعه مروط .

(٩) في العقد والمرأة : ثوب .

(١٠) الطور ، رفع الرأس والدين .

(١١) في الخريدة : وقد غدا .

إلى العَرَبِ الْأَعْمَاسِ^(١) يُعْزَى قِيلُهَا
ولمَّا غَدَّتْ كَالْعَاجِ ، زَيْنَ صَدْرُهَا
وَأُرْسِلَ فَوْقَ الْخَلْدِ صُدْعٌ مَكْلُلٌ
ذَوَانِبُ زَارِ الْخَصَرِ مِنْهُنَّ فَاحٌ
يُنَاقِي سَنَا الْكَافُورِ إِنْ مُشْطَتْ بِهِ
وَلَمَّا نَأَتْ عَنَّا عَلَى كُلِّ حَالَةٍ
فَإَذْكُرْنَا ذَاكَ الْإِعَادَ مَعَاثِرًا
وَالْقَوَا ، وَقَدْ شَطُّوا ، فَوَادَ مَحَبَّتِهِمْ
وَلَيْسَ تَسْقُ السُّفْنُ أَمْوَاجَهُ ، وَلَا
أَحْبَابُنَا بِالشَّامِ ، عَقَمُ جَوَارِنَا
وَمَا كَانَ بَعْدَ النَّيْلِ ، وَالنَّيْلِ زَانِحًا
وَقَدْ عَشْتُمْ فِيهَا زَمَانًا ، فَمَا اعْتَرَى
وَكُثْمَ لَنَا دُونَ الْآقَارِبِ أُمْرَةٌ
وَأَنَا أَنَاسُ ، لَيْسَ يَبْرُجُ جَارُنَا
وَيَمْتَحِنُ^(٢) زَوَارُنَا ، فَكَأَنَّمَا
وَيُصْبِحُ بَسْطُ الْكَفِّ بِالْمَالِ عِنْدَنَا
وَتَحْرِقُ شَرْقُ الْأَرْضِ وَالْغَرْبُ خَيْلُنَا
وِظْلَمَاءَ لِلشَّهْبِ الدَّارِي إِذَا سَرَتْ

وقد ضَمَّهَا فِي الْحَسَنِ مَعَ يُوسُفَ سَبْطُ^(٣)
يُحَقِّقِينَ مِنْهُ ، قَدْ أَجَادَهُمَا الْخَرْطُ
كَمَا انْصَابَ فِي الرُّوضَاتِ حَيَاتُهَا الرُّقْطُ^(٤)
تَحْتَرَّ ، لَا جَعْدُ النَّبَاتِ ، وَلَا سَبْطُ
وَيُخْفِي سَوَادَ الْمَسْكِ ، فَهَوَلَا خَلْطُ
تَسَاوَى الرِّضَاوَالِ السَّخَطُ وَالْقَرْبُ وَالشَّحَطُ^(٥)
نَاوَا ، فَكَأَنَّمَا مَا لَقِينَاهُمْ قَطُ
إِلَى بَحْرِ شَوْقٍ مَا لَجَّئْتِهِ شَطُ
بِسَاحِلِهِ لِلْعَيْسِ رَفْعٌ وَلَا حَطُ
بِفَاوَرِكُمْ فِي أَرْضِهَا الْخَوْفُ وَالْقَحَطُ
بِمَصْرِ لِيُغْنِيَ عَنْكُمْ ذَلِكَ الْخَطُ^(٦)
رِضَاكُمْ بِهَا ، لَوْلَا تَخَوُّفُكُمْ ، تُخْطُ
وَنَحْنُ لَكُمْ ، مِنْ دُونِ رَهْمِكُمْ ، رَهْمُ
يُحَكِّمُ فِي الْأَمْوَالِ مَنَّا ، فَيَشْتَطُ^(٧)
غَدَا لَهْمُ شَرْطُ عَلَيْنَا ، وَلَا شَرْطُ
وَكُلُّ مَلِيكِ عِنْدَهُ الْقَبْضُ وَالْبَسْطُ
عَلَيْهَا الشَّبَابُ الْمَرْدُ ، وَالْجِلَّةُ الشَّمْعُ^(٨)
هَنَّاكَ مَعَ السَّارِينَ فِي جُنْحِهَا خَبْطُ

(١) الأعماص : جمع محض وهو الخالص .

(٢) اللمعة : سواد يشوبه قط يبيض أو عكسه .

(٣) الخطف بالضم : موضع الخي .

(٤) الخطف بالضم : موضع الخي .

(٥) الخطف بالضم : موضع الخي .

(٦) الخطف بالضم : موضع الخي .

(٧) الخطف بالضم : موضع الخي .

(٨) الخطف بالضم : موضع الخي .

(١) الأعماص : جمع محض وهو الخالص .

(٢) اللمعة : سواد يشوبه قط يبيض أو عكسه .

(٣) الخطف بالضم : موضع الخي .

(٤) الخطف بالضم : موضع الخي .

(٥) الخطف بالضم : موضع الخي .

(٦) الخطف بالضم : موضع الخي .

(٧) الخطف بالضم : موضع الخي .

(٨) الخطف بالضم : موضع الخي .

كَمَا أَوَّلَ النَّجَرِينَ سَقَطَ^(١) يُسَلُّ مِنْ
سَلَلْنَا بِهَا بِيضَ السَّيُوفِ ، فَلَاحَ فِي
سَيُوفٍ لَهَا فِي كُلِّ دِرْعٍ وَجْهَةٌ^(٢)
ذَنَرْنَا سَطَاهَا لِلْمَرْجِ ، لِأَنَّهُمَا
لَمْ قَسَطُوهَا فِي الْحَرْبِ مِنْهَا ، وَمَا لَهَا
وَقَدْ كَانَتَا فِي الصَّلَاحِ ، لَكِنْ جَوَابُهُمْ
سَطُورٌ خَبِيرٌ لَا تُنَبِّ دِيَارَهُمْ
وَحَرْبٌ لَهَا الْأَرْوَاحُ زَاهِقَةٌ ، لَمَّا
إِذَا أُرْسِلَتْ فَرَعًا مِنَ النَّفْعِ فَاحِهَا
كَأَنَّ الْقَنَا فِيهَا أُنَامِلٌ حَاسِبٌ
رَدَدَتَا بِهَا ابْنَ الْفُنْشِ عَنَّا ، وَإِنَّمَا
فَقُولُوا لِنُورِ الدِّينِ : لَيْسَ بِلَحَائِفِ السِّجْرَاحِ إِلَّا الْكِيُّ فِي الطَّبِّ وَالْبَطُّ^(٣)
وَحَسَمُ أَصُولِ الدَّاءِ أَوَّلَى لِعَاقِلٍ
فَدَخَ عَنكَ مِيلاً لِلْقَرْيَةِ وَهْدَنَةً
تَأْمَلْ ، فَكَمْ شَرِطَ شَرِطَتْ عَلَيْهِمْ
وَشَرَّ ، فَلَمَّا قَدْ أَحَا بِكُلِّ مَا

حَشَاهَا ، كَذَاكَ الْبَرُّ فِي جَوْهَا سَقَطُ
شَبَابِ الدُّجَى ، لَمَّا بَدَأَ لَمْعُهَا ، وَخَطُ^(٤)
إِذَا مَا اعْتَلَتْ قَدُّ ، أَوْ اعْتَرَضَتْ قَطُّ^(٥)
يِهِمْ دُونَ أَهْلِ الْأَرْضِ أَجْدَرُ أَنْ تَسْطُو
عَلَيْهِمْ لَدَى الْمَجَاءِ عَدْلٌ وَلَا قَسَطُ^(٦)
بِحَضْرَتِنَا مَا يُبَيِّنُ الْخَطُ^(٧) لَا الْخَطُ
لَهَا بِالْمَوَاضِي وَالْقَنَا الشَّكْلُ وَالنَّقْطُ
تُعَايِنُ ، وَالْأَصْوَاتُ مِنْ دَهْشِ لَغَطُ
أُمَيْتًا^(٨) ، فَاسْتَأْنُ الرَّمَاكِ لَهَا مُسْطُ
أَجْدُ بِهَا فِي السَّرْعَةِ الْجَمْعُ وَاللَّقْطُ
يُبَيِّنُهُ فِي سَرَجِهِ الشَّدُّ وَالرَّبْطُ
فَقُولُوا لِنُورِ الدِّينِ : لَيْسَ بِلَحَائِفِ السِّجْرَاحِ إِلَّا الْكِيُّ فِي الطَّبِّ وَالْبَطُّ^(٩)
لَيْسَ ، إِذَا اسْتَوَى عَلَى الْمُدْنَفِ الْخَطُ^(١٠)
بِهَا أَبْدًا يُخْطِي سَوَاهِمَ ، وَلَمْ يُخْطُوا
قَدِيمًا ، وَكَمْ غَدِرَ بِهِ قِصَصُ الشَّرْطِ
سَأَلَتْ ، وَجَهَرْنَا الْخِيُوشَ ، وَلَنْ يُعْطُوا^(١١)

(١) البسط : ما سقط بين الزندين قبل استحكام الردي .
(٢) الوجة : كل ما وقع .
(٣) القسط بالقش : الجور والدول عن الحق .
(٤) القند : الشق طولاً .
(٥) القسط بالفتح : الجور والدول عن الحق .
(٦) القند : الشق طولاً .
(٧) الخط : سيف البحر ومنه السفن والبحرين وإليه نسبت الرماح .
(٨) أميتاً : من مات .
(٩) خط الخيوش : كثير عظم .
(١٠) الخط بالفتح : كثير عظم .
(١١) في الروضتين : لم .

وَدُونَكَ، مَجْدَ الدِّينِ، عَنَاءَ ، زَقَّهَا إِلَيْكَ الْوَفَاءُ الْمَحْضُ وَالْكَرْمُ السَّطُّ^(١)
 مَهْدِيًا^(٢) تَهَادَى بَيْنَ حُسْنٍ وَقَتْنَا وَإِنْعَامًا، ذَا النَّجْزِ زَانٌ، وَذَا الْقُرْطُ
 عَلَى أَنَّهَا تَسْتَطِئُ إِنْ هِيَ سَاجَلَتْ^(٣) (أَجِيرَةً قَلْبِي، إِنْ تَدَانَا وَإِنْ شَطُوا)^(٤)

قافية العين

(٣٠٥)

وقال أيضا في الملك الصالح :

لَنْ شَتَّتَ أَيْدَى الْحَوَادِثِ شَمْلَنَا بِجُودِ أَبِي الْغَارَاتِ لِلشَّمْلِ جَامِعُ
 هُوَ الْمَلِكُ الْجَزُلُ النَّدَى الصَّالِحُ الَّذِي بِحَارٍ نَدَاهُ كَأَنَّ شَرَائِعَ^(٥)
 يَجُودُ بِلَا مِنْ^(٦) عَلَى عِظَمِ مَتَّ^(٧) كَانَ عَطَايَاهُ لِنَبِيهِ وَدَائِعُ
 بِحَكْمٍ مُسْتَطِئُ الْمُنَى فِي نَوَالِهِ فَتَعَجَّبُ مِنْ جَلَوَى يَدَيْهِ الْمَطَامِعُ

(٣٠٦)

وقال فيه من قصيدة :

فإِلَيْكَ بَنَتْ الْفِكْرُ، مِنْ بَعْدِ الْمَدَى تُهْدَى ، فَشَرَفُهَا بِحُسْنِ سَمَاعِ
 وَصَدَاقُهَا الْإِكْرَامُ، لَا مَا سِيقَ فِي نَحْلِ الْكَرَامِ : مِنْ لُحَى^(٨) وَمَتَاعِ
 فَهِيَ الْكَرِيمَةُ، إِيْسَ فِي أَغْرَاقِهَا عَرُقٌ إِلَى الْأَطْلَاعِ بِالزَّعَا^(٩)

(١) السبط : النخى . (٢) الهدى : العروس . (٣) ساجله : باراه .
 (٤) مطلع قصيدة أسامه السابقة . راجع ص ٧٨ . (٥) الثريمة : المورود .
 (٦) منفذ عليه : حدث له ما فطنته من الصنائع . (٧) اللق : الإنعام .
 (٨) الهوى : جمع لهوة وهوى العلية . والنحلة بالضم : مهر المرأة . والاسم النحلة بالكسر .
 (٩) نزح إلى الشيء : ذهب إليه .

قافية الفاء

(٣٠٧)

وقال :

هو الجواد الذي يلقاه مادمه وإن غلا، فوق ما أتى وما وصفا .
معدّل في الذنى ، لكن راحته تأتي مع العذل إلا البذل والسرفا
صعب الإياه ، إذا ما هجت سورة^(١) نزر الرضا ، فإذا استعطفته عطفاً
بأدى الحقود على أعدائه ، فإذا نالهم قدرة منه حبا^(٢) ، وعفا
نقشى موارد من أخلاقه كرمت ورداً . ونزاد منها روضة أنفا^(٣)
مستهر^(٤) بالمعالي ، لا يزال على تقلب الدهر مشغولاً بها كلفاً
إن أخلف الغيث لم تخلف مواهبه أو فقط دهر على أبنائه لطفاً
عدل القضية إلا في مواهبه لم يقص في المال إلا جار واعتسفا
تم نعماه ذا نقص وذا شرف كانه البحر يحوى الشر والصدفا
منزه الخلق عن فعل يعاب به فما ترى لكآل عنه منصرفاً

(٣٠٨)

وقال من قصيدة في الملك الصالح ، ذكر أولها^(٥) :

من كان لي من حمأ خبيس^(٦) ذي ليد ضار ، ولي من تداؤ روضة أنف^(٣)
من لم يزل لي من جلوى يديه غنى وفي ذراه من الأيام لي كنف

(١) السورة : الحدة والبس . (٢) حبا : أعلى .

(٣) روضة أنف : لم ترع . (٤) استهزأ : قن به ، ونهب غله ، وانصرفت همه إليه .

(٥) مطلع القصيدة : أذكرهم الود إن سفوا ، وإن سفوا . . . راجع ص ٨٥ .

(٦) اعليس : موضع الأسد .

الملك الصالح الهادي الذي شهدته
ملكاً أقل عطايه الغنى ، فإذا
أغر ، أروع ، في كفيه شح ندى
هو الوزير الذي يأوي إلى وزير^(١)
تريه آراؤه في يومه غده
بصيرة كشفت مافي القلوب له
سعت إلى زهده الدنيا برغبتها
ولم تزف إلى كف وسواه ، وما
حبر ، إذا الليل آواه بمحمدسه^(٢)
ومغرب^(٣) ما أتى الحراب مبهلا
مسهد ، وعيون الخلق هاجعة
وتشرق الأرض من لآلاء غرته
لم يدبر ما القصد^(٤) في جوده ، ويصعبه
إذا حبا^(٥) عادت الأمال راضية
بأيها الملك الموفى بدمته
إليك يا عادلاً في حكمة ، وعلى
أشكوزماناً قضى بالجوهر في ، ولم
لحت^(٦) نوائبه عودى ، وأثقت مو

بفضل أيامه الأنباء والصحف
أدناك منه ، فأدنى حظك الشرف
تمتار^(٧) شح الحيا منها ، وتغترف
منه الأنام ، فيكفوا كل ما كلفوا
فيحسم الخطب فيه قبل يكتنف^(٨)
وأطلعت عليه قبل ينكشف
طوعاً ، وفيها على خطاياها صلف
زالت إلى مجده تصبو ، وتشترف^(٩)
بحر من العلم طام لبس يتزف
إلا وأدمعه من خشية تكف^(١٠)
على التهجيد والقرآن معتكف
في دمه^(١١) ، فتكاد الشمس تنكشف
في بطل أمواله الإفراط والسرف
وإن سطا كادت الآفاق ترتجف
ومن تحلى عن الدنيا به السدف^(١٢)
أمواله من قضايا جوده الخنف^(١٣)
يزل يجوز على مثل ويعتسف
جودي ، وشنت شلى ، وهو مؤتلف

(١) الهرة : جلب الطعام .
(٢) اكتشفه القوم : كانوا معه بمنه وبسرة .
(٣) الخندس : النقلة .
(٤) تكف : قطر .
(٥) القصد : الاقتصاد .
(٦) السدف : الغالة .
(٧) لوزد : اللها والمضم .
(٨) في الصباح : استشرقت الشى : دفت البصر أنظر إليه .
(٩) المغرب : وجل الحرب الشجاع .
(١٠) الهست : صدر البيت — حرب .
(١١) حيا : أعل .
(١٢) الخنف : الخور .
(١٣) لما العود : قهره .

وقد دعوتك مظلوماً ومُرتجياً وفي بديك الغنى، والعدل، والخلف
فاجع بجودك شاملاً كان مجتمعا فعاد بعد اختلاف، وهو مختلف
وانشر بمعروفك المعروف مبيهم وشكر من هو بالإحسان مُعترف
فهو القريب موالاةً ومُعتقداً وإن أنت دونه الغبراء والنطف^(١)
وعش على رغم من يسئلك مُقتدراً في دولة . مالهأ حد ولا طرف
فأجابه :

آدابك الغرُّ بحر ، ماله طرف في كل سمع بدا من حسنه طرف
نقول . لما أتاناً ما بعث به : هذا كآب أتى ، أم روضة أنف^(٢)
خطت تزهر الأزهار حين بدا كأنه الشر ، عته فصح الصدق
إن نظمه طرق الأسماع كان لها وإن حوت عطلاً من حلية ، شنف^(٣)
رقت حوائثي كلام أنت فانظمة فيه ، بلحاء كره الروض يقتطف
وردت بحر القوافي فاغترفت ، كما قد حل يوما بمد النيل مُعترف
زهت على البدر نوراً ، إذ أنت بسوا د النفس^(٤) يشبه من خذه كلف^(٥)
قرطست^(٦) رَمياً ، وكَم رام بأسمه إذا مُحقق منه يسلم الهدف
بخاطر فاق غرر العد ، لا وشل ولا ببرض^(٨) إذا ما حل يتزف
إذا تطلع فوق الأرض ذو أدب فأنت منه على العيوق^(٩) تسترف

(١) الطلقة بالضمه : الماء الصافي ، قل أو كثروا لجمع تضاف ونطف .

(٢) شاء : أبيضه . (٣) روضة أنف : لم ترع .

(٤) الشنف بالفتح : الترتب . (٥) النفس : المذاق .

(٦) الكلف : سواد في صفة . (٧) قرطس : أماب القرطاس ، وهو آدمي ينسب لفضال .

(٨) البرض : القليل . والوشل : الماء القليل . (٩) العيوق : نجم .

وإن تَعَرَّى دَعَى من فَضائله
إذا تَحَسَّى لِقُبْحٍ^(١) وجهه قافية
لأعين الناس نهب من محاسنها
إذا ذكرناكَ مجد الدين ، علودنا
ودون ما قد وجدناه لفرقتكم
ولو عرفت الذى فى القلب منك لما
ولا عجيب إذا حاف الزمان على
فلا تكن جازعاً ، إن التجلوز عن
فإن حصلت على الصبر احتوت على
يا من جفاناً ، ولو قد شاء كان إلى
وحق من أمه وفد المجيع ، ومن
إننا لنوفى على حال البعاد ، كما
ونغفر الذنب إن رام المسئء بنا
وإن جنى من رأى أنا نعاقبه
نعم ، ونحفظ عند الغيب صاحبنا
فما لإبعادنا يوم الوغى ميل
فعدنا جنة تمدو النار بها
هدى مصاحبنا ضوء النهار ، وم

فأنت مُدْرِعُ منها ومَلَحِفُ
فمن قوافيك شيلت دوننا السجف^(٢)
كما القلوب تلاقها فتخطف
شوقٌ مجد منه الوجد^(٣) والأسف
يحيط بالقلب من أرجائه التلغ
إن^(٤) كنت عتأ على الأحوال تخطف
حر ، وكل قضاياه بها جف^(٥)
إنفاقك الصبر فى شرع الهوى سرف
الأبحر الجزيل ، وفى إحرازه شرف
جنابنا^(٦) دون أهل الأرض يتعطف
ظلت إلى بيته الركبان تخطف
نوفى لمن ضمه فى قرينا كنف^(٧)
عفواً ، ونسره فى حين ينكشف
يردنا الصفح أو يعتاقنا الأنف^(٨)
وليس يدرُّ كما كبر ولا صلف^(٩)
ولا لموعدا يوم الندى خلف
إذا دنا مجن منها ، ومقتطف
قد ضل من فى ظلام الليل بعسف^(١٠)

(١) فى الأصل (فتح) تحريف .

(٢) الوجه : شدة الحزن .

(٣) الحيف : الظلم . والجلف : الميل والجلود .

(٤) الكف : الجانب والظل والناحية .

(٥) الصلف : أن تمدح بما ليس عندك .

(٦) الجاف : السر .

(٧) إن زائدة بعد ما .

(٨) الجانب : الناء والناحية .

(٩) الأنف : الاستكاف .

(١٠) اعسف : خبط على غير هداية .

فَلِإِنِّنا بِأَمالٍ مُحَقَّقَةٍ وَكُفَّ غَرْبٌ^(١) دُمُوجٌ لَمْ تَزَلْ تَكُفُّ
كُنِيَ اغْتَراباً ، فَعَجِلَ بِالْإِيَابِ لَنَا فَتَكَ لَا عَوْضَ يُلْقَى وَلَا خَلْفُ
وَقَدْ أَجَبْنَا إِلَى مَا أَنْتَ طَالِبُهُ فَالآنَ كَيْفَ تُرَوِّى^(٢) فِيهِ أَوْ تَقْفُ
فَرَأَيْنَا فِيكَ قَدْ أَضْحَى عَلَانِيَةً وَالْجُنْدُ قَدْ عَرَفُوا مِنْهُ الَّذِي عَرَفُوا
وَقَدْ مَتَّ لَكَ تَمْهِيْدَاتِنَا ، وَهَبَا وَخَشُ الْقَلَاةَ ، إِذَا مَارُوعَتْ ، أَلْفُ
كَأَنَّنا حِينَ تَجْرِي ذِكْرُهُ لَكُمْ عَلَى اضْطِرَامٍ لِهَيْبِ النَّارِ نَعْتَكُفُّ
فَإِنْ يَبَالِغُ أَنْاسٌ فِي النَّشَاءِ عَلَى أَوْصافِكُمْ قَصَّروا فِي كُلِّ مَا وَصَفُوا
نَقَدْ نِظَاماً عَلَى قَدْرِ الَّذِي كَتَبْتَ بِدَاكِ إِذْ عَدَدُ النَّظْمِينِ مُؤْتَلَفُ

(٣٠٩)

وقال فيه من قصيدة تقدم أولها^(٣) :

دَعْ ذَا ، وَقُلْ لِنَبِيِّ الْأَمَالِ : قَدْ وَصَحْتُ لَكُمْ سَبِيلَ الْأَمَانِ وَالْمَجْلَى الْأَسْفُ
وَأَيْتَعْتُ دَوْحَةً لِلْجُودِ دَانِيَةً الْقُطُوفِ ، يُبْنِي الْفَتَى مِنْهَا ، وَيُقْتَطِفُ
أُمُوا بِأَمَالِكُمْ مِصْراً ، فَإِنَّ بِهَا سَحَابَةً مِنْ نَدَاهَا السُّعْبُ تَغْتَرِفُ
أَجْرَى بِهَا اللَّهُ نَيْلًا زَائِداً أَبَدًا فَلَيْسَ يَنْقُصُ فِي وَقْتٍ ، وَلَا يَقْفُ
مِيَاهُهُ مِنْ نُضَارٍ جَامِدٍ ، وَعَلَى أَرْجَانِهِ ، لِلْأَمَانِي ، رَوْضَةٌ أَنْفُ
عَلَتْ بِهَا رَايَةٌ لِلْعَدْلِ ، قَاصِدُهَا يَقْتَنَصُ مِنْ دَهْرِهِ الْجَانِي ، وَيَنْقَضُ^(٤) أَنْفُ
سَعَى بِهَا أَرْوَعٌ^(٥) فِي الرُّوعِ^(٦) ذَوُورَجٍ فِي السَّلَامِ ، حَتَّى مَجْلَى الْجُودِ وَالْخَنَفِ
وَجَادَ بِالْمَالِ ، حَتَّى لَمْ يَدَعْ أَمَلًا مَا الْجُودُ وَالْفَضْلُ إِلَّا الْبَذْلُ وَالسَّرْفُ

(١) الغرب : الحلة والتشاطو والنادى . (٢) روى في الأمر : نظرو فكري .

(٣) انظر مطلع القصيدة : « ما منهم لك مناض ولا خلف » ص ٨٦ .

(٤) انصاف منه : استوفى حقه منه . (٥) الأروع : من يسجك بحسه وبجسارة مظهره أو بشجاعته .

(٦) الروع : الفزع .

الملك الصالح المهادي الذي كشف الغمائم^(١)، إن الدجى بالصبح منكشف
 من فيه عن زُخُوف الدنيا وزينتها مد رآوده على عليائه ، ظَلَفُ^(٢)
 جوابه نعم ، في إثرها نعم ولا ثلاثم فاه اللام والالف
 يُغني العفاة^(٣) ، ويلقاهم بمعدرة كأنما عتبوه ، وهو مُقْتَرَفُ^(٤)
 ما يبلغ الشكر ما يوليه من منى إنعامه فوق ما تُثني وما نصف
 لكن مواهبه في الخلق شاهدة بشكر إنعامه ، والشكر يختلف
 كالروض إن لم يُعطى شكر السحاب إذا متى قضرته بالفضل تعرف
 يا كافي الخلق بالنعمة ، وكافلهم حتى لقد أمنوا في عده وكفوا
 رأيت مجدك يُعلی قدر وأصفه فكيف لا يتعالى قدر من تصف
 قلدتي أنجم الجوزاء ، قد نُظمت عقداً ، حق^(٥) لمثل الفخر والشرف
 أعلت محلي ، فقد أصبحت من شرف بها على المشتري^(٦) أسمو ، وأشرف
 حلا بسمي ، وحلاه ، فنه به لا بشري ، يادراك ما يرجوه والشنف^(٧)
 جعلت نظلي له ، ضنا بفانحه وقاية ، ووقاء الجوهر الصدف
 لأصريف العين عنه ، إنها أبداً عن الكمال برؤيا النقص تنصرف
 يا كاشف الغمة ، اسم دعوة كنت شكراً ، تظل له الأسماع ترتشف
 من نازح الدار بالإخلاص مقترِب إذا رأى بعده عن باب ماليك
 لو حاول الخلق جمعاً حمل مالك من حر ، برقك دوت الخلق يعترف
 لو حاول الخلق جمعاً حمل مالك من

(١) الغمام : الكرب .

(٢) يقال ظلف نفسه عن الشيء بظلفها : منها من أن تظله أو تبيته أو كنهها عنه .

(٣) العفاة : جمع عاف ، وهو مالب المصروف . (٤) اقترف القرب : أتاه .

(٥) حق الأمر : وجب .

(٦) المشتري : أحد الكواكب الباردة .

(٧) الشنف : القوط .

كم فَأَجَانَحِي مِنْ نُعْمَاكَ عَارِفَةً
بِهَا عَنِ الْوَعْدِ كِبَرٌ ، كُلُّهُ كَرَمٌ
وَجَمْعُ شَمْلِي بَيْنَ لِي فِي ذُرَاكَ، وَإِنْ
مُجَدِّدٌ لِي مَا أَوْلَيْتَ مِنْ نِعَمٍ
فَابْرِدْ بِهِمْ حَرَّ قَلْبٍ لَيْسَ يَبْرُدُهُ
وَارْحَمْ ضِعَافًا وَأَطْفَالًا إِذَا ذَكَرُوا
لَهُمْ نَسِيجٌ^(٦) وَإِعْوَالٌ إِذَا نَظَرُوا
فَنَظَرَةٌ مِنْكَ تُجَيِّبُهُمْ ، وَتَجْعَلُهُمْ
وَلَيْسَ لِي شَافِعٌ إِلَّا مَكَارِمُكَ الْـ
وَاسِلٌ ، لِتَحْيَا بِكَ الدُّنْيَا وَسَاكِئُهَا
وَالَّذِي الْأَعَادِي مُجَدِّدٌ لَا يَمُوتُكَ إِنْ
فَأُجَابَهُ :

عُلُومُكَ الْبَحْرُ غَمْرًا^(٥) لَيْسَ تُتَرَفُّ^(٦)
فَإِنْ يُجَدِّدُ فَلَنَّةٌ فِي الدَّهْرِ ذُوْ أَدَبٍ
تُجَبِّلُ فِكْرَكَ فِي رَوْضِ الْعُقُولِ ، وَلَا
بَعَثَتْ مِنْهَا هَدِيًّا^(٨) فِي الْوَرَى ، جَلِيَتْ
أَسْمَاعُنَا لِمَعَانِي دُرِّهَا صَدَفٌ
تَجِدُهُ مِنْ بَحْرِكَ الزَّخَارِ^(٧) يَعْتَرِفُ
تَزَالُ نَخْتَارُ مَا تَجْنِي ، وَتَقْتَطِفُ
فَالْحُسْنُ وَقَفَّ عَلَيْهَا لَيْسَ يَنْصَرِفُ

(١) الأُتْم : الاستنكاف .

(٢) نَسِجُ الْبَاكِ شَيْبَا : غَسَّ بِالْبَاكِ فِي حُلَّتِهِ مِنْ غَيْرِ الْخُطَابِ . وَالْإِعْوَالُ رَفْعُ الصَّوْتِ بِالْبَاكِ .

(٣) النُّطْقُ بِالْفُصْحِ : الْمَاءُ الصَّافِي .

(٤) الزَّرْعُ : الْمَرْعُ الْبَاقِي الْوَاسِعَةُ الْمَكْتَمَةُ أَوْ الرِّقِيقَةُ الْحَسَّةُ السَّلَاسِلُ .

(٥) الْغَمْرُ : الْمَاءُ الْكَثِيرُ .

(٦) تَرَفُّ مَاءُ الْبَرِّ : تَزَحَّكَ .

(٧) زَنَوُ الْبَحْرِ كُنْجٌ : طَلَى وَجَلَا .

(٨) الْهَدِيُّ بِكسر الـ هـ الـ هـ وَتَشْدِيدِ الْيَاءِ : الْفَرَسُ تَهْدِي إِلَى تَوْجِهَا .

عَدَاءٌ ، تُثَبِّتُ فَضْلَ الْوَاصِفِينَ لَهَا قَدْ أَفَادَتْ بِجَمَالِ كُلِّ مَنْ يَصِفُ
بَعَثَهَا دَيْمًا^(١) تُرَوِّى بِهَا عَطَشَ الصَّادِي^(٢) ، وَمُسْكُنَهَا فِي سِيرِهَا الصَّحْفُ
تُرَوِّى الْقُلُوبُ بِهَا بَعْدَ الْعُيُونِ ، فَلَا قَلْبٌ ، وَلَا عَيْنَ إِلَّا وَهُوَ يَرْتَشِفُ
أَلْهَتْ عَنِ الْحَسَنِ وَالْإِحْسَانِ أَجْمَعِ إِذْ اسْتَبَانَ بِهَا عَنْ غَيْرِهَا أَنْفُ^(٣)
حَسَنَاءُ تَبْرُزُ فِي عَرِينِهَا^(٤) شَمَمٌ مِنْ الْجَمَالِ ، وَفِي أَجْفَانِهَا وَطْفُ^(٥)
كَأَنَّ أَسْمَاعَنَا ، لَمَّا أَصْحَنَ لَهَا مُجَبَّأً ، أُتْبِعَ لَهَا مِنْ حَلِيقِهَا شَنْفُ^(٦)
بَدَتْ لَنَا كَهَابِيجَ الظَّلَامِ ، وَفِي رَأْيِ الْعُيُونِ أَتْنَا الرُّوضَةَ الْأُنْفُ^(٧)
قَدْ بَرَهَتْ بِالْمَعَانِي عَنْ قَوَادِ شَجٍّ قَدْ هَاضَمَهُ الْأَنْفُلَانِ : الْهَمُّ ، وَالْأَسْفُ
إِنْ يَتَسَمَّ غُلْطَةً فِي الدَّهْرِ ، عَاتَبَهُ قَلْبٌ مَدَامَعُهُ فِي صَدْرِهِ تَكْفُ^(٨)
وَرُبَّ صَعْبٍ بَدَا ، مِنْ بَعْدِ شِدَّتِهِ لِأَضْعَفِ النَّاسِ حَوْلًا ، وَهُوَ مُنْعَطِفُ^(٩)
وَكَمْ مَصَابٍ جَتَتْ فِرْقَةً ، قَدْ دَا سَمَائِهِ بِنَسَمِ الْقُرْبِ يَنْكَشِفُ^(١٠)
وَكُرْبَةٍ تُزَعَّتْ عَنْهَا مَلَابِسُهَا وَالْقَلْبُ مِنْهَا بِثَوْبِ الْهَمِّ مُلْتَحِفُ^(١١)
وَحِينَ تُشْرِقُ أَنْوَارُ الشُّمُوسِ ، فَا يَضُرُّ مَاضِي لَيْالٍ عَمَّا السَّدْفُ^(١٢)
أَحْوَالُ ضُرِكَ ، مَجْدُ الدِّينِ ، وَاضِحَةٌ قَدْ كَانَ لِلدَّهْرِ فِي تَوَكِيدِهَا مَرْفُ^(١٣)
بَرَقَ الْيَقِينِ بَدَا مَنَّا إِلَيْكَ فَا يَغْرُ خُلْبُهُ^(١٤) ، يَلِ سَمْعِهِ تَكْفُ^(١٥)
لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ مَنَّا بِالْتَّجَاجِ لِمَنْ لَنَا بِأَمَالِهِ فِي الْقَصْدِ يَخْتَلِفُ^(١٦)
يَقُولُ حَاسِدُنَا ، وَالْحَقُّ أَنْطَقَهُ إِذْ شَمَسُهُ ، لَا كَمَثَلِ الشَّمْسِ تَنْكَسِفُ :
أَوْلَادُ رَزِيكَ لَا غَرْ كَفَخَرِهِمْ حَازُوا الْمَقَانِرَ فِي الدُّنْيَا وَهُمْ نُطْفُ^(١٧)

- (١) ديم : جمع ديمة ، وهي الخريدة في سكون .
(٢) الصادي : السطان .
(٣) أنف : كفتح : استكشف .
(٤) عرين : كفتح : كثرة شر الحاجين والبعين .
(٥) الوطف : كفتح : كثرة شر الحاجين والبعين .
(٦) الشف : القوط .
(٧) الروضة : الأنف : التي لم تزع .
(٨) هامة : كره .
(٩) وكف : نظف .
(١٠) الحول : الخلق والقدرة على التصرف .
(١١) السدف : الغلظة .
(١٢) البرق : الغلظ : الملمع الخلف . (١٣) انحطف إليه : ترقد .
(١٤) خلب : كفتح : كغز .
(١٥) الخلف : كفتح : كغز .
(١٦) الخلف : كفتح : كغز .
(١٧) الخلف : كفتح : كغز .

وكم أراد الوری إحصاء فضلیهم
لكنهم أخذوا ما تستقل به
تدنی الغنى من یدى ربّ المنی، فلنا
فی غیرنا نخجلُ الآمالُ إن قصدت
وقد قضی الله بی تألیف شملکم
وقد أساء لکم دهرٌ مضی، فإذا
واقضوا دیون الهوى عن مئة سلفت
وقد بدأنا، وتممنا، فهل أمل
لحن الزلال، دفعتنا غصةً عرضت
وعندنا أهلکم، كانوا لعینهم
کم جهد ذی الهم أن یقی تجلده
لا تأسفن علی فقدان غیرهم
قومٌ إذا ارضعوا قدرًا، هو وأهمما
ولا تقل إن تذکرت البلاد أسی
وإن دولتنا کنت الوحید بها
علیکم بدع^(١) الآداب قد وقفت
من ناشد عهد ذاك الاجتماع لنا
هبت أهلک مجد الدین، فانجیح الأ

فی المکرّمات فما استطاعوا، ولا عرفوا
أفهامهم، وإلى حیث اتّهبوا وقفوا
به المطی إلى أوطانهم یحیف^(٢)
وما یحیب رجاء عندنا یقف
وكان ظنکم أن لیس یألف
شتم من الدهر فاقتصوا، أو انتصفوا
تساکیا، وعلى المستأنف استلقوا
یدعو، وهل مدمع قد عاد یندرف^(٣)
لکم، فلما عرضنا لم تکن تقف
کأنهم عنک ماغبوا، ولا انصرفوا
علیه، والهم فی استمراره التلّف
ففى الملام^(٤) قد جرّت له عطف
فالمکرّمات لعمری یدنهم طرف^(٥)
بأن قلبک بالأشواق یخطف
فضلاً، فكیف یرى منکم بها خلف
فألها عنکم فی الدهر منجرّف
فقد أضاعته منکم نية قذوّف^(٦)
فراح، وانظر، فإن الخیر مؤتلف^(٧)

(٢) ذرفت العين ذسها : أساءه .

(٤) الملام : المال المستطد .

(٦) نية قف : بيدة .

(١) الوجيف : ضرب من سب الخليل والإيل .

(٣) الملام : جمع ملامة .

(٥) البدع بالكسر : الأمر الذى يكون أولاً .

(٧) الاتحاف : الاستغناء والابتداء .

قافية القاف

(٣١٠)

وقال :

تَهْمِي مواهبه والشَّخْبُ جَامِدَةٌ فَنِ يَدِيهِ مَصَابُ الْوَايِلِ الْغَنِي^(١)
نُعْمَاهُ تُطْلِقُ أَمْرِي ، ثُمَّ تَأْتِيهِمْ لَهُ ، وَكَمْ مَنَّةٌ أَغْنَتْ عَنِ الرِّيقِ^(٢)

(٣١١)

وقال^(٣) :

مَثَلُ مُنْهَلٍ أَنْعَمَ الْمَلِكُ الصَّا لِحْ : يَرَوِي دَانٍ بِهِ وَيَحِيْقُ
سُحْبٌ ، وَبَلَّهَا النُّضَارُ وَلَلَاءُ لِدَاءٍ فِيهَا صَوَاعِقُ وَحَرِيْقُ
مَلِكٌ زَادَهُ التَّوَاضُعُ لَا بِهِ جَلَالًا ، يَرَوُعُ ، ثُمَّ يَرَوُقُ
سَطَوَاتُ تُخْنِئُ ، وَحَلْمٌ يُرْجَى وَنَوَالٌ طَلَقَ ، وَوَجْهٌ طَلَبِقُ
مَنْ حَكَى بِي وَرَقِ الْخَمَامِ فِي الْأَفْسَانِ : جَبِيْدِي حَالٍ ، وَغُصْنِي وَرِيْقُ
وَنَسَانِي كَشَدُوْهِنَّ مَدَى الْأَيَّامِ ، يَحْلُو سَمَاعُهُ ، وَيَرَوُقُ
رَوْتُ الصَّبْقِ فِيهِ بِادٍ ، وَمَا زَا لَ إِلَى الصَّبْقِ كُلُّ سَمِجٍ يَتَوَقُّ^(٤)
يَا أَمِيرَ الْجِيُوشِ ، مَا زَالَ لِلْإِسْلَامِ وَالِدِيْنِ مِنْكَ رَكْنٌ وَثِيْقُ
أَسْمَعَتْ دَعْوَةَ الْجِهَادِ ، فَلَبَّا هَا مَلِيْكُ بِالْمَكْرَمَاتِ خَلِيْقُ

(١) مصاب : اضطراب . والوايل : المطر الشديد الضخم القطر . وغدت العين : غزت . ووجد : بخل .

(٢) الريق : جمع ريق وهو حبل فيه عدة عرى يشد به البهم كل عروة وبقعة .

(٣) أول هذه القطعة قوله : كم إلى كم يلحق الحب المشوق . . . راجع القطعة ٢٥٤ ص ١٣٦ .

(٤) نافع إليه : اشتاق .

ملكٌ عادلٌ ، أنار به الدينُ ، فعمَّ الإسلامَ منه الشُّرُوقُ
 ما له عن جهاده الكُفْرَ والعدو ل وفعل الخيرات شُغلُ يعوقُ
 هو مثلُ الحُسام : صدرٌ صقيلٌ لَبَنٌ مِثْلُهُ ، وحدٌ ذَلِيقٌ^(١)
 ذو أناةٍ يحالُها الفِرُّ إِيَّاهُ ، وفيها حتفُ الأعادي المُحِبُّ^(٢)
 فاسلماً للإسلام كَهْفَيْنِ^(٣) ما طرَّ زَ ثوبَ الظلامِ برقُ خَفُوقُ

قافية اللام

(٣١٢)

وقال في الشيخ أبي تراب حيدر بن نجم الكاتب ، وقد عُرِلَ عن الكتابة :
 أبا تراب ، دهرنا جاهلٌ يرفع للشبه ذوى الجهل
 كأنه الميزان : يعلو به ذوالنقص عن رتبة ذى الفضل
 وما ينخر العزل من لم يزل من فضله الباهر في شغل

(٣١٣)

وقال :

أبا حسن في طي كل مساءة من الله صنع للعباد جميل
 كرهت لك الترحال أمس ، وربما أفاد الفتى طول المقام رحيل^(١)
 وقد يكره الشيء الفتى ، وهو خيره له ، ويحب الشيء وهو ويل^(٢)

(٢) أحاط به : أحاط به .

(٤) يشير إلى قول الشاعر :

وتسكب عيناى الموع لتجيدا

(١) ذليق : حاذ . وصقله : جلاه .

(٣) الكهف : الوزد والملا .

سأطلب بعد الله منكم لتفروا

(٥) الويل : الوشم .

ولو لم تُهْدِ إِلَّا إِلَـهَ الْجَهَادِ ، فَهَاتِهِ ثَوَابٌ ، كَمَا نَهَضَ الْكَتَابُ ، جَزِيلٌ
فَكَيْفَ وَقَدْ أَصْبَحَتْ جَارًا لِمَا جَدِ يَجُودُ ، عَلَى عِلَالِهِ ، وَيُؤِيلُ
كَرِيمِ كَالِيلِ^(١) الْعُطْرِفِ عَنْ عَيْبِ جَارِهِ وَمَا طَرَفُهُ عِنْدَ السَّوَالِ كَالِيلُ
شَرَى الْحَمْدَ بِالْأَمْوَالِ ، لَا يَسْتَقِيلُ فِي شِرَاهُ ، وَلَا عِنْدَ الْيَسَاعِ^(٢) يُقِيلُ
وَمَنْ كُفِينِ الدِّينِ ، أَمَّا جَنَابُهُ فَرَحْبُ ، وَأَمَّا ظِلُّهُ فَظَلِيلُ
إِذَا وَرَدَتْ آمَالُنَا بِحَرَ جُودِهِ صَدَرَتْ رَوَاءُ^(٣) ، مَا يَهِنُ غَلِيلُ
فَكُنْ وَاقِفًا بِاللَّهِ ثُمَّ بِجُودِهِ فَبَنَى بِمَا أَمَلْتُ مِنْهُ كَفِيلُ

(٣١٤)

وقال في نصيرين الأفاضل^(٤) :

يَا مُسْتَقِيلَ النَّيِّ فِيهَا مَجُودُ بِهِ وَمَنْ مَوَاهِبُهُ كَالْعَارِضِ^(٥) الْهَاطِلِ^(٦)
وَمَنْ إِذَا جَادَ بِالْأَنْبِيَا لَامِلِهِ قَالَتْ مَعَا [رَفُهُ]^(٧) حَاشَاكَ مِنْ بَحَلٍ
وَمَنْ إِذَا جَرَّدَ الْبَيْضَ الصَّوَارِمَ فِي السَّهْمِجَاءِ [أَسْكَنَهَا]^(٨) فِي الْهَامِ وَالْقُلَلِ^(٩)
قَدْ كُنْتُ أَخْضَعُ فِي الْخُطْبِ الْمَلَمِ ، فُذُّ وَلَيْتَ يَنْصَرُّ عَادَ [الْخُطْبُ]^(١٠) يَخْضَعُ لِي
وَبَعْدُ ، لِي فَيْكَ آمَالُ ، وَظَنِّي فِي عُلَاكَ [أَنْتَ]^(١١) تُوفِّي بِي عَلَى أَمَلِي^(١٢)

(١) كل بصره : تبا .

(٢) بابه مباينة وبياعة : عارضه بالبيع . وألقه : فسخته . واستقاله : طلب إليه أن يقبله .

(٣) رواء : جمع رويان . (٤) راجع مقدمة الديوان .

(٥) العارض : السحاب المقترض في الأقص . (٦) الهطل : تاج المطر العظيم القطر .

(٧) سقط بالأصل ولعل ما أكلنا به يستقيم به الوزن والمحسن .

(٨) القلعة : أعلى الرأس . والحمامة : الرأس . (٩) أوفى عليه : أحرف .

وقال من قصيدة :

فَتَبَيَّ أَلْتَجَى إِلَيْهِ مِنَ الْخَطْبِ ، وَذُنْخَرِي لِنْ غَالٍ وَفَرَى غَوْلٍ^(١)
بِعَلَاهُ أَسْمُو ، وَمَنْ فَضْلٍ مَا نَوَّلَ أَقْضَى فَرَضِ الْعُلَا وَأُنَيْلُ
مَلِكٌ يَذْكُرُ الْمَوَاعِيدَ وَالْعَهْدَ ، وَيُنْسِيهِ فَضْلُهُ مَا يُنْيِلُ
مُلْكُهُ مَلِكٌ رَحِمَةً ، وَقَضَايَا هُ بِمَا جَاءَنَا بِهِ التَّنْزِيلُ
ومنها :

أَنْتَ حَلَيْتَ بِالْمَكَارِمِ أَهْلَ الْعَصْرِ حَتَّى تَعْرِفَ الْمَجْهُولُ
وَعَلَا خَامِلٌ ، وَحَامَى جَابُتٌ وَوَقَى غَادِرٌ ، وَجَادَ بَنَجْمِلُ
وَحِمَتِ الْبِلَادِ بِالسَّيْفِ ، فَاسْتَصْعَبَ مِنْهَا مَهْلٌ ، وَعَزَّ ذَلِيلُ
وَقَسَمَتِ الْفَرَنْجُ بِالْغَزْوِ شَطْرِيْنَ : فَهَذَا عَانٌ^(٢) ، وَهَذَا قَتِيلُ
وَالَّذِي لَمْ يَجْنِ^(٣) بِسَيْفِكَ مِنْ خَوْفِكَ أَمْسَى وَعَقْلُهُ مَجْهُولُ
مِثْلُ الْخُوفِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ جَيْشًا لَكَ فِي عُقْرِ دَارِهِ مَا يَزُولُ
فَالرَّبِّي عَنْدَهُ جِيوشٌ ، وَمَوْجُ الْبَحْرِ فِي كُلِّ بَلْحَةٍ أَسْطُولُ
وَإِذَا مَا أَعْنَى^(٤) أَقْضَى^(٥) بِهِ الْمَضْجَعُ فِي الْحُلْمِ سَيْفُكَ الْمَسْلُوقُ
فَابْقِ لِلْسَّالِبِينَ كَهْفًا ، وَلِلْإِلَهِ رَنْجَ حَقْفًا ، مَا أَعْقَبَ الْجَيْلَ جَيْلُ
بَيْنَ مُلْكٍ يَلُومُ مَا دَامَتِ الدُّنْيَا وَحَالٍ فِي الْفَضْلِ لَيْسَتْ تَحُولُ^(٦)
ثَابَتَ الدُّنْيَا فِي اعْتِلَاوِ وَجَدٍ وَعَطَايَاكَ فِي الْبِلَادِ تَجُولُ
بَالُغَ الْعَبْدُ فِي النَّيَابَةِ وَالتَّحَرُّضِ ، وَهُوَ الْمَقْرُوهُ الْمَقْبُولُ

(١) غاله : الأسير .

(٢) غاله : أسطوله . والوفى : النفى .

(٣) حان : هلك .

(٤) أعنى : أمّ نوما غفينا .

(٥) أقض المَضْجَعُ : نَحْسَن . وأفضه الله ، لازم ومتعد . تحول : تحول .

فَرَأَى مِنْ عَزِيمَةِ الْغَزْوِ مَا كَادَتْ لَهُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ تَمِيلُ
وَأَجَابَتْهُ بِالصَّلِيلِ سُيُوفٌ ظَامِئَاتٌ ، وَبِالصَّهِيلِ خُبُولُ
وَرَأَى النَّقْعَ رَاكِدًا دُونَ مَجْرَى الشَّمْسِ ، وَالْأَرْضَ بِالْجِيوشِ تَسِيلُ
كُلُّ أَرْضٍ فِيهَا مِنَ الْأَسَدِ جَيْشٌ سَازِرٌ فَوْقَهُ مِنَ السَّمْرِ غَيْلٌ^(١)
وَإِذَا عَاقَتْ الْمَقَادِيرُ فَالَّا لَهُ إِذَا حَسِبْنَا ، وَنَعْمَ الْوَكِيلُ

(٣١٦)

وقال :

زَدْنِي عُلَا ، لَا أُرْتَضَى بِاللَّهِ^(٢) حَسْبِي مَا تَوَلَّتْ : مِنْ مَالٍ
أَغْنَيْتَ نَفْسِي وَيَدَيَّ ، فَاسْتَوَى حَالِي فِي الْعَفَّةِ وَالْمَالِ
فَلِي نَوَالٌ وَتَدَى سَيِّئِهِ^(٣) يُرْحَى ، وَمِنْ فَضْلِكَ إِنْضَالِي
وَأَتَمَّا أَبْنَى الْعُلَا ، لَا الْغَنَى وَمِثْلُهَا يَبْغِيهِ أُمْنَالِي

(٣١٧)

وقال :

وَالْحَسْرُورُ فِي حَكْمِ الصَّبَابَةِ جَائِزٌ بِخِلَافِ أَحْكَامِ الْمَالِكِ الْعَادِلِ
الصَّالِحِ الْمَهَادِي الَّذِي فِي عَدْلِهِ سَاوَى انْخِفَاضِ الزُّجْجِ^(٤) صَدْرَ الْعَامِلِ^(٥)

(١) الفيل : النجر الكثير الملقف ، والأبعة . والسر : الرياح . (٢) القهى : الطايا .

(٣) السب : العلاء . (٤) الزج : الحيدة أسفل الزج .

(٥) عامل الزج : صدره .

قافية الميم

(٣١٨)

وقال :

وسر إلى بحرٍ خَصِمَ له من عَزَمِه سيفٌ وعِى خِذْمٌ^(١)
 حتى إذا أنطقك العدلُ في جلاله والخلقُ الأكرمُ
 قل لأمرِ المسلمين الذي به استنار الزمُنُ المظلمُ :
 أنت الذي ما بُرت يوماً ، ولا جرى على سيفك ظُلماً دمُ
 ساويت في عدلك بين الوري حتى تساوى الزُجُجُ واللّهْزَمُ^(٢)
 وقُتَ في الله احتساباً فقد وَقَّتْ^(٣) من يطقى ومن يُجِرمُ
 وكلُّ أهلِ الشامِ أوسعتهم عدلاً ، فإلى دونهم أحرَمُ !
 أطفعت في حِكْمِكَ في الهوى وما كذا يفعلُ من يحكمُ
 من ينصفُ المظلومَ منّا إذا كنتَ ، وحاشاك ، الذي يظلمُ
 وأنت ظَلُّ الله في أرضه تردعُ من يظلمُ أو يَغْنَمُ^(٤)
 فلا يسبُّ أجرة الجهاد الذي فُزْتُ به دونَ الوري مأثمُ

(٣١٩)

وقال :

دعوتك يا عَمَرَ المَكْرُمَاتِ لأمرٍ عَرَا ، وموهمٌ أَلَمُ
 وأنت السَّريعُ إلى مَنْ دَعَاكَ بذاك قَضَى لك إرثُ الكَرَمِ
 وإن تَأَمَّ حَقِّي عما عهدتُ فإن اِهْتِمَامَكَ بِي لَمْ يَسَمِ

(١) خِذْمٌ : قاطع . (٢) اللّهْزَمُ : القاطع من الأَسنة . (٣) وَقَّتْ : كوعده . تهمره وأذله .
 (٤) يَغْنَمُ : القتل .

(٣٢٠)

وقال :

لو استطعت ، ولو ملكتُ امرى في قضاء فرضك عما فات من خدي
مشيتُ أحملُ أنقالُ النساءِ إلى جناك الخضيل^(١) الأذافِ كالقلم

(٣٢١)

وقال من قصيدة مضي أولها^(٢) :

خُلِقْتُ تَحْيَى به سَلْبَانُ^(٣) بِرَيْك من أخلاقك الفُرى ذا البأسِ والنعم
مولى عَلاك ، وكَم قد عَادَ شأنُهُ^(٤) يباسه من ملوك العربِ والعجم
يُقرُّ بالملكِ للملكِ الذى نَشَرَ الرَّحْمَنُ آيَامَهُ ظِلًّا على الأُمَمِ
للصَّالحِ الملكِ الميمونِ طائرُهُ بِحِجْدِهِ طَوْقٌ مِن غيرِ مُنْغَمِ
حَمَى دَوِيهِ ، وكَم من بَاسِطٍ لِيَدٍ لولا حَاهُ ، وكَم من فَاعِرٍ لِقَمِ
وذادَ عَنْهُمْ صُرُوفُ الدَّهْرِ إِذْ كَلَبَتْ عَلَيْهِمْ ، وَهُمْ لَحْمٌ على وَصَمِ
ونالَهُم من تَوَالِي سَحْبٍ نَائِلُهُ ما نالَ نَبْتَ الثَّرى من وَايِلِ الدَّيَمِ
يا حاسديه ، اكْظُمُوا ، بِحِرَانِكُمْ فَأَنَا النَّذِيرُ مِنْ أَخِيهِ ، إِنْ هُمْ . بِالْكُظْمِ^(٥)
إِذَا كُمُ عَثَرَاتِ الْبَغْيِ ؛ إِنْ لِمَنْ يَبْغِيهِ يَوْمًا يُوَارِي الشَّمْسُ بِالظُّلَمِ
حَذَارٍ من مَصْرِعِ الْبَاغِينَ قَبْلَكُمْ فَالسَّيْفُ مَنْصَلَةٌ فى كَفِّ مُضْطَلَمِ^(٦)
وفى تَحْيِيمٍ وَمَنْ والا ه موعظةٌ لِنَذَارُهَا يُسْمَعُ الأَمْوَاتِ فى الرَّجَمِ^(٧)

(١) الخضيل : كل شئ يندثر ويفتت نداء .

(٢) مطلع القصيدة : أجب دواعى الهوى بالأدع السيم ... راجع القطعة (٩٠) ص ٤٤ .

(٣) سلبان القارى : صباي جليل .

(٤) شاء فلا : أصابه بالعين ، وحسده .

(٥) الجرة : ما يفيض به الجير ، فياكه ثانية . وكظم الجير : أمسك عن الجرة . والكظم محركة :

الحلق أو ألقم أو غرغ الخس .

(٦) السيف المنصت : العقيل الخاضع . واصطله : استأمله . (٧) الرجم : القبر .

تَوْهَمُوا أَنَّ ضَارِي الْأَسَدِ يَنْفِرُ عَنْ
وَمَا دَرَوْا أَنَّهُ فِي جَحَلٍ لِحَبٍّ^(١)
مُغَامِرٌ تَرَهَّبُ الْآجَالُ سَطَوَتَهُ
يَسْتَقْبِلُ الْحَرْبَ بَسَامًا، وَقَدْ كَثُرَتْ
يَلْقَى الْأَلُوفَ وَيَجْبُوها ، فِي يَدِهِ
مَا غَرَّمُ بِصَدُوقِ الظَّنِّ يُبْهِرُهُ الرَّ
يَرَى الضَّغَائِنَ فِي قَلْبِ الْحُسُودِ لَهُ
فَإِنْ سَطَا عَنْ يَقِينٍ ، أَوْ عَفَا كَرَمًا
أَدَانَاكُمْ ، فَاعْتَلَيْتُمْ عَنْ ذَوَى رَحِمٍ
وَعَمَّكُمْ سَيْبٌ جَرَدَ مِنْهُ نَبْهٌ ذَا
كَمْ غُمَّةٌ كَشَفَتْ عَنْكُمْ صَوَارِمُهُ
لَوْلَاهُ ، لَا زَالَ عَنْكُمْ ظِلُّهُ أَبَدًا ،
إِنْ رَابَهُ مِنْكُمْ أَمْرٌ ، فَلَا وَزَرَ
يَا مَالِكًا مَالِكًا رِيقِي بِأَنْعَمِهِ
مَا الشُّكْرُ كَفَّ مَلَأَ أَوْلِيَّتَ مِنْ مَنِيٍّ
وَإِنْ أَكُنْ كَرُهِيرٌ فِي النَّشَاءِ ، فَقَدْ
وَإِنْ تَكُنْ مِدْحِي وَقَفًّا عَلَيْكَ فَلَا
فَقِي بِمَمْرِكَ مَنِيَّ صَارِمٌ خَلِمٌ

عَرِيهِ لِحُسُودِ الْيَوْمِ وَالرَّخِمِ
مِنْ بَاسِهِ ، غَيْرُ هَيَّابٍ وَلَا بَرِمٍ
وَتَفَرَّقَ^(٢) الْأَسَدُ مِنْهُ فِي حِمَى الْأَجَمِ
بِهَا الْمَنِيَّةُ عَنْ أَنْيَابِهَا الْأَرَمِ^(٣)
مِنْ الْعَطَا وَالسُّطَا بِمِرَاتِنِي وَدَمِ
أَيُّ الصَّحِيحِ بِمَا فِي الصَّدْرِ مِنْ سَقَمِ
تَدَبُّثُ مِثْلَ دَبِيبِ النَّارِ فِي الصَّحْمِ
فِيهِ خَيْرٌ ذِي عَفْوٍ وَمُسْتَقِيمِ
وَحَاطَكُمْ ، فَاعْتَدَيْتُمْ مِنْهُ فِي حَرَمِ
وَالْحُسُودِ مِنْكُمْ ، وَأَغْنَى كُلَّ ذِي عُدَمِ
وَلَمْ يَزَلْ كَاشَفَ الْأَوَاهِ^(٤) وَالْغَمِّ
عَلِمْتُمْ كَيْفَ تَأْتِي بِغَاةِ النَّصَمِ
لَكُمْ ، وَلَا عَاصِمٌ مِنْ سَيْلِهِ الْعَرَمِ^(٥)
وَمَلِكٌ مِثْلِي لَا يُبْتَاعُ بِالْقِيمِ
وَإِنْ تَسْهَلْ لِي مُسْتَوَعِرُ الْكَلِمِ
عَلَوْتُ مَجْدًا وَجُودًا عَنْ مَدَى هَرَمِ^(٦)
نَظَرْتُ أَنْ ثَنَانِي مَتْنِي هَمِي
يَقْرِي ، إِذَا كُلُّ حُدِّ الصَّارِمِ انْخَلَمِ^(٧)

(٢) فرق : فرغ .

(١) الحب : الجلبة والاضطراب .

(٣) أرم : ما طلى المائدة : أكله فلم يدع شيئا . والشيء : شئ .

(٥) العرم : الشديد .

(٤) الأواه : الثقة .

(٧) يقري : يشق . وانخلم : انقطع .

(٦) هرم : مملوح زهيرين أبيضين .

فِي حَتِّهِ حَتْفٌ مِنْ نَاوَاكَ وَهَوْلَانِ وَالْأَكْ مُنْجَسٌ بِالْبَارِدِ الشَّيْمِ
 فُرِّبَمَا شَتَتْ ، أَلْقَى الْأَمْرَ مِمْتَلَأً بِهِجَةً مَا اعْتَرَبَهَا قَرَّةُ الْمَحْمِ
 مَجْرَبًا طَانِي تَجْرِبَ مَحْبِرٍ إِنَّ التَّجَارِبَ تَجْلُو شُبُهَةَ التَّهْمِ
 فَبَذَلَ نَفْسِي عِنْدِي فِي رِضَاكَ ، فَلَا حُرْمَتُهُ ، بَعْضُ مَا أَنْوِيهِ مِنْ خَدْيِ
 وَحَقَّ ذَلِكَ لِمَنْ أَنْشَرَتْ أَسْرَتَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَدَّهُمْ مِنْ نَاجِرٍ ^(١) الرِّمِ
 صَرَفَتْ صَرْفَ اللَّيَالِي دُونَ غَشْمِهِمْ ^(٢) وَكَفَّ بِأُسْكَ عَنْهُمْ كَفَّ مُهْتَضِمِ
 وَأَوْصَلْتُهُمْ صَلَاتٌ مِنْ نَدَاكَ إِلَى أَرْضِ الشَّامِ ، لَقَدْ أَغْرَبْتُ فِي الْكَرَمِ
 وَمَا الَّذِي نِلْتُ مِنْ نِعْمَاكَ غَايَةً آمَلِي وَلَا مَتْنِي حِطْلِي وَلَا قِسْمِي
 نَيْلُ الْعُلَا دُونَ مَا أَرْجُوهُ مِنْكَ ، كَمَا أَنَّ الْفَنَى دُونَ مَا مَحْبُوهُ مِنْ نِعَمِ
 شَرَفْتَنِي ، فَاعْتَلَى قَدْرِي ، وَأَصْحَبْتُ لِي دَهْرِي ، وَأَصْبَحَ فَيَارُمْتُ مِنْ خَدْيِ
 وَطُلْتُ ^(٣) عَمَّنْ يُسَامِنِي ، فَخَزَرُهُمْ أَنْ يَلْغُوا ، إِنْ سَمَتْ هِمَاتُهُمْ ، قَدَمِي
 لِلَّهِ دُرٌّ طَارُوسٌ صُمْنَتْ دُرَّرًا أَكْرَمَ بِمَتْنِهِ مِنْهَا وَمُنْتَظِمِ
 أَحْضَمْتُ عَلَى مَفْرَقِ تَاجَا ، وَفِي عُنْقِي تَمِيحَةً مِنْ عَوَادِي الْخَطْبِ وَالْعَدَمِ
 لَفْظُ أَرْقٍ مِنَ الشَّكْوَى ، وَالْطُفُّ مِلَّ عُنْيِي ، وَأَشْهَى مِنَ الْإِبْلَالِ فِي الْأَلَمِ
 جَرَتْ لَطَافَتُهُ مِنْ قَلْبِ سَامِعِهِ مَجْرَى الْهَوَى مِنْ قُوَادِ الْمَغْرَمِ السَّدَمِ ^(٤)
 فَصَاحَةٌ أَسْمَعَتْ مَنْ كَانَ ذَا صَمِيمٍ وَحُسْنُ مَعْنَى أَفَادَ الْفَهْمَ ذَا اللَّيْمِ ^(٥)
 وَوَشَى خُطِّ حَكِي زَهْرَ الرِّبْعِ سَرَتْ أَكْثَامُهُ عَنْ بَدِيعِ الْقُضْلِ وَالْحَكَمِ
 لَوْ كَانَ حَالِكُهُ لَوْنُ الشَّابَابِ لَمَّا حَالَتْ نَضَارَتُهُ بِالشَّيْبِ وَالْهَرَمِ

(١) النشيم : الظلم . والاحتضام : الظلم .

(٢) أصحب : أقاد .

(٣) السدم محرك : ألم أوسع دم ، أو غيظ مع حزن .

(٤) الناجر : البال المفضت . والزرة : الضام .

(٥) أغرب : ألقى بالتريب .

(٦) طاولني ظفك : كنت أطول منه .

(٧) العلم : الجنون .

يزيدُ سامِعَهَا تَكَرَّرُهَا شَغَفَا بِهَا ، وَكَمْ جَلَبَ التَّكْرِيرُ مِنْ سَأَمٍ
يَأْمُوجِدُ الْفَضِيلَ وَالْإِفْضَالَ إِذْعَمَا حَتَّى لَقَدْ أَصْبَحَا نَارِينَ فِي عِلْمٍ
مَمْلُوكُكَ الْأَصْغَرُ الْقِنَ الْمَبَالِغُ فِي الْإِخْلَاصِ ، وَالسَّيْرُ مَقْدُودٌ مِنَ الْأَدَمِ^(١)
لَوْ نَالَ مَا يَمْتَنِي مِنْ مِشْبَتِهِ مَشَى إِلَيْكَ خُضُوعًا مِشْيَةَ الْقَسَمِ
وَكَانَ كَتَبَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ الْمُنْتَقَدِمَةَ إِلَى الْمَلِكِ الصَّالِحِ جَوَابًا عَنْ قَصِيدَةِ نُونِيَّةٍ ،
كَتَبَهَا إِلَيْهِ ، وَهِيَ هَذِهِ :

وَرَدَتْ إِلَيْنَا مِنْكَ "مَجْدُ الدِّينِ" بِيضَاءُ نَخْطُرُ فِي النَّيَابِ الْجُونِ^(٢)
حَرَرَتْ مِنْهَا حُرَّةٌ بَرَزَتْ لَنَا حُسْنًا كَنْظِمِ التَّوَلُّوْهُ الْمَكُونِ
خَرَسَاءَ صَامِتَةً ، وَلَكِنْ أَخْبَرَتْ مِنْهَا الْقَصَاحَةُ عَنْ لِسَانِ حَزِينٍ
غَرَاءَ ، يُلْقَى الشُّكُّ عِنْدَ قُدُومِهَا فَتَظَلُّ تَكْشِفُهُ بِصَبْحِ يَقِينٍ
تَشْكُو صَبَابَتَكَ الَّتِي آلَتْ إِلَى دَاءِ تَفَرُّمٍ^(٣) فِي الْقَوَادِ دَفِينٍ
أَبَدَتْ إِلَى الْكَرَمِ الْأَبَابِ^(٤) تَمْسَكًا بِنَدَى كَفِيلٍ بِالتَّجَاجِ صَمِينٍ
قَدْ عَلِمْتَ سُمَرَ الْقَنَا أَخْلَاقَهُ فَلِذَاكَ مِنْهَا شِدَّةٌ فِي لِينٍ
إِنْ مِنْ لَمْ يُبَيْعَ صَنَائِعَ جُودِهِ مَتًّا ، وَلَيْسَ قَدَاءُ بِالْمَمْنُونِ^(٥)
تَأْتِي الْقَوَائِي ، وَهِيَ أَبْكَارُ لَهُ قَصِيدًا ، فَتَخْجَلُ لِلْأَيْدَى الْعُونِ^(٦)
حَتَّى إِذَا وَقَدْتَ عَلَيْنَا لَمْ تَجِدْ بَابًا لِعَمْرُكَ مَغْلَقًا مِنْ دُونِي
وَجَوَابُنَا هَذَا عَقِيبَ هَلَاكِ مِنْ وَرَدَ الْمُنِيَّةَ رَاغِمَ الْعَرِينِ^(٧)
أَمْسَتْ أَكْذِيبُ الْمُتَى تَقْتَادُهُ حَتَّى رَمَتْهُ إِلَى حَضْبِضِ الْهُونِ
إِذَا ظَنُّنَا مَثْلُ مَنْ عَنْ مُلْكِهِ قَدْ رَاحَ مِنْهُ بِصَفْقَةِ الْمَغْبُونِ^(٨)

(١) الأدم : جمع آدم ، وهو الجمل المدبوع .

(٢) الجون : الأسود يريد الخط .

(٣) تفرم : اشتد حرقه .

(٤) الباب : المتألمس .

(٥) من : أتم ، والقي : الابتان . والمنون : المقطوع .

(٦) البوان من النساء : التي كان لها زوج .

(٧) العرين : الألف .

(٨) المغبون : المدبوع .

خَلَّى حَلَالَتَهُ ، وَقَالَ لِنَفْسِهِ :
أَمْلُ لَعْمَرِكَ زَيْتَنَةً لِعَيْنِهِ
حَتَّى إِذَا شَيْطَانُهُ قَالَ : ابْدُرْ
وَرَأَى أَنَّ الْحَشَدَ صَائِنٌ عِزَّهُ
ذُبَّتْ إِلَيْهِ صَابَةٌ مِنْ قَبْلِهَا
مِنْ آلِ رُزَيْكَ الَّذِينَ يَجُودِعُهُمْ
صَحْبَتٌ مِنَ الْأَصْحَابِ كُلِّ سَمِيدٍ^(٦)
وَإِذَا بَدَأَ آيِلُ الْحَوَادِثِ دَاجِيًا^(٧)
لَمْ يَلْبَثُوا ، حَتَّى بَدَأَ مَتَخِطًّا
فَلَجًا مِنَ الْحَشَدِ الَّذِي قَدْ غَرَّهُ
وَأَتَوْا بِرَأْسِ فَارِغٍ لَمَّا يَكُنْ
أُسْرَ ابْنِهِ ، وَتَوَزَّعَتْ أَمْوَالُهُ
وَعَقِيْبُهُ فَتَحَّ إِلَهُهُ بِأُظْفَرِهِ
مَا يَنْ مَقْتُولٍ وَرَأَى قَسَمَهُ
وَاسْتَهْلَكَ الْأَسْطُولُ مَنْ لَمْ يَلْقَهُ
قُرْنِ النَّسَاءِ إِلَى الرِّجَالِ ، فَاشْبَهُوا
وَالْعِدَّةُ الْعَظْمَى مِنَ الْعُدَدِ الَّتِي
بِصَوَارِمٍ قَدْ أَطْلَعَتْهَا لِلْوَعَى

مِنْكَ مِنْ صَرْفِ الرَّدَى^(١) يَكْتُمُنِي
خُدْعُ الْغُرُورِ ، وَسَكْرَةُ الْمُفْتُونِ^(٢)
فِي سُرْعَةِ الْعُلُوكِ وَالْتِمَاسِ
مِنْ أَنْ يُذَالَ^(٣) ، فَلَمْ يَكُنْ بِمَصُونٍ
لَمْ تَسِرْ أَسَادُ الشَّرَى بِعَرِينِ^(٤)
وَبِأَيِّهِمْ خَلَطُوا مَنَى مَنُونِ^(٥)
يَجْرِي إِلَى الْهَيْجَلِ بَغِيرِ قَرِينِ
جَلَّتْ غُرَّةُ وَجْهِهِ الْمَيْمُونِ
بِدِمَائِهِ ، كَتَخِطُّ الْمَجْنُونِ
عَدْدًا ، لِحَصْنٍ لَمْ يَكُنْ بِمُحَصِّنِ
مِنْ قَبْلِ أَنْ يَعْلُو الْقَنَا بَرْزِينِ
حَتَّى لَقَدْ بَلَغَتْ بِلَادَ الصَّبِينِ
بَابَ الظُّهُورِ عَلَى عُدَاةِ الدِّينِ
غَرَقًا ، وَمَجْرُوحٌ ، وَبَيْنَ طَهِينِ
بِالنَّفْسِ مِنْهُ عَلَى الطَّبَّ^(٨) بِضَنِينِ
خَلَطَ الْقَسَاوِيرِ^(٩) بِالطَّبَّاءِ الْعَيْنِ^(١٠)
تَضْفُو^(١١) مَلَابِسُ سَرْدِهَا الْمَوْضُونِ^(١٢)
عِنْدَ الصُّقَالِ لَهَا أَكْفُ قِيُونِ^(١٣)

- (١) صرف الردى : زنا . (٢) المفتون : الضال . (٣) أذاله : أهانه .
(٤) العرين : مأوى الأسد . والشري : جليل بئامة كثير السباع . (٥) المنون : الموت .
(٦) السديد : اليد الكريمة الموطأة الأكثاف والشجاع . (٧) داجيا : خطفا .
(٨) الطبا : جمع طبة وهي حد سيف أو سنان أو نحوه . (٩) القساوير : جمع قسوة : الأسد .
(١٠) العين : جمع عينا ، وهي حصة الثمين واستمدا . (١١) الضفو : السبرغ والكترة .
(١٢) وضن الثني : تى بضه على بضه . والسر : اسم جامع للدرع وسائر الحلق . (١٣) القين : الحقاد .

فَلَا خَظِيمَ فِي كُلِّ قَلْبٍ مَوْقِعٌ مِنْ دُونِهِ فِي الْقَدْرِ فَخٌ حُصُونُ
وَالطُّودُ^(١) لَا يُخْجِي أَمْرًا مِنْ حَيْثُ^(٢) فَذَلِكَ لَا يُجْبِهَ عُلُوَّ سَنَيْنِ
وَالشُّكْرُ لِلَّهِ الْكَرِيمِ ، فَحَمْدُهُ مُتَوَاصِلٌ مِنِّي لِمَا يُؤَلِّينِي
فَلَوْ أَنِّي رَمَيْتُ السَّمَاءَ بِمَحُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَطَلَّتْهَا بِيْنِي
فِي كُلِّ أَرْضٍ لِي نِشَاءٌ لَمْ يَزَلْ يُعْتَادُ مِنْهُ نَفْعُهُ النَّاسِرِينَ^(٣)
وَلَطَمًا^(٤) أَوَّلُ الْأَمِيرِ يَدًا إِلَى قَلْبٍ بِكُلِّ مَسْرَةٍ مَشْحُونِ
مَلَنَّا لِنُعَلِّمَهُ بِذَلِكَ ، لِأَنَّهُ فِي وُدِّنَا مَا زَالَ غَيْرَ ظَنِّينِ^(٥)
وَلَهُ التَّوَسُّعُ فِي الْمَقَالِ ، وَشَأْنُهُ فِي نَظْمِهِ وَالشَّعْرِ غَيْرُ شُؤْنِي
وَالْأَهْلُ قَدْ سَارُوا إِلَيْهِ ، وَرَأَيْنَا طَلَبُ افْتِكَاكِ فَوَادِهِ الْمَرْهُونِ
لَمْ يَبْقَ ، مَجْدُ الدِّينِ ، وَجَدُ^(٦) فَاعْتَمِمْ فَرَحًا أُتِيحَ لِقَلْبِكَ الْمَحْزُونِ
وَأَسْأَلُهُمْ إِنْ شِئْتَ عَنْ أَنْبَارِهِمْ وَابْتَنَّهُمْ مِنْ شَجَرِكَ^(٧) الْمُخْزُونِ
وَأَفِضْ عَلَيْنَا مِنْ فَنُونِكَ مَلَبَسًا عِنْدَ النَّشَاطِ ، فَأَنْتَ رَبُّ فَنُونِ

(٣٢٢)

وقال :

يَا مُنِمًّا ، مَسْرُودُ إِحْسَانِهِ سَهْلٌ . قَلَا فِي مَتِّهِ^(٨) مَنْ^(٩)
قَدْ أَقْدَى بِالْمُزْنِ^(١٠) فِي جُودِهِ بِلِ بِنْدَاهُ يَقْتَدِي الْمَزْنُ
بَسَطَتْ كَفًّا فِي التَّدْيِ وَالْوَعَى مَا كَفَّهَا بُخْلٌ وَلَا جُبْنُ
فَاسْلَمْ مِنَ الدَّهْرِ ، قَبِيهِ عَلَى كُلِّ كَرِيمٍ مَا جَدِ ضِغْنُ^(١١)

(١) الطود : الجبل . (٢) الحين : الملاك . (٣) التسرير : ورد .
(٤) الشطر الأول في الأصل هكذا : ولطما أول الأمير يدا إلى... ولعل ما اختاره أقرب إلى الصواب .
(٥) الظنين : التهم . (٦) الوجد : الحزن . (٧) الشجر : الحزن .
(٨) منه : إسماعه . (٩) مثلت عليه : عدت ما قدمت إليه من نهم . (١٠) المزن : السحاب .
(١١) الضغن : الحقد .

ما قاله مفتخرا ، وتمدح به متأثرا

قافية الراء

(٣٢٣)

أَلْظَنَ الْعِدَا أَنَّ ارْتِحَالِي ضَائِرِي ضَلَالًا لِمَا ظَنُّوا، وَهَلْ يَكْسُدُ التَّيْبُ
وَمَا زَادَنِي بُعْدِي سِوَى بُعْدِ هِمَّةٍ كَمَا زَادُ نُورًا فِي تَبَاعُدِهِ الْبَسْدُ
وَلَوْ كَانَ فِي طُولِ النَّوَاءِ فَضِيلَةٌ لِمَا انْتَقَلْتُ فِي أَفْقِهَا الْأَنْجَمُ الزُّهْرُ
وَلَوْ لَزِمَتْ أَعْمَادُهَا الْبَيْضُ مَا انْجَلَتْ بِهَا غَمَرَاتُ الْحَرْبِ، وَاتَّضَحَ النَّصْرُ
وَهَلْ فِي ارْتِحَالِي عَنْ بِلَادٍ تَنَكَّرْتُ لِمِثْلِي أَوْ لِلْسَّاكِنِينَ بِهَا تَغَرُّ
وَلِإِنْ بِلَادًا ضَاقَ عَنِّي فِضَاؤُهَا لِأَرْحَبُ مِنْ أَكَاثِفِهَا لِلْعُلَا فِتْرُ
وَأَرْضًا نَبَتْ بِي ، وَهِيَ أَهْلَةُ الرُّبَا هِيَ الْقَفَرُ، لَا، بَلْ دُونَ وَحْشَتِهَا الْقَفَرُ
وَهَلْ يُنْكِرُ الْأَعْدَاءُ فَضِيلِي ، وَلِإِنَّهُ لِأُسْبِرُ ذِكْرًا أَنْ يُوَارِيهِ الْكَفَرُ^(١)
أَلَسْتُ الَّذِي مَا زَالَ كَهْلًا وَيَافِعًا لَهُ الْمَكْرَمَاتُ الْغُرُ ، وَالتَّائِلُ الْغَمَرُ^(٢)
وَخَائِضَ وَقَعَاتٍ ، بَوَارِقُهَا الطُّبَا وَوَابِلُ هَانِيكَ الْبُرُوقِ دَمٌ هَمَرُ^(٣)
يَهْوُلُ الرَّدَى مَنَى تَقْصِمِي الرَّدَى وَيَعْتَادُهُ مِنْ جَأَشِي الرَّابِطِ الذُّعْرُ
وَلَوْ حَكَمْتُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمُ الطُّبَا رَضِيتُ بِمَا تَقْضِي الْمَهْنَةُ الْبُتْرُ^(٤)
وَلَكِنْ تَوَلَّى الْحَاكِمِينَ قَضَاءَنَا فَكَانَ أَبُو مُوسَى^(٥) لَنَا، وَلَهُمْ عَمْرُو

(١) الكفر: السوء والنطية .

(٢) التَّائِلُ : ما قلعه . والفقر : الكثير .

(٣) همر : منجر .

(٤) البتر : السيوف المقاطعة .

(٥) يريد أبا موسى الأشعري وعمرو بن العاص المحبكين في وقعة صفين .

(٣٢٤)

وكتب إليه الملك الصالح قصيدة أولها :

أبى الله إلا أن يدين لنا الدهرُ ويخدمنا في ملِك العزِّ والنصرِ
وهى طويلةٌ ، يذكر فيها وقائعهُ وسرايأُ إلى القرنج ، وتُسَيِّرُهُ الجيوش ،
وأسماءُ مقدِّمِها ، ويصفُ نَجْدَتَهُمْ ، فوقف عليها الملكُ العادلُ رحمه الله ، ونرجَّ
على أمرِهِ إلى الأميرِ مجدِّ الدِّينِ بالإجابةِ عنها ، بمَعَانٍ وقعت الإشارةُ إليها ،
فقال هذه القصيدةُ ، وذكر فيها بعضُ الفتوحات :

أبى الله إلا أن يكونَ لنا الأمرُ لِمَحْيَا بنا الدنيا ، ويفتخرَ العصرُ
وخدمنا الأيامُ فيما تزوُّمُهُ وينقادَ طوعاً في أزمئت^(١) الدهرُ
وتخضعُ أعناقُ الملوكِ لعزِّنا ويُرهبُها منا على بُعدنا الذكرُ
بحيث حللنا الأمنُ من كلِّ حادثٍ وفي سائرِ الآفاقِ من بأسنا دُعرُ
بطاعتنا لله أصبحَ طوعنا الأُ نامُ ، فما يُعصى لنا فيهمُ أمرُ
فأيمَّاننا في السلمِ مُحِبُّ مواهبٍ وفي الحربِ مُحِبُّ وبلهنَّ دمُ همر^(٢)
فَقَضَتْ في بنى الدنيا قضاءَ زمانِها فسرَّ بها شطرُ ، وميَّ بها شطرُ
وما في ملوكِ المسلمينَ مجاهدُ سواننا ، فما يثنيه حرٌّ ولا قُرُ
جعلنا الجهادَ همنا واشتغَلنا ولم يُلْهنا عنه السَّعْ ولا الخمرُ
دماءُ العداءِ أشهى من الرَّاحِ^(٣) عندنا ووقعُ المواضي^(٤) فيهمُ النَّأى والورُ
نواصلهم وصل الحبيبِ هم عدا زيارتهم يخطُّ عنا بها الوزرُ

(٢) همرة : صبه . والويل : المطر الشديد الضخم القطر .

(٤) المواضي : السيوف البائرة .

(١) أزمئة : جمع زمام .

(٣) الراح : الخمر .

وثير حشايانا الشروج، وقصنا الد
تري الأرض مثل الأفق، وهي نجومه
وهم الملوك البيض والسمر كالذي^(١)
صوارمتا حمر المضارب من دم
نسير إلى الأعداء^(٢) والطير فوقنا
قباس ينوب الصخر من حر ناره
وجيش إذا لاقى العدو ظنتهم
تري كل شهم في الوعى مثل سهمه
هم الأسد من بيض الصوارم والقنا
يرون لهم في القتل خلداً، فكيف بالبقاء لقوم قتلهم عندهم عر
إذا نسبوا كانوا جميعاً بنى أب
يظنون أن الكفر عصيان أمرنا
لنا منهم إقدامهم وولاؤهم
بنا أيد الإسلام، وازداد عزة
قتلنا الرئيس، حين سار بجعله
ولم يبق إلا من أسره، وكيف بالبقاء لمن أخنت عليه الظبا البتر^(٣)

(١) الذي : جمع دية وهي الصورة المنقشة من الرغام . والقتال . (٢) في هامش الحيوان : الهبياء .

(٣) انيس : خبج - (٤) الأدم من الظباء : المشرة يابسا . والأغمر من الظباء : ما يطريانه حرة .

(٥) طين شرر : شديد صعب . وضرب هير : يسقط الحجر . والغبرة : بضعة لم لا تعلم فيها .

(٦) الحجر : الجيش العظيم . (٧) أسنة السيوف القاطعة .

وفي مجيئنا ابن الفُتَيْش خَيْرُ مُلُوكِهِمْ
أَسْرَاهُ مِنْ حَصَنِ الْعُرَيْمَةِ^(١) رَاغِمًا
وَسَلَّ عَنْهُمْ الْوَادِي بِإِقْلَيْس^(٢) إِنَّهُ
هُمْ انْتَشَرُوا فِيهِ لِرَدِّ رَعِيلَا^(٣)
وَنَحْنُ أَمْرُنَا بِالْمُحْسِلِينَ^(٤) وَلَمْ يَكُنْ
وَكَانَ يَظُنُّ الْفَرَّ أَنَّا نَنْبِيعُهُ
فَلَمَّا اسْتَبَحْنَا مُلْكَهُ وَبِلَادَهُ
كَلَلْنَاهُ. نَبِي الْأَجَرِ فِي فِعْلِنَا بِهِ
وَنَحْنُ كَسَرْنَا الْبَغْدَوِيْنَ^(٥) وَمَا لَمْ
فَسَلَّهُ اللَّعِينُ الْحَائِنُ^(٦) الَّذِي
وَقَدْ ضَاغَتْ الدُّنْيَا عَلَيْهِ بِرُحْبَا
أَقَى غَدْرِهِ بِالْخَلِيلِ بَعْدَ يَمِينِهِ
دَعَتْهُ إِلَى نَكْتِ الْيَمِينِ وَغَدْرِهِ
وَقَدْ كَانَ لَوْنُ^(٧) الْخَلِيلِ شَيْئًا فَاصْبَحَتْ
تَوْهَمٌ عِجْزًا حِلْبًا وَأَانَتَنَا
فَلَمَّا تَمَادَى غِيْهُ وَضَلَالُهُ
بَرْزَنَا لَهُ كَاللَّيْلِ قَارِقَ غِيْلِهِ
وَمَرْنَا إِلَيْهِ حِينَ هَابَ لِقَاءَنَا

وإن لم يكن خيراً لديهم ولا ير
وقد قتلت فرسانه فهم جزر^(١)
إلى اليوم فيه من دمانهم غدر
فمن ثربه يوم المعاد لهم نشر
ليخشي من الأيام نائبة تعرفو
بمال، وكل ظن به يهلك الغر
ولم يبق مال يستباح ولا تغر
وفي مثل ما قد ناله يحجز الأجر
كسرناه إبلال يرعى ولا جبر
له الغدر دين: ما به صنع الفدر
فلم ينجح بر، ولم ينجح بحر
بإنجياله بين الأنام له غدر
بذمته النفس الخسيسة والمكر
تعاد إلينا، وهي من دمهم شفر
وما العجز إلا ما أقى الجاهل القمر
ولم يقنه عن جهله النبی والزجر
وعادته كسر القرائس والمهصر^(٧)
وبأن له من بأسن البؤس والشتر

(١) اسم موضع . (٢) جزر: خفف جزر بضمتين وهي جمع جزور وهي الناقة المجزورة: الذبجة .
(٣) الرضيل: الجماعة المتقدمة من الخليل . (٤) أحد ملوك القرعج الصليبيين .
(٥) الخائن: الأحق . (٦) في الحاشية قتلان وله مرهف «وكانت شيات الخليل شئ ...» .
(٧) المهصر: السكر .

فَوَيْلٌ لِلْيَارِي عِثْرَاتِ سِهَامِنَا وَفِي سَمْعِهِ مِنْ وَقَعِ أَسْيَافِنَا وَقُرْ^(١)
وَحَلَّى لَنَا فُرْسَانَهُ وَحُمَاتَهُ فَشَطَرُ لَهُ قَتْلٌ ، وَشَطَرُ لَهُ أَسْرُ
وَمَا تَنْتَفِي عَنْهُ أَعْتَهُ خَيْلَنَا وَلَوْ طَارَ فِي أَقْفِ السَّمَاءِ بِهِ النَّسْرُ
إِلَى أَنْ يَزُورَ الْجَوَاسِلِينَ^(٢) مُسَاهِمًا لَهُ فِي دِيَاجٍ ، مَا لِلْيَلِيتِهَا بَجْرُ
وَنَزَجِجَ الْقُدْسَ^(٣) الْمُطَهَّرَ مِنْهُمْ وَيَتَلَّى بِإِذْنِ اللَّهِ فِي الصَّخْرَةِ الذَّكْرُ
كَأَفْعَالِنَا فِي أَرْضٍ مِنْ حَانَ^(٤) مِنْهُمْ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا فِي مَمَالِكِهِمْ شِبْرُ
إِذَا اسْتَفْلَقَتْ ثُمَّ الْحَصُونِ فَعِنْدَنَا مَفَاتِحُهَا : بَيْضٌ ، مَضَارِبُهَا حُمْرُ
وَإِنْ بَلَدٌ عَزَّ الْمُلُوكَ مَرَامُهُ وَرُمَاتُهُ ، ذَلَّ الصَّعْبُ وَاسْتَسْهَلَ الْوَعْرُ
وَأَخْصَى عَلَيْهِ لِلْسَّهَامِ وَالظُّبَا وَوَفَّحَ الْمَذَاكِي^(٥) الرُّعْدَ وَالْبَرْقَ وَالْقَطْرُ
بَنَّا اسْتَرْجَعَ اللَّهُ الْبِلَادَ وَأَمَّنَ الْعِبَادَ ، فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا قَهْرُ
فَتَحْنَا الرُّهَا^(٦) حِينَ اسْتَبَاحَ عِدَاتُنَا حَامَاهَا ، وَسَنَى مُلْكَهَا لَمْ اخْتَرْ^(٧)
جَعَلْنَا طُلَى^(٨) الْفُرْسَانَ أَغْمَادَ بَيْضِنَا وَمَلَكًا أَبْكَارَهَا الْفَتَكَةَ الْبُكْرُ
وَلَمَحْنُ فَتَحْنَا تَلَّ بَاشِرٍ^(٩) بَعْدَهَا وَقَدْ عَجَزَتْ عَنْهُ الْأَكَامِرَةُ الْغُرُ
أَتَى سَاكِنُوهَا بِالْمِفَاتِيحِ طَاعَةً إِلَيْنَا ، وَمَسَرَّهُمْ إِلَى بَابِنَا شَهْرُ
وَمَا كُلُّ مَلِكٍ قَادِرٌ ذُو مَهَابَةٍ وَلَا كُلُّ سَاحِجٍ يَسْتَنْبُ لَهُ الْأَمْرُ
وَتَلَّ عِرَازٍ^(١٠) ، صَبَحَتْهُ جُيُوشُنَا فَلَمْ تَحْمِهِ عَنَّا الرَّجَالُ وَلَا الْجُنْدُ
وَمِنْنَا إِلَى بَرْجِ الرِّصَاصِ^(١١) وَإِنَّهُ لَكَالْسِّدِّ ، لَكِنْ الرِّصَاصُ لَهُ قِطْرُ^(١٢)

(١) العائر : كل ما أمل العين ، والورق : تقل في الأذن . (٢) أحد ملوك الصليبيين .

(٣) في الهامش « البيت المقدس » . (٤) حان : هلك .

(٥) المذاكي من الخيل : التي أتى عليها بعد قروحها سنة أروستان . (٦) عاصمة إمارة صليبية بالنام .

(٧) سناه : سبه . واختار : الفدروا لظلمة . (٨) الطلى : الأعناق .

(٩) موضع بالنام . (١٠) القطر : النحاس القاذب .

وَأُخِذَتْ لَانْطَاكِيَّةَ^(١) حَارِمٌ^(٢) فَنَجَّى
وَحِصْنُ كَفَرٍ لَنَا وَهَابٌ^(٣) تَدَانِيَا
وَفِي حِصْنٍ بِسُوطَا وَقُورَصَ ذَلَّتِ الصَّعَابُ لَنَا ، وَالتَّصَرُّ يُقَدِّمُهُ^(٤) الصَّبْرُ
وَقَامِيَّةُ^(٥) وَالْبَارَةُ^(٦) اسْتَفْتَنَتْهُمَا
لَنَا هَمَّةٌ مِنْ دُونِهَا الْفَرُغُ وَالْفَقْرُ^(٧)
وَحِصْنُ بَسْرِقُودِ^(٨) وَأَنْبٌ^(٩) سَهَلَتْ
وَفِي تَلٍّ عَمَارٍ^(١٠) ، وَفِي تَلٍّ خَالِدٍ^(١١)
وَمَا مِثْلُ رَاوَنْدَانٍ^(١٢) حِصْنٌ وَإِنَّهُ
وَكَمْ مِثْلٍ هَذَا مِنْ قِلَالِجٍ وَمِنْ قَرَى
فَلَمَّا اسْتَعْدَنَاهَا مِنَ الْكُفْرِ عَنَّةٌ
رَدَدْنَا عَلَى أَهْلِ الشَّامِ رِبَاعَهُمْ
وَجَاعَتُهُمْ مِنْ بَعْدِ يَأْسٍ وَفَاقَةٍ
وَمَرٌّ عَلَيْهَا الدَّهْرُ ، وَالْكَفْرُ حَاكِمٌ
فَنَالَهُمْ مِنْ عَوْدِهَا الْخَيْرُ وَالْغَنَى
وَمِنْ وَضَعْنَا الْمَخَسَّ عَنْ كُلِّ بَلَدَةٍ
وَأَصْبَحَتِ الْآفَاقُ مِنْ عَدَائِنَا حِمَى
فَكَيْفَ تُسَامِينَا الْمُلُوكُ إِلَى الْعُلَا

- (١) أَنْطَاكِيَّةُ : مَدِينَةُ كَانَتْ قَسْبَةَ الْعَوَامِ مِنَ التُّغُرُكُ الشَّامِيَّةِ ، مَوْصُوفَةٌ بِالْحُسْنِ ، وَطَبِيعَةُ الْهَوَاءِ ، وَعَذُوبَةُ الْمَاءِ ، وَكَثْرَةُ الْفَوَاكِه (يَانُوت) .
(٢) حَارِمٌ : مَدِينَةُ بِالشَّامِ .
(٣) الْأَنْوَقُ كَهَبِيرُود : الْعَقَاب .
(٤) مَوْضِعٌ بِالشَّامِ .
(٥) قَدَمُ الْقَوْمِ كَهَبِيرُود : قَدَمُهُمْ .
(٦) مَدِينَةُ حَصِينَةٍ مِنْ سَوَاحِلِ الشَّامِ ، وَكَوْدَةُ مِنْ كَوْدِ حِصْنِ .
(٧) فَرِغَ الدَّلِيلُ الْمَقْدَمُ وَالْمُتَوَسِّطُ : مِثْلَانِ لِقَمَرٍ . وَانْفَرَجَ : مِثْلُ الْقَمَرِ أَيْضًا . (٨) أَزْدَرَجُ : زَيْجُ .
(٩) الْبَقْلُ : طَائِرٌ . وَالْكَدْبِيُّ : ضَرْبٌ مِنَ الْقَتْلِ غَيْرِ الْأَلْوَانِ ، دَقِشَ الظُّهُورُ ، وَهَمَزُ الْمَطْوِيِّ .
(١٠) عَمَارٌ : مَدِينَةٌ بِالسَّوْدَانِ .

وإن وعلوا بالفرزِ نظماً ، فهذه رعوسُ أعديهم بأسيا فتا نثر
 سبلى العدا عنهم بيض صقالها هداياهم ، والبتر^(١) يرهبها البتر^(٢)
 وما قولنا عن حاجة ، بل يسوءنا إذا لم يكن في غزونا لهم أحر
 نرائنا ملأى ، وما هي دُخْرنا السُعد ، ولكن الثواب هو الذخر
 ملكاً الذى لم تحوهِ كَف مالِك ولم يعرنا تيه الملوكة ولا الكبر
 فنحن ملوك البأس والجود ، سوقه التواضع ، لا بذخ لدينا ، ولا نفخر
 عرفنا^(٣) عن الدنيا ، على وجدنا بنا فيها لنا وصل ، ومنا لها هجر
 وأحسن شئ في الدنا زهد قادر عليها ، فأ يصيبه ملك ولا وفر^(٤)
 ولولا سؤال الله عن خلقه الذى رعيانهم حفظاً إذا ضمت الحشر
 ملنا عن الدنيا ، وقلنا لها : اغربى^(٥) لك المهجر منا ، ماتمادى بنا العمر
 فما خير ملك ، أنت عنه محاسب ومملكه^(٦) ، من بعدها الموت والقبر
 فقل للوك الأرض : ما الفخر فى الذى تعلونه من فعلكم ، بل كذا الفخر

قافية الفاء

(٣٢٥)

وقال :

يأبى احتمال الضيم لى خلق فيه على ما راني صلف
 سهل العريكة حين تنصفه صعبُ المقادة حين يعتسف^(٧)

(١) البتر : السيف القاطعة . (٢) البتر : القطع . (٣) عرف عنه : زهد فيه .

(٤) الوفر : الفنى . (٥) اغربى : ابعدى .

(٦) في هامش الديوان «ومملكة» . (٧) اعتسف : ظله .

خُلِقَ نَمَاهُ أَغْرُ أَرَوْعُ مِمْوْتُ النِّفْيَةِ مَا جَدَّ أَنْفُ^(١)
 مِنْ مَعْشِرِ طَابَتْ مَغَارِمُهُمْ فَسَمَا لَهُمْ فَوْقَ السَّمَاءِ^(٢) شَرَفُ
 قَوْمٍ إِذَا عُدَّتْ مَنَاقِبُهُمْ كَادَتْ لَهْنَ الشَّمْسُ تَنْكَسِفُ
 لَوْ حَلُولُوا الْأَفْلَاقَ مَا قَصُرَتْ عَنْهَا أَكْفُهُمْ ، وَلَا ضَعُفُوا
 لَا عَيْبَ فِيهِمْ ، غَيْرَ أَنَّهُمْ فِي جُودِهِمْ لِعُقَاتِهِمْ^(٣) سَرَفُ
 أَثْنِي بِعُلَى فِيهِمْ ، وَهُمْ فَوْقَ النَّاءِ ، وَفَوْقَ مَا أَصْفُ

قافية اللام

(٣٢٦)

وقال :

جُودِي بِمَوْجُودِي عَلَى النِّكَاتِ فِي مَالِي أَبِي لِي أَنْ أَعْدَّ نَحِيلًا
 أَهْبُ الْكَثِيرَ مِنَ الْكَثِيرِ ، فَإِنْ لَحَتْ^(١) عُودِي وَهَبْتُ مِنَ الْقَلِيلِ قَلِيلًا
 كَيْ لَا أَكْذِبَ فِي رَجَائِي آمَلًا إِنَّ الْبَخِيلَ يُكْذِبُ التَّامِيلًا

(١) النِّفْيَةُ : الطَّيْفَةُ . وَأَنْفُ كَفَرَح : اسْتَكْف . وَالْأَرَوْعُ : مَنْ يَجِبُكَ بِهِ وَجْزَارَةٌ مَنْظَرُهُ ، أَوْ شِجَاعُهُ .
 (٢) السَّمَاءُ : نَجْمٌ .
 (٣) الْعُقَاتُ : جَمْعُ عَاقٍ ، وَهُوَ طَالِبُ الْمَعْرِفِ . (٤) لَحَّ الْعُودُ : قَشَرَهُ .

ما قاله في الحماسة ، ووصف به شجاعته وبأسه

قافية الحمزة

(٢٧)

قال :

قَتَلْنَا بِقَتْلَانَا مِنَ الْقَوْمِ مِثْلَهُمْ مَرَارًا ، وَلَكِنْ مَا الدِّمَاءُ سِوَاءُ
وَلَكِنْ شَفِينَا النَّفْسَ مِنْ لَاعِجِ الْأَمَى بِقَتْلِهِمْ ، إِنْ كَانَ مِنْهُ شِفَاءُ

قافية الباء

(٣٢٨)

وقال ، وقد عرض له ألم في رجله منعه من الركوب :

رَجُلَايَ وَالسَّبْعُونَ قَدْ أَوْهَنْتَ قُوَايَ عَنْ سَعْيِي إِلَى الْحَرْبِ
وَكُنْتُ إِنْ تَوَبَّ^(١) دَاعِيَ الْوَعَى لِيَتَهُ بِالطَّعْنِ وَالضَّرْبِ
أَشَقُّ بِالسَّيْفِ دُجْبَى تَقْعِمَهَا شَقُّ الدِّيَابِجِي مَرْسَلُ الشُّهْبِ
أَنْزَلُ الْأَقْرَابَ بُرْدِيهِمْ مِنْ قَبْلِ ضَرْبِي هَامَهُمْ رُضِي
فَلَمْ تَدْعَ مِنِّي اللَّيَالِي سِوَى صَبْرِي عَلَى الْأَلْوَاءِ^(٢) وَالخَطْبِ
أَلْتِي الرِّزَايَا رَابِطَ الْجَاشِ فِي أَحْدَانِهَا مَجْمَعُ اللَّبِ
مَا خَاتِي عَزِي ، وَلَا عَزِّي^(٣) صَبْرِي ، وَلَا ارْتَاعَ لَهَا قَلْبِي

(٢) الْأَلْوَاءُ : الشدة .

(١) التَّوَبَّ : التَّوَبَّ .

(٣) عَزِي : غلبي ، قَلْبِي .

قافية الجيم

(٣٢٩)

وقال ، ما كتبه على طوق خُوذة :

أَنَا تَاجُ فُرْسَانَ الْهَيَاجِ^(١) ، وَمِنْ بَيْنِهِمْ تَبَيَّنْتُ أَوَّانِي^(٢) مُلْكُ كُلِّ مُتَوَجِّعٍ
قَوْمٌ إِذَا لَبِسُوا الْحَدِيدَ عَجِبَتْ مِنْ بَحْرِ تَدَافَعٍ فِي لَفْظِي مُتَوَجِّعٍ
صَبْرٌ إِذَا مَا ضَاقَ مُعْتَرِكُ الْقَنَا فَرَجَتْ سِيوفُهُمْ مَضِيقُ الْمُنْهَجِ
وَإِذَا رَجَوْتَهُمْ لَنْصَرٍ صَدَّقُوا بِعَظِيمِ رَجَاءِ الْمُرْتَجَى

قافية الحاء

(٣٣٠)

وقال :

لِخَمْسِ عَشْرَةَ نَازَلْتُ الْكَيَّةَ إِلَى أَنْ شَبْتُ فِيهَا ، وَخَيْرُ أَنْخِيلٍ مَاقَرَحًا^(٣)
أَخْرُصُهَا كَشَهَابِ الْقَذْفِ مَبْتَسِمًا طَلَّقَ الْحَيَا ، وَوَجْهُ الْمَوْتِ قَدْ كَاثَمَا
بِصَارِيمٍ ، مِنْ رَأَى فِي قَنَامٍ وَعَى أَفْرَى بِهِ الْهَامَ^(٤) ، ظَنَّ الْبَرْقَ قَدْ لَحَا
أَغْلُو لِنَارِ الْوَعَى فِي الْحَرْبِ إِنْ تَحَدَّتْ بِالْبَيْضِ فِي الْبَيْضِ وَالْهَامَاتِ مُقْتَدَحًا^(٥)
فَسَلْ كَيَّةَ^(٦) الْوَعَى عَنِّي ، لَتَعْلَمَ كَمْ كَرِبَ كَشَفْتُ ، وَكَمْ ضَيَّقَ بِي أَنْفَسَحَا

(١) الهياج بالكسر : القتال .

(٢) الأوعية كأيّة ويشدد ويخفف : عود في حائط أو في حبل يلفظ طرّاء في الأرض ويزرطه كالخفّة تشد

فيها الدابة ، الجمع أخا يا أو أوانحي . والأوعية : الثياب .

(٣) قرح القرس كنعن : انتهت أسنانه ، فهو قارح ، وذلك عند إكمال خمس سنين .

(٤) القنّام : القنّار . والوقى : الحرب . وأفرى : أشق . والهام : جمع هامة : وهي الرأس .

(٥) اقتدح : دام الإبراء . والببيض : جمع بيضة ، تنفذ من الحديد ، وتلبس في الرأس .

(٦) الكي : الشجاع ، أو لابس السلاح .

قافية الدال

(٣٣١)

وقال من أبيات تقدّمت^(١) :

ولكنني ألقى الحوادث وإدعاً بقلب أريب بأسه يتوقّد
أني على عدل الزمان وجوره غني عن الأعوان إن قلّ مُسعد^(٢)
فأهوى خطب وإنراع جازع مروّع ، ولا في حادث متبلّد

(٣٣٢)

وقال من قصيدة تقدّم أولها^(٣) :

يا عبجاً من وشك بين مارغت^(٤) فيه مطايانا ولا الحادى حدّا
زرى الجمال المصحب^(٥) بيننا مهملات ، والرجال بددا^(٦)
موقف توديع ترى البيض به شهباً ، وهابى النقع ليلاً أسوداً
وللطعان فى الكفاة أعيناً تهمى على السرد^(٧) نجيعاً مزبداً
فيا له من موقف رقيب ككائب الأعداء ، والواشى الردى
لوم تكن عادتي الإقدام فى أمثاله ، قضيت فيه كدداً

ومنها :

لا تحسبن الرزة أوهى جلالى إن التسم لا يفض^(٨) الجلمدا
وهل يروغ الخطب قلب أروغ إن كلب^(٩) الدهر عليه أسدا^(١٠)

(٢) المحذ : المعين .

(١) انظر النظم (١٢٨) صفحة (٦٢) .

(٤) رثا الجيرى غاه بالضم : صوت فضع .

(٣) راجع ص ٦٦ .

(٦) بددا : متفرقة .

(٥) أصحب : اتقاد .

(٧) السود : اسم جامع للحدود . والنجم : دم الجوف . (٨) القرض : الكسر بالضم . وبالبلد : الصنر .

(١٠) أسد : صار كالأسد .

(٩) كلب : منه .

مَتَى رَأَى الشَّامِتُونَ صَرِعًا لَنَكْبَةٍ تَعْرِفُنِي عَرَقُ الْمَدَى^(١)
 هُمْ يَعْلَمُونَ أَنِّي أَصْلَبُ مِنْ صَمِّ الصَّبَا^(٢)، فَمَا عَدَا مَا بَدَأَ
 هَلْ بَنَى الْخَطْبُ سَوَى وَفَرَى الَّذِي كَانَ مُبَاحًا لِلنَّوَالِ وَالنَّدَى
 إِنْ جَمَعُوا الْمَالَ فَأَوْعَوْا أَتَلَفْتُ يَدِي طَرِيفَ مَا حَوَتْ وَالتَّلَدَا
 هُمْ يَرُونَ الْمَالَ ذُنْرًا بَاقِيًا وَإِنَّمَا ذُنُرُ الْفَتَى أَنْ يُحْمَدَا

قافية السين

(٣٣٣)

وقال^(٣) :

سَلِّ بِي كُجَاةَ الْوَعَى فِي كُلِّ مَعْرَكَةٍ^(٤) يَضِيقُ بِالنَّفْسِ فِيهَا صَدْرُ ذِي الْبَاسِ
 يَنْبُتُكَ بَأْنِي فِي مَضَابِقِهَا ثَبْتُ، إِذَا الْخَوْفُ هَزَّ الشَّاهِقَ الرَّاسِي^(٥)
 أَخْرَضَهَا كَتِيبَابِ الْقَذْفِ، يَصْحَنِي عَضْبُ كَبْرِي مَرَى أَوْ ضَوْءُ مِقْبَاسِ^(٦)
 إِذَا ضَرَبْتُ بِهِ قِرْنًا أَتَا زِلُهُ أَوْحَاهُ^(٧) عَنْ عَائِدٍ يَنْشَاهُ أَوْ آمِي^(٨)

قافية الطاء

(٣٣٤)

وقال من قصيدة مضي أكثرها^(٩) :

وَلَكِنْ قَضَتْ فِينَا اللَّيَالِي بِجَوْرِهَا وَعَادَتْهَا كُفْرُ الْفَضَائِلِ وَالنَّمَطُ
 حَكِي حَكْمُهَا الْمِيزَانَ، لَا دَرْدَرُهَا : فَذُو النِّقْصِ يَسْتَعْلِي، وَذُو الْفَضْلِ يَخْطُ

(١) الضرع : الخاضع القليل المستكين . وعرق العظم : أكل ما عليه من اللحم . والمدي : جمع مدية ، وهي السكين .

(٢) الصفا : جمع صفاة ، وهي الجهر الصمد الضخم لا يثبت . وجبرأسم : صلب .

(٣) هذه القنطرة رواها أسامة أيضا في كتابه : باب الآداب ص ١٩٥ . (٤) في باب الآداب : "مترك" .

(٥) الجليل . (٦) العضب : السيف . والمقاييس : شقة تارتقيس من نظم النار .

(٧) أوحاه : أجهله . وفي باب الآداب «أوجاه» بمعنى زجره ، ونجاء ، وردده . (٨) الآمي : الطيب .

(٩) راجع ص ١٧٤ ، ١٧٨ .

وَعِنْدِي عَلَى مَارَابَ مِنْ حَدَّثَانِهَا صَرِيْمَةٌ عَزِيْمٌ ، مَا مَا عَقَلْتُ نَسْتُ^(١)
تُهَوِّنُ عِنْدِي الْخَطْبَ ، وَالْخَطْبُ هَائِلٌ وَتَقْبِضُ عَنِّي كَفَّهُ ، وَمَا الْبَسْتُ

قافية الفاء

(٣٣٥)

وقال^(٢) :

إِنْ يَحْسُبُوا فِي السَّلَامِ مَنْزِلَتِي مِنَ الْعِزِّ الْمُنِيفِ^(٣)
فِيهَا أَهِنُ النَّفْسِ فِي يَوْمِ الْوَعَى بَيْنَ^(٤) الصَّفُوفِ
فَلَطَالَمَا^(٥) أَقْدَمْتُ إِقْدَامَ الْخُتُوفِ^(٦) عَلَى الْخُتُوفِ
بِعَزِيْمَةٍ أَمْضَى عَلَى حَدِّ السُّيُوفِ مِنَ السُّيُوفِ

قافية القاف

(٣٣٦)

وقال^(٧) :

قَلْبِي وَصَبْرِي إِفْقَانٌ مَدْ خُلِقَا تَقَاسَمَا صَادِقَيْنِ : لَا افْتَرَقَا
(أَمْشِي الْمَوْجِي ، وَالْخَطْبُ فِي طَلِي يُوَضِّعُ طَوْرًا ، وَتَارَةً عَقَفَا)^(٨)
مَا يَطْمَعُ الدَّهْرُ أَنْ أَذِلَّ ، وَلَا تَمَلَأُ قَلْبِي أَهْوَالُهُ فَرَقَا^(٩)

(١) حدثان الدهر : نوبه . والعزيمة : العزيمة . وعقل : شد الجبر بالقول . وللنشط : الحل .

(٢) هذه القصيدة مما روى لأسامة في الغريرة ١ : ٤٠٤ ولباب الآداب ص ١٨٤ .

(٣) المنيف : العالي المشرف . (٤) في لباب الآداب « يوم » .

(٥) في الغريرة « ولطالما » . (٦) الختوف : الموت .

(٧) هذه القصيدة رواها أسامة أيضا في لباب الآداب ص ٢٠٣ .

(٨) ورد هذا البيت في موضعه هذا في لباب الآداب . ولم يرد في أصل الفيوان . وأوضع : أسرع . والنفق :

السير السريع . (٩) هذا البيت ساخط في لباب الآداب .

أَحْنُو ضُلُوعِي فِي كُلِّ نَاشِئَةٍ^(١) عَلَى فُؤَادٍ لَا يَعْرِفُ الْقَلَقَ
لَا يَزِدُّهُ^(٢) خَوْفُ الْحَيَامِ ، وَلَا عَهْدُهُ فِي مِلَّةٍ خَفَقَا

(٣٣٧)

وقال

قَالُوا تَرَشَّقْتَ اللَّيَالِي مَاءَهُ وَاغْتَالَهُ بَعْدَ النَّمَامِ حَقَاقُ
هُوَ جَمْرَةٌ أَفْنَى الزَّمَانِ لَمِيبَا فَنَضَاءَكَ ، وَطِبَاعُهَا الْإِحْرَاقُ

قافية اللام

(٣٣٨)

وكتب إليه الملك الصالح^(٣) :

قُلْ لَابِنِ مُنْقِذِ الذِّي قَدْ حَازَ فِي الْفَضْلِ الْكَمَالَ
فَلِذَاكَ قَدْ أَصْحَى الْأَنَا مُ عَلَى فَضَائِلِهِ^(٤) عِيَالًا
وَقَرِيبُهُ عِنْدَ الظَّامِ يَنْسِيهِمُ الْمَاءُ الزَّلَالَ
كَالْمُرِّ وَالْبَاقُوْتِ ، مَا سَكَنَ الْبَحَارَ ، وَلَا الْجِبَالَ
لَكِنْ يُجَاوِرُ فَيْضَ أَيْمَانِ ، وَأَحْلَامًا ثِقَالًا :
مَا كَانَ ظَلَمِي أَنْ يُحَرِّمَ مِنْهُ لِي السَّحَرِ الْحَلَالَ
كَلَّا ، وَلَا يَشْكُو لِحُلِّ رَسَائِلِ مَيِّ كَلَالًا^(٥)
كَمْ قَدْ بَعَثْنَا نَحْوَكَ الْأَشْعَارَ مُسْرِعَةً عِجَالًا

(١) الازدحام : الاختلاف .

(١) في لُبابِ الْآدَابِ : حَادَّة .

(٢) فِي الرَّوْضَيْنِ : مَكَاوِدُهُ .

(٣) النَّصْرُ فِي الرَّوْضَيْنِ أَيْضًا : ١١٧ .

(٤) الْكَلَالُ : الْإِحْيَاءُ .

مَثَلُ الْحَسَنِ الْغَيْدِ^(١) تَا هَتْ فِي مُحَاسِنِهَا دَلَالَا
بَذَلَتْ لَكَ الْمَنُوعَ ، ثُمَّ مَنَحَتْهَا مِنْكَ ابْتِذَالَا^(٢)
وَصَدَدَتْ عَنْهَا ، حِينَ رَا مَتَّ مِنْ مُحَاسِنِكَ الْوِصَالَا
مَا كَانَ مُرْسَاهَا ، وَحَقَّكَ ، يَسْتَحِقُّ بِهَا الْمَلَالَا
هَلَّا بَذَلَتْ لَنَا مَقَالَا ، حِينَ لَمْ تَبْذُلْ فَعَالَا
مَعَ أَنتَا نُؤْيِكَ صَبْرًا فِي الْمَوَدَّةِ وَاحْتِمَالَا
وَبِذْلِكَ الْأَخْبَارَ ، إِنِ اخْتَحَتْ قِصَارًا أَوْ طُولَا
سَارَتْ سَرَايَانَا لِقَصْدِ الشَّامِ ، تَعْتَسِفُ الرِّمَالَا^(٣)
تُرْجَى إِلَى الْأَعْدَاءِ بُرْدَ الْخَيْلِ أَتْبَاعًا^(٤) تَوَالِي
تَمْضَى خِفَافًا لِلْغَا رِ^(٥) بِهَا ، وَتَأْتِينَا نِقَالَا
حَتَّى لَقَدْ رَامَ الْأَعَا دِي مِنْ دِيَارِهِمْ ارْتِمَالَا
وَعَلَى الْوُعَيْرَةِ^(٦) مَعَشَرٌ لَمْ يَعْهَدُوا فِيهَا الْفِتَالَا
لَمَّا نَافَتْ عَنْ يَحْفُفُ بِهَا بِمَيْنَا أَوْ شِمَالَا
نَهَضَتْ إِلَيْهَا خَيْلُنَا مِنْ مَصْرٍ مَحْتَمِلُ^(٧) الرِّجَالَا
وَالْيَيْضُ لَامِعَةٌ ، وَيَيْضُ الْهِنْدِ ، وَالْأَسَلُ النَّهَالَا^(٨)
فَعَدَّتْ كَأَنَّ لَمْ يَعْهَدُوا فِي أَرْضِهَا حَيَا حِلَالَا^(٩)
هَذَا ، وَفِي تَلِّ الْعُجُورِ^(١٠) ، مَلَأْنِ بِالْقَتْلِ التَّلَالَا

(١) الغيد : جمع غيداء ، وهي الخثنية لينا . (٢) الابتذال : ضد الصيانة .

(٣) انتصف الطريق : غبط على غير هداية . (٤) أتباع : يأتي بعضها خلف بعض .

(٥) الغار : الإغارة . (٦) الوعيرة : اسم حصن .

(٧) نهضت : حمله . (٨) النهال : جمع ناهلة وهي الخنثى إلى المتبل . والأسل : الريح . والبيض : السيوف .

(٩) جمع حلة وهي القوم التزول ، وجماعة يهتوت الناس . (١٠) موضع بالشام .

إِذْ مَرَّ مُرِّي^(١) لَيْسَ يَلْهَى^(٢) نَحْوُ رُفْقَتِهِ اشْتِغَالًا
وَاشْتِاقَ عَسْكَرَنَا لَهُ أَهْلًا يُحِبُّهُمْ وَمَالًا
وَسَرِيَّةَ ابْنِ فُرَيْجٍ الطَّا نِي طَالَ بِهَا وَصَالًا
سَارَتْ إِلَى أَرْضِ الْخَلِيلِ ، فَلَمْ تَدَعْ فِيهَا خِلَالًا^(٣)
فَلَوْ أَنَّ نُورَ الدِّينِ يَمُحِلُ فَعَانَا فِيهِمْ مَثَلًا
وَيُسِيرُ الْأَجْنَادَ جَهْرًا ، كَيْ يُنَازِلَهُمْ^(٤) زِيَالًا
وَيَنْفِي لَنَا ، وَلِأَهْلِ دَوْلَةٍ بِمَا قَدْ كَانَ قَالًا
لَرَأَيْتَ لِلْإِفْرَنْجِ طُورًا فِي مَعَاظِلِهَا اعْتِقَالًا
وَنَجْهَزُوا لِلْأَسِيرِ نَحْوَ الْغَرْبِ أَوْ قَصَدُوا الشَّامَا
وَإِذَا أَبَى إِلَّا اطَّارَحًا لِلنَّصِيحَةِ وَاعْتِزَالًا
عُذْنَا بِتَسْلِيمِ الْأُمُورِ لِحُكْمِ خَالِقِنَا تَعَالَى
فَأَجَابَهُ :

يَا أَشْرَفَ الْوُزَرَاءِ أَخْلَاقًا ، وَأَكْرَمَهُمْ قَعَالًا
وَأَعَزَّهُمْ جَارًا ، وَأَمَّ نَعْمَهُمْ حِمَى ، وَأَجَلَّ آلَا
وَأَعَمَّهُمْ جُودًا ، إِذَا جَادُوا ، وَأَكْثَرَهُمْ نَوَالًا
فَلَذَاكَ قَدْ أَخْضَى الْأَنَا مُ عَلَى مَكَارِمِهِ عِيَالًا
وَحِمَى الْبِلَادِ بِسِفِهِ عَنْ أَنْ تُدَالَ^(٥) ، وَأَنْ تُدَالَ
وَأَحَلَّ بِالْإِفْرَنْجِ فِي بَرٍّ ، وَفِي بَحْرِ نِكَالًا^(٦)

(٢) يلهى : يخطر .

(١) مرى : أحد ملوك الفرنج الصليبيين .

(٣) اختلال : جمع خل بالفتح ، وهو الطريق . (٤) هذه رواية الروميين . وفي الأصل : تنازلم .

(٥) أداته : أهله . والهوة : انقلاب الزمان . وأداله . أى جعل الزمان يتقلب به .

(٦) النكال ما نكلت به غيرة أن تصنع ما تحلوه به .

حَتَّى لَقَدْ سَمِعُوا لِقَاءَ جِيوشِ مِصْرٍ وَالْقِتَالَ
تَبَّهَتْ عَبْدًا طَالِمًا نَبَّهَتْ^(١) قَدْرًا وَحَالًا
وَعَتَبَتْ ، فَأَنْتَلَتْهُ شَرْفًا وَمَجْدًا لَنْ يَنَالَ
وَكُسُوتَهُ شَرْفًا ، إِذَا مَا طَاوَلَتْهُ الشُّهْبُ طَالَا^(٢)
لَكِنْ ذَاكَ الْعَتَبَ يُشْعِلُ فِي جَوَانِحِهِ اشْتِعَالًا
أَسْفًا بِلَحْدٍ مَالٍ عَنْهُ إِلَى مَسَاءَتِهِ ، وَمَالًا
وَحِمَاهُ ، وَهُوَ الْحَائِثُ الظَّمَانُ ، أَنْ يَرِدَ الزَّلَالَا
وَأَجَرَ مَقُولِهِ^(٣) فَصَرَ نَ الْحَادِثَاتُ لَهُ عَقَالَا
فَلَوْ اسْتَطَاعَ السَّعَى ، وَهُوَ الْقَرَضُ ، لَمْ يَرْضَ الْمَقَالَا
لَكُنَّهَا الْآيَامُ تُوْ سَعْنًا مَطَالَا وَاعْتِلَالَا
وُسُوفُ الرَّاجِي ، وَتُوْ رُدُّذَا الصَّدَى الظَّمَانُ آلَا^(٤)
وَالْدَّهْرُ لَا يَنْفُكُ يَبْرِي ، أَوْ يَرِشُ لَنَا النَّبَالَا^(٥)
وَيَصْدُنَا عَمَّا نَحْنُ رِلَه جِهَارًا وَاغْنِيَالَا^(٦)
وَإِذَا حَمِدْنَاهُ عَلَى حَالٍ تَنْكَرَ وَاسْتَعَالَا^(٧)
وَذُنُوبُهُ مَغْفُورَةٌ لَوْ كَاثَرَتْ فِينَا الرَّمَالَا
بِالصَّالِحِ الْمَلِكِ الَّذِي جَمَعَ الْمَهَابَةَ وَالْخِلَالَا
مَلِكٌ إِذَا زُغْنَا أَقَا لَ ، وَإِنْ سَأَلْنَاهُ أَنَا لَا
فِيْبِيحُ جَاهِلُنَا وَسَائِلُنَا نَوَالًا وَاحْتِمَالَا
فِيْلِهِ مَعْنَرَةٌ الْمُقْصِرَ ، مِنْ إِسَاءَتِهِ اسْتَعَالَا

(١) تَبَّهَتْ بِاسْمِهِ : قَوَّه . (٢) طَاوَلَتْهُ : كُنْتُ أَطُولُهُ مَعَهُ .

(٣) أَجَرَ مَقُولَهُ : شَقَّ لِسَانَهُ . (٤) الصَّدَى : الْعُطْشُ . وَالْآلُ : السَّرَابُ .

(٥) يَرِشُ : يَرِي . وَنَحْنُ : وَرَاشَ السَّهْمَ : أَوْقَطَ عَلَيْهِ الرِّيشَ . وَالنَّبَالُ : السَّهَامُ .

(٦) اغْنِيَالَهُ : أَطْلَقَهُ . (٧) اسْتَعَالَا : تَحَوَّلَ وَتَغَيَّرَ .

وبفضل مَالِكِ تَعَوَّ ذَا أَنْ يَظُنَّ بِهِ الْمَلَالَا
 أَوْ أَنَّهُ يَشْكُو الْكَلَالَا لَ، لَسَمِعَهُ السَّحَرَا حَلَالَا
 وَهُوَ التَّهَوُّسُ بِمَا تَحْمَلُهُ ، وَلَوْ حَمَلَ الْجِبَالَا
 أَمَّا السَّرَايَا حِينَ تَرَجُّعُ بَعْدَ خِفَّتِهَا فَقَالَا
 فَكَذَلِكَ عَادَ وَقُودُ بَا بِكَ مُثْقَلِينَ تَشَا^(١) وَمَالَا
 وَمَسِيرُهَا فِي كُلِّ أَرْضٍ تَبْغِي فِيهَا الْحَالَا
 فَكَذَلِكَ فَضْلُكَ مِثْلُ عَدْلِكَ فِي الدُّنْيَا سَارَا وَجَالَا
 فَاسْلَمْ لَنَا ، حَتَّى نَرَى لَكَ فِي بَنِي الدُّنْيَا مِثَالَا
 وَاشْدُدْ يَدَيْكَ بِوَدِّ نُورِ الدِّينِ ، وَالْقَوِّ بِهِ الرِّجَالَا
 فَهُوَ الْحَامِي عَنْ بِلَا دِ الشَّامِ جَمْعًا أَنْ تَذَالَا^(٢)
 وَمِيْدُ أَمْلَاكِ الْفَرَنْجِ وَجَمْعُهُمْ حَالًا حَالَا
 مَلِكٌ يَتْبَعُهُ الدَّهْرُ وَالْدُّنْيَا بِدَوَائِيهِ اخْتِيَالَا
 جَمْعُ الْخِلَالِ الصَّالِحَاتِ فَلَمْ يَدْعُ مِنْهَا خِلَالَا
 فَإِذَا بَدَأَ لِلنَّاسِ يَنْزُرَاتِ عِيُونُهُمْ ، الْكَمَالَا
 فِقِيْمًا لِلْمُسْلِمِينَ حَمِي ، وَلِلدُّنْيَا بَحَالَا
 وَكُتِبَ إِلَيْهِ الْمَلِكُ الصَّالِحُ مِنْ قَصِيْدَةٍ تَقْدِمُ أَوَّلَهَا^(٣)
 ذَا كَرِيْنَ الْفَتْحِ الَّذِي فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْنَا ، فَالْصَّنْعُ مِنْهُ جَمِيْلُ
 لَمْ يَزَلْ فَعَلْنَا لَهُ خَالِصًا ، وَهُوَ لِمَا شَاءَ فِي الْأَنْوَامِ فَعُولُ

(١) النَّشَا : مَا أَخْبِرَتْ بِهِ عَنِ الْفَزِيلِ . وَتَا الْحَدِيثِ : حَدَّثَ بِهِ وَأَشَاعَهُ .
 (٢) أَذَالَهُ : أَهْلَاهُ .
 (٣) انظر صفحة ١٤٠ .

جاءنا بعد ما ذكرناه في كُتُبِ اَنَا كُمْ بَيْنَ مَنَا الرُّسُولُ
 أَنَّ بَعْضَ الْأَسْطُولِ نَالَ مِنَ الْإِفْرِجِ مَا لَا يَنَالُهُ التَّامِيلُ
 سَارَ فِي قِلَّةٍ ، وَمَا زَالَ بِاللَّهِ ، وَصَدَقَ النِّيَابَتِ بِنِي الْقَلِيلُ
 وَبَقَايَا الْأَسْطُولِ لَيْسَ لَهُ بَعْدُ إِلَى سَاحِلِ الشَّامِ وَصُولُ
 خُصَى مِنْ عَكَا وَأَنْطَرُطُوسَ^(١) عَدَقُمْ يَحِطُ بِهَا التَّحْصِيلُ
 جَمَعَ دِيُونِيَّةً^(٢) بِهِمْ كَانَتْ الْإِفْرِجُ تَسْطُو عَلَى الْوَرَى وَتَصُولُ
 قِيدَ فِي وَسْطِهِمْ مَقْدَمُهُمْ ، يَهْدَى إِلَيْنَا ، وَجِدُهُ مَقُولُ
 بَعْدَ مَتَوَى جَمَاعَةٍ هَلَكَتْ بِالسَّيْفِ ، مِنْهَا الْغَرِيقُ وَالْمَقْتُولُ
 هَذِهِ نِعْمَةُ الْإِلَهِ وَتَعْدِيدُ أَيَادِي الْإِلَهِ شَيْءٌ يَطُولُ
 فَابْلَغْنِ قَوْلَنَا إِلَى الْمَلِكِ الْعَادِلِ ، فَهُوَ الْمَرْجُو وَالْمَأْمُولُ
 قُلْ لَهُ : كَمْ تُمَاطِلُ الدِّينَ فِي الْكَفَّارِ ، فَاحْذَرْنَا يَغْضَبَ الْمَطُولُ
 سِرًّا إِلَى الْقُدُسِ ، وَاحْتَسِبْ ذَلِكَ فِي اللَّهِ ، فَالْسيرِ مِنْكَ يُشَقُّ الْغَلِيلُ
 وَإِذَا مَا أَبْطَأَ مَسِيرُكَ فَاللَّهُ إِذْنَ حَسْبُنَا ، وَنَعْمَ الْوَكِيلُ

(٣٣٩)

وقال^(٣) .

بُجْهِلُ فِي الْإِقْدَامِ رَأْيِي مَعَاشِرُ^(٤) أَرَاهُمْ إِذَا قَرُّوا مِنَ الْمَوْتِ أَجْهَلًا
 أَرْجُو الْفَتَى عِنْدَ انْقِضَاءِ حَيَاتِهِ وَإِنْ قَرَّعَ وَرَدَ الْمَنِيَّةُ مَرَحَلًا^(٥)

(١) أَنْطَرُطُوس : يَدُ سَاحِلِ الشَّامِ . (٢) دِيُونِيَّة : لَقَبٌ لِعَلَّامَةٍ مِنَ الصَّالِحِينَ .

(٣) ذَكَرَ أَسَاعِدَةُ هَذِهِ الْأَيَّاتِ أَيْضًا فِي لِبَابِ الْأَدَابِ صَفْحَةَ ٢٢٥ .

(٤) فِي أَمَلِ الدِّيَّانِ « رَأَى مَعَاشِرَ » بِالْإِنْفَاعَةِ وَالصُّوْبِ لِلْأَسَاطِذِ الشَّيْخِ أَحَدُ شَاكِرِ لِبَابِ الْأَدَابِ .

(٥) زَمَلَ عَنْ مَكَتَه كَتَبَ : زَالَ .

إذا أَنَا هَبْتُ الموتَ في حومةِ الوغَى ^(١) فلا وَجَدْتُ نفسِي من الموتِ مَوْثَلًا ^(٢)
وإِنِّي إِذَا نَازَلْتُ كَبَشَ ^(٣) كَتِيبةٍ فَلَسْتُ أَبَالِي أَبْنَا مَاتَ أَوَّلًا

(٣٤٠)

وقال :

قُلْ لِلْخَطُوبِ : إِلَيْكَ عَنِّي ، إِنَّ لِي فِي الْخَطْبِ عَزْمًا مِثْلَ حَدِّ الْمُتَصِّلِ ^(٤)
لَا يَسْتَكِينُ لِحَادِثٍ مِنْ نَكْبَةٍ طَرَقَتْ ، وَلَا يَعْيا ^(٥) بِأَمْرِ مُشْكِلٍ
يَلْقَى الْخَطُوبَ ، إِذَا دَجَّتْ أَهْوَالُهَا بِالصَّبْرِ حَتَّى تَضْمَحَلَّ وَتَجْبَلِي
تَجَابُ ^(٦) عَنْهُ الْحَادِثَاتُ إِذَا عَرَتْ عَنْ قُلُوبِ ثَبِتِ الْعَزَائِمِ حَوْلَ ^(٧)
قَدْ جَرَّبَ الْأَيَّامَ حَتَّى خَلَّتْهُ يُبْدِي لَهُ الْمَاضِيَ خَفِيَ الْمُقْبِلِ

قافية الميم

(٣٤١)

وقال :

إِذَا ضَاقَ بِالْخَطَى ^(٨) مُعْتَرِكُ الْوَغَى وَهَالَ الرَّدَى وَقَعَ الظُّبَا ^(٩) فِي الْجَمَاجِمِ
سَلَّ الْمَوْتَ عَنِّي ، فَهُوَ يَشْهَدُ أَنِّي عَلَى خَوْضِهِ فِي الْحَرْبِ ثَبِتُ الْعَزَائِمِ

(٣٤٢)

وقال :

مُعِينَ الدِّينِ ، كَمْ لَكَ طَوْقٌ مِنْ بَحِيدِي ، مِثْلُ أَطْلُوقِ الْحَمَامِ
تَعْبِدُنِي لَكَ الْإِحْسَانُ طَوْعًا وَفِي الْإِحْسَانِ رَقِيٌّ لِلْكَرَامِ

(١) حومة الوغى : أشد موضع فيه . والوغى : الحرب .

(٢) الموال : اللبأ .

(٣) الكباش : سيد القوم وقادهم .

(٤) المتصل بضمتين ومكرم : البف .

(٥) عي بالأمر : لم يجد لوجه مراده ، أو تجزعه ولم يلق إحكامه .

(٦) تجاب : انكشف . وعرا : غشى .

(٧) حول قلب : محال بصير بقلب الأمور .

(٨) الخطى : الرج .

(٩) الظبا : جمع ظبة ، وهي حد سيف أوسان أوغوه .

فصارَ إلى مودَّتِكَ انساني على أُنَى العظامي العصامي^(١)
 ألم تعلم بأنى لأتقاني إليك رمى سوادى^(٢) كل رَام
 ولولا أنت لم يصب^(٣) شِمائي لقسر^(٤) دُون إغذار^(٥) الحُسام
 ولكن خفتُ من نارِ الأعادي عليك فكتُ إطفاء الضرام^(٦)

(٣٤٣)

وكتب إليه الملك الصالح :

أَلَا هَكَذَا فِي اللَّهِ تُمُخِّي العزائمُ ونمضي لى الحربِ السيوفُ الصوارمُ
 وتُسْتَزَلُّ الأعداءُ مِنْ طَوْدِ عِزِّهِمِ وليس سوى سُمِرِ الرماحِ سَلَامُ
 وتَغْزَى جيوشُ الكُفْرِ في عُقْرِ دَارِهَا ويوطأ حِمَاهَا ، والأَنُوفُ رَوَاغِمُ
 ويُوَفِّي الكرامُ الناذرونَ بِنَدِيرِهِمْ وإنْ بُلَّتْ فِيهِ النُفُوسُ الكَرَامُ
 تَلَرْنَا مَسِيرَ الْجَيْشِ فِي صَفَرٍ ، فَما مَضَى نَصْفُهُ ، حَتَّى أَتَنَّى وَهُوَ غَائِمُ
 بَعَثْنَاهُ مِنْ مِصْرَ إِلَى الشَّامِ ، قَاطِعًا مَفَاوِزَ^(٧) وَخَدُّ الْعَيْسِ^(٨) فِيهِنَّ دَائِمُ
 وَنَاهِيكَ مِنْ أَرْضِ الْخَفَّارِ^(٩) إِذَا التَّلَظَّى بِجَنِيهِهِ مَشْبُوبُ^(١٠) مِنَ الْقَيْظِ جَلِيمُ^(١١)
 وَصَارَتْ عَيُونُ الْمَاءِ كَالْعَيْنِ عِزَّةً^(١٢) إِذَا مَا أَتَاهَا الْعُسْكَرُ الْمُتَزَاخِمُ
 فَما هَالَهُ بَعْدَ الدَّيَّارِ ، وَلَا فَنَى عَزِيمَتَهُ جَهْدُ الظَّلْمَا وَالسَّامِ^(١٣)
 يَهْجُرُ^(١٤) وَالْعَصْفُورُ فِي قَصْرِ وَكْرِهِ وَيَسْرَى إِلَى الْأَعْدَاءِ ، وَالنَّجْمُ نَائِمُ

(١) عظامي صامى : شريف المنصب والفس . (٢) السواد : الشخص . (٣) أحصب : اقتاد .
 وشمس الشمس : استصحب على راحته . (٤) القسر : القهر . (٥) أغدر : أضف . (٦) أضرم النار : أخطأ .
 (٧) المفاوز : جمع مفازة وهي القفلة لا ماء بها . (٨) العيس : الإبل البيض يتخالط بأضراسه شقرة . والوخد :
 الإبراع . (٩) الخفار : أرض بين فلسطين ومصر ، أولها ربح كلها رمال بيض . (١٠) من شبت النار :
 اتخذت . والتلظى : تلبب . (١١) الجاسم : الجليم . (١٢) عز الشيء : قل . (١٣) السوم : الرج
 الحارة تكون غالباً بالتيار ، الجع سام . (١٤) هجر : سار في الهاجرة ، وهي نصف النهار ، عند زوال الشمس .

إذا ما طوى الزايات وقت مسيره
تُبَارَى خِيولاً ما تَزَالُ كَانَتْهَا
فإن طَلَبْتَ قصداً تَسَاوِينَ سُرْعَةً
هِيَ الدَّهْمُ^(١) أَلْوَانًا وَصِبْغَ عَجَاجَةٍ
تُصَاحِبُهَا عَلَبًا بَأَن سَوْفَ نَفْعَتُنِي
كَأَنَّ وَحْشَ الْفَقْرِ مَا زَالَ مِنْهُمْ
خِيولٌ إِذَا مَا فَارَقْتَ مَعْرَ تَبْغِي
يَسِيرُ بِهَا ضِرْغَامُ^(٢) فِي كُلِّ مَازِقٍ
وَرُقْنَتُهُ عَيْنُ الزَّمَانِ ، وَحَامِمْ
مَضَى طَاهِرَ الْأَثْوَابِ مِنْ كُلِّ رِيْبَةٍ
هَنِيئًا لَهُ يُسْقَى الرَّحِيقَ^(٣) ، إِذَا غَدَتْ
وَلَوْ أَنَّنَا نَبْكِي عَلَى فَقْدِ هَالِكٍ
وَلَكِنَّا بَيْنَا إِلَهًا ضَمُونَا
نَهْنُونَ عَلَيْنَا أَنْ تُصَابَ ضَمُونَا
وَمَا حَافِمْ^(٤) إِذْ لَاقَى هُمَامٌ وَصِنُوهُ
وَبَرْقِيَّةٌ^(٥) شَامِرَا السُّيُوفِ فَلَمْ يَحْشَ

غَدَتْ عَوْضًا مِنْهَا الطَّيْرُ الْحَوَائِمُ
إِذَا مَا هِيَ انْقَضَتْ نُسُورٌ قَشَاعِمُ^(٦)
قَوَادِمُهَا^(٧) فِي جَرِّهَا وَالْقَوَائِمُ
فإن طَلَبْتَ أَعْدَاءَهَا فَلَا دَأِمَ
بِهَا ، وَلَمَّا فِي الْكَافِرِينَ مَطَاعِمُ
مَدَى الدَّهْرِ أَعْرَاسُ لَهْمٍ وَلَوْلَائِمُ
عَدَا ، فَلَهَا النَّصْرُ الْمَيْنُ مُلَازِمُ
وَمَا يَصْحَبُ الضَّرْغَامَ إِلَّا الضَّرَاغِمُ^(٨)
وَيَمْحَى^(٩) ، وَإِنْ لَاقَى الْمَنِيَّةَ ، حَامِمْ
شَهِيدًا ، كَمَا تَمْضِي السَّرَاةُ^(١٠) الْأَكْرَامُ
نُحْمِيهِ فِي الْخُلْدِ الْحَسَانُ النَّوَامِ
لَقَلَّتْ لَهُ مَنَّا الدَّمُوعُ السَّوَابِغُ
وَرُحْنَا ، وَمَا مِنَّا عَلَى الْبَيْعِ نَادِمُ
إِذَا لَمْ تُصْبِنَا فِي الْحَيَاةِ الْمَاتِمُ
عَشِيَّةَ أَصْوَاتِ الرِّجَالِ هَمَامِمْ^(١١)
لِبَارِقِهَا فِي سَاعَةِ الشَّامِ شَانِمُ

- (١) القشيم : اللون من التورود والفضم .
(٢) القدم : جمع دهماء وهي السوداء .
(٣) الرقيق : ناعم مصري آتت إليه الوزارة في أيام الماحض القاطن .
(٤) ضرقم : ناعم مصري آتت إليه الوزارة في أيام الماحض القاطن .
(٥) الضراغم : جمع ضرغام : الأسد .
(٦) الضراغم : جمع ضرغام : الأسد .
(٧) حامم : أعرج أو أحمق .
(٨) السراة : السادة .
(٩) يمحي : يمحى .
(١٠) السراة : السادة .
(١١) همام : الكلام الخفيف وتزداد الإثيرة في الصدر من ألم وكل صوت به يبع .
(١٢) برقبة : طائفة من الجيش المصري قدم أصولهم من برقبة .

وأفناء^(١) جُند لو تَوَجَّهَ جمعهم
وجعُ ممالك بأفعالنا اقتنوا
وسنيس^(٢) قد شادوا المعالي بفعلهم
وتعلبة^(٣) أضخوا بنا قد تأسدوا^(٤)
وإن جُداما^(٥) لم يزل قط منهم
جيوش أفدناها اعتزاماً ونجدة
إذا ما أثاروا النقع ، فالتغر عابس
ولما وطوا أرض الشام محالفت
وواجههم جمعُ الفرنج بحملة
فلقوهم زرق الأسته ، وانطووا
وما زالت الحرب العوان^(٦) أشدها
يُسبِّههم من لاح جمعهم له
وحسبك أن لم يبق في القوم فارس
وعادوا إلى سلِ السيوف ، ففقطعت
فلم ينجُ منهم يومذاك بخير
كذلك ما ينفك تُهدى إلى العدا
وسرى لهم آراؤنا وجيوشنا

لرومية جالت عليها المقام
فكلهم بالطن والضرب علم
وليس لهم إلا العوالي^(٧) دعام^(٨)
فألم في المشركين مقاروم
قديمًا لحبل الكفر بالشام جاذم^(٩)
فطادتنا منهم ، ومن العزائم
وإن جردوا الأسياف فالتغر باسِم
فاضحت جميعاً عربها والأعجم
تهون على الشجعان منها الهزائم
عليهم ، فلم ينجُ من الكفر ناجِم^(١٠)
إذا ما تلاقى العسكر المتصادم
بلجةً بحر موجها متلاطم
من الجيش إلا وهو للرمح حاطِم^(١١)
رعوس ، وحزت للفرنج غلامِم^(١٢)
ولا قيل : هذا وحده اليوم سالم
وللوحش أعراس لهم وماتم
بداهية تبيض منها المقادم^(١٣)

(١) الأفناء من الناس : الأخطا .

(٢) العوالي : أعالي الرياح .

(٣) جندته : قطعه . (٦) نعم : ظهروا .

(٨) العلم : الكسر .

(٧) اسم فرقة من الجيش .

(٩) أسد كفرج : صار كالأسد .

(١٠) الحرب العوان : هي التي توتل فيها مرة .

(١١) الفلصة : اللحم بين الرأس والعنق أو رأس الحلقوم .

(١٢) مقدم العين كمن وسظم : ما على الأنف ، ومن الوجه ما استقبل منه .

تَقْلِبُهُم بِالرَّأْيِ طَوْرًا ، وَتَارَةً
وَمَا الْعَازِمُ الْحَمُودُ إِلَّا الَّذِي يُرَى
وَقَدْ غَرَّقَ الْكَفَّارَ مِنْهُ بِقَطْرَةٍ
فَكَفَيْكَ إِذَا سَأَلْتَ عَلَيْهِمْ سُبُوتَنَا
وَمَا نَحْنُ بِالْإِسْلَامِ لِلشَّرِكِ هَازِمٌ
فَقُولُوا لِنُورِ الدِّينِ ، لَا قُلْ حُدَّةُ
تُجَهِّزُ إِلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ وَلَا تَبْنِ
لَهَا مِثْلَهَا تُبْسِلِي احْتِفَالًا بِهِ ، وَلَا
فَعْنُوكَ مِنْ أَلْفَافِ رَبِّكَ مَا بِهِ
أَعَادَكَ حَيًّا بَعْدَ أَنْ زَعَمَ الْوَرَى
بَوَيْتِ أَصَابِ الْأَرْضِ مَا قَدْ أَصَابَهَا
وَنَحِيمُ جَيْشِ الْكُفْرِ فِي أَرْضِ شَيْزِرِ
وَقَدْ كَانَتْ تَارِيخُ الشَّامِ وَهَلَكَةُ
قَتْمٌ ، وَاشْكُرْ اللَّهَ الْكَرِيمَ بِنَهْضَةٍ
فَنَحْنُ عَلَى مَا قَدْ عَاهَدْتَ : نَزَعُهُمْ
وَعَارَاتُنَا لَيْسَتْ تَقْتَرُّ عَنْهُمْ
وَأَسْطُولُنَا أَضْعَافُ مَا كَانَ سَائِرًا

(١) تَقْلِبُهُم : يَتَوَلَّاهُمْ مِنَ الْمَذَاكِبِ الصَّلَاحِ (١)
مَعَ الْعَزْمِ فِي أَحْوَالِهِ ، وَهُوَ حَازِمٌ
سَحَابٌ اتَّقَامٌ عِنْدَنَا مُتَرَاكِمٌ
وَجَاسَتْ لَنَا تِلْكَ الْبَحَارُ الْخَضَارِمُ (٢)
وَلَكِنَّا الْإِيمَانُ لِلْكَفْرِ هَادِمٌ
وَلَا حَكَمَتْ فِيهِ اللَّيَالِي الْغَوَاشِمُ : (٣)
وَتُظْهِرُ فُتُورًا أَنْ مَضَتْ مِنْكَ حَارِمُ (٤)
تُعْضُّ عَلَيْهَا لِلْهُلُوكِ الْأَيَّامُ (٥)
عَلَيْنَا يَقِينًا أَنَّهُ لَكَ رَاحِمٌ
بِأَنَّكَ قَدْ لَا قَيْتَ مَا اللَّهُ حَاتِمٌ
وَحَلَّتْ بِهَا تِلْكَ النَّوَاهِي الْعِظَامُ
فَبَيَقَتْ سَبَابًا ، وَاسْتَحَلَّتْ عَاوِمُ
وَمَنْ يَحْتَوِيهِ أَنَّهُ لَكَ عَادِمُ
لِإِيهِمْ ، فَشَكَرُ اللَّهِ لِلخَلْقِ لِأَرْحَمِ
وَنَحْلَفُ جَهْدًا أَنْتَ لَا بُسَامُ
وَلَيْسَ يُجَيِّقِي الْقَوْمَ مِنْهَا الْهَزَائِمُ
لِإِيهِمْ فَلَا حِصْنٌ لَهُمْ مِنْهُ عَاصِمُ

(١) الصلح كيرج : الأسد ، والصلب الشديد الحافر . والذاك من الخيل : ما أتى عليها بعد فرسها سنة أو ستان .

(٢) الخضارم : جمع خضرم ، وهو الكثير من كل شيء . (٣) الغشم : اللطم .

(٤) حارم : مدينة بالشام . (٥) الأيَّام : جمع أيَّام بالكسر (وهذا تأكيد عن عدم) .

(٦) تَقْتَرُّ : تَنْقَطِعُ وَتَنْقُصُ

وَرَجَوْا بَانَ نَجَاتٍ^(١) بِأَقِيمَ بِهِ
عَلَى أَتْنَا نَلْنَا مِنْ الْمَجْدِ مَا بِهِ
وَلَكِنَّا نَبْنِي الثُّبُوتَ جَهْدَنَا
وَنَحْنُ بِالْحُسْنَى الْفَعَالِ، وَلِأَمَّا
فَأَجَابَهُ بِهَذِهِ الْقَصِيدَةِ :

لَكَ الْفَضْلُ مِنْ دُونِ الْوَرَى وَالْمَكْرَامُ
وَصَلَتْ، فَأَغْنَيْتِ الْأَنَامَ عَنِ الْحَيَا
وَجَدْتَ عَلَى بُحْلِ الزَّمَانِ، فَأَيْنَ مِنْ
تَكَلَّفْتَ لِلْإِسْلَامِ أَنَّكَ مَا نَعِ
فَأَصْبَحْتَ تَرعى سِرْحَهُ بِصَرِيحَةٍ^(٢)
وَأَيْدِيَهُ بِالْعَدْلِ، وَالبَذْلِ، وَالتَّقَى
فَعَدْلٌ مُزِيلٌ كُلَّ ظُلْمٍ وَجُودُهُ
رَمَيْتِ الْعَدَا بِالْأُسْدِ فِي أَجْمِ الْقَنَا
بِمَثَلِ أَيْ^(٣) السَّيْلِ، ضَاقَ بِهِ الْفَضَا
يُبَارِينَ مُشَبَّهَ الْقَذْفِ يَحْمِلُنْ مَثَلَهَا
سَرِيًّا كَوَجِ الْبَحْرِ، فِي لَيْسَ عَشِيرَةٍ^(٤)
تَسِيرُ جِيُوشُ الطَّيْرِ فَوْقَ جِيُوشِهَا
فَمَنْ حَاتِمٌ، مَا نَالَ ذَا الْفَخْرِ حَاتِمٌ
وَصَلَتْ، فَخَافَتْ مِنْ سُلْطَاكَ الصُّورَامَ
تَدَاكَ [السُّكُوبِ]^(٥) [الْمُسْتَهْلِ]^(٦) الْغَنَائِمُ
حِمَاهُ، مَيْسَجٌ مَا حَمَى الْكُفْرَ هَادِمٌ
مِنْ الْعِزِّ، لَمْ تَبْلُغْ مَدَاهَا الْعِزَائِمُ
وَضَرِبَ الطَّلَى^(٧)، وَالصَّالِحَاتُ دَعَائِمُ
وَجُودٌ مُذِيلٌ^(٨) مَا تَصُونُ الْخَوَائِمُ
عَلَى الْجُرْدِ، تَقْتَادُ الرَّدَى وَهُوَ رَاغِمُ
وَضَاقَ عَلَى الْأَعْدَاءِ مِنْهُ الْخَارِمُ^(٩)
مِنْ الْحُتْفِ، لِلْبَاغِي الرَّجِيمِ رَوَاجِمُ
بِهِ مِنْ عَوَالِيهِمْ^(١٠) نَجُومٌ تَوَاجِمُ
لَهَا كُلُّ يَوْمٍ مِنْ عِيدَاهَا وَلَآئِمُ

(١) الإيجاح : الإهلاك والاستئصال .

(٢) سقط بالأصل ولله [السكوب] أو كلمة على وزنهما وبمعناها . (٣) استهل الحار : اشتد انصبابه .

(٤) من صرم السيف : أجد . (٥) الطل بالضمعة : الأضواء . (٦) أذله : أهله .

(٧) اللاتي : السيل يأتي من موضع بعيد . (٨) الخارم : الطرد . (٩) العير : التراب .

(١٠) العوال : جمع عالية وهي أعلى القناة ، أو رأسه ، أو النصف الذي على السان .

فإن حَفَضَ الفُرسَانُ اللَّطْفَنَ فِي الوَعَى
تَعَرَّضَ مِنْهَا فَوْقَ (غَزَّة) عَارِضُ
فَلَانَقِجَ مُحِبِّ ، وَالسِّيُوفُ بَوَارِقُ
بَوَارِقُ مِنْهَا الْغَوْتُ ، لَا الْغَيْثُ ، يُرْتَجَى
فَلَيْسَ لِرَاجٍ غَيْرَ عَفْوِكَ مَلْجَأُ
تَزَهَتْ عَنْ أُمُودٍ مَنْ أَنْتَ قَانِلُ
فَتَهْبِكُ أَرْوَاحُ تُنْقَلُهَا^(١) الظُّبَا
فَلَا مَوْرِدُ إِلَّا يَمَازِجُهُ دَمُ
فَسَيْفُكَ لِلتَّحْصِيمِ الْمَعَانِدِ خَاصِمُ
خَلَطْتَ السُّطَا بِالْعَدْلِ ، حَتَّى تَأَلَّفَتْ
يَسْنُ أَبُو الْغَارَاتِ غَارَاتِ جُودِهِ
وَيَبْعُثُهَا شَعَثَ التَّوَاصِي^(٢) ، كَانَتْهَا
تُلْطُ^(٣) بَارِضَ الْمَشْرِكِينَ ، كَانَتْهَا
فَوَجَّحَ الْعَدَا مِنْ بَأْسِهَا ، إِنَّمَا سَرَى
فَهُمْ جَزْرُ^(٤) اللَّيْضِ ، وَالْبَيْضُ كَالَّذِي
غَزَوْتَهُمْ فِي أَرْضِهِمْ وَبِلَادِهِمْ
فَأَفْنَيْتَهُمْ قَتْلًا وَأَسْرَا بِأَسْرِهِمْ
فَلَمَّا أَبَادْتَهُمْ سَيُوفُكَ ، وَانْجَلَتْ

رِمَاحَهُمْ انْقَضَتْ عَلَيْهَا الْقَسَائِمُ^(٥)
سَحَابُ الْمَنَابِا فَوْقَهُ مُتَرَاكِمُ
وَاللَّدِيمُ وَبَلُّ ، وَالتَّبَاتُ جَمَاحُ
أَشَانِمُ^(٦) ، لَا يَرَوِي بِهَا اللَّهُمَّ شَانِمُ^(٧)
وَلَيْسَ لِعَاصٍ لَمْ يُذَنْبْ ، مِنْكَ عَاصِمُ
فَقَدْ جُهِلَتْ بَيْنَ الْجِيُوشِ الْمَقَاسِمُ
وَسُمِرَ الْعَوَالِي ، وَالْبِلَادُ مَغَانِمُ
وَلَا مَرْتَعٌ إِلَّا رَعَتْهُ الْمَنَاسِمُ^(٨)
وَعَدْلُكَ لِلشُّكُوى وَلِلْجُورِ شَانِمُ^(٩)
أَسْوَدُ الشَّرَى وَالْمُطْفَلَاتُ الرِّوَانِمُ^(١٠)
عَلَى مَالِهِ ، وَهُوَ الْمَطِيعُ الْمُسْلِمُ
ذَابَ الْفَلَا تُرْدَى ، عَلَيْهَا الضَّرَاعِمُ
صَوَادٍ إِلَى وَرْدٍ ، حَوَانِ^(١١) حَوَانِمُ
إِلَيْهَا ، وَلَمْ تَسْعُرْ ، رَدَى وَأَدَاهُمُ^(١٢)
سَبَايَا تُهَادَى ، وَالْبِلَادُ مَعَالِمُ
وَجَفَلَهُمْ فِي أَرْضِهَا مُتَرَاكِمُ
فَتَاجِيهِمْ مُسْتَسْلِمُ أَوْ مُسْلِمُ
عَنِ الْأَرْضِ مِنْهُمْ ظُلْمَةٌ وَمُظَالِمُ

(١) القشاشم : النور . (٢) الأشانم : ضد الأيمان . (٣) من شام البريق : نظر إليه أين قصد وأين يمر .
(٤) قله : أعطاه إياه . (٥) المناسم : جمع منكم كبش : خف الجير . (٦) خصمه : ذليق . وشانم : ملجم .
(٧) المطفلات الروانم : يريد بين الفتيان . (٨) التواصي : جمع ناصية وهي قصاص الذم . وانثمت : تلذ الشعر .
(٩) القل : الردم والإلحاح . (١٠) من حتى نظره : عطفه . والحوانم : جمع حاتم ، وهو الطعان .
(١١) الأدامم : القيود . (١٢) الجرد : جمع جزرة وهي الشاة المنجوعة .

غزوتهم في البحر ، حتى كأنما الأساطيل فيه موجه المتلاطم
 بفُرسانٍ بحريٍّ ، فوق دُهم^(١) ، كأنها على الماء طيرٌ ، ما هنَّ قِوادمُ^(٢)
 يصرفها فُرسانها بأعنة جوت ، حيث لم توصل بين الشكائم^(٣)
 إذا دفعوها قلت : فُرسات غارة سَروا بجياد ، ما هنَّ قِوادمُ
 يسوق أساطيل القريج اليهم حمام ، وطير القريج أشائم
 دماؤهم في البحر همر سوايح وهامهم في البر هُم^(٤) جوامع
 فلم يخف في فج من الأرض هارب ولم ينج في بلج من الماء عائم
 وعاد الأسارى مُردفين^(٥) ، وسُفنتهم قُاد ، كما قاد المهارى الخزازيم^(٦)
 وقد شمر الملكان في الله ، طالبي بجد ، هو العصبُ الحسام ، وحده
 وقاما بنصر الدين ، والله قائمُ بنصرهما ، مادام للسيف قائم^(٧)
 وما دون أن يفنى القريج ، وتفتح البلاد ، سوى أن يعضى العزم عازم
 فيا ملكاً ، قد أحمده الله سعيه ونيته ، والله بالسيف عالم
 تن ثناء ، طبق الأرض نشره هو المسك ، لا ما ضمته القطائم^(٨)
 ثناء به يحلو الحداة ، ويُشد السرواة ، وتبلى في الغصون الحمايم
 يسير مع الركبان ، أتى تيمموا على آله في ساحة الحي هاجم^(٩)
 أمير الجيوش ، اتمع مقالة بالبح بشركك ، يُبدى مثل ماهوكاتم

(١) يريد السفن السود . (٢) القوادم : ريشات في مقدم الجناح . (٣) الشكائم : جمع شكبة ، وهي في الجناح : الحفيدة المخرقة في فم القرس . (٤) هم : جمع أحم ، وهو الأسود . (٥) من أردته : إذا أركبه خالفك . (٦) الخزازيم : جمع خزيمة ، وهي حقة من شعر تجبل في قبة آف البير . (٧) قائم السيف : مقبضه . (٨) القطائم : جمع طعية ، وهي عطاء المسك . (٩) من هجم : إذا دخل بغير إذن .

فَضْلِكَ آتَى صَادِقًا : إِنَّ فِكْرَهُ
كَانَ بَدِيعِي شَعْرِهِ وَبَيَانِهِ
عَلَى أَنَّهُ كَالصَّمِّ^(١) : صَبْرًا ، وَقِسْوَةً
فَمَا يَعْرِفُ الشُّكُورَى وَلَا يَسْتَكِينُ لِلْخُطُوبِ ، وَلَا تُوهِي قَوَاهُ الْعِظَامُ
وَلَوْ كَانَتْ سَحَابًا أَبْرَأَ لِسَانَهُ^(٢)
هِيَ السَّحَرُ ، لَامَسَارَ عَنْ أَرْضِ بَابِلَ
فَرِيدَةً دَهْرٍ ، لِلْقُلُوبِ تَهَافَّتْ
إِذَا أُتِشِدَتْ فِي مَحَلِّ قَالِ سَامِعٌ :
وَلَوْلَا رَجَاءُ الصَّالِحِ الْمَلِكِ الَّذِي
وَأَتَى أُمْنَى النَّفْسِ لَمْ يَبْنَاهُ
فَقِيهَا مَنَآيَا لِلْأَعَادِي قَوَاصِمُ
وَحِطْلَى رِحَالِ الشُّكْرِ عَنِّي بِبَابِهِ
وَيَعْجَبُ مَنِي النَّاسِ ، حَتَّى يَقُولَ مَنْ
قَضَيْتُ ، لَبْعْدَى عَنْ ذُرَاهُ ، نَدَامَةً
أَتَيْتُكَ ابْنَةُ الْفِكَرِ الْحَسِيرِ^(٣) ، وَإِنَّمَا
بِمَدْحٍ بَدِيعٍ مِنْ وَلِيِّ مَمْدُوحٍ
تَسْوِمُ^(٤) جِيلَ الرَّأْيِ ، لَا الْمَالِ ، إِنَّهُ
تَضَمَّنَ رَوْضًا ، زَهْرُهُ مَدْحُ مَجْدِكَ الْعَلِيِّ ، وَأَوْرَاقُ الْكَتَابِ كَمَا
قُدِّمَتْ ، وَدَامَتْ هَالَةً ، أَنْتَ بَدْرُهَا وَمُلْكُكَ ، مَا كَرَّ الْجُلْدِيَانِ ، دَائِمُ

(١) الصَّمِّ : صَبْرُهُ ، مِنْهُ مِنَ الْكَلَامِ .

(٢) سَام : أَرَادَ .

(٣) أُمْنَى : بَدِيعِي ، بِرِيدِي بِالْخَطِّ .

(٤) تَسْوِمُ : مِنْ جِيلٍ إِذَا أَعْيَا .

قافية النون

(٣٤٤)

وقال ^(١) :

إليك ، فما تُلقي شؤنك ^(٢) شأني
ولا تجزع من بَغْتَةِ البين، واصبري
ولا تحملي ^(٣) همَّ اغترابي ، فلم أزل
وفياً ، إذا ما حَانَ جُنْ لِنَاطِرِ
فَلَأْسِدِ غَيْلٍ حَيْثُ حَلَّتْ ، وإنما
ولا تَسأليني عن زَمَانِي ، فإني
ولكن ، سَلِي عَنِي الزَمَانَ ، فإنه
رَمَتْنِي اللَّيَالِي بِالْخَطُوبِ جَهَالَةً
فما أوهنت عظمي الرزايا ، ولألها
وكم نكبة ظَنُّ العدا أنها الردى
وما أنا ممن يستكين لحادث
وإن كان دهرى غَال ^(٤) وفري فلم يغُلْ

ولا تملك العينُ الحسانُ عَيَانِي
لعلَّ التَّانِي مُعْتَبٌ لِنَدَانِي
غَرِيبَ وِفَاءٍ فِي الْوَرَى وَبَيَانِ
ولم تَرَكَ كَفَّ صَحْبَةٍ لِبَنَانِ
يَهَابُ التَّانِي قَلْبُ كُلِّ جَبَانِ
أَنزَهُ عَنْ شَكْوَى الْخَطُوبِ لِسَانِي
يُحَدِّثُ عَنْ صَبْرِي عَلَى الْحَدَثَانِ
بصبري على مَا نَأْنِي ^(٥) ، وعَرَانِي
بِحُسْنِ اصْطِبَارِي فِي الْمَلَمِّ بِدَانِ
سَمَتْنِي ، وَأَعْلَتْ فِي الْبَرِيَّةِ شَانِي
ولا يَمْلَأُ الْهَوْلُ الْخَوْفُ جَنَانِي
شَانِي ، وَلَا ذِكْرِي بِكُلِّ مَكَانِ

(١) رويت هذه القصيدة في تاريخ دمشق لابن عساكر ٥ : ١٧٤ .

(٢) الشئون : المجموع .

(٣) هذا البيت والبيت الذي بعده وردا في ابن عساكر بعد قوله " فلأسد "

(٤) في ابن عساكر " تالي " .

(٥) غال : أحطك .

وما كَانَتْ إِلَّا لِلنَّوَالِ وَلِلْفَرَى وَغَوَا لِلْمُهَوِّفِ ، وَفَنِيَّةَ عَانِ^(١)
 حُمِدْتُ عَلَى حَالِي يَسَارٍ وَعُسْرَةٍ وَبَرَزْتُ فِي يَوْمِي نَدَى وَطَعَانِ
 وَلَمْ أَذْخِرْ لِلدَّهْرِ ، إِنْ نَابَ أَوْ نَبَأَ^(٢) وَلِلخَطْبِ إِلَّا صَارِي وَسِنَانِي
 لِأَنَّ جَمِيلَ الذِّكْرِ يَبْقَى لِأَهْلِهِ وَكُلُّ الذِّى فَوْقَ الْبَسِيطَةِ فَانٍ

قافية الهاء

(٣٤٥)

وقال :

كَمْ تَقْصُ الْأَيَّامُ مِنِّي ، وَتَأْبِي هَمْنِي أَنْ تَنَالَ مِنِّي مُنَاهَا
 أَنَا فِي كِفْهِهَا بِكَنْوَةِ نَارٍ كُلَّمَا نُكِّسْتَ تَعَالَى سَنَاهَا

(٢) نيا : نبيح .

(١) العاني : الأخير .

باب الأدب

قافية الباء

(٣٤٦)

قال :

لا تَجْزَعَنَّ نَحْطِبِ فكلُّ دهرِكَ خطبُ
وحادثاتُ الليالي مُملَّةٌ ، ما تُغِبُّ
رَوْحُ سَلْبًا ، وَتَقْلُو عَلَى الْفَقَى ، وَهِيَ حَرْبُ
وَلَا تَصْبِقِ بِاصْطِبَارِ ذَرْعًا ، إِذَا اشْتَدَّ كَرْبُ
فَصَبِرُ يَوْمِكَ مَرٌّ وَفِي غَدٍ هُوَ عَذَبُ
كَمْ صَابِرٍ الدَّهْرَ قَوْمٌ قَادِرُكُمَا مَا أَحْبُوا
وَكُلُّ نَارٍ حَرِيقٍ يُخْنِي لَهَا سَخِيوُ

(٣٤٧)

وقال :

أَيْحَسِبُ دَهْرِي أَنِّي جَزَعْتُ ، لَمَّا غَالِ مِنْ نَسْبِي^(١) وَاتَّهَبُ
فَقَدْ أَخْلَصْتَنِي أَحْدَاثُهُ وَبِالنَّارِ يَبْدُو خَلَامُ الدَّهَبِ
وَمَا حَظَّنِي أَخْذُهُ مَا اسْتَعَادَ ، وَلَا زَادَنِي رِفْعُهُ مَا وَهَبُ
وَمَا أَنَا إِلَّا كَضْوَةِ الشَّهَابِ ، إِذَا نَكَسُوهُ اعْتَلَى وَاتَّهَبُ^(٢)

(١) اتَّهَبَ : المَالَ الْأَصْلَ .

(٢) جَرَعَ مِنْ هَذَا الْخَطِّ وَالْيَتِ السَّابِقِ ص ٢٢٩ ، وَهُوَ :

أَنَا فِي كَفِّهَا بِخُذَّةٍ نَارٍ كَلَّا نَكَتَ نَعَالِي سَنَا

(٣٤٨)

وقال :

لأَصْبِرَنَّ لِمَهْرَى صَبْرٍ مُحْتَسِبٍ حَتَّى يَرَى غَيْرَ مَا قَدْ كَانَ يَحْسَبُهُ
وَأَسْتَمِيتُ لِمَا تَأْتِي الْخَطُوبُ بِهِ لِيَعْلَمَ الْخَطْبُ أَنِّي لَسْتُ أَرْهَبُهُ
إِنْ غَالَبَتْنِي عَلَى وَفَرَى نَوَائِبُهُ فَخَسُنُ صَبْرِي فِي الْأَوَاءِ يَغْلِبُهُ^(١)
أَوْ أَبْعِدْتَنِي عَنْ أَهْلِي وَعَنْ وَطَنِي فَأَبْعَدُ الْفَرَجَ الْمَرْجُوَّ أَقْرَبُهُ
وَالْمَهْرُ يَهْدِمُ مَا بَنَيْتُ ، وَيُخْجِدُ مَا يُورِي^(٢) ، وَيُبْعِدُ مَا يَدْنِي قَلْبُهُ

(٣٤٩)

وقال من أبيات :

دَعَا ، فَمَا عُلِّرُ الْقَتَى فِي غَيْهِ ، وَالْقَوْدُ^(٣) شَائِبُ
وَالْأَرْيَمِيَّةُ تَمْنَعُ الْكُرْمَاءَ أَنْ يَغْشَوْا الْمَعَايِبَ
وَالْجَهْلُ يَأْبَى أَنْ يَكُو لَهُ أَخُو السَّقِينِ صَاحِبُ

(٣٥٠)

وقال أول قصيدة كتبها إلى الملك الصالح تَقَدَّمت^(٤) :

كَفَّ عَنِّي وَاشِرٌ ، وَأَغْضَى رَقِيبٌ وَنَهَانِي عَنِ التَّصَابِيِ الْمَشِيبِ
وَأَرْتَبِي السُّتُونَ تَهْجِي ، وَقَدْ كَا نَ عَقَا ، وَهُوَ مَهِيحٌ^(٥) مَلْحُوبٌ^(٦)
وَانْقَضَتْ شِرْقِي^(٧) ، وَشَدَّ لِي الْحِلْمُ حَبًّا^(٨) ، لَا يَجْلُهَا مَا يَرِيبُ

(١) أوردى النار : أوقدها .

(٢) الورى : القنى . والأواء : الشدة .

(٣) القود : سحلم شعر الرأس مما على الأذن .

(٤) تَقَدَّمت : سحلم شعر الرأس مما على الأذن .

(٥) طريق مهيج : بين .

(٦) ملحوب : مشاطى .

(٧) شرقى : شاطئ .

(٨) الحنن بالثوب : اشتغل ، أو جمع بين ظهوره وما فيه بهامة ونحوها . والاسم الحوية ويضم .

وخبثُ الأيامِ حتى لَقَالَ النَّاسُ : هَذَا هُوَ الْخَيْرُ الْأَرِيْبُ
وعزيرٌ عَلَى أَنِّي وَقَدْ جَرَّ بَتْ دَهْرِي ، لَمْ يَهْدِنِي التَّجْرِبُ
وَإِذَا حُمِتِ الْمَقَادِيرُ أَخْطَأَ السَّمَرُ فِي الرَّأْيِ ، حَيْثُ كَانَ يُصِيبُ

قافية الحاء.

(٣٥١)

وقال (١) :

لَا تُتَكَبَّرْ مَرَّ الْعِتَابِ ، فَصَحَّ شَهْدُ ، جَنَّتْهُ يَدُ الْإِدَادِ النَّاصِحِ
وَتَطَلَّبَ الْمَحْبُوبَ فِي مَكْرُوهِهِ فَالْتَرُّ يُطَلَّبُ فِي الْأَجَاجِ الْمَالِجِ

(٣٥٢)

وقال :

اصْبِرْ عَلَى مَا تَخْشَى ، أَوْ تَرْتَجِي تَطَقَّرْ بِمُحْسِنِ سَكِينَةٍ وَنَجَاحِ
أَوْ مَا تَرَى السَّارِينَ لِمَا صَابَرُوا ظَلَمَ السَّرَى أَفْضَلُوا إِلَى الْإِصْبَاحِ

قافية الحاء.

(٣٥٣)

وقال :

زَهَتْ نَفْسِي عَنْ مَنْ الرِّجَالِ ، وَإِنْ عَلَتْ بِهِمْ رُبُّ الدُّنْيَا ، وَإِنْ شَخَّوْا
إِذَا الْمَطَامِعُ قَادَتْني إِلَى طَمَعِ يُزْرَى (٢) ، فَمَاذَا أَفَادَ الشَّيْبُ وَالشَّيْخُ

(١) هَذَا الْبَيَانُ عَلَى بَرُوحِهَا سَائِكُ الْأَبْجَادِ لِأَسَافَةِ ١٠ : ٥٠٧ .

(٢) أَزْدَى : طَابَ :

(٣٥٤)

وقال :

مِرْعَنَ بِلَادِهِمْ قَدْ سَمَّيْتُ بِهَا عَيْسَى مَحُولٌ مُعَرَّبِي وَمُنَاسِي (١)
وَدَعَ الْأَمَانِي ، إِنِّهَا غَرَارَةٌ وَوَعْدُهَا لِلطَّامِعِينَ أَوَانِي (٢)
مَا عِنْدَهَا لِلوَارِدِينَ مَرَابَهَا غَيْرُ الْمَطَالِ بِمَوْعِدٍ مُتَرَانِي

قافية الدال

(٣٥٥)

وقال :

أَنْظُرْ بِعَيْشِكَ ، هَلْ تَرَى أَحَدًا يُنُومُ عَلَى الْمَسْوَدَّةِ
لِتَرَى أَخْلَاءَ الرَّحَا ، عِدًّا ، إِذَا نَابَتْكَ شِدَّةُ
وَلِكُلِّ مَا تَأْتِي وَتَهْوَى إِنْ صَبَرْتَ ، مَدَى وَمُدَّةُ

(٣٥٦)

وقال :

عِنْدِي لِلْأَيَّامِ إِنْ أَقْبَلَتْ عَلَى فِعْلِ الْخَيْرِ وَالْجُودِ
وَلِنْ تَوَلَّتْ ، فَفَوَّادِي ، كَمَا عَلِمْتَ ، فِي اللَّأْوَاءِ (٣) ، جُلُودِ
يُصَابِرُ الْأَيَّامَ ، أَوْ تَنْقُضِي خُطُوبَيْنِ الْبَيْضِ وَالسُّودِ

(١) معزى : من عرس القوم نزلوا في آخر الليل للاستراحة . والمناخ في الأصل : مراكب الإبل . والمحول :

المكان الجلب .

(٢) الأوامى : جمع أعمى . عود في حائط أو في حبل يدفن طرفا . في الأرض وبرز طرفه كالخفة تشد فيها القاية .

(٣) اللاؤاء : الشدة .

(٣٥٧)

وقال :

تَيْقُظُ ، فَن يَسْكَ يَسْرُ لَيْلَهُ وَقَدْ يَنْدَعُ الْيَقْظَانُ مَنْ هُوَ رَاقِدُ
وَلَا تَحْتَرُ كَيْدَ الضَّعِيفِ ، فَأَيُّمَا تَقْدُ شِفَارَ الْمَرْهَقَاتِ الْمُبَارِدُ
وَتُلْقَى الْأَسْوَدُ بِالْخُلْدِيَّةِ فِي الرَّبَى ^(١) وَلَوْ جُوهِرَتْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُنَّ صَائِدُ
وَلِإِهْمَالٍ مَا يَحْشَى مِنَ الْأَمْرِ مُهْلِكُ وَمَصْرُوعُ رِضْوَانٍ بِمَا قُلْتُ شَاهِدُ

(٣٥٨)

وقال ^(٢)

سَاقَتْهُ وَفَرَى ^(٣) فِي اكْتِسَابِ مَكَارِمِ أَظْلُ ^(٤) بِهَا بَعْدَ الْمَوَاتِ مَخْلَدًا
وَأَسْعَى إِلَى الْمِجَاهِ ، لَا أَرْهَبُ الرَّدَى وَلَا أَتَحَنَّنِي عَامِلًا ^(٥) وَمَهْنَدًا
بِكُلِّ قَتَى يَلْقَى الْمَنِيَّةَ ضَاحِكًا ^(٦) كَأَنَّ لَهُ فِي الْقَتْلِ ^(٧) عَيْشًا مُجَدَّدًا
فَإِنْ نَلْتُ مَا أَرْجُو فَالْجُودُ ^(٨) ، ثُمَّ لِي وَإِنْ مِتُّ خَلَفْتُ الثَّنَاءَ الْمُؤَبَّدَا

(١) الرَبَى جمع زبية : حفرة الأسد .

(٢) هذه القطعة رواها أسامة أيضا في كتابه : لباب الآداب ص ٢٠٢

(٣) في لباب الآداب " مَالِي " .

(٤) في المصدر نفسه " أَعْيَشَ " .

(٥) حامل الزرع : صده . والمهتد : السيف .

(٦) في المصدر السابق " بِأَسْمَا " .

(٧) » » " فِي الْمَوْتِ " .

(٨) » » » " طَلْعِدْ " .

(٣٥٩)

وقال :

لا تَرْغَبَنَّ فِيمَنْ إِذَا شَاهَدْتَهُ وَخَبَرْتَهُ ، لَمْ تُلْقِهِ بِالشَّاهِدِ
وَمَنْ أَرَدْتَ تَكْثُرًا بِدَنُوهِ فَأَعْلَمْ بِأَنَّكَ لَمْ تَزِدْ عَنْ وَاحِدٍ

(٣٦٠)

وقال :

تَلَقَّ ذَوِي الْحَاجَاتِ بِالْبَشْرِ ، إِنَّهُ إِلَى كُرْمَاءِ النَّاسِ أَشْهَى مِنَ الْجَدَا^(١)
عَسَى مِنْ يُرْسِي سَيْبِكَ الْيَوْمَ يَفْتَنِي فَتُصْبِحُ فِيمَنْ تَرْجُو سَيِّئَهُ^(٢) غَدًا

(٣٦١)

وقال :

أَرْضُ الْخُلُولِ ، تَعْمَشُ بِهِ فِي نَجْوَةٍ مِمَّا تَخَافُ ، وَمِنْ مُعَايَدَةِ الْعَدَا
دُونَ الْمَعَالِي عُلُوَّةٌ^(٣) إِنْ خُضَّتْهَا مَتَّقِمًا^(٤) أَوْرَدَتْ مَهْجَتَكَ الرَّدَى
وَإِذَا سَلِمْتَ وَنَلْتَ أَيْسَرَ بَقِيَةٍ مِنْهَا جَعَلْتَ لَكَ الْبَرِيَّةَ حُسَدَى
فَاسْمَعْ نَصِيحَةً مَنْ يَكَادُ لَعْلِبُهُ بِالذَّهْرِ يَدْرِي الْيَوْمَ بِالْآتِي غَدَا

(٣٦٢)

وقال :

مَا كَفَّ كَفِّي عَنْ جُودِي بِمُوجُودِي نَوَائِبُ ، وَمَلَسَتْ لِحْثَ^(٥) عُوْدِي
فِي الْبُسْرِ أَبْدَلُ مَيْسُورِي ، وَأَبْدَلُ فِي عُصْرِي لَطَالِبِ رَفْدِي شَطْرَ مَرْجُودِي

(١) المنيب : العطاء .

(١) الجدا : الطيبة .

(٢) متقما : من هم في الأمر : دى بنفسه فيه بقاء بلا دوية .

(٣) العلوة : المكان المرتفع .

(٥) لحا اللود : قنره .

قافية الراء

(٣٦٣)

وقال :

إِنْ فَاجَأَتْكَ الْآيَالِي بِمَا يَسُوهُ ، فَصَبِّرْ
فَالْهَرُّ يُرْهِقُ عُسْرًا وَيُبَيْعُ الْعُسْرَ يُسْرًا
لَوْ دَامَ مَا سَاءَ مِنْهُ لَدَامَ مَا كَانَ مَرًّا

(٣٦٤)

وقال^(١) :

إِنِّي الْخَطُوبَ إِذَا طَرَقَنَ بَقْلٍ مُحْتَسِبٍ صَبُورٍ
فَسَيَنْقُضِي زَمَنُ الْهَمِّ كَمَا انْقَضَى زَمَنُ السُّرُورِ
فَنَ الْحَالِ دَوَامٌ حَا لِي فِي مَدَى الْعَمْرِ الْقَصِيرِ

(٣٦٥)

ونال^(٢) :

أُسْتُرْ هُمُومُكَ بِالتَّجَمُّلِ^(٣) ، وَاصْطَبِرْ إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى الْحَوَادِثِ يَصْبِرُ
كَالشَّمْعِ ، يُظْهِرُ نُورَهُ مُتَجَمِّلاً خَوْفَ الشَّمَاتِ ، وَفِيهِ قَارُؤُ نُسْهِرُ

(١) هذا الشعر مأثور في الأسماء في الخريدة ١ : ١٠٤ ، وياقوت ٥ : ٢١٤ .

(٢) هذا الشعر مأثور في الأسماء في المسالك ١٠ : ٥٠٨ .

(٣) التجميل : التصبر .

(٣٦٦)

وقال :

لَا تَأْمَنْنِ كَيْدَ الْعَدُوِّ ، فَأَمَنْ كَيْلَهُمْ غَرَرٌ^(١)
كُنْ مِنْهُ إِنْ كَانَتْ الْقُوَى ، أَوْ الضَّعِيفُ ، عَلَى حَذَرٍ
قَالَمَاءُ يُعْطِي النَّارَ طَبْعًا ، فِي الصَّفَاءِ وَفِي الْكَدْرِ

(٣٦٧)

وقال :

عَشْ وَاحِدًا ، أَوْ فَاتَمَسَ لَكَ صَاحِبًا فِي مَحْتَدِي وَرَجٍ وَطِيبٍ نَجَارٌ^(٢)
وَاحْدَرٌ مُصَاحِبَةُ السَّفِيهِ ، فَتَرَمَا جَلَبَ النَّدَامَةُ صَحْبَةُ الْأَشْرَارِ
وَالنَّاسُ كَالْأَشْجَارِ : هَذَى يُجْتَنَى مِنْهَا الثَّمَارُ ، وَذَى وَقُودُ النَّارِ

قافية السين

(٣٦٨)

وقال :

يَقُولُونَ لِي : أَفْنَيْتَ كُلَّ ذَخِيرَةٍ وَأَتَقَتَ مَا لَا يَجُودُ بِهِ النَّفْسُ
فَقُلْتُ : نَعَمْ ، فَرَقْتُ مَا جَمَعْتُ يَدِي وَأَرْجُو غَدًا يَأْتِي بِمَا أَذْهَبَ الْأَمْسُ

(١) غرر يفسه : عرضها الهلكة . والامم الغرر .

(٢) المحتد : الأصل والطبع . والنجار : الأصل .

قافية الشين

(٣٦٩)

وقال :

إِيَّاكَ وَالسُّلْطَانَ لَا يُدْنِيكَ مِنْ أَبْوَابِهِ مُتَكَسِّبٌ وَمَعَاشٌ
وَأَعْلَمُ بِأَنْتَهُمْ ، عَلَى مَا كَانَ مِنْ أَحْوَالِهِمْ ، نَارٌ ، وَنَحْنُ فَرَّاشٌ

قافية الضاد

(٣٧٠)

وقال :

كُلُّ مُسْتَقْبَلٍ مِنَ السَّهْمِ يُنْسَى إِذَا مَضَى
وَالَّذِي سَاءَ مِنْ زَمَانِكَ مِهْلٌ مَعَ الرِّضَا
وَأَخُو الْحَزْمِ مَنْ إِذَا أَعْصَلَ الْأَمْرُ فَوْضَا

(٣٧١)

وقال :

أَصْبَحْتُ كَالنَّسْرِ خَاتَمَهُ قَوَادِمُهُ لَا تَسْتَقِلُّ^(١) جَنَاحَاهُ إِذَا نَهَضَا
أَرْوَحُ مِنْ نَائِبَاتٍ لَا تُغَبِّ وَنِنْ مُمُومٌ عَيْشٍ كَمَا لَا اشْتَبَى غَرَضَا
لَكَيْتَنِي قَدْ حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطَرُهُ^(٢) فَمَا يَرَانِي تَلْطِيطُ نَابٍ مُتَقَبِّضَا
أَلْقَى الْحَوَادِثَ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ ، وَمَقْلُورَ الْقَضَاءِ بِتَسْلِيمٍ لَهُ وَرِضَا
عَلِمَا بِتَغْيِيرِ أَحْوَالِ الزَّمَانِ ، فَكَمْ رَأَيْتُ مُبْرَمَ أَمْرِ عَادَ مُتَقَبِّضَا

(١) استقله : حله ورضه . واستقل العاز : ارتفع .

(٢) حلب فلان الدهر أشطره : مر به خيره وشره .

قافية العين

(٣٧٢)

وقال :

لا تُسْكِنَ اللَّهُمَّ ، واثنِ رِجَاحَهُ بعزيمةٍ في الخطبِ لا تَضَعُضَعُ
فإذا أُنِي مَالِيسٌ يُدْفَعُ فالقهِ بالصَّبْرِ ، فهو دَوَاءٌ مَالاً يُدْفَعُ

قافية الفاء

(٣٧٣)

وقال :

قل للَّذِينَ يَسْرُهُمَ ما سَاءَتْ : لا زَالَتُكُمْ حَسْرَةٌ وتَلَهْفُ
تَهْمِلِي ، بِمُحَمَّدٍ اللهَ بَعْدَ تَسْتِ وتَفْرِقِي ، مَعْجَعٌ مَتَالِفُ
والمَالُ إنْ غَالَ الزَّيْمَانُ تِلَادَهُ ووسَلْتُ ، مَدَّ مَكَانِهِ المِستَطَرُفُ

قافية اللام

(٣٧٤)

وقال :

إلى كَمْ تَرَجَّيَ عَطْفَ المُلُولِ وتَسْتَجِدِّي نَوَالاً من بَخِيلِ
كَأَنَّكَ في اللَّيْلِ حَاوِلَتْ سَاعَ لَجَّجَ مَحْيَى نَهَارِكَ بِالْأَصِيلِ
لَقَدْ أَوْقَعْتُ قَلْبَكَ في عَنَاءٍ كَبِيرٍ في رَجَاءٍ جَدًّا^(١) قَلِيلِ

وفي الأطلنج للعتَرِ ذُلُّ وحسن اليأس عزُّ للذليل
فلا تعصِ النهى، فالخرمُ ناهٍ لملكك عن طلابِ المحتجِلِ
تناسوا، أو تسوا عهدى، ومالوا إلى بحدِ الهوى كلَّ المعجِلِ
ولما أن رأوا حسنى قبيحا رأوا غمطَ الجميلِ من الجميلِ
سلوا، وتبدلوا بك، فاصلُ عنهم ودع ما رابَ منهم للبدلِ
ولا تتطلبِ الأعواضَ عنهم فكلُّ الناسِ من أبناءِ جيلِ
ولا تمزجْ لغديرٍ من خليلٍ فقد نُسخَ الوفاءُ من الخليلِ
وأغضِ على القدى عينا، وسكن حشاكَ على جوى الهمِّ الدخيلِ

(٣٧٥)

وقال :

ولمى لعصاءِ العواذل، لا أرى على شعث^(١) الخللانِ مستبداً لآخلا
ضنينٌ بمن صاحبتُ، أحسبُ أنه إذا بان، لا ألقى له أبداً مثلاً

(٣٧٦)

وقال :

أيها الربيعُ المحبُّلُ جدَّ بى عنك الرحيلُ
لستَ بالدارِ، ولا فيك لمن يضحى مقيل^(٢)
غابَ عني الرشدُ في قصيدِكَ والرأى الأصيلُ
غلطةٌ كانت، ولطفتُ الله ما زال يُقيلُ

(١) شعث : تقير .

(٢) ضى كسى : آسبه الشمس . وقال يقيل : نام في وسط النهار . واسم المكان : مقيل .

ما مُقَامُ الحُرْفِي آرِضِ بِهَا النَّاسُ قَائِلُ
 بِلْدٍ فِيهِ عَزِيزُ السُّقُومِ مَقْهُورٌ ذَلِيلُ
 لَسْتُ أَرْجُوكَ وَقَدْ لَا حَتَّ لِعِنَى المَحُولِ
 إِنَّمَا يَرْتَادُ أَرْضَ السَّمَلِ مَغْرُورٌ جَهُولُ

(٣٧٧)

وقال^(١) :

أَيْنَ^(٢) غَضَّ دَهْرٌ مِنْ جَمَاحِي ، أَوْ ثَنَى عَنَانِي ، أَوْ زَلَّتْ بِأَتَمَعِي النُّعْلُ
 تَظَاهَرَ قَوْمٌ بِالشَّمَاتِ ؛ جَهَالَةٌ وَكَمْ إِخْنَةٍ^(٣) فِي الصَّدْرِ أَبْرَزَهَا^(٤) الْجَهْلُ
 وَهَلْ أَنَا إِلَّا السَّيْفُ فَلَّ حِدَّةَ قِرَاعِ الأَعَادِي ، ثُمَّ أَرْهَقَهُ الصَّبْلُ

(٣٧٨)

وقال :

تَوَالِي إِلَى السَّائِلُونَ ، وَإِنِّي لَأَنْفُ أَلَا يُدْرِكُ السُّؤْلَ سَائِلِي
 وَلَكِنَّ مَسْتَوْدِي كَظَاهِرِ حَالِمٍ فَاحِيتِي ، وَالْحِفْظُ حَرْبُ الْفَضَائِلِ
 وَلَوْ بَسَطْتُ أَيْدِي الحَوَادِثِ مِنْ يَدِي تَلَقَّتْهُمْ قَبْلَ السَّؤَالِ بَنَائِلِي

(١) روى هذا الشعر في خريدة القصر ١ : ١٠٦ وياقوت ٥ : ١٩٩ .

(٢) رواية الخريدة وياقوت « ثَنَى غَضَى » . (٣) الإخنة : الخقد والفضب .

(٤) في الخريدة « أَبْرَزَهَا » .

(٣٧٩)

وقال :

علامَ أخضعُ في الدنيا لمن رَحَّتْ وما بأيديهمُ يَذِقُ ولا أجلي
ما قُتِرَ اللهُ لا أسطيعُ أدفعهُ وما لهمُ في سوى المقلُور من عملٍ

(٣٨٠)

وقال :

إن سرَّ أعدائي أن عَضَّني دهرِي بما أذهبَ من مالي
فهَمَّتْ بالنجمِ معقودةٌ ما حطَّها ما حالَ من حالي
كالنارِ إن نغمها قابسٌ لم يَنْكَسْ نورُها العالِي
قافية الميم

(٣٨١)

وقال :

سلوتُ عن كلِّ حالٍ كنتُ ذا شَغَفٍ بها ، ولم أسلُ في حالٍ عن الكَرَمِ
ما غالَ دهرِي وفَرِي في ثقلِهِ إلا جعلتُ الندى سِتراً على العَلَمِ

(٣٨٢)

وقال :

لنا جَمْعَةٌ^(١) لحنٍ إن تابَّ، والقرى ولجَّارٍ ما تنفكُ نهباً^(٢) مقسماً
إذا هم لم يَجْعَلِ إلى الضيفِ دَرُها أدواً يجاني من عَواقِبِها العَما

(١) الجماعة من الإبل أوها أربعون إلى ما زادت . (٢) النهب : الغنيمة .

قافية النون

(٣٨٣)

وقال :

لَا تُودَعَنَّ سَمْعَ أَخٍ شَكِيَّةٌ فَالْقَلْبُ أَوَّلُ بِالَّذِي أَجَنَّا^(١)
وَكُلُّ مَا نَشْكُوهُ مِنْ زَمَانِنَا تَزُولُ عَنْهُ ، أَوْ يَزُولُ عَنْ

قافية الهاء

(٣٨٤)

وقال :

ظَلَمْتُ شَعْرِي ، وَلَيْسَ الظُّلْمُ مِنْ شَيْعِي يُطِيعُنِي حِينَ أَدْعُوهُ ، وَأَعْصِيهِ
يَهُمُّ أَنْ يَذْكَرَ الْقَوْمَ اللَّثَامَ بِمَا فِيهِمْ ، فَازْبِرْهُ عَنْهُمْ ، وَأُثْنِيهِ
وَلَيْسَ مِنْ خُلُقِي ثَلْبُ الْغَفَى ، وَإِنْ جَنَى ، وَلَا ذِكْرُ ذِي نَقْصٍ بِمَا فِيهِ

قافية اليا

(٣٨٥)

وقال :

لَمَّا رَأَيْتُ صُرُوفَ هَذَا النَّعْرِ تَلْعَبُ بِالْبَرَايَا
يَعْلُو بِهَا هَذَا ، وَيَسْطِ ذَا ، وَقَصُرُ^(٢) الْمُنَايَا

(١) أجبن : ستر . (٢) قصرهم : غابهم .

ورأيتُه مُسترجعاً تَزِدُّ المواهب والعطايا
مُتغايِرَ الأحوالِ غُطِفَ الضرائِبُ^(١) والسَّجَايا
لا نعمةَ فيه تدو مُ ، ولا تلومُ به البَلَايا
لم أَعْتَبِطُ فيه بِفَائِدَةٍ ، ولم أَخْشَ الرِّزَايا

(١) الضرائب : جمع ضريبة وهي الطية .

في الشواهد والأمثال، وما ينسج على هذا المنوال

قافية الباء

(٣٨٦)

قال :

لو صبرنا على البلاء احتساباً لرجونا عنه جزيل الثواب
غير أن اضطرابنا صبرٌ عجز واضطراب، كذلك صبرُ الثواب
فلحنى^(١) الله أنفساً ترتضى العيش، إذا كان فيه ذل الرقاب

(٣٨٧)

وقال :

حسي من العيش خير العيش يدركه سوى بي، ولي الأوصاب^(٢) والنصب
كأني البو^(٣) تستمرى^(٤) العجول^(٥) به وإنما لسواه الفر والخلب

(٣٨٨)

وقال^(٦) :

[بعدا لمن]^(٧) شره أعمى، يهيب ولا يرى مكان الأعادي من ذوى النسب
[كالنار تمحرق]^(٨) طبعاً، لا تميز بين المسند^(٩) الرطب، في الإحراق، والخلب

(١) حنى الله فلاناً : قبحه وبعده . (٢) الوصب : المرض . والنصب : الإعياء والنصب .

(٣) البو : جذ الحمار بمعنى تينا ، فيقرب من أم الفضل ، فتصطف عليه ، فتعز .

(٤) من مرى الناقة : صبح ضرعها للعد .

(٥) العجول : التكل والواله من الإبل .

(٦) البيتان من غزوات المسالك لأسامة (١٠ : ٥٠٦) .

(٧) سقط الأصل . والتكفة من مساك الأبحار .

(٨) المسند : البرد ، أو أجوده .

(٣٨٩)

وقال :

أَلْقَتْ الكَجَاوَةَ^(١) بَعْدَ الثُّغُورِ ، وَطَابَتْ ، وَمَا خَلَّتْهَا لِي تَطْيِبُ
وَصَرَفُ الزَّمَانِ ، كَمَا قَدْ عَلِمْتَ ، أَمْنَكَ اللَّهُ مِنْهُ ، عَجِيبُ
يُعِيدُ صَدِيقَكَ ، وَهُوَ الْعَلُوُّ وَيَأْتِي بِغِيصِكَ وَهُوَ الْحَيِيبُ

(٣٩٠)

وقال :

أَمَا تَرَى الْمَاجِدَ الْمُفْضَالَ تَرْفَعُهُ آيَامُهُ ، وَهُوَ بِالْإِحْسَانِ مُقْتَرِبُ
طَوَعَ الْقِيَادِ كَغُصْنِ الْبَانِ يَجْلِبُهُ مَرُّ النَّسِيمِ ، عَلَى ضَعْفٍ ، فَيَنْجَذِبُ

(٣٩١)

وقال وقد رأى نَمْلًا يَجْاذِبُ زَهْرَةً ، كَلَّمَا أَخْلَتْهَا نَمْلَةً انْزَعَتْهَا مِنْهَا أُخْرَى :
شَاهَدْتُ نَمْلًا قَدْ مَجَازَبَ زَهْرَةً ذَا قَدْ تَمَلَّكَهَا ، وَهَذَا يَسْلُبُ
مِثْلَ الْمُلُوكِ مَجَازَبُوا الدُّنْيَا ، فَكَا حَصَلَتْ لِمُغْلُوبٍ وَلَا مَنْ يَطْلُبُ

قافية الجيم

(٣٩٢)

وقال :

يَا آلِفَ الْهَمِّ ، لَا تَقْنَطْ ، فَايَأْسُ مَا تَكُونُ يَا نَيْكَ لَطْفُ اللَّهِ بِالْفَرْجِ
تَقِ بِالَّذِي يَسْمَعُ النَّجْوَى ، وَيُنْجِي مِنَ الْبَلَوَى ، وَتَسْتَقْدُ الْفَرْقَ مِنَ الْجَحْجَحِ

(١) الكجاوة (بالفارسية) : المودج . فلفه يريد هنا : الاتزواء والبدع من الناس .

(٣٩٣)

وقال :

نَقَلَى إِذَا نَادَيْتَنِي لِمِلَّةٍ أَجْدَى مِنَ الْمُسْتَسْرِخِ الْمَلْبَاجِ^(١)
إِنَّ الْأَنَاءَ مِنَ الْخَيْرِ بِمَا أَتَى تَغْنِيكَ عَنْ سَيْرٍ ، وَعَنْ إِدْلَاجِ^(٢)
مَا فِي شَرَارِ النَّارِ نَحْوَ يُرْتَجَى وَالْجَمْرُ فِيهِ فَضِيلَةُ الْإِنْفَاجِ

قافية للماء

(٣٩٤)

وقال

لَوْلَا الَّذِي جَرَتْ الْأَقْلَامُ قَبْلُ بِهِ مَا نَالَ ذُو الْجَهْلِ ، ذُونَ الْحَازِمِ ، الْمَنَعَا
لَكِنَّ اللَّغْظَ مِيزَانًا تَرَفَّعَ ذُو النِّقْصَانِ فِي وَزْنِهِ ، وَانْحَطَّ مِنْ رَحْمَا

قافية الدال

(٣٩٥)

وقال^(٣) :

قَالُوا : نَهَتْهُ الْأَرْبَعُونَ عَنِ الصَّبَا وَأَخُو الْمَشِيبِ بِجُورٍ ثُمَّتَ يَهْدِي
كَمْ ضَلَّ^(٤) فِي لَيْلِ الشَّبَابِ ، فَدَلَّهُ وَصَحَّ الْمَشِيبِ عَلَى الطَّرِيقِ الْأَقْصَدِ
وَإِذَا عَدَدْتُ سِنِيَّ ثُمَّ تَقَعَّصْتُهَا زَمَنَ الْمَمُومِ فَتِلْكَ سَاعَةُ مَوْلَدِي

(١) في القاموس : الملباجة : الأحن .

(٢) الدلاج : السير من أول الليل .

(٣) هذا الشعر ما روي في تحفة القصر ١ : ١٠٠ ، وسمي الأدبا ٥ : ١٩٥ ، وسالك الأبحار ١٠ : ٥١٠ .

(٤) رواية باغوت ونريدة القصر « جار » .

(٣٩٦)

وقال :

أصبحتُ في زَمَنِ يَشِيبُ بِلَحْوِهِ قودُ الجَنِينِ، وَيَهْرَمُ المَوْلُودُ
وإذا شَكُونَا اليومَ، ثُمَّ أتَى غَدٌ قُلْنَا : ألا يَأْتِ أُمِسَ يَعُودُ

(٣٩٧)

وقال :

ودَعَ أَخَا العِزِّ مِصْرًا، لَا لَيْسَ، وَخُضَّ بِالسَّابِحَاتِ بِحَارَ المَهْمَةِ البِيدُ^(١)
وَيَرْعَنُ الأَرْضُ تَقْبُو بالكَرَامِ، فَقَدْ طَالَ انتِظَارُ الجَنَى مِنْ يَأْسِ العُودِ

(٣٩٨)

وقال :

صَدِيقُ لِي، تَنَكَّرَ بَعْدَ وُدِّ وَأُمِّ القَدْرِ فِي الدُّنْيَا وَلَوْدُ
أَرَاهُ مَلَالُهُ حَسَنِي قِيحًا فَصَدَّ، وَأَيْسَرُ القَدْرِ الصُّدُودُ
وَدَّمَ اليَوْمَ مَا حَمَلْتُهُ مَنَى تَجَارِبُهُ ، وَأَسْ بِهِ شَهِيدُ
وَلَسْتُ أَلُومُهُ فِيمَا أَتَاهُ أَسَاءَ ، فَرَاهُ الفَعْلُ الحَيِّدُ
وَقَدْ يَمِيدُ المَرِيضُ المَاءَ مَرًّا بَفِيهِ ، وَهُوَ سِلْسَالُ بَرُودُ

(١) المَهْمَةُ : الحَافَظَةُ الجَيِّدَةُ . وَالْيَدُ : جَمْعُ يَدٍ . وَهِيَ القَلْبَةُ .

(٣٩٩)

وقال :

مَضَتْ لِدَانِي^(١) وَإِخْوَانِي ، وَأَفْرَدَنِي دَهْرِي ، فَعَشْتُ وَحِيدًا مَيِّتًا كَلْدًا
وَمَا أُرَى لِي بِحُسْنِ الصَّبْرِ بَعْدَهُمْ وَإِنْ تَجَلَّدْتُ خَوْفَ النَّامِتِينَ ، يَدَا
وَالْقَبْرِ أَرْقُ مَسْكُونٍ وَنَكَرُهُ إِذْ كَانَ بِسَكْنِهِ الْإِنْسَانُ مَنْفَرِدًا

(٤٠٠)

وقال :

تَنْظُرُ الْعَاجِزَ الْحَظُوظُ فَيَسْتَعْلِي ، وَتَعْمَى عَنْ حَازِمٍ مَحْلُودٍ^(٢)
فِي اعْتِلَاءِ الشَّرَارِ عَنْ رَاكِدِ الْجَمْرِ دَلِيلٌ أَنْتَ الْعَلَا بِالْجُنُودِ^(٣)

قافية الراء

(٤٠١)

وقال :

إِنْ يَسْتَرُوا وَجْهَ إِحْسَانِي بِكُفْرِهِمْ فَالْشَّمْسُ أَدْنَى سَحَابٍ عَنْ^(١) يَسْتُرُهَا
وَلِنْ مُمْ كَثُرُوا صَفْوَى بَغْشِهِمْ فَالْعَيْنُ أَدْنَى الْقَذَى^(٢) فِيهَا يَكْدِرُهَا

(٤٠٢)

وقال :

إِنْ كُنْتُ فِي مَصْرٍ مَجْهُولًا ، وَقَدْ شُهِرْتُ فَضَائِلِي بَيْنَ بَدْوِ النَّاسِ وَالْحَضَرِ
فَمَا عَلَى الشَّمْسِ مِنْ عَارٍ تُعَابُ بِهِ إِذَا اخْتَفَى ضَوْؤُهَا عَنْ غَيْرِ ذِي بَصِيرٍ

(١) اللغات : جمع لذة ، وهو الترب . (٢) المحمود : المحروم والمخروص من الخير .
(٣) الجفود : الحظوظ . (٤) عين : ظهر . (٥) الهذلي : ما يقع في العين .

(٤٠٣)

وقال :

كفى حزنًا أن الحوادث قصرت يدي ولساني عن نوالٍ وعن أمر
فما يَجْنِئُ الأعداءُ بأبى وسطوتي ولا يرتجى الإخوانُ هوى ولا نصري
إذا نابهم خطبٌ فكلُّ استطاعتي تلهبُ^(١) أنفاسِ أحرَّ من الجمر
ولا خيرَ في الدنيا بلئلى ولو صفت إذا كان لا يرجى لنفع ولا ضرر

(٤٠٤)

وقال^(٢) :

سهلٌ على العارِفِ باللهِ ما نابَ من مُستعصِبِ الأمرِ
وكلُّ ما استُعِفِّمَ من حَدِيثٍ مُستعَصِرٌ في جانبِ الصبرِ

(٤٠٥)

وقال^(٣) :

أنظر إلى حسنِ صبرِ الشمعِ، يُظهرُ لا رأيين نورًا ، وفيه التَّارُ تستمرُ
كذا الكريمُ: تراه ضاحِكًا جدًّا وقلبه بدخيلِ الهَمِّ^(٤) مُنْقَطِرُ

(١) في هامش الهويان "تضم" رواية .

(٢) هذان البيتان ممدودان لأسامة في الخريدة ١: ١٠٦، وياقوت ٥: ١٩٩ .

(٣) رواية ياقوت "الهم" .

(٤٠٦)

وقال :

اصْبِرْ عَلَى مَا كَرِهْتَ تَحْظَ بِمَا تَهْوَى ، فَا جَارِعُ بِمَعْلُومٍ
إِنَّ اصْطِبَارُ الْجَنِينِ فِي ظِلِّ الْأَحْ شَاءَ أَفْضَى بِهِ إِلَى التَّوَسُّرِ

(٤٠٧)

وقال :

إِنِّي لِأَعْرِفُ مِنْ وَجْهِ الْعَدُوِّ وَإِنْ أَبْدَى الْمُدَاجَاةَ^(١) ، مَا تُخْفِي صَمَائِرُهُ
كَانَ لِحِفْظِهِ الْقَارِي ، فَيُوصِلُ مَعْنَاهُ إِلَى قَلْبِهِ فِي الْوَقْتِ نَاطِرُهُ

قافية الزاى

(٤٠٨)

وقال :

اصْبِرْ تَنْتَلِ مَا تُرْجِيهِ ، وَتَفْضُلُ مَنْ جَارَاكَ شَاوِ الْعُلَا سَبْقًا وَتَهْرِيزًا
فَالْتَبِرُ أَحْرِقُ بِالنِّيرَانِ مُصْطَبِرًا عَلَى لَطَائِمَا ، إِلَى أَنْ عَادَ لِإِهْرِيزًا^(٢)

(١) المداجاة : المداواة .

(٢) التبر : فوات القهب . والإهريز : القهب الخالص .

قافية السين

(٤٠٩)

وقال :

اصبرِ إِذَا تَابَ خُطْبُ، وانتظرِ فَرَجًا يَأْتِي بِهِ اللَّهُ بَعْدَ الرِّثِّ^(١) وَالْيَاسِ
إِنْ اصْطَبَرَ ابْنَةُ الْعُقُودِ، إِذْ حُبِسَتْ فِي ظُلْمَةِ الْقَارِ، أَدَاهَا إِلَى الْكَاسِ

(٤١٠)

وقال :

الضَّرُّ فِي آيَاتِنَا هُنَا كَاللَّيْلِ يَغْشَى سَائِرَ النَّاسِ
وَكُلُّهُمْ رَاضٍ، وَفَوْقَ الرِّضَا بُلْغَةُ الطَّاعِمِ وَالْكَامِي
وَدُونَ مَا يَرْجُوهُ مَا نَعُ يَلْقَى وَجُوهَ النَّاسِ بِالْيَاسِ

قافية الطاء

(٤١١)

وقال :

أَرَانِي أَسْتَطِيلُ مَدَى حَيَاتِي وَمَا فِي مَفْرِقِ الشَّيْبِ وَخُطُ
وَلَوْ أَسْقَطْتُ مِنْهُ زَمَانٌ هُمِي لَقَالَ النَّاسُ : هَذَا الشَّخْصُ سَقَطُ

(١) الرِّث : الإبطاء .

قافية العين

(٤١٢)

وقال :

لا تُخَدَعَنَّ بِأَطْمَاحٍ تُزَحْرِفُهَا لَكَ الْمُنَى بِحَدِيثِ الْمَيْنِ^(١) وَالْخَدَعِ
فَلَوْ كَشَفْتَ عَنِ الْمَوْتِ بِأَجْمَعِهِمْ وَجَدْتَ هُلَكَهُمْ فِي الْحَرِصِ وَالطَّمَعِ

(٤١٣)

وقال :

وَمُمَازِقٍ^(٢) رَجَعُ التَّدَاءِ جَوَابُهُ فَإِذَا عَرَا خُطْبُ قَابَعْدُ مَنْ دُعِيَ
مِثْلُ الصَّدَى ، يَخْنَى عَلَى مَكَائِهِ أَبَدًا ، وَيَمْلَأُ بِالْإِجَابَةِ مَسْمَعِي

قافية القاف

(٤١٤)

وقال :

قَوْمٌ يَمُوتُ النَّاسُ عَنْهُمْ ضُرًّا ، وَهُمْ مِنْهُمْ عَلَى فَرَقٍ^(٣)
كَالْبَحْرِ يَمْلِكُ فِيهِ رَاكِبُهُ عَطَشًا ، وَيَخْنَى الْمَوْتُ بِالْفَرَقِ

(١) المين : الكذب .

(٢) مُمَازِق : لم يعظه .

(٣) الفرق : انفرد .

(٤١٥)

وقال :

لنا صديق يُقرُّ الأصدقاء، وما رَأَيْتُهُ قَطُّ فِي وُدِّ امرئٍ وَصَدَقًا
صديقُهُ أَبَدًا مِنْهُ عَلَى وَجَلٍ ^(١) كَرَاكِبِ الْبَحْرِ، يَخْشَى دَهْرَهُ الْفَرَقَا

(٤١٦)

وقال :

لَا تَقْرَبَنَّ بَابَ سُلْطَانٍ، وَإِنْ مَلَأَتْ هِبَانُهُ غَيْرَ مَمْنُونٍ بِهَا الطُّرُقَا
فَإِنَّ أَبْوَابَهُمْ كَالْبَحْرِ : رَاكِبُهُ مَرْوَعُ الْقَلْبِ، يَخْشَى دَهْرَهُ الْفَرَقَا

(٤١٧)

وقال :

أَسْتَرْ بِصَبْرِكَ مَا مُحْفِيهِ مِنْ كَيْدٍ وَإِنْ أَذَابَ حَشَاكَ الِهْمُّ وَالْحُرْقُ
كَالشَّمْعِ يُظْهِرُ أَنْوَارَ التَّجَمُّلِ، وَالذُّ مَوْعٌ مِنْهَلَةٌ ، وَالْجَسْمُ مُحْتَرِقُ

قافية الكاف

(٤١٨)

مَنْ رَزَى الصَّبْرَ نَالَ بُغْيَتَهُ وَلَا حَظَّ لَهُ السَّعُودُ فِي الْفَلَكَ
إِنَّ اضْطِبَارَ الزُّجَاجِ لِلْسَّيِّكِ وَالذِّ سِرَانٍ أَدْنَاهُ مِنْ قِمِّ الْمَلِكِ

(١) الويل : الخوف .

قافيه اللام

(٤١٩)

وقال (١) :

أَنْظُرْ إِلَى صَرْفِ دَهْرِي . كَيْفَ عَوَّدَنِي بَعْدَ الْمَشْيَبِ مِرْوَى عَادَاتِي الْأَوَّلِ
وَفِي تَغَايِيرِ صَرْفِ النَّهْرِ مَعْتَبَرٌ وَأَيُّ حَالٍ عَلَى الْأَيَّامِ لَمْ تَحُلْ
قَدْ كُنْتُ مَسْعَرَحَرِبٍ ، كَلَّا اخْتَدَتْ أَضْرَمْتُهَا بِاقْتِدَاجِ الْبَيْضِ فِي الْقَلِيلِ (٢)
هَمِّي مَنَازِلَةُ الْأَقْرَانِ ، أَحْسِبُهُمْ فَرَائِسِي ، فَهُمُ مَنَى عَلَى وَجَلِ
أَمْضَى عَلَى الْهَوْلِ مِنْ لَيْلٍ ، وَأَهْمُ مِنْ سَيْلٍ ، وَأَقْدَمُ فِي الْهَيْجَاءِ مِنْ أَجَلِ
قَصَرْتُ كَالْقَادَةِ الْمِكْسَالِ : مَضْجَعُهَا عَلَى الْحَشَا يَا وَرَاءَ السَّجْفِ (٣) وَالْكَيْلِ
قَدْ كَدْتُ أَغْفُنُ مِنْ طُولِ النَّوَاءِ كَمَا يُصْدِي الْمَهْدُ طَوْلُ الْمَكِثِ فِي الْخَلِيلِ (٤)
أَرْوَحُ بَعْدَ دُرُوجِ الْحَرْبِ فِي حُلٍّ مِنْ الدَّبِيقِ (٥) فَبُؤْسًا لِي وَلِلْحُلِّ
وَمَا الرَّفَاقَةُ مِنْ رَأْيِي وَلَا أَرْبَى وَلَا التَّنْعَمُ مِنْ هَمِّي وَلَا شُغْلِي
وَلَسْتُ أَهْوَى (٦) بَلُوغَ الْمَجْدِ فِي رَفَةٍ وَلَا الْعُلَاكُونَ حَطْمَ الْبَيْضِ وَالْأَسَلِ

(١) رويت هذه القصيدة لأسامة في تاريخ دمشق لابن عساكر : ١٧٤ : ٥ .

(٢) القتل : الجماعات من الناس . والقة بالمضم : أكل الرأس والجمع ظل . والبيض : السيوف . وسر الحرب :

أوقدتها . (٣) السجف : البتر .

(٤) الخلة : بطن السيف الذي بالأدم والجمع - إلى .

(٥) الدبيق : كأمير يد بصيرتها الثياب الهيبية .

(٦) في هامش الميراث « أرضى » .

(٤٢٠)

وقال ^(١) :

إذا ما عرّا خطبٌ من الدهرِ فاصطبرْ فإنَّ اللَّياليَ بالخطوبِ حوامِلُ
فكلُّ ^(٢) الذي يَأْتِي به الدهرُ زائلٌ سريعاً ، فلا تَحْزَنْ لما هو زائلٌ

(٤٢١)

وقال :

كلُّ شيءٍ تراهُ في هذه الدنْءِ يَا خيالُ إذا انْتَهتَ يزولُ
ما يُلَوِّمُ النَّعِيمَ فيها ، ولا البُؤْسُ منْ ، متاعُ الدُّنيا متاعٌ قليلٌ
والذي يَصْرِفُ المَمُومَ إذا ما ضُفَّتْ ذُرْعَاهُ صَبْرٌ جميلٌ

(٤٢٢)

وقال ^(٣) :

إِنِّي وَفَّقْتُ بِأَمْرِ غُرْنِي أُمِّلِي فيه ، وقد قيل : كم من واثقٍ خَجِلِ
عَادَتْ لِي الْأَمَانِي مِنْهُ آيَسَةً فإِذَا حَبَاءُ الْمُنَى مِنْ نَحْبَةِ الْأَمَلِ

(١) روى الطيان في تاريخ ابن صاكر ٥ : ١٧٤ .

(٢) رواية ابن صاكر « وكل » .

(٣) روى هذان الطيان في مسالك الأبحار ١٠ : ٥٠٨ .

(٤٢٣)

وقال :

لا دَرَّ حُرُكٌ مِنْ رَجَاؤِ كَاذِبٍ يَخْتَرُّنَا يورُودٍ لِامِعِ آيٍ^(١)
أَبْدًا يُسَوِّفُنَا بِنُصْرَةِ خَاذِلٍ ووفاء خَوَّانٍ ، وَعَطْفَةٍ قَالٍ^(٢)
وَرَى سَبِيلَ الرُّشْدِ ، لَكِنْ مَالَنَا عَزَمٌ مَعَ الْأَمْوَاءِ وَالْأَمَالِ

(٤٢٤)

وقال :

لَا تَعْنِينَ مَنْ مَلَّ : إِنَّ عَنَابَهُ كِنْفَافٍ^(٣) مُعَوِّجَ الظَّلَالِ الْمَاكِيلِ
يَلْقَى الْعِتَابَ بِسَمْعٍ لَاهٍ صَادِفٍ^(٤) وَيَرَى الْخُضُوعَ بِطَرْفٍ سَاهٍ غَافِلِ
فَإِذَا أَقْبَتَ دَلِيلٌ قُبِجَ فِعَالِهِ دَفَعَ الْعِيَانِ بِمُجْبَةِ الْمُتَجَاهِلِ

(٤٢٥)

وقال :

لَا يُؤْسِفُنْكَ مَا غَالَ الزَّمَانُ ، قَا يَرْضَى بِمَا^(٥) غَالَ : مِنْ وَفَرٍ وَمِنْ مَالٍ
وَلِإِنَّمَا هُوَ بِالْتَّلَرِيجِ يَنْقُلُنَا نَقْلَ الْمُخَادِعِ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ
وَلَيْسَ يَرْضَى بِمَا دُونَ النُّفُوسِ . وَمَا تُهْدَى إِذَا غَالَمَا ، حَاشَاكَ ، بِالْفَسَالِ

(١) القائل : الميجز .

(١) الآل : السراب .

(٢) عطفه : سواه .

(٣) في الأصل (لذا) تحريف .

(٤) صدف : أرض .

(٤٢٦)

وقال :

يا جاعِلَ الأشغالِ عُدْ رَأً في مُدافِعَتِي ومَطْلٍ
شُغْلِي إِلَيْكَ إِذَا اشْتَغَلْتُ، فَإِذَا^(١) فَرِغْتَ فَأَنْتَ مَنِي

(٤٢٧)

وقال :

إِلَى كَمْ أَجُوبُ الْأَرْضَ مَالِي مَعْرَسٌ وَلَا لِمَسِيرِي فِي الْبِلَادِ قُفُولُ
كَأَنِّي فِي الدُّنْيَا قَذَاءٌ بِمَقْلَةٍ تَرَدَّدُ فِي أَرْجَانِهَا ، وَتَجُولُ
أَشِيمُ بِهَا بَرَقَ الْحَيَاةِ^(٢) ، وَهُوَ خَلْبٌ وَأَرْتَادُ أَرْضَ الرُّوحِ ، وَهِيَ مَحْوُلُ
وَمَا مِنْ تَكَالِيفِ الْحَيَاةِ وَبُؤْسِهَا خَلَاصٌ بِغَيْرِ الْمَوْتِ ، وَهُوَ مَهْوُلُ

(٤٢٨)

وقال :

زَهَّدْنِي فِي الْعَقْلِ أَتَى أَرَى عُنَايَةَ الْأَيَّامِ بِالْجَهْلِ
وَالدَّهْرِ كَالْمِيزَانِ : ذُو الْفَضْلِ يَنْحَطُّ ، وَذُو النِّقْصَانِ يَسْتَعْلِي

(٤٢٩)

وقال :

رَفَعُ الْحُطُوطِ لِمَنْ أَصَبَنَ ، وَحُطُّ مَنْ أَخْطَأَنَّهُ ، فِيهِ يَحَارُ الْعَاقِلُ
يُعْطَى الْغَنِيُّ ، وَيُحْرَمُ النَّدْبُ^(٣) الْفَتَى كَالِدَيْكَ تَوَجَّ ، وَالْبُرْزَاةُ عَوَاطِلُ

(١) فِي الْأَمَلِ (إِذَا) . تَحْرِيف .

(٢) الْحَيَاةُ : الْحَيَاةُ . وَالْخَلْبُ : الطَّعْمُ الْخَفِيفُ .

(٣) النَّدْبُ : التَّعْبُ . التَّخْفِيفُ فِي الْحَاجَةِ الْفَرِيفِ الْجَبِيبِ .

قافيه الميم

(٤٣٠)

وقال ^(١) :

يَا مَوْلَى صَحْبِهِ مُذْهَبَ الْعُمَرِ ^(٢) ، فلم يَرَّعْ حُرْمَتِي وَذِمَامِي
ظَنَّنِي ظِلَّهُ أَصَاحِبُهُ الدَّمَرِ عَلَى غَيْرِ نَائِلٍ وَاحْتِرَامِ
فَافْتَرَقْنَا كَأَنَّهُ كَانَ طَيْفًا وَكَأَنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّامِ

(٤٣١)

وقال :

لَوْ كَانَتْ رِزْقُ الْفَقَى بِقُوَّتِهِ نَازَلَتْ ضَارِي الْأُسُودِ فِي الْأَجَمِ
لَكُنْتُ عَنْ مَشِيئَةِ سَبَقَتْ فِي الْخَلْقِ تَجَرِي فِيهِمْ عَلَى الْقِسَمِ

(٤٣٢)

وقال :

لَحَى اللَّهُ أَرْضًا يَرْشُفُ الْمَرْءُ رِزْقَهُ بِهَا مُكْرَهَا رَشَفَ الدُّعَافِ مِنَ السَّمِ
تُسَيِّبُ حَبَاتِ الْقُلُوبِ بِجَوْرِهَا وَتُهْرَمُ إِنْسَانَتِ الْعُيُونِ مِنَ الِهْمِ

(١) رويت هذه الأبيات الثلاثة في الخريدة ١ : ١٠٦ وسانك الأبحار ١٠٧ : ٩٠٧ .

(٢) أي السر التجاهب .

(٤٣٣)

وقال :

لَا تَأْسَفَنَّ لِذَاهِبٍ أَوْ فَاتٍ يُرَى ، وَلَا تُتَّبِعْهُ زَفْرَةٌ نَادِمٌ
وَاصْبِرْ عَلَى الْحَدَثَانِ صَبْرَ مُسْلِمٍ مُتَيَقِّنٍ أَنْ لَيْسَ مِنْهُ بِسَالِمٍ
فَفَضَارَةٌ الدُّنْيَا كَقَطْلِ زَائِلٍ وَالْعَيْشُ فِيهَا مِثْلُ حُلْمٍ النَّائِمِ
وَالذَّهْرُ يَمْنَحُ ، ثُمَّ يَمْنَعُ تَزْدَمَا أُعْطِيَ ، وَيَبْذُلُ بِالسُّرُورِ الدَّائِمِ
وَالنَّاسُ مَنْ لَمْ يَصْطَلِبْ لِمَعَاوِيٍّ صَبْرَ الرُّضَا صَبْرَ اصْطِبَارِ الرَّاحِمِ

(٤٣٤)

وقال :

قُلْ لِلرَّجَاءِ : إِلَيْكَ ، قَدْ أَتَعَبْتُ بَعْدَ الْكِرَامِ
قَدْ عَمَّ دَاءُ الْبُخْلِ ، حَتَّى شَاعَ فِي كُلِّ الْأَنَامِ
فَاكْفُهُم بِالْبُخْلِ مُقْفَلَةً عَلَى نُحْتٍ^(١) الْخَطَامِ
فَالْأَمُّ تَرْقَادُ الْهُوْلِ ، وَتَرْجَى رَى الْجَهَامِ^(٢)

(٤٣٥)

وقال :

يَا أَيْمَى الشَّاكِي لِمَا أَشْكُوهُ وَالْحَامِلَ هَمِّي
وَنَسِيبَ السُّوءِ لِأَنَّهُ بَعْدَ آبَاءِ وَعَمِّ

(١) النحت : الحرام .

(٢) الجهام : السحاب لآلامه فيه .

ظلمتني دولة العدل ، فن يكشف ظلمي
ومني يحكم لي بالعدل ، والحاكم خصني

(٤٣٦)

وقال :

لأنظلمن لسان شكوى بأئج جبراً على سر القواد الكاتم
واعلم بأن جميع ما فيه بنو الله تبا يزول زوال حلم النائم

قافيه النون

(٤٣٧)

وقال :

اصطبر للزمان إن حاف حيناً أو تلقاك بالهاويف حيناً
إن صبر الكليم^(١) وهو طريد الـ خوف أنقى به إلى طور سيناً

(٤٣٨)

وقال :

من مل فاهجره ، فقد أبدى لك اليأس الميئنا
أعيا شماس أحي التلؤن والملال الرائضينا^(٢)
لن يرجع الفقار بعد تلافه بالكرم طينا

(١) الكليم : موسى عليه السلام .

(٢) الشماس : عدم الاتقياد . وراض القوس : ذلله .

(٤٣٩)

وقال :

يا شارب الخمر بعد النسيك والدين وبعد ما تاب عما راب مذ حين
أفسدت دينك، والسبعون أفسدت الدنيا، فليست بذى دنيا ولادين
ولما أنت نغارت كسر، لا يرجى لنفع ، ولا يعتد في الطين

(٤٤٠)

وقال :

كم تقصد الماجدين الفاضلين، وكم تعلم الكرماء البخل يازمن
إذا تالت عليهم نائبائك، واجتاحت^(١) فواضل ما يولونه المحن
فكيف بالجود والأحداث تسلب ما يولى به العرف، أو تسدى به المن
شغل الزمان بأهل النقص يرفعهم حتى يثمر السوراث ما خزنوا
ألهاه عن كرماء الناس، فهو على قوى المكارم والأفضال مضطغن^(٢)

قافية الهاء

(٤٤١)

وقال :

لا تخضعن رعباً ولا رهبا، فما المرجو والخشي إلا الله
ما قد قضاه الله مالك من يد يدفاعه ، وسواه لا تخشاه

(١) الاجتناب : الاستئصال والإهلاك .

(٢) اضطغن : انطوى على الحقد .

(٤٤٢)

وقال :

نَلْتُ فِي مَصْرَ كُلِّ مَا يَرْجِي الْآ مَلُ : مِنْ رَفْعَةٍ ، وَمَالٍ ، وَجَاهٍ
فَاسْتَرَدْتُ مَا خَوَّلَنِي^(١) ، وَمَا أَسْرَعَ نَقْصَ الْأُمُورِ عِنْدَ التَّأَمِّي
كَنتُ فِيهَا كَأَنِّي فِي مَنَامٍ زَالَ مِنْهُ مَا مَرَّ عِنْدَ أَنْبَاءِي

(١) عوله الله مالا : أطلعه .

في الكبر والمشيب وخلع رداء الشباب القشيب

قافية الباء

(٤٤٣)

قال :

وشائمية برقاً بفودى راعها وما كل برق لاح يؤذن بالخصب
رأت شعراتٍ أخلقت بعد جدّة ونفساً سلت بعد الغواية في الحب
فقلت : نهاك الشيب عن مرج الصبا ورداك بعد الجون دهرك بالعصب^(١)
فقلت : نعم أصبحت طوع عواذلى وأصبحت لا أصبو للهو ولا أصمى
ولا عجب : لئلا تبليج بفره وحلم رى شيطان جهل بالشهب
وهم ورى بين الجوانح زقه أضاء له في مفرق لامع اللهب

(٤٤٤)

وقال :

أما ترى الشيب قد ردك بعد دجى فوديك ، واهاً لذلك الليل ، بالعصب
وأسمعتك اللالى في مواظها أن ابن سبعين من ورد على قرب
أعرضت عن صبرات كنت ذا شغف بها ، وجانبت ما يبدى من الريب
ومرت طوع النهى ، ترضى أنا في سبرى ، ومرى في شلى وفي خبى^(٢)

(١) الجون : الأسود . والخصب : ضرب من البرود يظهر أنه أبيض .

(٢) الشل : العور . والعصب : ضرب منه .

(٢٤٥)

وقال^(١):

لو كان صدّ مغاضباً^(٢) ومُعَاتِباً^(٣) ، ووضعتُ حَدِيَّ تَائِباً
 لكن رَأَى تلك النَّصَارَةَ قد ذَوَتْ^(٤) لما غَدَا ماءُ الشَّيْبَةِ نَاضِباً^(٥)
 وتَعَاقُبُ الأَيَّامِ أَعْقَبَ لِمَتِي^(٦) من حَالِكِ جَنْثٍ^(٧) شَكِيراً^(٨) شَانِباً^(٩)
 ورَأَى التَّهَى بعدَ الغَوَايَةِ صَاحِي فَتَنَى العِنَانِ ، يُرِغُ^(١٠) غَيْرِي صَاحِباً
 وَأَيَّهِ ، مَا ظَلَمَ المَشِيبُ ، وإِنَّهُ أَمَلِي ؛ فقلتُ: عَسَاهُ عَنِي رَاغِباً
 أَنَا كَالدُّجَى، لما اتَّهَى نَشَرْتُ لَهُ أَيْدِي الصَّبَاحِ من الصَّيَاهِ ذَوَانِباً
 مَحْسُونٌ من عُمُرِي مَضَتْ لم أَتَعْظَ فِيهَا ، كَأَنِّي كُنْتُ عَنْهَا غَانِباً
 لم أَنتَهَ بِجَارِبِي فِيهَا عَلَى أَتَى لَقِيْتُ من الزَّمَانِ عَجَابِ
 وَأَنْتَ عَلَى بَعَصَرٍ عَشْرٍ بَعْدَهَا كَانَتْ عِظَاءً كُلُّهَا وَتَجَارِباً
 شَاهَدْتُ من لَبِ الزَّمَانِ بِأَهْلِهِ وَتَقَلَّبِ الدُّنْيَا الرُّقُوبِ^(١١) عَجَابِ^(١٢)

قافية التاء

(٤٤٦)

وقال :

صَحَا ، وَلِلْجَهْلِ أَوْقَاتٌ وَمِيقَاتٌ وَلِلْغَوَايَاتِ وَالْأَهْوَاءِ غَايَاتٌ
 رَأَى المَشِيبَ كَيْفَ لَامَعَتْ لَامَعَةً لَهَا عَلَى قَوْدِهِ الغَرِيبِ^(١١) إِصْلَاحٌ^(١٢)

(١) دوى يا قوت في سجع الأدباء ٥ : ٩٧ وانغريدية ١ : ١٠٠ البيت الأول والآيات من الثالث إلى السادس .
 (٢) في يا قوت وانغريدية « مَدَاتِيَا وَمَغَاضِبَا » . (٣) أَحَبُّهُ : حَلَبْتُ إِلَيْهِ التَّهَى وَهِيَ الزَّوْءَا .
 (٤) ذَوَى التَّهَى : ذَيْلُ . (٥) نَضَبَ المَاءِ : غَارَهُ . (٦) اللِّتَةُ : الشَّعْرُ الْمَجَارِزُ شُعْمَةُ الأُذُنِ .
 (٧) الجَنْثُ : الشَّعْرُ الْكَبِيرُ الْخَفِيفُ . (٨) الشَّكِيرُ : الشَّعْرُ الْبَلْبَلُ الرِّقِيُّ . (٩) يَرِغُ : يَرِيدُ .
 (١٠) الرُّقُوبُ : الْخَيْلُ لَا يَبِيشُ طَاوِدُ . (١١) التَّهْيِيبُ : التَّهْيِيبُ السَّوَادُ . (١٢) أَصْلَتُ الْبَيْتَ : جَرَدَهُ .

فراجع الحلم، وانجابت^(١) غوايته وفي النهى للهوى المُردي نِهاياتُ
والشيبُ شُهبُرمَت شيطانِ شرِّه^(٢) فأقصَلته^(٣)، وكم تَجو الرميَّاتُ
للهِ دُرُ الصِّبا، لو دَامَ روقُه فما كأوقاته في العُمُرِ أوقاتُ
ولارعى الشيبُ من زور^(٤) إذا نزل السَّمَوِي نأت، ومَرَّت عنه المِسرَاتُ
طَوَّالُ الشَّيبِ إن رَأَيْتَكَ واضِعَةً طلائعُ قَدَمَتَيْهِ المِنيَّاتُ
(٤٤٧)

وقال :

مَالِي رَأَيْتُ التَّلَجَّ عَمَّ شَيْهُ قُلِّلَ^(٥) الرِّبَا، قَرِهَتْ بِحَسَنِ نَبَاتِهَا
رَاقَ العَيُونُ، وَشَبَّ فودَى رَاعِهَا حَتَّى كَانَ الشَّيبَ وَخَرُ^(٦) قَدَاتِهَا

قافية الجيم

(٤٤٨)

وقال :

دَعْ مَا نَهَى الشَّيبُ والسَّعُونَ عَه، قَرَّ بِأَك: الصِّبَا، وَالشَّبَابُ الغَضُّ قد دَرَجَا^(٧)
واعتَضَتْ مِنْ قَتِكَ أَخْدَانِ الصِّبَاورَعَا
عُذِرَتْ، إِذْ جُرْتُ فِي لَيْلِ الشَّبَابِ، قَهْلَ
وَمَا أَسَاعَتْ بِكَ الْأَيَّامُ إِذْ جَعَلْتُ فَوْدِيكَ دُرًّا ، وَكَانَا^(٨) قَبْلَهُ سَبَجَا^(٩)

(١) انجاب : انكشف .

(٢) الرمي : الرمي .

(٣) القص : القص .

(٤) السَّمَوِي : السَّمَوِي .

(٥) قُلِّلَ : قُلِّلَ .

(٦) الشَّيبُ : الشَّيبُ .

(٧) اعتَضَتْ : اعتَضَتْ .

(٨) قَهْلَ : قَهْلَ .

(٩) سَبَجَا : سَبَجَا .

مافية الدال

(٤٤٩)

وقال ، وقد غسل رأسه في بركة ، فرأى شعرا أبيض قد سقط من رأسه
على وجه الماء :

أرى شعراتٍ يَتَّقِذْنَ^(١) ، كأنَّها على الماءِ صَدْعٌ في الزُّجاجةِ بادٍ
وعهدى بها فيما مَضَى ، وكأنَّها على الفِصَّةِ البيضاءِ نقشٌ سَوادٍ

(٤٥٠)

وقال :

إذا ما جَلَا اللَّيْلُ النَّهَارُ بِنُورِهِ تَعَقَّبَهُ لَيْلٌ أحمُ^(٢) رَكُودٌ
فما لي أرى لَيْلَ الشَّبَابِ إذا جَلَا وجاءَ نهارُ الشَّيْبِ لَيْسَ يَعُودُ

(٤٥١)

وقال

نَظَرْتُ بِياضَ مَفَارِقٍ ، فَاسْتَرَجَعْتُ أَسْفًا ، وَقَالَتْ : أَيْنَ ذَاكَ الْأَسْوَدُ
قُلْتُ : اضْمَعْلْ ، فَاطْرَقَتْ ، وَتَنَفَّسَتْ نَفْسًا تُصْعِدُهُ حُشًّا تَتَوَقَّدُ
قَالَتْ : فَهَلْ مِنْ مَوْعِدٍ لِلْقَائِنَا فَا رَى نَذِيرَ الْيَمِّ ، قُلْتُ : الْمَوْعِدُ^(٣)

(١) الاتِّبَازُ : التَّجَمُّعُ . (٢) الْأَحْمُ : الْأَسْوَدُ مِنْ كُلِّ غَيٍّ .

(٣) يَرِيدُ بِالْمَوْعِدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

قافية الراء

(٤٥٢)

وقال :

يقولون : جَارَ عليك المشيبُ وَمَنْ ذَا يُجِيرُ^(١) إِذَا الشَّيْبُ جَارَا
وما كنتُ مغتبطاً بالشَّبابِ وهل كانَ إِلا رِداءَ مُعارَا
ولسكتي ساءَني فَقْدُهُ فَوَاهٍ لَهُ ، أَيُّ هُمْ أَثَارَا
وما ساءَني أَنِ إِحَالَ الزَّمانُ لَيْلى نهاراً ، وَجَهْلِي وَقَارَا
ولكن يقولون : عَصُرُ الشَّبابِ يَكُونُ لِكُلِّ سرورٍ قَرَارَا
وما زلتُ مِنْذُ تَرَدَّيْتُه تَكَاطَيْ لَيْلٍ أَعَانِي العُثَارَا
أَكَادُهُ دَهْرًا يُسِيبُ الوليدَ وَهَمًّا يَسُبُّ بِأَحْشَايَ نَارَا
فوجدتُ أَنِّي فَارَقْتُهُ وَلَمْ أَبْلُ^(٢) مَا يَزْعُمُونَ اخْتِيارَا

(٤٥٣)

وقال :

تَصَامَمْتُ عَنْ لَوِّمِ العُذُولِ ، كَأَنَّمَا رَمَى الْوَجْدُ يَوْمَ الْيَمِّنِ سَمْعِي بِالْوُفْرِ^(٣)
وَقَدْ كُنْتُ مَعذُورًا بِأَقْفَةِ^(٤) الصَّبَا فَهَلْ لِي بَعْدَ الشَّيْبِ فِي الْجَهْلِ مِنْ عُدْرِ
وغيرُ ملومٍ مَدْبُغٌ^(٥) ضَلَّ ، إِنَّمَا يُلَامُ إِذَا مَا ضَلَّ فِي وَضْعِ الصَّجَرِ

(١) أجاز : أخذ .

(٢) أبلر : أخبر .

(٣) الوفر : ذهاب السمع .

(٤) أقفة الصبا : مبعه وأدليه .

(٥) الدجج : البير من أرل الليل .

(٤٥٤)

وقال :

رَأَيْتُ مَا تَلْفِظُ المَوْتِى ، فَاسْفَنَى إِذْ عَادَ حَالِكُهُ كَالْتَّلَجِ مَشْتَوِرًا
فَقُلْتُ إِذْ رَأَيْتَنِى تَغْيِرُ صَبْغَتِهِ : سَبْعَانَ مِنْ رَدِّ ذَاكَ اللّٰهَ كَافُورًا^(١)

(٤٥٥)

وقال :

إِذَا تَقَوَّسَ ظَهْرُ المَرُءِ كَالْقَوَسِ ، فَعَادَ كَالْقَوَسِ يَمْشِى ، وَالْعَصَبُ الوُزْرُ
فَالْمَوْتُ أَرْوَحُ آتٍ يَسْتَرْجِعُ بِهِ وَالْعَيْشُ فِيهِ لَهُ التَّعْذِيبُ وَالضَّرَرُ

(٤٥٦)

وقال :

إِذَا عَادَ ظَهْرُ المَرُءِ كَالْقَوَسِ ، وَالْعَصَا لَهُ حِينَ يَمْشِى ، وَهِيَ تَقْدُمُهُ ، وَزَرَ
وَمَلَّ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَطُولَهَا وَأَضْعَفُهُ مِنْ يَبَدُّ قُوَّتِهِ الْكِبَرُ
فَإِنَّ لَهُ فِي المَوْتِ أَعْظَمَ رَاحَةٍ وَأَمَّا مِنَ المَوْتِ الَّذِى كَانَ يُتَقَطَّرُ

(١) الله : العبر . والكافور : طيب خشب أبيض هش .

قافية القاف

(٤٥٧)

وقال :

لِدَيَّ وَإِخْوَانُ الشَّابِّ مَضَوْا قَبْلِي ، وَكَمْ مِنْ بَعْلَمِ أُنْقِ
كُنَّا كَأَفْرَاسِ الرِّهَانِ بَرَّوْا فِي غَايَةٍ ، فَتَقَدَّمُوا سَبْقًا
وَهُمْ إِذَا بَلَّغُوا الْمَدَى وَقَفُوا حَتَّى تَضُمَّ الْحُلْبَةُ^(١) الْخَلْقًا

(٤٥٨)

وقال :

تُلَجَّ النَّبَاتُ فِرَاقَ لَوْنٍ مَشِيهِهِ فَعَلَامَ لَوْنِ الشَّيْبِ لَيْسَ يَرُوقُ
مَا ذَاكَ إِلَّا أَنْتَ ذَا دَائِجٍ إِلَى طَيِّبِ السَّرُورِ ، وَذَاكَ عَنْهُ يَعُوقُ
وَإِذَا أَخُو الشَّيْبِ اسْتَجَابَ لِلذِّمَّةِ وَمَسْرَّةٍ ، فَسُرُورُهُ مَسْرُوقُ

قافية اللام

(٤٥٩)

وقال :

لَمْ تَتْرَكِ السَّبْعُونَ فِي إِتْقَانِهَا مِنِّي مَسْوًى مَالًا عَلَيْهِ مُعَوَّلٌ
حَتَّى إِذَا مَا عَلِمَهَا عَنِّي انْقَضَى وَوُطِئَتْ فِي الْعَامِ الَّتِي يُسْتَقْبَلُ

(١) الحلبة : جمال الخيل لبيان -

حَطَمْتُ قَوَايَ، وَأَوْهَنْتُ مِنْ نَهَضَتِي وَكَذًا بَمَنْ طَلَبَ السَّلَامَةَ تَفَعَّلُ
كَمْ قَدْ شَهِدْتُ مِنَ الْحُرُوبِ؛ فَلْيَتَى فِي بَعْضِهَا مِنْ قَبْلِ نَكِسِي أُقْتَلُ
وَالْقَتْلُ أَحْسَنُ بِالْقَتَى مِنْ قَبْلِ أَنْ يَلَى، وَيُقْتِيَهُ الزَّمَانُ، وَأَجَلُ
وَأَيُّكَ مَا أَعْجَمْتُ عَنْ خَوْضِ الرَّدَى فِي الْحَرْبِ، يَشْهَدُ لِي بِذَلِكَ الْمُنْصَلُ^(١)
وَإِذَا قَضَاءُ اللَّهِ أَتَرَفَى إِلَى أَجَلِ الْمَوْقِتِ لِي فَاذَا أَعْمَلُ

(٤٦٠)

وقال :

وَضَحَّ الصَّبَاحُ لِنَاطِرِ الْمَتَائِلِ فَلَا مَ تَوْضِعُ فِي الطَّرِيقِ الْمَجْهَلِ^(٢)
أَوْ مَا نَهَتَكَ السَّنُّ عَنْ مَرَحِ الصَّبَا وَالْخَوْضُ فِي غِيِّ الزَّمَانِ الْأَوَّلِ
تَرَهُ بِيَاضَ الشَّيْبِ عَنْ دَنَسِ الْهَوَى فَقَدْ ارْتَدَيْتَ الدَّرَّ غَيْرَ مُفْعَلٍ
وَاعِفِ الْعَذُولَ عَنِ الْمَلَامِ، فَلَوْمَهُ غَيْرُ الْمَلَمِ يَسْمَعُ مَنْ لَمْ يَجْهَلِ

(٤٦١)

وقال :

نَفْضًا^(٣) صَبِغُ الشَّبَابِ، فَلَسْتُ أَدْرَى لَصِبِغِ حَالٍ، أَمْ تَغْيِيرِ حَالٍ
وَمَا أَيْبَسَ الْغُرَابُ الْجَوْتُ إِلَّا لِيَنْعَبَ بَانْتِقَالٍ وَارْتِمَالٍ

(٢) أرض مجهول كقمت : لا يجتدى فيها . وأرضع : أسرع في سيرة .

(١) المنصل : السيف .

(٣) نفذا : ذهب .

(٤٦٢)

وقال :

إِنْ ضَعُفَتْ عَنْ حَمَلٍ ثِقَلِي رَجُلِي وَرَأَيْتُ عِشَارَهَا فِي السَّهْلِ
أَمْشَى كَمَا يَمْشَى الْوَجِي^(١) فِي الْوَحْلِ مَشَى الْأَسِيرِ مُثْقَلًا بِالْكَبْلِ^(٢)
فَلْعَصَا عِنْدِي عُلُرُ الْمُبْلَى^(٣) إِنْ عَجَزْتُ، أَوْ ضَعُفْتُ عَنْ حَمَلِي

قافية الميم

(٤٦٣)

وقال :

قَالَتْ وَأَحْزَنَهَا بِيَاضُ مَفَارِقِي : مَاذَا ؟ فَقُلْتُ : تَرْيِكُهُ^(١) الْآيَامُ
فَبَكَتْ، وَقَالَتْ : هَلْ لَهَا مِنْ وَارِدٍ أَوْ رَائِدٍ يَوْمًا ؟ فَقُلْتُ : حِمَامِي

(٤٦٤)

وقال :

أَنْظُرْ إِلَى لَعِبِ الزَّمَانِ بِأَهْلِهِ فَكَانَتْهُمْ وَكَأَنَّهُ أَحْلَامُ
قَدْ كَانَ كَنِّي مَأْلَفًا لِمَهْنَدٍ تُعْرِى^(١) الْقُلُوبُ لَهُ وَتُقْرِى^(٢) الْهَامُ
وَلَا سَمِيرَ لَدُنِ الْكَعُوبِ، وَجَارُهُ^(٣) حَيْثُ اسْتَمَرَ الْفَكْرُ وَالْأَوْهَامُ

(١) الوجي : الخفا . وجي كرضي وجي فهو وج وجي . (٢) الكل : القيد .

(٣) إبلاء عذرا : أداه إليه قبله . (٤) التريكة : روضة يُنْقَلُ عَنْ رَحِمِهَا .

(٥) تعري من العري وهي : الرعدة . (٦) فراء بغرية : شقة .

(٧) الوجاري الأصل : بجر الضج وغيرها .

تَزَايِلُ الْأَبْطَالُ عَنِّي ، مَثَلًا قَرَرْتُ مِنَ الْأَسَدِ الْمَصُورِ نَعَامُ
فَرَجَعْتُ أَحْمَلَ بَعْدَ سَبْعِينَ الْعَصَا فَأَعْجَبَ لِمَا تَأْتِي بِهِ الْأَيَّامُ
وَإِذَا الْحِمَامُ أَبِي مُعَاجِلَةَ الْفَتَى خِيَانَتُهُ ، لَا تُكْذِبَنَّ (١) ، حَامُ

(٤٦٥)

وقال غناطبا لصديق :

مَنْ مَبْلَغٌ عَنِّي فَلَا نَ الدِّينَ ، وَالْأَنْبَاءُ تَتَمَّى
أَنْنِي هَجْرُكَ لَا كَطَلْبِكَ طَائِعًا ، لَكِنْ بِرَغْمِي
أَوْهَتْ خُطُوبُ الدَّهْرِ مِنْ هِمَمِي ، وَقَلَّتْ حَدَّ عَزَمِي
وَرَمَتْنِي الْأَيَّامُ عَنْ قَوْمِي ، فَأَرَدْتَنِي بِسَهْمِي
وَعَدَا الَّذِينَ بِهِمْ أَسَ لِي الْمَسَمَّ حِينَ يُلْمُ ، هَمَمِي

(٤٦٦)

وقال ، وقد رزق ابنة ، سماها أم فروة ، بعد أن تجاوز أربعا وسبعين سنة :

أَفْكَرُ فِي فُرْيَةٍ مَا تُلَاقُ مِنْ الدُّنْيَا فَتَغْشَانِي الْهُمُومُ
وَتَصْعَدُ زَفَرْنِي أَسْفًا ، لَعَلِّي بِمَا يَلْقَى مِنَ الْبُؤْسِ الْيَتِيمُ
وَقَدْ أَوْدَعْتُهَا رَبًّا كَرِيمًا وَمَا يَنْتَمِي وَدِيعَتَهُ الْكَرِيمُ

(١) كَذِبَ الرَّجُلِ : أَكْذَبَ بِالْكَذَبِ .

قافية النون

(٤٦٧)

وقال في المعنى أيضا :

لما مَحَطَّنِي السَّبْعُونَ مُعْرِضَةً وساور الضعفُ بعد الأيدِ^(١) أركاني
وأدخلتْ كان في شكري وفي صفِّي واسترجع الدهرُ ما قد كان أعطاني
رُزقتْ فَرَوَةً ، والسَّبْعُونَ تُخْبِرُها أن سوف تَبَيِّمُ عن قُرْبٍ ، وتَتَعَانِي
وهي الضَّعِيفَةُ ، ماتنْفَكُ كاسفَةً ذليلاً ، تَمْتَرِي^(٢) دمعِي وأحزاني
ما كان ، عَمَّا سَلَقَاهُ وعن جَزَعِي لما سَلَقَاهُ ، أَغْنَاهَا وأَغْنَانِي

(٤٦٨)

وقال :

حَمَلْتُ ثِقْلِي فِي السَّهْلِ الْعَصَا وَتَبَّتْ بِي ، حِينَ حَاوَلْتُ الْحَزُونََا
وَإِذَا رَجُلِي خَانَتْنِي ، فَلَا لَوْمَ عِنْدِي لِلْعَصَا فِي أَنْ تَحْوَنَا

(٤٦٩)

وقال ، وكتبها بخط يده :

نُكِّسْتُ فِي الْخَلْقِ ، وَحَطَّنِي السَّهْلُ بَعُونَ لَمَّا أَنْتَ عَلْتَ سِيِّي
وغيرتْ خَطِي ، فاضْحَى كَمَا تَرَى ، وَكَمْ قَدْ غَيَّرْتَ مَيِّي
والمَوْتُ فِيهِ رَاحَةٌ مِنْ أَدَى الدُّنْيَا ، فَمَا أَغْفَلَهُ عَيِّي

(١) الأيد : الفترة . (٢) امتري الشيء : استخرجه .

قافية الماء

(٤٧٠)

وقال :

نَظَرْتُ مُبِضَّ فَوْدِي ، فَبَكَتْ ثُمَّ قَالَتْ : مَا الَّذِي بَعْدِي عَرَاهُ
قُلْتُ : هَذِي صِبْغَةُ اللَّهِ ، وَمَنْ يَصْبُغُ الْأَسْوَدَ مِيزًا سِوَاهُ

(٤٧١)

وقال :

حَمَلْتُ نِفْلِي بَعْدَ مَا سَبَتْ الْعَصَا فَتَحَمَلْتَهُ تَحْمَلُ الْمُنْكَارِ
وَمَشَتْ بِهِ مَشَى الْحَسِيرِ ^(١) بِوَفْرِهِ ^(٢) لَا يَسْتَقِلُّ ^(٣) ، مَقِيدًا بَعْنَارِهِ
مَا آدَاهَا ^(٤) نِفْلِي ، وَلَكِنْ نِفْلُ مَا أَبَقَى الشَّابُّ عَلَى مَنْ أَوْزَارِهِ
وَرَجَاىَ مَعْقُودٌ بِنِ اعْطَى أَخَا السَّبْعِينَ عُهْدَةً ^(٥) عَتَقَهُ مِنْ نَارِهِ

(١) حمر كعرب وفرح : أعياء ، فموجيد .

(٢) الوقوف بالكسر : الخلل الثقيل .

(٣) يستقل : يهبط .

(٤) آداه الأمر : بلغ به المجهود .

(٥) العهدة : كتاب البيع .

في الزهد والاعتبار، والمواعظ والإنذار

قافية الباء

(٤٧٢)

قال :

يَا رَبِّ حُسْنُ رَجَائِي فِيكَ حَسَنٌ لِي تَضَيِّعَ وَقْتِي فِي لَهْوِي وَلَعِبِي
وَأَنْتَ قُلْتَ لِمَنْ أَحْيَى عَلَى ثِقَةٍ بِحَسْنِ عَفْوِكَ : إِنِّي عِنْدَ ظَنِّكَ بِي

قافية التاء

(٤٧٣)

وقال :

يَا غَافِلِينَ عَنِ الْأَمْرِ الَّذِي خُلِقُوا لَهُ ، أَفِيقُوا ، فَلَا تُسَوِّمُ هَبَاتُ
مَاذَا السَّكُونُ إِلَى دُنْيَا حَوَادِثُهَا لَهَا عَلَى الْخَلْقِ غَدَوَاتٌ وَعَنَوَاتُ
كَيْفَ الْبَقَاءُ بِدَارٍ لِلْفَنَاءِ بِهَا عَلَى الْخَلَائِقِ كَرَاتٌ وَغَارَاتُ
وَأَنْتَ ، يَا أَيُّهَا الْمَغْرُورُ ، مَالِكٌ فِي الدُّ نِيَا مِنَ النَّاسِ غَيْرِ الْبَعْدِ مَنَاجَا
يَسْرُكَ الْبَشَرُ مِنْهُمْ حِينَ يُبْصِرُهُمْ وَلَوْ خَبَّرْتَ لَسَاءَ تَكِ الطَّوَيَّاتُ
فَاقْطَعْ حِبَالَكَ مِنْ كُلِّ الْأَنَامِ ، فَهَمَّ فِي كُلِّ حَالَةٍ مَنْ دَانُوا جِبَالَاتُ^(١)

(١) حباله ككثرة : البصيدة .

واَحْزَنَ مِنَ النَّاسِ ، إِلَى قَدِ خَبَرْتَهُمْ^(١) وَلَا يَغْرَنَكَ خِيبٌ^(٢) فِيهِ إِخْبَاتٌ^(٣)
لَا تَرْجُهُمْ فِي مُلَبَّاتِ الزَّمَانِ ، فَمَا تُلِمُّ إِلَّا مِنْ النَّاسِ الْمُلَبَّاتُ^(٤)
وَكُلُّهُمْ ، وَهُمْ الْأَحْيَاءُ ، إِنْ بَعُثُوا^(٥) عَلَى الْحَيَاءِ وَفَعَلَ الْخَبِيرُ ، أَمْوَاتُ
وَقَدْ سَمِعْنَا أَنَّ الْأَرْضَ كَانَ بِهَا نَاسٌ كِرَامٌ ، وَلَكِنْ قِيلَ : قَدْ مَاتُوا
وَلَسْتُ أَدْرَى صَحِيحًا مَا تَضَمَّنَتْ الْكُتُبُ الْقَدِيمَةُ أَمْ فِيهَا ضَمَانَاتُ^(٦)
وَأَغْلَبَ الظَّنَّ أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ جَمَعُوا لِلْبَاحِلِينَ حَدِيثَ الْبُهِتِ^(٧) : أَيْ هَاتُوا
لَوْ كَانَ مَا جَمَعُوا يَتَقَى لَمْ تَقْضَتْ عَلَيْهِمُ بِالْمُؤَاسَاةِ الْمُرُوءَاتُ
فَكَيْفَ ، وَهِيَ عَوَارٍ تُسْتَرَدُّ ، وَأَفْسَاءُ^(٨) تُثْقَلُهَا فِي النَّاسِ دَوْلَاتُ

قافية الحاء

(٤٧٤)

وقال :

لَا تَرْتَجِ الْخُلُقَ ، فَالْأَبْوَابُ مُرْتَجَّةٌ دُونَ الْخُطَامِ ، وَبَابُ اللَّهِ مَفْتُوحٌ
وَالزُّقُ لَوْ كَانَ فِي أَيْدِي الْأَنَامِ أَبْوَابُ أَنْ يَشْرَبَ الْمَاءَ مِنْ طُوفَانِهِ نَوْحٌ
لَكُنَّ فِي يَدَيَّ مَنْ فَضَلَهُ أَبَدًا لِلطَّامِعِينَ وَالْعَاصِينَ تَمْنُوحٌ

(١) انقلب : انقلدح .

(٢) أخبت : خضع وتواضع .

(٣) به على الشيء : حله على نفسه .

(٤) الضمة بالغنم وكسحاب وبجاجة : المرض .

(٥) البهت بالغنم : الكذب .

(٦) أفساء : جمع فيه وهو الغنم .

قافية الذال

(٤٧٥)

وقال :

مُدَّ بَصَرَتِي تَجَارِي . وَنَبَّهَنِي خُبْرِي بدهري ، فقدت العيشة الرغدا
كأنتي كنت في حلم . فأيقظني خوئي ، وآلى على جفني لارقدًا

(٤٧٦)

وقال :

عجزت عن الدنيا ، قال لي من يد بها ، ولي الأيد^(١) المساعد واليد
ولكنني لم أسأل عنها ، فأرعوى ولا نلت منها ما أود ، وأقصد
شقيت بما أحرزته : من فضائل بأيسرها يحظى الشقي ويسعد
وفي النفس ، إن ناجيتها باطراحها وبالزهد فيها ، فترة وتردد
فبارب ألهمها الرشاد بتركها فإنك تهدي من تشاء وترشد

(٤٧٧)

وكتب على حائط مسجد ، بظاهر منبج ، وهو متوجه إلى الحجاز :

نزلنا به ، حتى إذا يومنا انقضى رحلنا على العيس التجائب والجرود^(٢)
توم بها الليت العتيق ، ونبتغي من النار عتقا جاء في سابق الوعد
فيا من قصصنا بيته ونبيه بك العود ، يا مولاي ، من خيبة القصد

(١) الأيد : القوة .

(٢) فرس أجد : قصير الشر رفيقه . والعيس : الإبل البيض يتخالط بينها شقرة .

(٤٧٨)

وقال من قصيدة تقدمت ^(١) :

أما رأوا ثَقَبَ الدنيا بِنَا وفكَّها بَمَنْ إليها أُخْلِدَا ^(٢)
 كم نَسَفَتْ أَيْدِي الخطوب جَبَلًا وصيرَتْ جُحَّةً بَحْرًا كَمَدَا ^(٣)
 ولم أعَادَتْ ذَا ثَرَاءٍ مُعْدَمًا وذَا قَيْلٍ وَعَدِيدٍ مُفْرَدًا
 عَلِمْتُ مَا لَمْ يَعْلَمُوا ، وَنَظَرْتُ عِبَائِي دَهْرِي مَصْدَرًا وَمَوْرَدًا
 فَا رَأَيْتُ غَيْرَ ظِلِّ زَائِلٍ كُلُّ يَمَدٍّ نَحْوَهُ، جَهْلًا، يَدَا

(٤٧٩)

وقال ^(٤) :

مَثُوبَةُ السَّاقِدِ عَنْ فَقْدِهِ يَصْبِرُهُ أَتَمُّ مَنْ وَجَدَهُ
 يَكِيهِ مِنْ حُزْنٍ عَلَيْهِ ، فَهَلْ يَطْمَعُ فِي التَّخْلِيدِ مِنْ بَعْدِهِ
 مَا حِيلَةَ النَّاسِ ؟ ! وَهَلْ مِنْ يَدٍ لَمْ يَدْفَعْ الْمَوْتَ أَوْ صَدَّهِ
 وَرُودُهُ لَا يَدَّ مِنْهُ ؛ فَلَيْمَ ^(٥) تُتَكْرَّمَا لَا يَدَّ مِنْ وَرْدِهِ ^(٦)
 سِهَامُهُ لَمْ يَسْتَطِيعْ رَدَّهَا دَاوُدُ بِالْحَكَمِ مِنْ مَرْدِهِ

(١) أول القصيدة : أنهم فيكم لاني وانجدا وما أقاد سلوة إذ فتدا راجع ص ٢٦٠ .

(٢) أخذه إليه : مال .

(٣) الحمد : الماء القليل .

(٤) رويت هذه القصيدة في تربية النصارى ١٠٤٠ .

(٥) رواية الغزيرية "فأ" .

(٦) يتظنني إلى قول النبي : نحن بنو الموق، فأبانا نافع ما لا بد من ورده

ولا سليمان ابنه ردها بملكه والحشد من جنده
عدل تساوى الخلق فيه ، فما يميز المالك عن عبده
كلُّ له حدٌ ، إذا ما انتهى إليه وأفاه على حده
تجمعنا الأرض ، فكلٌّ (١) امرئ في لحده كالطفل في مهده
أما ترى ورادنا (٢) عرسوا (٣) بمنزل دان على بعده
تبوءوا الأرض ، ولم تحيروا عن حرّ منوائهم ولا برده
لحديث أسكتهم أسكوا عن ابتداء القول أو رده
لو نطقوا قالوا : التقي خيرما تزود المرة إلى لحده
فارجع إلى الله ، وثق بالذي وأفأك في الصادق من وعده
للمصابرين الأجر ، والأمن من عذابه ، والفوز في خلده

(٤٨٠)

وقال :

تبارك اسمك ، كم من آية شهدت بأنك الواحد المستعلی العَبدُ
ما يصبغ الأسود الغريب غيرك مبيضاً ، ولا يتعاطى صبغه أحدٌ

(١) في النسخة " وكل " .

(٢) في المصحف " أسلانا " .

(٣) عرس القوم في المنزل : إذا تزوا .

قافية الراء

(٤٨١)

وكتب على حائط دارٍ بصور^(١) :

احذر من الدنيا ، ولا تقتر بالعمر القصير
وانظر إلى آثار من صرعه منا بالغرور
عمروا ، وشادوا ما ترا : من المنازل والقصور
وتحولوا من بعد سكناها إلى سكنى القبور

(٤٨٢)

وقال :

لا تقط بسرور د ، يا ، ما يدوم بها سرور
وكذلك لا تجزع لحا دمة تضيق بها الصدور
بجميع ما فيه الأنا م ، اليس آخره القبور

(٤٨٣)

وقال :

أرى العين تستعلي الكرى ، وأمامها كرى ليس تقضيه إلى داعي الحشر
وليس ينأى الخائفون ، فاهلك تنأى على عظيم المخافة والدعوى

(١) روى هذا الشعر في كتاب الروتين ١ : ١٢٧ ، وقد ذكر أن أسامة كتب هذا الشعر بمدينة صور حين دخل دار ابن أبي عتيق محمد بن عبد الله بن عياض صاحب صور ، فقرأها تهديت ، وقتئذ زئفرا ، فكتب هذه الأيات على لوح من رخام .

(٤٨٤)

وقال :

دنياى ناشزة^(١) ، فإن فارقتها طوعاً ، وإلا فارقتى كإرها
إنّا لننكر سوء عاقبة الورى فيها ، ونهواها على إنكارها
كلّ بها كاف ، ومن يزهد يكن في زهده متكلّفاً متكارها
أذكرت قعبي مفرع الآباء من قبلي ، فما أضغت إلى إذكارها
وعجبت منها ، كيف لم يجر الذي خلقت له يوماً على أنكارها
والموت إن لم يأت في إنسانها وافي مع الإصباح في إنكارها
وأمامها السفر البعيد ، وقطعه بالسر ، لا يقرونها^(٢) وإنكارها^(٣)
والدهر يطرّق بالخطوب ، ومالنا بعوانها^(٤) أيّد ، ولا أبكارها
والترّب أوكار الأنام ، وكنتا كالطير ، راحته إلى أوكارها

(٢٨٥)

وقال ، وكتبها على حائط مسجد سبرين ، بظاهر مدينة حلب^(٥)

لك الحمد يا مولاي ، كم لك منة على ، وفضلاً^(٦) لا يقوم به شكوى
نزلت بهذا المسجد العام قافلاً من الغزو ، موفور النصيب من الأجر

(١) نشزت المرأة : استعنت على زوجها .

(٢) القوم : باقنح العمل ، ووجه قروم .

(٣) البكرة بفتح وسكون ويحرك : الجماعة الفتية من الإبل ج بكسر .

(٤) العوان من النساء : من كان لها زوج . والأيد : الشدة والقوة .

(٥) روى هذا الشعر في الروضتين ١ : ٢٧٠ ، وقد كتبها أسامة سنة ٥٥٧ هـ .

(٦) هذه رواية الأصل وفي الروضتين " وفضل " .

ومنه رحلت العيس في على الذي مَضَى نَحْوَيْتِ اللهُ ذِي الركنِ والجِبرِ
فَأَدَيْتُ مَفْرُوضِي، وَأَسْقَطْتُ نَقْلَ مَا تَحَمَّلْتُ مِنْ وَزْرِ السَّنَنِ عَلَى ظَهْرِي

(٤٨٦)

وقال :

أَيُّهَا الظَّالِمُ . مَهْلًا أَنْتَ بِالْحَاكِمِ غَرُّ
كُلِّ مَا اسْتَعَذَّبْتَ مِنْ جَوْرِكَ تَعْذِيبٌ وَبَهْرٌ
لَيْسَ يَلْقَى دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ دُونَ اللَّهِ سِتْرٌ
يَخْفِ اللَّهَ ، فَأَبْخَنِي عَلَيْهِ مِنْهُ سُرٌّ
يَجْعُ الظَّالِمَ وَالْمَظْلُومَ بَعْدَ الْمَوْتِ حَشْرٌ
حَيْثُ لَا يَمْنَعُ سُلْطَانٌ ، وَلَا يُسْمَعُ عُذْرٌ
أَوْ مَا يَنْهَاكَ عَنْ ظُلْمٍ حِكْمٌ مَوْتُ ، ثُمَّ قَبْرٌ
بَعْضُ مَا فِيهِ مِنْ أَهْوَالٍ فِيهِ لَكَ زَجْرٌ

قافية الطاء

(٤٨٧)

وقال :

النَّاسُ كَالطَّيْرِ ، وَالْدُّنْيَا شِبَابُهُمْ وَمُمْ بِهَا يَنْ رَكَاظٌ وَمُخْتَبِطٌ^(١)
وَالْمَوْتُ قَتَاصُهُمْ ، يَأْتِي عَلَى مَهْلٍ لِهْلُكِهِمْ يَنْ مَذْبُوجٌ وَمُعْتَبِطٌ^(٢)

(١) انقلب . السير على غير هدى . (٢) اجتبط الذئبة : نحرها من غير علة ، وهي سبية فنية .

وَقَدْ شَغَانَا بِدُنْيَانَا وَزُخْرِهَا فَاخْلُقْ مَا بَيْنَ مَحْزُونٍ وَمُغْتَبِطٍ
هَذَا يُسْرُ بِحَالٍ لَا تَكُونُ ، وَذَا يَبْكِي عَلَى الْقَوْتِ مِنْ دُنْيَاهُ وَالْفَرْطِ
وَلَيْسَ يَسْوَى^(١) الَّذِي نَالَهُ الْمُلُوكُ مِنَ الدَّ نِيَا ، فَدَعْ غَيْرَهُمْ ، كَفًّا مِنَ الْعَبْطِ^(٢)

(٤٨٨)

وقال :

مَا رَلْتُ فِي غِبْطَةِ عَيْشِي عَالِمًا أَنْ سَيُزُولُ بِالْهَمُومِ مَا غَبَطُ^(٣)
وَأَنَّ صَرْفَ الدَّهْرِ يَأْتِي بِالَّذِي سَاءَ اعْتَادًا ، وَبِمَا سَرَّ غَلَطُ
بَيْنَا الْقَتَى تَعْلُو بِهِ جُدُودُهُ إِذْ أَسْلَمْتُهُ لِلرَّزَايَا ، فَهَبَطُ
حَتَّى يَرِقَّ حَاسِدٌ لِحَالِهِ مِنْ بَعْدِ مَا نَاقَسَ فِيهَا ، وَغَبَطُ^(٤)

قافية العين

(٤٨٩)

وقال :

مَنْ مَبْلُغُ الْمُعْتَرِّ^(٥) وَالْقَانِعِ وَابْنِ السَّبِيلِ النَّازِحِ النَّازِعِ^(٦)
أَنَّ النَّدَى قَدَمَاتٍ ، فَاسْتَعَصِمُوا بِالْيَأْسِ ، مِنْ دَانٍ ، وَمَنْ شَاسِعِ

(١) يسوى : يساوى . (٢) العبْط : البر اليابس القديم .

(٣) غبط : سر . والغبطة : النعمة والسرور .

(٤) غبط هنا بمعنى حسد ، يقال غبط الزيل يغبطه غبما وغبطة : حسده .

(٥) المعتَر : الضيف الزائر ، والمعتَرَض للسؤال من غير طلب . (٦) النازع : المنته

لا يَبْذُلْنَ ذُو قَاآةٍ وَجْهَهُ لَنِي ثَرَاءُ بَاخِلٍ بِأَخِيح^(١)
 مَا يَظْفَرُ الرَّاجِي نَدَى كَفَّهُ بغيرِ ذُلِّ الخَاشِعِ الخَاضِعِ
 هل يَنْفَعُ الظَّالِمِي إِذَا مَا طَلَمَا أَجَاجُ بَحْرِ لَيْسَ بِالنَّاسِجِ^(٢)
 لله دُرُّ الْيَاسِ مِنْ نَاصِح لَيْسَ بِغَرَّارٍ ، وَلَا خَادِعِ
 وَلَا سَقَى الْأَطْعَامِ صَوْبُ الْحَيَا فَإِنَّهَا مَهْلَكَةُ الطَّامِعِ
 لَا تَرْجُونَ خَلْقًا ، فَكُلُّ الْوَرَى يَقْبِضُ كَفَّ الْمَانِعِ الْجَامِعِ
 وَمَا حَوَتْ أَيْدِيهِمْ فَهَوِي مِثْلُ لَمَاةٍ^(٣) الْأَسَدِ الْجَاهِمِ
 قَدْ سَمِعُوا بِالْجُودِ ، لَكِنَّهُ لِبِخْلِهِمْ مَا لَدَّ لِلْسَّامِعِ
 وَكُلُّهُمْ إِنْ أَنْتَ كَشَفْتَهُمْ مِثْلُ مَرَابِ الْقَيْعَةِ^(٤) الْأَمِيعِ
 فَدَعُهُمْ ، وَاطْلُبْ مِنْ اللَّهِ مَا ضَنُّوْا بِهِ : مِنْ فَضْلِهِ الْوَاسِعِ
 قَلَامًا يَقْطَعُ مِنْ وَاصِلِ وَلَا يَمَّا يُوصِلُ مِنْ قَاطِعِ
 قَدْ قَسَمَ الْأَرْزَاقُ بَيْنَ الْوَرَى فِي مُتَعَبٍ سَاجٍ ، وَفِي وَادِعِ
 كُلُّهُمْ يَأْتِيهِ مِنْ رِزْقِهِ كَفَايَةً ، لَوْ كَانَتْ بِالْقَانِعِ
 لَكُنْتُمْ مِنْ حِرْصِهِمْ قَدْ عَمُوا عَنْ الطَّرِيقِ الْمُهَيَّجِ^(٥) الشَّارِعِ
 لَوْ أَيْقَنُوا أَنْتَ لَمْ رَازِقًا لَيْسَ لِمَا يُعْطِيهِ مِنْ مَانِعِ
 وَلَا لِمَا يَرْفَعُ مِنْ خَافِضِ وَلَا لِمَا يَنْخِضُ مِنْ رَافِعِ
 مَا طَلَبُوا مِنْ غَيْرِ مُعْطٍ ، وَلَا دَعَوْا إِذَا اضْطَرُّوا سِوَى السَّامِعِ

(١) الباخع : الخاشع .

(٢) الباخع : الخاشع ، يريد المقرط في البخل .

(٣) القاع : أرض مبلطة مطبوعة اقترحت عنها الجبال .

(٤) القاع : أرض مبلطة مطبوعة اقترحت عنها الجبال .

(٥) المهيح : العين .

والاكلام ، ج قيع ، وقية وقيمان .

(٤٩٠)

وقال :

أَيُّهَا الْغَافِلُ ، كَمْ هَذَا الْمَجُوعُ أَعْلَنَ الدَّاعِيَ ، فَهَلْ أَنْتَ سَمِيعُ
أَنْتَ عَمَّا هُوَ آتٍ غَافِلٌ وَكَأَنْ قَدْ فَاجَأَ الْخَطْبُ الْقَطِيعُ
نَحْنُ فَرْعٌ لِأَصُولٍ ذَهَبَتْ كَمْ تُرَى مِنْ بَعْدِهَا تَبْقَى الْفُرُوعُ
وَزُرُوعٌ لِلنَّايَا ، حُصِدَتْ يَدَيْنَا قَبْلَنَا مَتَا زُرُوعُ
بَادِرِ الْخَوْفِ ، وَقَدِّمْ صَالِحًا مَا لِمَنْ مَاتَ إِلَى الدُّنْيَا رُجُوعُ
نَحْنُ سَفَرٌ سَارِمًا سَلَفٌ وَعَلَى آثَارِهِمْ يَمَضِي الْجَمِيعُ
وَالِى الْمُرُودِ مِيعَادُهُمْ يَلْتَقِي فِيهِ بَطْلَى وَصَرِيعُ
أُمَّتِ الدُّنْيَا رَقُوبٌ^(١) ، يَسْتَوِي عِنْدَهَا فِي الْفَقْدِ كَهْلٌ وَرَضِيعُ
مَارَاتِنَا ثَاكِلًا مِنْ قَبَاهَا مَا لَهَا فِي إِثْرِ مَفْقُودٍ دُمُوعُ
كَأَنَّا مِنْهَا ، وَمَتَا كُلُّهَا فَهِيَ لَا تَنْشِبُ أَوْ نَحْنُ صَرِيعُ
بِاسْتِ الْأُمِّ رَمَتْ أَوْلَادَهَا بَرَزَايَاهَا ، أَلَا بِشَسِ الْعَصِيعُ
مَا هُنَا مِنْهُمْ فَوْقَهَا تَوَمُّهُمْ فَهَمُّ فِيهَا إِلَى الْحَشِيرِ هُجُوعُ
أَبْدًا تَجْفُو عَلَيْنَا ، وَلَنَا نَحْوَهَا الدَّهْرُ حَنِينٌ وَزُوعُ
هِيَ لَيْلَى ، وَالْوَرَى أَجْمَعُهُمْ قَيْسُهَا ، كُلُّ بِهَا صَبٌّ وَلُوعُ
جَدٌّ يَا مَطْلُوبٌ ، مِنْ جَدِّ نَجَا إِنَّ ذَا الطَّلَابِ مِدْرَاكُ تَبُوعُ

(١) رَقُوبٌ : لَا يَبْقَى طَائِلُهُ .

ليس يُنجَى الجفَلُ الجَرَّارُ من يده الطولى ، ولا الحصنُ المنيعُ
 يأخذُ السلطانَ ذا الجمعِ ، فلا يدفعُ السلطانُ عنه ، والجموعُ
 ليسَ يرعى حرمةَ الجارِ ، ولا يُقَدِّدُ الشَّاسِعَ فى البُعدِ الشُّسُوعُ^(١)
 ما مع السَّبعينَ تسويفُ ، فلا يخذلُكَ الأملُ الواهى الخلدُوعُ
 قد تَحَمَّلَتْ على ضعفِكَ من ثِقَلِ أوزاركِ مالا تَسْتَطِيعُ
 وتَقَصَّتْ^(٢) عنكَ أيامُ الصَّبا وعلى مفرقِ الشَّيبِ الشَّيْبُ
 ثم أَفْضَتْ مَدَّةَ الشَّيبِ إلى هَرَمٍ يُعَقِّبُهُ الموتُ التَّريعُ
 صَوَّحَ^(٣) المرعى ، فإذا تَرَجَّجَى بعد ما صَوَّحَ مرعَاكَ المَرِيعُ^(٤)
 هل ترى إلَّا هَسْبًا ذاويًا تَجْتَوِيهِ^(٥) العينُ إن ولى الربيعُ

قافية القاف

(٤٩١)

وقال ، وقد تتابعت الزلازل بحمأة^(٦) :

أيها الغافلون عن سَكْرَةِ الموتِ ، وإذ لا يسوعُ فى الخلقِ ريقُ
 كم إلى كم هذا التَّشَاغُلُ والغَفْلَةُ ، حَارَ السَّارَى ، وضلَّ الطَّرِيقُ
 إنَّما هَزَّتِ الزَّلَازِلُ هذى الأَرْضَ ، بالغافلين ، كى يَسْتَمِيقُوا

(١) الشُّسُوعُ : الجِد .

(٢) من القصور والبيد .

(٣) المَرِيعُ : الخصب .

(٤) اجزاه : كرهه .

(٥) تَجْتَوِيهِ : تحسبها .

(٦) كان ابتداء هذه الزلازل ، كما فى الروضتين (١ : ١٠٥) فى شهر رجب سنة إحدى . تحسبن ونحسبها ، وهك

يا نحو من عشرة آلاف سنة .

قافية الكاف

(٤٩٢)

وقال :

سلوتُ عن صَبَوَاتٍ كُنْتُ ذَا شَغَفٍ بها ، ومِلْتُ إلى الإِخْبَاتِ^(١) والنُّسُكِ
لكنْ لِقَلْبِي مِنْ تَذْكَارِهَا قَلَقٌ وزَوْءٌ ، كاخْتِبَاطِ الطَّيْرِ فِي الشَّرَكِ
هَذِي عَقَابِيلُ^(٢) دَاوٍ ، كَأَنْ يَمِطُّنِي ولمْ أَزَلْ مُشْعِيًا مِنْهُ عَلَى الْهُلُكِ
حَتَّى إِذَا الشَّيْبُ رَدَّانِي تَصَرَّمَ ذَا لَكَ الدَّاءُ عَنْ شَائِبِ الْفَوْدَيْنِ مُحْتَمَكِ^(٣)

قافية اللام

(٤٩٣)

وقال :

أَرَى الْمَوْتَ يَسْتَقْرِئُ النَّفُوسَ ، وَلَا أَرَى سِوَى مَانِعٍ مَا فِي يَدَيْهِ بِخَيْلِ
فِيَا عَجَبًا لِلْبَاحِلِينَ ، وَإِنَّمَا قَلِيلُهُمْ لِلْإِرْثِ بَعْدَ قَلِيلِ

(١) الإِخْبَات : الخُضُوعُ قَدَّ وَالْخُشُوعُ . (٢) الْعَقَابِيل : بَقَايَا الْعَذَابِ .

(٣) حَكَتَ السِّنُّ وَحَكَتِ الْأُمُورُ : عَادَ مَجْرِبًا فَاحْتَكَّ ، وَرَجَلَ عَنْتَكَ وَحَكَتْكَ .

(٤) يَسْتَقْرِئُ : يَخْجِعُ .

قافية الميم

(٤٩٤)

وقال :

إذا ما عرّا مالا أطيّق دقّاعه وأرْمَضَنِي^(١) الفكرُ المسهد^(٢) والهَمُّ
دعوتُ الذي ناداه موسى لدفع ما يحاذِرُ من فرعونَ، فانفَرَقَ اليمُّ^(٣)
وناديتُ من ناداه ذو النونِ وانقأ به في ظلامِ البحرِ، فانكشَفَ الغمُّ^(٤)

(٤٩٥)

وقال من قصيدة تقدمت^(٥) :

فليس بعد الموتِ دارٌ سوى جنةِ عِلدين ، أو لظا تَضُرُّمُ^(٦)
والموعِدُ الحشرُ، ومُجْزَى عن الأ عمالِ ، والغبنُ لمن يَنْدُمُ
ويُصَفُّ المظلومُ من خصمه ويستوى السلطانُ والمُعِدُّ
ويشخصُ الخلقُ إلى حاكمٍ يحكمُ فيهم بالذي يَعْلَمُ
ولليالي واعظٌ صامتٌ يُسمِعنا ، لو أنّنا نفهمُ
والناسُ في الدنيا نيامٌ ، وما أصرعَ ما يستيقظُ النومُ
ويقدمُ الخلقُ على وزرٍ ما تقلّدوا أو أبحرَ ما قدّموا

(١) أرمضه : أوجعه وأمره .

(٢) المسهد : الموضع .

(٣) راجع القرآن الكريم سورة الشعراء، الآية ٦٣ . (٤) راجع القرآن الكريم سورة الأنبياء، الآية ٨٧ و ٨٨ .

(٥) لعل أول القصيدة قوله ، ما أنصفوا في الحب إذ حكموا ... راجع القطعة (٩١) من ٤٤ .

ثم انتقل من الغزل إلى الملاح فقال : وسر إلى بحر تخضم له ... راجع القطعة (٣١٨) من ١٩٣ .

(٦) ضم كفرح . اشتدحه .

(٤٩٦)

وقال في الزلازل المتتابعة بحماسة^(١) :

نَمِنَا عَنِ الْمَوْتِ وَالْمَعَادِ ، فَأَصْبَحْنَا نَظْنُ الْبَقِيْنَ أَهْلَامَا
لِحَرْكَتِنَا هَذِي الزَّلَازِلُ أَنْ تَيَقَّظُوا ، كَمْ يَنَامُ مِنْ نَامَا

(٤٩٧)

وقال .

فَوَيْضَ الْأَمْرِ رَاضِيَا جَفَّ بِالكَائِنِ الْقَلَمُ
لَيْسَ فِي الرِّزْقِ حِيلَةٌ إِنَّمَا الرِّزْقُ بِالْقِسْمِ
دَلَّ رِزْقُ الضَّعِيفِ وَهُوَ كَلِّحٌ عَلَى وَضَمٍ
وافتقارُ القويِّ تَرَهَّبُهُ الْأَسَدُ فِي الْأَجَمِ
أَنْ لِلْخَلْقِ خَائِفًا لَا مَرَدُّ لِمَا حَكَمَ

(٤٩٨)

وقال .

أَوْبَقْتُ^(٢) نَفْسَكَ يَا ظَلُو مُمْ بِنَا احْتَقَبْتُ^(٣) مِنَ الْمَظَالِمِ
أُظُنُّ أَنْ الْمَالَ لَا يَفْنَى ، وَأَنَّ الْمَلَكَ دَائِمٌ
هِيَاةً ، أَنْتَ وَمَا جَمَعْتَ كَلَّا كَمَا أَحْلَامُ نَانِمٌ

(١) احبب : اقتصر .

(٢) أوبق : أهلك .

(٣) انظر ما سبق ص ٢٨٧ .

تَفْنِي ، وَيَفْنِي ، وَالَّذِي يَبْقَى الْخَطَايَا وَالْمَاتَمِ
وَعَدًا يُنَاقِشُكَ الْحِسَابَ عَلَى الْحَقِيرِ مِنَ الْجَرَائِمِ
مَلِكٌ تُنَاجِيهِ الْقُلُوبُ بُ مِنْ الذَّنُوبِ بِمَا تُكَاتِمُ
عَدْلُ الْقَضَاءِ ، بِكُلِّ مَا تُخْفِي صُدُورُ الْخَلْقِ عَالَمٌ

(٤٩٩)

وقال :

مَاذَا الْوُقُوفُ عَلَى دَارِ بَنِي سَلَمَ
أَحَالَهَا الدَّهْرُ عَمَّا كُنْتَ تَعَهْدُهُ
حَتَّى لَقَدْ أَظْلَمْتُ مِنْ بَعْدِهِمْ ، وَلَقَدْ
بَلَّوْا كَمَا بَلَيْتَ آثَارُهُمْ ، وَلَكَمْ
أَمَلَى الزَّمَانُ لَهُمْ حِينًا ، وَغَرَّمْ
مَضُوءًا ، وَمَا اسْتَصَحَبُوا مَا لَا وَلَا نِعْمًا
لَمْ يَخْصَلُوا حِينَ وَاقَاهُمْ حَامِيهِمْ
وَصَبُوءُ النَّاسِ بِالدُّنْيَا وَسُغْلُهُمْ
عَجَاءٌ ، أَوْ قَدْ عَرَاهَا عَارِضُ الْبَرَكِ
وَعَالٌ مَسْتُوطِنِيهَا غَائِلُ الْأُمَمِ
غَنَوًا^(١) بِهَا ، وَهُمْ الْأَقَارُ فِي الظُّلَمِ
أُنْبَى دِيَارًا وَأَهْلًا سَالِفُ الْقَدَمِ
مَا خُوِّلُوهُ مِنَ الدُّنْيَا ، فَلَمْ يَدْمُ^(٢)
وَنُوقِشُوا عَنْ حِسَابِ الْمَالِ وَالنَّعَمِ
مِنْ كُلِّ مَا حَصَلُوا إِلَّا عَلَى النَّدَمِ
عَمَّا سَبَقَ بِمَا يَفْنَى مِنَ اللَّعَمِ^(٣)

قافية النون

(٥٠٠)

وقال :

لَا تَقْنِطُنْ أَهْلَ بَيْتِ سَرِّمْ زَمْنٌ
يُعِيرُهُمْ كُلُّ دُنْيَاهُمْ ، وَيَنْهَبُ مَا
فَسَوْفَ يَطْرُقُهُمْ بِالْهَمِّ وَالْحَزَنِ
أَعَارَهُمْ بِيَدِ الْآفَاتِ وَالْمَحَنِ

(١) غنى بالمكان كرضى : أقام به .

(٢) أملى له في غيه : أطال وأسهل . وخوِّلوه : أسطروه .

(٣) ألم : الخجون .

حَتَّى يَرْوِحُوا بِأَلْسِنِهِمْ ، كَمَا خَلَقُوا كَأَنَّ مَا خُوِّلَهُ أَمْسٍ لَمْ يَكُنْ
لَا يَصْحَبُ الْمَرْءَ مَا كَانَ يَمْلِكُهُ فِي ظُلُمَةِ اللَّحْدِ إِلَّا نَحْرَةُ الْكَفَنِ
يُسْتَنْزَعُ الْمَالُ مِنْهُ ، ثُمَّ يُسَالُ عَنْ جَمِيعِهِ ، يَالَهَا مِنْ حَسْرَةِ الْغَبَنِ^(١)

قافية الهاء

(٥٠١)

وقال^(٢) :

أَيُّهَا الْمَغْرُورُ ، مَهْلًا بَلَغَ الْعُمُرُ مَدَاهُ
كَمْ عَسَى مِنْ جَاوَزِ السَّعِيدِينَ يَبْقَى ، كَمْ عَسَاهُ
أَنْسَيْتَ اللَّهَ^(٣) ، أَمْ أَمَّنَكَ اللَّهُ لَفَظَاهُ
[تَظَلُّمٌ]^(٤) النَّاسَ لِمَنْ تَرْجُوهُ ، أَوْ تَحْتَشَى سَطَاهُ
أَنْتَ كَالْتَّنُورِ : يَصْلَى النَّارَ فِي نَجْعِ سَوَاهُ

(٥٠٢)

وقال :

أَفِّ لِلدُّنْيَا ، فَمَا أُوبَا^(٥) جَنَاهَا لَيْسَ يَخْلُو مَنْ رَأَاهَا مِنْ أَذَاهَا
خَدَعْتَنَا بِأَبَاطِيلِ الْمُنَى فَارْتَكَبْنَا^(٦) فِي هَوَانَا لِهَوَاهَا
وَاسْتَمَلَّتْنَا بِوَعْدٍ كَاذِبٍ فَتَمَسَّكْنَا بِوَاهٍ مِنْ عُرَاهَا

(٢) رويت هذه التظلمة في نريدة التصريح : ١٠٥ .

(٤) سقط بالأصل والتكلمة من النريدة .

(٦) ارتكس : ارتكس وقع .

(١) شبه فيها ومحرك : خدعه .

(٣) في النريدة « أَنْسَيْتَ الْمَوْتَ » .

(٥) وبقت الأرض : كثرت فيها المرض .

وَعَدْتَنِي بِاللَّهِ^(١) لِأَهْمَةٍ فَاشْتَقْنَا بِتَقَاضِينَا لَهَا
وَهِيَ إِنِّ جَادَ بَتَّرٍ يَوْمُهَا غَدَا مُسْتَرْجِعٌ تَرَرَّ جَدَاها^(٢)
يَلْسَتِ الْأُمُّ رَقُوبٌ^(٣) أَكْثَرَتْ وَلَدَهَا ، ثُمَّ رَمَتْهُمْ بِقِلَافِهَا^(٤)
وَعَدَا تَنْقُلْنَا مِنْهَا إِلَى مُظْلِمِ الْأَرْجَاءِ ضَنْكَ^(٥) مِنْ ثَرَاهَا
وَالَّذِي يَنْبَعُنَا مِنْ حُجَّتِهَا^(٦) تَبَعَاتُ مُوَبَقَاتٍ^(٧) مِنْ شَذَاهَا^(٨)
وَمَحْزُزُ الْمَالِ بِالْإِرِثِ ، وَمَا حَازَتْ الْمِيرَاثَ مِنْ أُمِّ سِوَاهَا
فَإِذَا اللَّهُ رَعَى وَالِدَةً ذَاتَ بَرٍّ وَحَسْبٍ ، لَا رَعَاهَا
أُورِدْتَنَا النَّارَ ، لَا مَأْوَى لَنَا مِنْ لَفَافِهَا ، وَيَجَّ مِنْ يَصْلَى لَفَافِهَا
أَمَرْتَنَا بِالْمَعَاصِي ، فَإِذَا وَفَّقَ اللَّهُ أَمْرًا مِنَّا عَصَاهَا
آهَ مِنْ تَقْرِيطِنَا ، شُغْلًا بَهَا عَنْ فَعَالِ الْخَيْرِ وَالطَّاعَةِ ، آهَا

(١) اللَّهُ : الطَّلَا . (٢) الْجَدَا : الطَّلَا . (٣) الرُّقُوبُ : التي لا يَبِينُ لَهَا وَد .
(٤) الْقِلَافُ : الْبُخْز . (٥) الضَّنْكَ : الضَّيق .
(٦) الْحُجَّةُ : مَا خِيفَ مِنَ الْمَكَايِدِ فَزَمَّ عَنِ الْعَارِ . (٧) مُوَبَقَاتُ : مَهْلِكَاتُ .
(٨) التَّذْيُّ : الْأَذَى . (٩) عَلَى النَّارِ : نَامِي حَرْفًا . وَالْقَلَى : لُحْبُ النَّارِ .

باب المرائي

قافية الباء

(٥٠٣)

قال :

قَدْ كُنْتُ أَسْمَعُ ، لَكِنْ خِلْتُهُ مَثَلًا : أَنْ اللَّيَالِي يَصْدُنُ الصَّقْرَ بِالْخَرْبِ ^(١)
وَأَنْ أَيْدِيهَا شَلَّتْ ، وَلَا انْبَسَطَتْ إِذَا ضَرَبَتْ كَسْرُنَ النَّبْعِ ^(٢) بِالْغَرْبِ ^(٣)
حَتَّى رَأَيْتُ النَّعَامَ الرِّيدَ ^(٤) قَدْ قُتِلَتْ أَسَدَ الْعَرِينِ ، فَيَا لِلنَّاسِ لِلْعَجَبِ
كَأَنَّ سَقَبَ ^(٥) الْمَنَآيَا وَسَطَ جَمْعِهِمْ رَغَا ، فَثَاوُوا جَمِيعًا جِوَرَةَ الصَّقَبِ ^(٦)
لَمْ تُغْنِ نَجْدَتُهُمْ ^(٧) ، إِذْ حَانَ ^(٨) يَوْمُهُمْ عَنْهُمْ ، وَلَمْ تَحْمَهُمْ مِنْ سَطْوَةِ النَّوْبِ

(٥٠٤)

وقال ، وكتب بها من مصر إلى أخيه عزّ الدولة ، وقد ماتت له بنتٌ بشير ، وهو غائب عنها بدمشق ، وأعمامها وأخواها غيبٌ :

وَبِحَجِّ الْغَرِيبَةِ ، وَالذِّيَارِ دِيَارَهَا لَمْ تَرْتَحِلْ عَنْهَا ، وَلَمْ تَتَقَرَّبِ
مَاتَ غَرِيبَةً وَحْدَةً : مِنْ تَرِبِهَا وَشَقِيقِهَا ، وَمِنْ الْعُمُومَةِ ، وَالْأَبِ
فَهِيَ الْوَحِيدَةُ ، وَالْأَقْرَبُ حَوْلَهَا وَهِيَ الْبَعِيدَةُ فِي الْحِلِّ الْأَقْرَبِ
فَإِذَا تَضَرَّعَ ^(٩) فِي الْخَوَانِجِ ذَكَرُهَا قَالَ الْأُمَي : بِاللَّهِ يَا عَيْنُ اسْكُنِي

(١) الخرب حركة : ذكر الحباري . والشطرنج من الخبي .

(٢) النبع : شجر قنص ولها مبيت في قلة الجبل .

(٣) الغرب بالبحر : شجر . وهو قنص من الخبي أيضا .

(٤) الريدة بالنعيم : لون إلى البهرة . (٥) السقب : ولد الناقة .

(٦) الصقب : القرب . (٧) النجدة : النجاة .

(٨) حان : جاء وقتهم . (٩) تضرعت النار : اشتعلت .

(٥٠٥)

وقال في ولده أبي بكر ، وقد توفي صغيرا :

لَهْفَ نَفْسِي لِجَلَالِ طَالِحٍ ما اسْتَوَى فِي أَفْهٍ حَتَّى غَرَبَ
لَوْ رَأَى مَا حَلَّ بِي مِنْ بَعْدِهِ مِنْ هُمُومٍ غَشِيَتْني وَكُرْبِ
لَبَكَّى لِي تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى وبَكَاءِ الْمَيِّتِ لِلْحَيِّ عَجَبِ
أَنَا مَيِّتٌ مِثْلُهُ ، لَكِنَّهُ مُسْتَرْجِعٌ ، وَمَعَانِي فِي تَعَبِ

(٥٠٦)

وقال :

يَا نَفْسُ ، أَيْنَ جَمِيلُ صَبٍ بِرِّكَ حِينَ تَطْرُقُ الْخُطُوبُ
أَبْنِ احْتِمَالِكَ مَا تَكَ دُ الرَّاسِيَاتُ لَهُ تَلُوبُ
وَبَاتُ جَاشِكِ حِينَ تَضْطَرُّ الجَوَانِحُ وَالْقُلُوبُ
مَاذَا دَعَاكَ ، إِلَى مَتَى هَذَا التَّأْسُفُ وَالنَّحِيبُ
كَيْفَ اسْتَرْكَ^(١) بَعْدَ صَدِّ قِ يَقِينِكَ الْأَمَلُ الْكَذُوبُ
أَرْجَوْتُ أَنْ سَيَّرُدُّ مَنْ غَالِ الرَّدَى دَمْعُ سَكُوبُ
أَمْ خَلَّتْ أَنْ نَوَائِبَ اللَّهِ نِيَا لِفَيْرِكَ لَا تَتُوبُ
هِيَاتَ ، كُلِّ الْخَلْقِ مِنْ نِكَائِهَا لَهُمْ نَصِيبُ
وَبِكَلِّ قَلْبٍ مِنْ حَوَا دِيهَا ، وَأَسْمِهَا تُلُوبُ^(٢)
مَنْ ذَا الَّذِي يَبْقَى عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ لَهُ حَيْبُ

(١) زلت قدمه : زلقت . واسترله غيره .

(٢) كُوب : جمع كوبة ، وهي أترالجرح الباقي على الجلد .

لكن يُسَلِّى النَّفْسَ أَنْ لَحَاقَنَا بِهِمْ قَرِيبٌ
وإليهم ، من بَعْدِ غَيْبَتِهِمْ ، وإن طالت ، تَتُوبُ

(٥٠٧)

ومن قصيدة الملك الصالح المتقدمة (١) :

هَفَفَ نَفْسِي عَلَى دِيَارٍ مِنَ الشُّكَّانِ أَقْوَتْ (٢) ، فَلَيْسَ فِيهَا عَرِيبٌ (٣)
وَلَكُمْ حَاطَا ، فَأَنْتَسْتَهُ أَوْطَا نَصِيحَاهُ وَالْأَهْلَ يَوْمًا ، غَرِيبُ
فَاحْتَسِبْ مَا أَصَابَ قَوْمَكَ مَجْدَ الدِّينِ ، وَاصْبِرْ ، فَالْحَادِثُ ضُرُوبُ
هَكَذَا الدَّهْرُ : حَكْمُهُ الْجَوْرُ ، وَالْقَصْدُ ، وَفِيهِ الْمَكْرُوهُ ، وَالْمَحْبُوبُ
إِنْ تَخَصَّصَكُمْ نَوَائِبُ مَا زَا لَتْ لَكُمْ دُونَ مَنْ سِوَاكُمْ تَتُوبُ
فَكَذَاكَ الْقَنَاءُ : يُكْسِرُ يَوْمَ الرُّوْعِ مِنْهَا صِدْرُ ، وَيَتَّقَى كَعُوبُ

قافية التاء

(٥٠٨)

وقال :

يَا دَهْرُ ، كَمْ هَذَا التَّغَرُّ قُ ، وَالتَّغَرُّ ، وَالتَّاتُ
أَبْدًا عَلَى سَبِيلِ كَأَنَّ الشَّمْسُ ، لَيْسَ لَهَا ثَبَاتُ
مَتَقَلُّ الْعَزَمَاتِ كَالْمَطْلُوبِ أَفْرَقَهُ (٤) الْيَأْتِ
نَاءٌ عَنِ الْأَهْلِينَ وَالْأَوْطَانِ ، وَالْأَثَرَابِ (٥) مَا تَوَا

(٢) أَقْوَتْ الْهَارُ : خَلَّتْ .

(١) راجع ص ١٥٣ و ١٦٤ .

(٣) مَا فِيهَا غَرِيبٌ : مَا فِيهَا أَحَدٌ . (٤) أَفْرَقَهُ : أَفْرَقَهُ . (٥) الْأَثَرَابُ : جَمْعُ تَرَبٍّ ، وَهُوَ مِنْ وَلَدِ مَكَ .

وَلَيْسَ عَيْشُ الْمَرْءِ قَا رَقَهُ الْأَجْبَةُ وَاللَّدَاتُ
فَالْأَلَامَ أَشَقَى بِالْبَقَا ، وَكَمْ تُعَذِّبُنِي الْحَيَاةُ

قافية الراء

(٥٠٩)

وقال في ولده أبي بكر :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو رَوْعَتِي^(١) وَرِزْقِي وَحُرْقَةَ أَحْشَانِي لَفَقْدِ أَبِي بَكْرٍ
خَلَا تَأْطِرِي مِنْهُ ، وَكَانَ سَوَادَهُ وَلَمْ يَحُلْ مِنْ حَزْنِي وَوَجَدَنِي بِهِ صَدْرِي
خَشِيتُ عَلَيْهِ الْيَتَمَ ، لَكِنَّ تَكَلُّهُ وَلَوْعَتَهُ لَمْ يَحْطَرَا لِي عَلَى فِكْرِي
فِيالَيْتَهُ لَأَقَى الَّذِي كُنْتُ أَحْتَشِي عَلَيْهِ ، وَأَتَى دُونَهُ صَاحِبُ الْقَبْرِ
فَمَا فِي حَيَاتِي بَعْدَهُ لِي رَاحَةٌ فَيَا طَوَّلَ حُزْنِي إِنْ تَطَاوَلَ بِي عُمرِي
وَلَمْ تُسَلِّني الْإِيْمُ عَنْهُ ، وَإِنَّمَا سُلُوِي بِمَا أَرْجُو مِنَ الْأَجْرِ فِي الصَّبْرِ

(٥١٠)

وقال فيه :

أُعَاتِبُ فِيكَ الدَّهْرَ ، لَوْ أَعْتَبَ^(٢) الدَّهْرُ وَأَسْأَلُ عَنْ نَهْجِ السُّلُوِ ، وَقَدْ بَدَأَ
وَأَسْتَنْجِدُ الصَّبْرَ الْجَمِيلَ ، وَلَا صَبْرٌ لَعَنِي ، إِلَّا أَنْتَ مَسْلُكُهُ وَعُرُ
وَكَيفَ التَّمَلُّي ، وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ إِذَا مَا انْقَضَى أَمْرٌ بِسُوءِ أَتَى أَمْرٌ
رَمَتْني فِي عَشْرِ الثَّمَانِينَ نَكْبَةً مِنْ التَّكْلِ يُوهِي حَمْلَهَا مَنْ لَهُ عَشْرُ
عَلَى حِينَ أَقْبَى الدَّهْرُ قَوْمِي ، وَاتَّرَلْ لَمْ ذِرْوَةُ الْعِلْيَاءِ وَالْعَدَدُ الدُّهُ^(٣)

(١) الروعة : الفزعة .

(٢) أعاب : أعلل النبي ، وهي الزمنا

(٣) الدهر : الكثير من كل شيء .

إذا حلُّبُوا فالأسدُ يحى عرينها
تُبيحُ وتحمي مند كانت سيوفهم :
مَضَوْا ، وانطَوَّتْ دُنْيَاهُمْ ، وَتَصَرَّمَتْ
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا ذِكْرُهُمْ ، وَتَأَسَّنِي
وَأَصْبَحْتُ لَا آلَ يُلْبُونَ دَعْوِي
كَأَنِّي مِنْ غَيْرِ التُّرَابِ ، فَلَيْسَ لِي
رُزْتُ أَبَا بَكْرٍ ، عَلَى شَغْفِي بِهِ
لِسِجٍ مَضَتْ مِنْ عُمْرِهِ ، غَالَهُ الرَّدَى
وَقُلْتُ : عَتِيقٌ مِنْ خُطُوبِ زَمَانِهِ
فَعَاجَلَهُ قَبْلَ الثَّمَامِ حَمَامُهُ
وَيَأْمُرُنِي فِيهِ الْإِخْلَاءُ بِالْأَمْسَى^(١)
يَقُولُونَ : كَمْ هَذَا الْبُكَاءُ ، وَلَوْ بَدَأَ
وَكُنْتُ أَطْلَبُ الدَّمْعَ يُرْدُ غُلَّتِي
أَبَا بَكْرٍ ، مَا وَجَدْتِي عَلَيْكَ بِمَقْضٍ
أَطْلَتَ عَلَى اللَّيْلِ ، حَتَّى كَأَنَّمَا
وَأَتَى لِأَسْتَدْعِيَ الْكَرَى ، وَهُوَ نَافِرٌ
لَعَلَّ خِيَالاً مِنْكَ يَطْرُقُ مَضْجِي
تُمْنَلُكَ الْأَفْكَارُ لِي كُلَّ لَيْلَةٍ

وإن سألوا كان التَّبَثُّلُ وَالذِّكْرُ
يُبَاحُ بِهَا تَفَرُّ ، وَيُحَى بِهَا تَفَرُّ
كَأَنَّهُمْ مَا عُمِّرُوا ، وَلَمَّا نَشَرُ
عَلَيْهِمْ ، وَلَنْ يَبْقَى التَّأَسُّفُ ، وَالذِّكْرُ
وَلَا وَطَنُ آوَى إِلَيْهِ ، وَلَا وَفَرُ
مِنَ الْأَرْضِ ذَاتِ الْعَرِضِ دُونَ الْوَرَى شَبْرُ
فَيَا لَهْفَتَا ، مَاذَا جَنَى الْحَادِثُ الْبِكْرُ
وَكُنْتُ أُرْجَى أَنْ يَطُولَ بِهِ الْعُمُرُ
عَتِيقٌ بِهَذَا يَخْبِرُ النَّصَالُ وَالزَّجْرُ
وَلَا عَجَبٌ ، قَدْ يُخَضِّدُ^(٢) الْعُصْنُ النَّصْرُ
وَهَبَاتٌ ، مَالِي بِالْأَمْسَى بَعْدَهُ خَبْرُ
صَمِيرُ الَّذِي بِي ، رَقَى لِي ، وَبَكَى الصَّخْرُ
إِلَى أَنْ بَدَأَ لِي أَنْ دَمَعَ الْأَمْسَى بَحْرُ
طَوَالَ اللَّيَالِي ، مَا انْقَضَى الْيَوْمُ وَالشَّهْرُ
زَمَانِي لَيْلٌ كُلُّهُ ، مَالَهُ بِحَرُ
بِهِ مِنْ جُفُونِي أَنْ يُلَمَّ بِهَا دُحْرُ
فَأَشْكُو إِلَيْهِ مَا رَمَانِي بِهِ الدَّحْرُ
وَتَوَسَّنِي أَشْبَاهُكَ الْأَعْجَمُ الزَّهْرُ

(١) خضد العود : كسره .

(٢) جمع أسوة : وهي القلوة .

إذا لَجَّ بِي شَوْقٌ أَتَيْتُكَ زَائِرًا
وما القُربُ من قَبْرِ أَجَنِّكَ نَافِعِي
أَقُولُ لِنَفْسِي ، حِينَ جَدَّ زِعَايُهَا :
أَلَسْنَا بَنَى الْمَوْتَى ، إِلَيْهِمْ مَأَلْنَا
فَنَحْنُ كَسَفَرٍ عَرَّسُوا ، وَوَرَاءَهُمْ
مِنَ الْأَرْضِ أَتَشْنَنَّا ، وَفِيهَا مَعَادُنَا
هِيَ الْأُمُّ ، لَا بَرٌّ لِنِهَا ، وَرُدُنَا
نُكُولُ ، وَلَا دَمْعٌ لَهَا إِثْرَ هَالِكِ
أَضَلُّ الْوَرَى حُبُّ الْحَيَاةِ ، فَخَازِمُ
فَلَا يَأْمَنَنَّ غَدَرَ اللَّيَالِي آمِنُ
تُعِيرُ ، وَبِالْقَسْرِ الْعَنِيفِ ارْتِجَاعُهَا
وَنَحْنُ عَلَيْهَا عَاكِفُونَ ، وَلَيْسَ فِي
فَا بَأْتَا فِي سَكْرَةٍ مِنْ طَلَابِهَا
مَضَى مَنْ مَضَى ثَمَّنَ حَبَّتَهُ ، فَكَثُرَتْ
وَمَا نَالَ أَيَّامَ الْحَيَاةِ مِنَ الْغَنَى
يُحَاسِبُ عَنْ قِطْمِيرِهِ^(٦) وَنَقِيرِهِ^(٧)

فَارْجِعْ كَالْمُخْبُولِ دَلَّهَ السَّحَرُ
إِذَا كَانَتْ فِيمَا بَيْنَنَا لِلثَّرَى سَتْرُ
عَلَيْكَ بِحُسْنِ الصَّبْرِ ، إِنْ أَمَكُنَ الصَّبْرُ
بِلَا مَرِيَّةٍ ، وَالْفَرْعُ يَجْذِبُهُ النَّجْرُ^(١)
رِفَاقُ ، إِذَا وَأَقْوَمُ رَحَلَ السَّفَرِ
وَمِنْهَا يَكُونُ النَّشْرُ ، وَالْبَعْثُ وَالْحَشْرُ
إِلَى بَطْنِهَا بَعْدَ الْوِلَادِ هُوَ الْبَرُّ
وَكُلُّ رَقُوبٍ^(٢) تَاكُلِي دَمْعَهَا هَمْرُ^(٣)
خَيْرٌ سَوَاءٌ فِي الضَّلَالَةِ وَالْغَرِّ
وَلِنْ أَمَلْتَهُ ، إِنْ إِمَهَالَهَا خَتَرُ^(٤)
وَلَا خَيْرَ فِي عَارِيَةٍ رَدَّهَا الْقَسْرُ
مَوَاهِبَا عُقْبَى نَسْرُ ، وَلَا يُسْرُ
وَمَنْ نَأَلَهَا مَنَّا يَزِيدُ بِهِ الشُّكْرُ
وَرَاحَتُهُ مِنْ كُلِّ مَا جَمَعَتْ صِفْرُ
عَنْ^(٥) الْفَقْرِ ، فِي يَوْمِ الْمَعَادِ هُوَ الْفَقِيرُ
وَلَمْ يَنْجِعْهُ مِنْهُ كُثْرُ وَلَا تَرْدُ

(١) النجر : الأصل كالنجار يكثر النون وضحا .

(٢) الرقوب كسجد : المرأة التي لا يبقى لها ولد أو مات ولدها .

(٣) همر : متهم .

(٤) الختر : الخديعة .

(٥) في الأصل (هو) ولعل ما اختزنه أول .

(٦) القطمير : القشرة الرقيقة التي على التواة بين التواة .

(٧) النقير : النكتة في ظهر التواة والهمز .

وهذا هو أنحصر المئين ، قال لنا
وقد كانت في آباءنا زاجر لنا
تفانوا ، فبطن الارض من بعد وحشة
وقد درست آثارهم وقبورهم
فهل لي في هذي المواعظ واعظ
يحث على الصبر الجميل ، فإنه
ومن نرعت أبدى المنية من يدى
حراص على أمر عواقبه خسر
يُبصرنا ، لو كانت يردعنا الزجر
بهم أهل مستأس ، وخلا الظاهر
كما درسوا فيها ، فليس لها أثر
يُرد ما يخفى من الكدر الصلر
يُنال به حسن المؤضة والاجر
هو الذخر لى ، في يوم ينفعني الذخر

(٥١١)

وقال فيه :

أزور قبرك مشتاقاً ، فيحببني
فأنتي ، ودومعي من جوى كبلى
ماهبل فوقك من ترپ وأجآر
تفيض ، فأعجب لما فاض من نار

قافية الزاى

(٥١٢)

وقال :

تخرمت^(١) الأيام أهل مودتي
وأفردت منهم ، فارتاعى لفقديهم
ففسى عن أنس المسرات ناشر
كروعة تكلى أوجعتها الجناز
عليها ، إلى أن نالها وهى بارز
إذا مارمتني حاجز أو محاجر
فقد أبرزتني للعوادث ، ليس لي

(١) الأربض الممزة : ماء الوجه ودوقه .

(٢) تخرمت الأيام : أخذتهم واستأصلتهم .

قافية العين

(٥١٣)

وقال ^(١) ووصله كتاب بموت صديق :

صَبْرِي عَلَى فَقْدِ إِخْوَانِي وَفُرْقِهِمْ غَدْرٌ وَأَجْمَلُ بِي مِنْ صَبْرِي الْبُزْعُ
تَقَاتَمَتْهُمْ نَوَى شَطَّتْ بِهِمْ، وَرَدَى فَالْحَى كَالَيْتِ، مَا فِي قُرْبِهِ طَمَعُ
وَأَصْبَحَتْ وَحْشَةُ الْغِبَاءِ ^(٢) دُونَهُمْ مِنْ بَعْدِ أُنْسِي بِهِمْ، وَالشَّمْلُ مَجْتَمِعُ
وَعِشْتُ مُنْفَرِدًا مِنْهُمْ، وَأَقْسَمَ مَا يَكَادُ مُنْفَرِدٌ بِالْعَيْشِ يَنْتَضِعُ

(٥١٤)

وقال :

وَقَفْتُ عَلَى رَمِيمٍ بَيْدَاءَ بَلْقَعٍ ^(٣) خَلِيٍّ مِنَ النَّادَى صَمُوتٌ إِذَا دُعِيَ
نَبَتْ عَنْهُ عَيْنِي، ثُمَّ قَالَ لَهَا الْهَوَى : هِيَ الدَّارُ، فَاسْتَمَرَى شُتُوكَ، وَادْمَعِيَ
وَلَا تُنْكِرِي لِلدَّهْرِ إِخْلَاقَ ^(٤) جِدَّةٍ وَتَسْتَبِيتِ الْأَلْفَ، وَإِخْبَاشَ جَمْعِ
فَلِلْمَوْتِ سُكَّانُ الدِّيَارِ، وَلِلْيَلَى مَنَازِلُهُمْ، وَشَمْلُهُمْ لِلتَّصَدُّعِ
فَصَبْرًا فَإِنْ عَزَّتْ ^(٥) نَوَائِبُ دَهْرِنَا وَأَحْدَاثُهُ حُسْنَ التَّصَبُّرِ فَاجْزَعِ

قافية الفاء

(٥١٥)

وقال في ولده أبي بكر ^(٦) :

أَزُورُ قَبْرَكَ ، وَالْأَشْجَانُ تَمْنَعُنِي أَنْ أَهْتَدِيَ لَطَرِيقِي حِينَ أَنْصَرِفُ
فَمَا أَرَى غَيْرَ أَجَارٍ مُنْضَدَّةٍ قَدْ احْتَوَتْكَ، وَمَاوَى الدَّرَّةِ الصَّدْفُ

(١) هذه القصيدة مما روى لأسامة في الخريدة ١ : ١٠٤ .

(٢) البقع : الأرض القفر .

(٣) الغبراء : الأرض .

(٤) أخلق الجديد : أبله .

(٥) حمرى اللشى : استخرجه - والشون : المجموع .

(٦) هذه القصيدة مما روى لأسامة في خريدة القصص ١ : ١٠٥ .

(٧) عزه : غلبه .

فأنثى ، لست أدري أين منقلبى كأننى حائر^(١) فى الليل مُعَسِفُ^(٢)
 إن قصر العمر بى عن أن أرى خلفاً له ، فى الأجر عند الله لى خلف
 أقول للتَّمسِ إذ جد الزَّراعُ بها : يا نفسُ ويحك ، أين الأهلُ والسلفُ
 أليسَ هذا سبيلَ الخلقِ أجمعهم وكلهم بورودِ الموتِ مُعترفُ
 كم ذا التَّأسُّفُ ، أم كم ذا الحنينُ ، وهل ردُّ مَنْ قد حواه قبره الأسفُ

قافية الكاف

(٥١٦)

وقال^(٣) :

أصبحتُ لا أشكو الخطوبَ ، وإنما أشكو زماناً لم يدع لى مُشكى
 أفنى أخلاقى وأمل مودتى وأباد إخوان الصفاء وأهلكا
 عاشوا براحتهم ، ومث لقدم فعلى يبكى ، لا عليهم ، من بكى
 وبقيت بعدهم كأنى حائرُ بمفازة ، لم يلق فيها مسلَكَ

(٥١٨)

وقال فى ولده أبى بكر :

وسَّع صبرى عن عتيقِ الإمى^(٤) من بعد ما ضاق بى المسلكُ
 أسلمته ، إذ لم أجِد لى يداً بدفع من يطلب ما يملكُ

(١) فى الخريدة (خائف) . (٢) المصنف : الخطاط على غير هذا .

(٣) هذا الشعر دوى لأسامة فى خريدة القصص ١ : ١٠٤ . (٤) الإمى : جمع إمسة وهى القنوة .

عاريةً كانت ، وما كلُّ ما يُعار ، يُستقَى^(١) ، ويُستملك
أُلوهُ مُشْرِطاً ردهَ والشرط ما بين الورى أملك

قافية اللام

(٥١٨)

وقال فيه :

كيف أنساكَ يا أبا بكرٍ ، أم كيف اصطبَّارٍ ؟ ما عنكَ صبري جميل
أنت ، حيث اتجهتُ ، في أسودنى عيني وقلبي ، مثلُ ، لا تزل
وعلام الأمتى ؟ ونحن كسفرٍ بعضنا سائرٌ ، وبعضُ زول
عرس الأوثون ، والآخراثة لي إليهم عما قليل يثول
وإلى حيث عرس السلف الأوَّ لُ ميعادنا ، ومنه القفول

(٥١٩)

وقال أيضا فيه :

أحدثُ عنكَ بالسُّلوانِ نفسي وهل تسلمو مؤنةً تَكولُ
إذا ناجيتها بالصبرِ حنت كما حنت إلى بوَّ عجول^(٢)
إذا نظرتُ إليه أنكرته وتعطفها الصباة والغليلُ
ولى في الموتِ يأسٌ مُستينٌ ولكن حالٌ وجدى لا تحولُ
أحنُّ إلى أبي بكرٍ ، وما لي إلى رؤياه في الدنيا سبيلُ

(١) القنية بالغنم والكسر : ما اكتسب ، اجمع قى . وقى المال : اكتسبه .

(٢) البوَّ : جده الحواري يحيى بن زبدي . وقى : القليل . صفت عليه فخره . والبعول : الزواله من الإبل .

فياقَه من يأسٍ مُبينٍ يخالفُ حالَه الصبرُ الجليلُ
 يغالبني على عَقلي حينُ إليه ، لا تُغالبُه العقولُ
 فيُنسيني يقينَ اليأسِ منه كما تُنسى مُعاقَرها الشمولُ^(١)
 ويلحاني العَدولُ، وليس يدرى بما أخفي من الكَمَدِ العَدولُ
 إذا تَأَمَّ الخَلْقُ أراحَ^(٢) همي وأسهرَ ليليَ الحزنُ الدخيلُ
 كأنَّ نجومَ ليليَ موثقاتُ فليست من أماكنها تزولُ
 وما في العُصجِ لى رُوحٌ^(٣)، ولكن به يتعلَّلُ الدنفُ^(٤) العليلُ
 نهارى لا يلائمي سُلُو ويلي لا يفارقي العويلُ

(٥٢٠)

وقال فيه :

لعمرك ما يُسِنِي الدهرُ رُوعِي^(٥) ففقدَ أبى بكرٍ حَيَاتِي، ولا يُسِلِ
 خَشِيتُ عليه اليُثمَ بعدى، فليَبِي رُميتُ بما أخشيتُ، ولم أرمَ بالثُلِ
 فكلُّ بعيدٍ يُرتجى جَمْعُ شملِهِ وبعدُ المتأيا غيرُ مُجتمِعِ الشملِ

(٥٢١)

وقال ، يندب وطنه وأهله المالكين في الزلازل بمحصن شيزد^(٦) :

حيًّا رُبوعَكَ ، من رُبِّي ومنازلِ سَارَى الغَيَامِ بكلِّ هَامٍ هَامِلِ
 وسَقَتِكَ يادَارَ الهَوَى بعدَ التَوَى وطفاءُ^(٨) تَسْفَحُ بالهَوْنِ الماطِلِ

(١) الشمول : الخمر - وساقرها : المدين على شربها .

(٢) أراح الحزن همي : أى أباد الحزن همي على عشية ، من أراح الراعى الإبل على أهلها .

(٣) الروح - الراحة . (٤) تطل بالأمر : تشاغل به . والدنف : المريض .

(٥) الروعة : الفزعة . (٦) انظر ما سبق ص ٢٨٧ . (٧) هلت عنه : فاضت .

(٨) حفاة وطفاء : سترعية لكثرة ما تها ، أو هي الدافعة السح .

حَتَّى تُرَوْضَ^(١) كُلَّ مَا حِ مَاحِلِ
أَبْكِيكَ ، أَمْ أَبْكِي زَمَانِي فِيكَ ، أَمْ
مَا قَدَّرْتُ دَعَمِي أَنْ يَقْسِمَهُ الْأَمْنَى
أَنْفَقْتُهُ سَرَقًا ، وَهَا أَنَا مَائِلٌ
وَإِذَا فَرَعْتُ إِلَى الْعَزَاءِ دَعَوْتُ مَنْ
أَيْنَ الْقَلْبَاءِ عَهْدَتَهُنَّ كَوَأَسَاءُ
النَّافِرَاتِ مِنَ الْأَيْتِسِ تَكْرُمًا
مَنْ كُلِّ مَكْرُوهِ اللَّقَاءِ مُنَازِلِ
مَتَمَنِّجٍ صَعِبٍ عَلَى أَعْدَائِهِ
عَزُّوا عَلَى الدُّنْيَا ، وَخَالَفَ فِعْلُهُمْ
حَتَّى إِذَا اغْتَالَتْهُمْ بِخَطْوِهَا
دَرَسَتْ مُنَازِلَهُمْ ، وَأَوْحَشَ مِنْهُمْ
وَاهَا لَهُمْ مِنْ عَالِمٍ وَمَعَالِمِ
كَانُوا شَيْئًا فِي صَدْرِ كُلِّ مُعَانِدِ
غَوْنًا لِلْمُهْوِفِ ، وَمَلْبَأً لِأَجْيَاءِ
ذَهَبُوا ذَهَابَ الْأَمْسِ مَا مِنْ مُجْبِرِ
وَبَقِيَتْ بَعْدَهُمْ حَلِيفَ كَاثِبَةٍ
سَعَلُوا بِرَاحَتِهِمْ ، وَهَا أَنَا بَعْدَهُمْ
فَاجِبٌ لَشَقْوَةٍ مُتَعَبٍ بِمُقَامِهِ

عَافٍ ، وَتُرْوَى كُلُّ ذَاوِ ذَائِلِ
أَهْلِيكَ ، أَمْ شَرَحَ الشَّبَابُ الرَّاحِلِ
وَالْوَجْدُ بَيْنَ أَحِبَّةٍ وَمُنَازِلِ
فِي مَاحِلِ ، أَبْكِي بِجَفْنِ مَاحِلِ^(٢)
لَا يَسْتَجِيبُ ، وَرُمْتُ نَصْرَةَ خَاذِلِ
بِكَ فِي ظِلَالِ السَّمْهَرِيِّ الذَّائِلِ^(٣)
وَالْأَنَسَاتُ بِكَلِّ لَيْثٍ بِأَسَلِ
رَحِبِ الْفَنَاءِ لَطَارِقِ أَوْ نَازِلِ
سَهْلِ الْمَقَادَةِ لِلظِّلِيلِ الْوَاصِلِ
أَفْعَالَهَا ، فَبَقَعْتَهُمْ بِغَوَائِلِ^(٤)
وَرَمْتَهُمْ بِمُجَادِثِ وَزَلَزِلِ
مَانُوسٍ أُنْدِيَةٍ وَعِزُّ مَحَافِلِ
وَمُنْمَعَاتِ عَقَائِلِ وَمَعَاقِلِ
وَقَدَّى يَجُولُ بَعِينَ كُلِّ مُحَاوِلِ
وَجَوَارَ رَبِّ جَرَانِهِ وَطَوَائِلِ^(٥)
عَنْهُمْ ، وَزَالُوا كَالظَّلَالِ الزَّائِلِ
مُسْتَوْرَةٍ بِجُحْمِلِ^(٦) وَتَحَامِلِ
فِي شَقْوَةٍ تُضْنِي ، وَهُمْ دَاخِلِ
مَنْ بَعْدَ أَمْرِهِ ، وَرَاحَةِ رَاحِلِ

(١) وَرَضَ الْمَكَانَ : جِهَ رَوْضَةً . (٢) يَرِيدُ بِمَاحِلِ الْأَوَّلِ : الْمَنْزِلَ الْبَلَدَ . وَبِمَاحِلِ الثَّانِيَةِ الْجَمَاعَةَ الْأَقْوَى لِأَيْدِيهِمْ .

(٣) كَسَمَ الْفَتَى : دَخَلَ فِي كِتَابِهِ وَهُوَ مُسْتَوْرٍ فِي الشَّجَرِ . وَالسَّمْهَرِيُّ : الرِّيحُ الصَّالِبُ . وَرَاقِدًا : الرِّيقُ .

(٤) الْغَوَائِلُ : الْغَوَامِي . (٥) الْجَرِيَّةُ : الْجَنَائِدَةُ . وَالطَّالِقَةُ : الثَّرَّةُ . (٦) التَّجْمِيلُ : التَّصْبِيرُ .

دَعَا ، فَأَنْتَ عَلَى الْحَوَادِثِ مَرَوَّةٌ^(١) تَلْقَى الرِّزَايَا عَلَيَّ كَالْجَاهِلِ
وَاصْبِرْ ، فَا فِيمَا أَصَابَكَ وَصِمَةٌ كُلُّ الْوَرَى غَرَضٌ لِسَهْمِ النَّبَالِ^(٢)

قافية النون

(٥٢٢)

وقال في المعنى أيضا :

حَمَانِمُ الْأَيْكِ^(٣) هَبَّجَتْنِ أَشْجَانَا
كَمْ ذَا الْحَيْنُ عَلَى مَرِّ السِّنِّينِ^(٤) أَمَا
هَلْ ذَا الْعَوِيلُ عَلَى غَيْرِ الْمَهْدِيلِ^(٥) ، وَهَلْ
مَا وَجَدُ صَادِحَةً فِي كُلِّ شَارِقَةٍ
كَمَا وَجَدْتُ عَلَى قَوْمِي تَحَوَّنَهُمْ
إِذَا نَهَى الصَّبْرُ دَمْعِي عِنْدَ ذِكْرِهِمْ
قَالُوا : تَأَسَّ ، وَمَا قَالُوا يَمَنَّ ، وَإِذَا
مَا حَدَّثْتَنِي بِالسُّلُوبِ^(٦) بَعْدَهُمْ
مَا اسْتَدْرَجَ الْمَوْتُ قَوْمِي فِي هَلَاكِهِمْ
فَكُنْتُ أَصْبِرُ عَنْهُمْ صَبْرَ مُحْتَسِبٍ
وَأَقْتَدِي بِالْوَرَى قَبْلِي ، فَكَمْ فَقَدُوا
فَلَيْكَ أَصْدُقْنَا بَنًا وَأَشْجَانَا
أَفَادَكُنْ قَدِيمُ الْعَهْدِ نِسْيَانَا
فَقِيدَكُنْ أَعَزُّ الْخَلْقِ فَقْدَانَا
تُرْجِعُ النَّوَجَ فِي الْأَفْتَانِ الْخَانَا
رَيْبُ الْمَنُونِ وَدَهْرُ طَالِ مَآخَانَا
قَالَ الْأَمَى : فَضْ ، وَجُدْ سَحًّا وَتَهَنَانَا
أُفْرِدْتُ بِالرُّزَى مَا أَفْضَكَ أَسْوَانَا^(٧)
نَفْسِي ، وَلَا حَانَ سُلُوبَانِي وَلَا آثَا
وَلَا تَحَرَّمَهُمْ^(٨) مَتْنِي وَوَحْدَانَا
وَأَحْمِلُ الْخَطْبَ فِيهِمْ عَزَّ أَوْ هَانَا
أَخَا ، وَكَمْ فَارَقُوا أَهْلًا وَجِيرَانَا

(٢) النَّبَالُ : سَاحِبُ النَّبَالِ . وَالْوَصِمَةُ : الدَّارُ .

(١) الْمَرَوَّةُ : حِمَاةٌ يَضُرُّ بِرَاقَةٍ .

(٣) الْأَيْكُ : الشَّجَرُ الْمَلْفُ الْكَبِيرُ .

(٤) الْمَهْدِيلُ : فَرْخٌ حَامٍ زَعَمُوا أَنَّ جَارِحًا مِنَ الطَّيْرِ صَادَهُ فَا مِنْ حِمَاةٍ إِلَّا وَهَى بَيْنَ يَدَيْهِ .

(٥) الْأَسْوَانُ : الْخَزِينُ .

(٦) تَحَرَّمَهُمْ : اسْتَأْصَلَهُمْ .

لَكِنَّ سَقَبَ^(١) المَنَايا وَسَطَ جَمْعِهِمْ رَغَا ، نَفَرُوا عَلَى الْأَذْقَانِ إِذْطَاعَا
وَفَاجَأَتْهُمْ مِنْ الْأَيَّامِ قَارِعَةٌ سَقَتْهُمْ بِكَثُورِ الْمَوْتِ ذَيْقَانًا^(٢)
مَاتُوا جَمِيعًا كَرَجَجِ الطَّرْفِ ، وَانْقَرَضُوا هَلْ مَا تَرَى تَارِكَ لِلْعَيْنِ إِنْسَانًا
أَعَزَّ عَلَى بَعْضِهِمْ مِنْ مَعْشَرِ صَبْرٍ عِنْدَ الْحَفِظَةِ إِنَّ ذُو لُؤْمَةٍ^(٣) لَا تَأْ
لَمْ يَتْرِكِ الدَّهْرُ لِي مِنْ بَعْدِ فَقْدِهِمْ قَلْبًا أَجْشَمُهُ صَبْرًا وَسُلْوَانًا
فَلَوْ رَأَوْنِي لَقَالُوا : مَاتَ أَسْعَدُنَا وَعَاشَ لِلْهَمِّ وَالْأَحْزَانِ أَشْقَانَا
لَمْ يَتْرِكِ الْمَوْتُ مِنْهُمْ مَنْ يُخَبِّرُنِي عَنْهُمْ ، فَيُوضِّحُ مَا لَأَقْوَهُ تَيْبَانًا
بَادُوا جَمِيعًا ، وَمَا شَادُوا ، فَوَا عَجَبًا لِلخُطْبِ ، أَهْلَكَ عُمَلًّا وَعُمَرَاءَ
هَذِي قَصُورُهُمْ أَمْسَتْ قُبُورُهُمْ كَذَلِكَ كَانُوا بِهَا مِنْ قَبْلِ سَكَّانًا
وَيْحَ الزَّلَازِلِ ، أَفْنَتْ مَعْشَرِي ، فَإِذَا ذَكَرْتُهُمْ ، خِلْتَنِي فِي الْقَوْمِ سَكَرَانًا
يَنِي أُنِي ، إِنْ تَيْلَدُوا ، أَنْ عَدَا زَمَنُ عَلَيْكُمْ دُونَ هَذَا الْخَلْقِ عُدُونَا
فَلَنْ يَبِيدَ جَوِي^(٤) قَلْبِي وَلَا كَمَدِي عَلَيْكُمْ أَوْ يَبِيدَ الدَّهْرُ شَيْلَانًا^(٥)
أَفْسَدْتُمْ عَمْرِي الْبَاقِي عَلَى ، فَمَا أَتَقَكُّ فِيهِ كَثِيبَ الْقَلْبِ وَلَهْفًا
أَفْرَدْتُ مِنْكُمْ ، وَمَا يَصِفُو لِمُفْرِدٍ عَيْشُ ، وَلَوْ نَالَ مِنْ رِضْوَانِ رِضْوَانًا
فَلَيْتَنِي مَعَهُمْ ، أَوَّلَيْتُ أَنَّهُمْ بَقُوا ، وَمَا يَبْنَتَا بَاقٍ كَمَا كَانَا
لَقِيتُ مِنْهُمْ تَبَارِجَ^(٦) الْعُقُوقِ ، كَمَا لَقِيتُ مِنْ بَعْدِهِمْ هَمًّا وَأَحْزَانًا

(١) السَّيْبُ : وَهَذَا النَّاقَةُ .

(٢) الذَّيْقَانُ : بَطْنُ الْقَدَالِ وَبِكْسَرُهُ : السَّمِ الْقَاتِلُ .

(٣) الْقَارِعَةُ بِالضَّمِّ : الْإِسْرَاحُ وَالْبَلَدُ وَالضَّعْفُ . وَهُوَ بِعِزِّ بْنِ أَبِي الْعَبْدِ .

إِذَا قَامَ بِبَصْرَى مَشْرِخَشْنَ عِنْدَ الْحَفِظَةِ إِنَّ ذُو لُؤْمَةٍ لَا

(الْحَامَةُ ١٤)

(٥) شَيْلَانُ : جِيلٌ .

(٤) الْجَوِي : شِدَّةُ الْوَيْدِ .

(٦) تَبَارِجُ الْعُقُوقِ : شِدَّةُ .

لَفَاعَدَتْ أَدْمُعِي فِي الْأَرْضِ غُدْرَانًا
قَسَتْحِيلُ مِبَاهُ الدَّمْعِ نِيرَانًا
بَقِيْتُ إِلَّا كَسِيرَ الْقَلْبِ حَيْرَانًا
مِنْهُمْ كَهَوْلًا، وَشَبَانًا ، وَوِلْدَانًا
فَعَادَ بِالْيَأْسِ مِمَّا رَامَ لَهْفَانًا
بِأَسَا تَنَازَرَهُ^(١) الْأَقْرَانُ أَزْمَانًا
مِنْهُ ، وَهَلْ حَلَرُ مُنْجٍ لِمَنْ حَاذَ^(٢)
مُنْجٍ أَسْوَارَهَا بِيضًا وَخُرْصَاءًا^(٣)
بِهَا ، لَشَاهِدَتْ آسَادًا وَخَفَاءًا^(٤)
كَهْفًا ، وَلِجَانِي الْمَطْلُوبِ جِيرَانًا
كَمَا عَلَتْ شِيزْرُ فِي الْعَزِّ غَمْدَانًا^(٥)
وَبِأَيْسٍ فَاقِدِ أَهْلًا وَأَوْطَانًا
مُسْتَرْفِدِينَ^(٦) وَزُورًا وَضَيْفَانًا
غِيثًا هَتُونًا ، وَفِي الظُّلُمَاءِ رُهْبَانًا
فَلَمْ يُعَلِّقْ قَلْبِي الْمَحْزُونُ كِتْمَانًا
بَعْدَ التَّصَاقُبِ مِنْ جِرَاهُ دَارَانًا
وَلَا مُحَافَظَتِي مِنْ حَانَ^(٧) أَوْ بَاتًا :
كَمْ أَوْغَرُوا صِلَرَهُ غِيظًا وَأَضْفَانًا^(٨)

لَوْلَا شِمَاتُ الْأَعْدَى عِنْدَ ذِكْرِهِمْ
أَرْدُ قَيْصُ دُمُوعِي فِي مَسَالِكِهَا
لَا لَتَقِيَ الدَّهْرُ مِنْ بَعْدِ الزَّلَازِلِ مَا
أُخِثَتْ عَلَى مَعَشَرِي الْأَدْنَى ، فَاصْطَلَبْتُ^(١)
كَمْ رَامَ مَا أَدْرَكْتُهُ مِنْهُمْ مَلَكُ
لَمْ يَجْمِعْهُمْ حِصْنُهُمْ مِنْهَا ، وَلَا رَهْبَتْ
أَتَانَهُمْ قَدْرُ لَمْ يَنْجِيَهُمْ حَذَرُ
إِنْ أَقْفَرَتْ شِيزْرُ مِنْهُمْ ، فَهَمَّ جَعَلُوا
هُمْ حَمَوَهَا ، فَلَوْ شَاهَدَتْهَا ، وَهُمْ
كَانُوا لِمَنْ خَافَ ظُلْمًا أَوْ سَطَا مَلِكُ
عَلَوْا بِمَجْلَمِ سَيْفِ بْنِ ذِي يَزْنَ
كَانُوا مَلَاذًا لِابْتِئَامِ وَأَرْمَالِهِ
إِذَا أَنْيَتَهُمْ أَلْقَيْتُ شَطْرَهُمْ
تَرَاهُمْ فِي الْوَعَى أَسْدًا ، وَيَوْمَ تَدَى
حَاوَلْتُ كِتْمَانَ بَقِي بَعْدَ فَقْدِهِمْ
لَعَلَّ مَنْ يَعْرِفُ الْأَمْرَ الَّذِي بَعُدَتْ
يَقُولُ بِالظَّنِّ ، إِذْ لَمْ يَدْرِ مَا خُلِقِي
أَسَامَةُ لَمْ يَسْؤُهُ قَدْرُ مَعَشِيرِهِ

(١) اصطبله : استأمله .
(٢) حان : هلك .
(٣) الخفان : مأساة .
(٤) مسترفدين : طالين ليلًا ، وهو المأوى الصلة .
(٥) تناذروا : اتحد بعضهم بعضًا .
(٦) البيض : السوف . وانحرمان : الزمان .
(٧) سيف بن ذي يزن : أحد ملوك اليمن . وغمدان : قصر غصم باليمن .
(٨) الأضفان : جمع ضف ، وهو الخلد .

وما درى أن في قلبي لقديمٌ نرا تُلغى ، وفي الأجفان طوفاناً
 بنوأي ، وبنو عي ، دمي دهم وإن أروني مُتاوةً وشَتاناً^(١)
 كانوا جُنَاحي ، لخصته الخطوبُ ، وإخواني ، فلم تُبق لي الأيامُ إخواناً
 كانوا سيوفى ، إذا نازلتُ حادثةً وجُتّى ، حين ألقى الخطبَ عرياناً
 بهم أصولٌ على الأمرِ المهولِ ، إذا عرا ، وألقى عبوس الدهرِ جذلاً
 فكيف بالصبرِ لي عنهم ، وقد نَظَمُوا دمي على قديمِ دُرا ومرجاناً
 يُطَيِّبُ النفسَ عنهم أنهم رحلوا وخلفوني على الآثارِ عجلاً^(٢)
 سقى ترى أودعوه رجمةً ملأت منوى قُبورهم روحاً ودينحاناً
 وألبسَ الله هاتيكَ العظامَ ، وإن يلينَ تحت الثرى ، عفواً وغفراناً

(٥٢٣)

وقال :

حسبي من العيش ، كم لاقيتُ فيه أذى ألهُ قد أتراني وخُلاني
 لم يبق لي مُشككي بِث أحله ممي ، ولا من إذا استصرختُ لباني
 وصمَّ عني صدى صوتي ، وأفردني ظلي ، وملَّ الكرى والطيفُ غشيانِي
 وما نظرتُ إلى ما كان يُهيجني إلا شجاني ، وآساني^(٣) ، وأبكاني

(٢) الحس : حلق الشعر .

(١) الشتان : البض .

(٤) شجاء : حزنه ، والأسا : الحزن .

(٣) السجلان : التاكل الرواله .

(٥٢٤)

وقال :

نَاحَتْ ؛ فَبَاحَتْ فِي فُرُوجِ الْبَانِ عَنْ لَوْعَتِي وَعَنْ جَوَى أَحْزَانِي
بِخَيْلَةِ الْعَيْنَيْنِ بِالذَّمْعِ ، وَلِي عَيْنُ تَجُودُ بِالنَّجِيعِ ^(١) الْقَانِي
إِذَا دَعَتْ أَجْبَتْهَا بِرُوعَةٍ ^(٢) وَرُقٌّ ^(٣) تَدَاعَتْ فِي ذُرَا الْأَغْصَانِ
وَحَسَرَتِي أَنَّ الزَّمَانَ غَالَ مَنْ كُنْتُ إِذَا دَعَوْتُهُ لِبَّانِي

انحر ما تضمنته الأبواب المذكورة من شعره

(١) النجيع : دم الجوف .

(٢) الروعة : القزعة .

(٣) الورق : جمع ورقاء ، وهي الحماة .

مسمّطات من شعره أفردت عن الأبواب المذكورة

(٥٢٥)

قال مسمطاً^(١) شعراً لقيس بن ذريح :

كعهدك بانأت الحى فوق كنفها
ودارُ الهوى تحمى العدا سرح مرثها
أقول، وثمر الخط حبُّ لحجها :
سقى طلل الدار التى أتم بها حاتم^(٢) وبلى صيف وريبع
بدارك ما بى : من بلى الشوق، والهوى
وبى ما بيا : من وحشة الدين، والنوى
سأروى ثراها من دموعى إن ارتوى
وخيماتك اللاتى بمنعرج اللوى بلى بلى لم تبلى ربيع
وما الجود عن نهج السلو أعاجى
على ذى أثاف^(٣) كالحمام الدواجن
ولكن وفاة ، وردّه غير آجن^(٤)
ولو لم يهجنى الطاعنون لهاجنى حاتم ورقى فى الديار وقوع

(١) القسيط : آيات نجمها ظافية واحدة مخافة قرواق الآيات .

(٢) الحاتم : السائب السود .

(٣) الأثاف : جمع أتمية ، وهى الجربوض عليه القدر .

(٤) الآجن : الماء المختبر للطم والورن .

هَوَاتِفُ يُذَكِّرْنَ الشَّجِيَّ أَخَا الْجَوَى
 زَمَانَ التَّدَانِي قَبْلَ رَائِعَةِ النَّوَى
 وَطَيْبَ لِيَالِهِ الْحَمِيدَةِ بِاللَّوَى
 تَدَاعَيْنِ، فَاسْتَبْكَيْنِ مَنْ كَانَ ذَا هَوَى
 نَوَائِحُ لَمْ تَذَرَفْ لَهْنَ دُمُوعُ
 إِذَا مَا نَسِمْ هَبَّ مِنْ جَانِبِ الْحَمَى
 أَقْسُولُ، وَأَشْوَاقِي تَزِيدُ قَضَرُمَا:
 عَسَى وَطَنٌ يَدْنُو بِهِمْ ، وَلَعَلَّهَا
 وَلَمَّا انْهَمَالَ الدَّمْعُ يَا لَيْلُ كَلَّمَا ذَكَرْتُكَ وَحْدَى خَالِيًا لَسَرِيعُ
 وَلَوْ عَادَ يَوْمٌ مِنْكَ يَا لَيْلٍ ، قَدْ خَلَا
 يُعْمِرِي أَوْ شَرَحَ الشَّيْبَةَ مَا ذَلَا
 وَقَدْ عَزَفَتْ نَفْسِي عَنْ الْمَجَرِّ وَالْقَلَى
 وَسَوْفَ أُسَلِّي النَّفْسَ عَنْكَ ، كَمَا سَلَا عَنْ الْبَلَدِ النَّفَاسِي الْخَوْفُ تَزِيْعُ^(١)
 أَيْرَجُو لِي اللَّاحِي مِنَ الْحَبِّ مَحْلَصَا
 وَقَلْبِي إِذَا مَا رَضُنْتُهُ بِالْأَمَى عَصَى
 وَلَوْ أَنَّ مَا بِي بِالْحَصَى فَلَقَى الْحَصَى
 إِلَى اللَّهِ أَشْكُونِيَّةً شَقَّتْ الْعَصَا هِيَ الْيَوْمَ شَتَّى ، وَهِيَ أَمْسٍ جَمِيعُ

أَطَاعَتْ بَنَاتِي أَقْرَاءَ التَّكْذِبِ
وَصَدُّ التَّجَنِّيْ غَيْرُ صَدِّ التَّعَنِّيِ^(١)
فَيَاكَ مِنْ دَعْرِ كَثِيرِ الْقَلْبِ
مَضَى زَمْنٌ ، وَالنَّاسُ يَسْتَشْفِعُونَ بِي فَهَلْ لِي إِلَى لَيْلَى الْغَدَاةِ شَفِيعُ
أَلَا نَفْبَهُ^(٢) مِنْ بَرْدِ أُنْيَاهَا الْعُلَى
وَرُدُّ زَمَانٍ كَالْأَهْلَةِ يُجْتَلَى
قَقُولًا لَهَا : جَادَتِكَ وَاهِبَةُ الْكَلَى^(٣)
أَرَايُجِعُهُ يَا لَيْلُ أَيَامَنَا الْأَلَى بِذِي الرَّمْتِ^(٤) أَمْ لَا ، مَا لَنْ رُجُوعُ
أَعَاذَلْتِي ، مَالِي ، هُدَيْتِ ، وَمَالِكَ
لَقَدْ سَاءَتْنِي أُنَى خَطَرْتُ بِبَالِكَ
ذَرِينِي ، فَلَوْمِي ضَلَّةً مِنْ ضَلَالِكَ
لَعَمْرُكَ ، إِنِّي يَوْمَ جَرَعَا^(٥) مَالِكَ لَعَايَسَ لَامِرِ الْعَاذَلَاتِ مُضْغِعُ
أَعُدُّ ذِكْرَهَا ، أَحْبَبَ إِلَيَّ بِذِكْرَهَا
وَدَعَّ ذَنْبَهَا ، فَالْحُبُّ مُبْدٍ لِعُنْدِهَا
فَمَا زِلْتُ فِي حَالِي وَقَانِي وَغَدِيرَهَا
إِذَا أَمَرْتَنِي الْعَاذَلَاتُ بِهَجْرَهَا هَفَّتْ كَيْدُ عَمَّا يَقْلُنَ صَدِيقُ^(٦)

(١) تجنني عليه : ادعى ذنباً لم يخطئه . والتعب : غمالة الأدل . (٢) النفبة : البرقة . (٣) النوبة : البرقة . (٤) الرمت في الأصل : مرعى الإبل من الحن ، وعجربته النض ، وهذا مكان .

(٥) الجرعاء : الأرض ذات الحفرة مثل كل الرمل ، أو الكعب جانب به رمل وجانب حجارة .

(٦) هنا : ذهب في إثر الشيء . وصديق : مشققة .

يَزِيدُ هَوَى لَيْلَى رِضَاَهَا، وَعَتَبَهَا
وَبُعْدُ نَوَاهَا، إِن تَنَامَتْ، وَقُرْبُهَا
وَلَمْ يَنْهَى صَدْقُ اللَوَاحِي، وَكُتُبُهَا
وَكَيْفَ أَطِيعُ الْعَاذِلَاتِ، وَحُبُّهَا يُؤْرِقُنِي، وَالْعَاذِلَاتُ هُجُوعُ
(٥٢٦)

وقال يسمط شعرا للجنون :

أَيَا لَأَيْمَى فِي وَقْعَةِ الْمُتَلَوِّذِ^(١)
عَلَى عَرَصَاتِ الدَّارِ، بِالْحَمْرِ مُحْتَلِي
أَقْلَبُ فِي عِرْقَانِهَا النَّاطِرَ الْقَدِي
لِعَمْرُكَ، إِنَّ الْبَيْتَ بِالظَّاهِرِ الَّذِي مَرَرْتُ، فَلَمْ أَلَمْ بِهِ، لِي شَاتِي
يُرَاجِعُ قَلْبِي عِنْدَ رُؤْيَاهُ جَهْلَهُ
وَيَرْكَبُ صَعْبَ الْأَمْرِ فِيهِ وَسَهْلَهُ
وَيَسْفَحُ فِيهِ مَدْمَعِي مُسْتَهْلَهُ
وَأَنْتَ مُرُورِي، لَا أَكَلَمُ أَهْلَهُ أَشَدُّ مِنَ الْمَوْتِ الَّذِي أَنَا ذَاتِي
وَفِي ذَلِكَ الْبَيْتِ الَّذِي أَتَمَزَّرُ
حِذَارَ وَشَاةِ الْحَيِّ أَدْمَاءُ مُغَزَّلُ^(٢)
يَجِدُّ هَوَاهَا بِالنَّفُوسِ وَتَهْزِلُ
وَبِالْخَزَجِ مِنْ أَعْلَى الْجَنِينَةِ مَزَلُّ فَيَسِيحُ، شَبَّيْ صِلْدِي بِهِ مَتَضَائِقُ

(١) لاذبه : يلأ ، ولأوذ ملاوذة : استر .

(٢) الأدمة في اللها : لون مشرب بإخا . وعلية مغزل : ذات غزال .

سَاعِنُ ، والمصدورُ لا بدَّ يَنْفُثُ
صَمَانَةٌ^(١) حُبَّ بِالْجَوَانِحِ تَضْبِثُ^(٢)
يُقَاسِمُنِي صَبْرِي عَلَيْهَا وَيَحْنُثُ
وماذَا عَسَى الْوَاشُونَ أَنْ يَحْدُثُوا سِوَى أَنْ يَقُولُوا : إِنِّي لَكَ عَاشِقُ
هُوَ فِي عَفَافٍ لَمْ تُدْنِسْهُ رِيَّةُ
كَمَا كَانَ يَهْوَى قَيْسُ لَيْلَى وَتَوْبَةُ
أَقُولُ ، وَلِلوَائِي سَهْمٌ مُصَيِّبَةٌ :
أَجَلْ ، صَدَقَ الْوَاشُونَ ، أَنْتَ حَيِيَّةٌ لِي ، وَإِنْ لَمْ تَصِفْ مِنْكَ انْخِلَاقُ
سَاخِضُ اللَّطِيفِ الْمَلَمِّ بِعَيْتِكُمْ
وَالصَّقُّ حَذَى فِي الدَّيَالِ بِتُرَيْكُمُ
وما زِلْتُ فِي حَالِي نَوَاكُمُ وَقُرَيْكُمُ
يَضُمُّ عَلَى اللَّيْلِ أَوْصَالَ حَبِّكُمْ كَمَا ضَمَّ أَطْرَافَ الْقَمِيصِ الْبَاقِي^(٣)
هِيَ الدَّارُ ، مَنْ لِي أَنْ أُسُوفَ^(٤) تُرَابَهَا
وَأَبْكِي لَيْلَانَا بِهَا وَاقْلَابَهَا
وَمُتَمَرًّا بِهَا تَحْمِي الْأَعْدَى قِبَابَهَا
كَأَنَّ عَلَى أَنْبَاطِهَا الْحَمَرَ شَابَهَا بِمَاءِ التَّلَى مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ غَابِقِ^(٥)

(١) الضمة بالنم ، وكسحاب وصحابة : المرض .

(٢) ضبث به يضبط : قبض عليه بكفه .

(٣) البَيْقَةُ : جيب القميص .

(٤) السوف : التمس .

(٥) التيقق : ما يشرب بالمشى — شيق : سقاء ذلك .

تَأَوَّا ، وَعَسَى تَسْتَوْبِهِمْ نِيَّةٌ ، عَسَى
بِشَمْسٍ تَرَدَّتْ فِي الظَّهْرِ حَنِينًا^(١)
كَأَنَّ بَيْنَهَا الرُّوحَ لَيْلًا تَنْفَسَا
وَمَا ذُقْتُهُ إِلَّا بِعَيْنٍ تَهْرُسَا كَمَا شِيمَ مِنْ أَعْلَى السَّحَابَةِ بِأَرْقِ

(٥٢٧)

وقال مصرعا قصيدة مهبّار^(٢) :

أَسَأْتَقَهَا لِلْبَسِينِ وَهُوَ عَجُولُ
تَأَنَّ ، فَأَ هَذَا الْمَسِيرُ قُفُولُ
وَقُلْ لِي ، فَإِنَّ الْمُسْتَهَامَ سَوُولُ
لِمَنْ طَالَعَاتُ فِي السَّرَابِ أَقُولُ يَقُومُهَا الْحَادُونُ ، وَهِيَ تَمِيلُ
تَجَانَفْنَ عَنْ وَعْثِ الطَّرِيقِ وَمَنْهَلِهِ^(٣)
وَأَعْرَضْنَ عَنْ خِصْبِ الْمَرَادِ^(٤) وَمَحَلِهِ
فَهُنَّ عَلَى جُورِ الْغَرَامِ وَعَدَلِهِ
نَوَاصِلُ^(٥) مِنْ «جَوْرٍ»^(٦) خَوَاضَ مِثْلِهِ صُعُودٌ عَلَى حَكَمِ الطَّرِيقِ^(٧) تَزُولُ

(١) الحنّين : الطلّة . (٢) رويت هذه القصيدة في جمهرة الإسلام ج ٢ ص ٢٥٥ مخطوطة دار الكتب
٩٣٢٣ أدب وذكرها تحت الباب الثالث من الخمس . وقصيدة مهبّار يدوراته المطبوع بدار الكتب ٣ : ١٨٨ .
(٣) في الجمهرة : مهله « تحريف » وتجانف : تأمل . والوعث : الطريق المسر .
(٤) المراد : موضع الارتداد وهو طلب الكلاء . (٥) في الجمهرة « فواصل » تحريف . ونصل : نخرج .
(٦) جَوْر : موضع . (٧) في ديوان مهبّار (الزمان) .

إِذَا أُجْلَتْ فِي الْيَدِ جُفِلَ نَعَامُهَا
 كَأَنَّ أَقَاعِي الرَّمْلِ نَحْيَ زِمَامِهَا
 تَنَّتْ لَيْتَهَا ^(١) نَحْوَ الصَّبَا وَانْتَسَامِهَا
 هَوَاهَا وَرَاهَا ، وَالسُّرَى عَنْ ^(٢) أَمَامِهَا فَهِنَّ صَحِيحَاتُ التَّوَاطُرِ حَوْلُ
 بِهَا مِثْلَ مَا بِالطَّاعِنِينَ كَأَبَّةُ
 وَصَبْرُهُمَا بَعْدَ الْفِرَاقِ خِلَافَةُ ^(٣)
 وَلِلشَّوْقِ مِنْهَا ، مَا ^(٤) دَعَاها ، لِجَلْبَةِ
 تَضَاعَى ^(٥) ، وَفِي فَرِطِ التَّضَاعَى صَبَابَةٌ وَتَرْغُو ، وَفِي طُولِ الرِّغَاءِ غَلِيلُ
 أَهْلَةٌ يَسِيرُ ، وَالْأَهْلَةُ فَوْقَهَا
 إِذَا لَحَّتْ أَجْبَالُ سَلَى وَرَوَّعَهَا ^(٦)
 كَفَى شَوْقُهَا شَلَّ ^(٧) الْحُدَاةَ وَسَوْقَهَا
 تُرَادُّ عَلَى "تَجِد" ، وَيَجِدُ شَوْقُهَا مَظَلُّ عِرَاقِ الثَّرَى وَمَقِيلُ
 أَلَا قَلْبًا تَصْفُو مَعَ الْبَيْنِ عِيشَةً
 وَفِي الشَّوْقِ لِلنَّائِي مُهْمٌ مُطِيشَةٌ
 وَلَوْ أَنَّ أَوَّلَانَ الْمُقَارِقِ بِئِشَةٌ ^(٨)
 وَمَا جَهَلْتُ أَنَّ "الْعِرَاقِ" ^(٩) مَعِيشَةٌ وَرَوْضُ تُرْبِهِ صَبَا وَقَبُولُ ^(١٠)

- (١) البيت بالكسر : صفحة البقي . (٢) في الهيوآن (من) .
 (٣) خليه : خدمه . (٤) في الجهرة (إذ) .
 (٥) تضاعى : تصح . (٦) أروق : مقدم البيت ودواحه .
 (٧) الشل : الطرد ، وفي الجهرة نرس ، ونشأه : زجره ، وسأه . (٨) واد بطريق الجماعة مأسدة .
 (٩) في الهيوآن (الجاز) . (١٠) القبول : دمج الصبا .

وفي الركبِ مَسْلُوبُ العِزَاءِ فَقِيدُهُ
 يَزِيدُ إِذَا هَبَّ النَّسِيمُ وَقُودُهُ
 وما كُلُّ أَسْبَابِ الْغَرَامِ تَقُودُهُ
 وَلَكِنَّ سَحْرًا "بَابِلِيًّا" عَقُودُهُ تُحْلِلُ أَلْبَابُ بِهِ وَعُقُودُ
 وَقَدْ حَمَلَتْ لَدُنَّ الْقَوَامِ رَشِيقَهُ
 حَكِي الْمَسْكُ فَاهُ، وَالْمُدَامَةُ رَيْقَهُ
 فَاضْعَى بِهَا نَائِي الْحُلِّ سَحِيقَهُ
 نَجَابُ إِنَّ ضَلَّ الْحِمَامُ طَرِيقَهُ إِلَى أَتَقَسَّ الْعُشَاقِ فَهِيَ دَلِيلُ
 وَإِنِّي لِأَشْكُو مِنْ فِرَاقِكَ هَزَّةً
 وَرَوْعَةً شَوْقٍ لِحِشَا^(١) مُسْتَفِزَّةً
 وَقَدْ وَقَرَّتْ فِي الْقَلْبِ عَيْسُكَ حَزَّةً
 حَلَنْ وَجُوهًا فِي الْخُلُودِ أُعْزَّةً وَكُلُّ عَزِيدٍ يَوْمَ رُحْنٍ ذَلِيلُ
 كَتَمْتُ هَوَى ظَلَمِيَاءَ^(٢) كَتَمَانَ مُعَانٍ
 وَنَهَيْتُ دَمْعًا عَاصِبًا غَيْرَ مُدْعِنٍ
 وَقَدْ قَالَتِ الْأُظْلَعَانُ لِلْسَّلَوَةِ : اظْغَنِي
 قَسَمَنَ^(٣) الْعُقُولَ فِي السُّتُورِ^(٤) بِأَعْيُنٍ قَوَاتِلَ ، لَا يُودَى^(٥) لَهْنٌ قَبِيلُ

(١) الظلماء من الشقاء : القابلية في سيرة .

(٢) في الجمهرة (في الحشا) .

(٣) هذه رواية الديوان ، وفي الأصل (يسمن) تحريف .

(٤) في الجمهرة (كالستور) . تحريف .

(٥) يودى : يخضع دية .

محبٌ إِذَا مَا الْبَلُّ غَلَّتْ نَجْوَاهُ
 تَأْوَبَهُ^(١) بَثُّ الْمَسْوَى وَهَوَاهُ^(٢)
 وَفِي الْخَلْدِ بَدْرٌ أَقْلُ ، لَا يَرْمِيهِ^(٣)
 وَفِيهِنَّ حَاجَاتٌ وَدَيْنٌ غَرِيْبُهُ مَلِيٌّ^(٤) ، وَلَكِنَّ الْمَلُولَ^(٥) مَطْلُوٌّ
 بُكَائُهُ^(٦) نَفْسٌ مُسْتَمِرٌّ غَنَاؤُهَا
 عِيَاءٌ عَلَى مَرٍّ اللَّيَالِي دَوَاؤُهَا
 قَضَى حُبًّا أَلَا يَصَابُ شِفَاؤُهَا
 يَخْفُ عَلَى أَهْلِ الْقِيَابِ قَضَاؤُهَا لَنَا ، وَهِيَ مِنْ فِي الرِّقَابِ ثَقِيلُ
 وَقَفْتُ عَلَى رِجِّ لُظْمِيَاءٍ أَقْرَأَ
 سَقَمَهُ دَمْعِي مَا أَرْضَ وَنُورَا
 فَكَلْتُ لِحْدَتِي الْخَلِيَيْنِ أَغْدَا
 أَبِي الرَّكْبِ «بِالْبَيْضَاءِ» إِلَّا تَنَكَّرَا^(٧) وَقَدْ تُعْرِفُ الْآثَارُ ، وَهِيَ مُحُولُ
 سَأَلْتُ سَيَالَاتٍ^(٨) الْحَمَى ، قَتَايَلْتُ
 كَمُوحَدَةٍ مِنْ جَبَرَةٍ قَدْ تَرَايَلْتُ
 فَحَاضَتْ دَمْعٌ كَالْفُرُوبِ تَسَايَلْتُ^(٩)
 وَلَا وَقَفْنَا بِالذِّيَارِ تَسَاكَلْتُ^(١٠) جُسُومٌ بَرَاهِنَ الْبَلَى وَطُلُوءُ

(١) ورد هذا الشطر في البهجة شائرا عن تاليه .

(٢) الملى : الفتى .

(٣) البقاء : الحاجة .

(٤) الليال كسب : ما حلال من السر .

(٥) في الهويان (تأنيث) .

(٦٤)

(١) تأويه : أتاه ليلا .

(٢) لا يرميه : لا يورثه .

(٣) في الهويان (الملى) .

(٤) هذه رواية الهويان . وفي الأصل (تذكرا) .

(٥) في البهجة «تسايلت» والقروب جمع غرب وهو القلوب .

(٦) في الهويان (تأنيث) .

دَعَاَ الْهَوَىٰ وَاسْتَوْقَفَنَّا الْمَعَارِفُ
وَأَدَمَى الْحَشَا ، وَالشَّوْقُ لِلْكَفِّ^(١) قَارَفُ
حَمَامٌ وَرَقٌ فِي الْغَصُونِ هَوَاتِفُ
فَبَاكَ بَدَاوِينَ جَنِيهِ عَرَفُ وَبَاكَ بِمَا جَرَّ الْفَرَاقُ جَهْلُوفُ
نَعَمْ ، هَذِهِ الْأَطْلَالُ ، قَفَرٌ قَارِبِيعُ^(٢)
وَجَدَّدَ بِهَا عَهْدَ الْمَشُوقِ الْمَوْدِعُ
سَأَسْتَقِي ثَرَاها الرِّىَّ مِنْ نُحْبٍ أَدْمِى
وَأَسْأَلُ عَنْ ظَلَمِيَاءِ^(٣) صَمَاءَ لَا تَعِى فَارَضَى^(٤) بِمَا قَالَتْ ، وَلَيْسَ تَقُولُ
تُصَدِّقُ ظَلَمِيَاءَ الْعُلُولِ إِذَا اقْتَرَى
وَأَكْذِبُ سَمِىِّ فِي هَوَاهَا وَمَا أَرَى
وَأَقْنَعُ مِنْهَا بِالْخِيَالِ إِذَا مَرَى
وَيُعْجِنِي مِنْهَا بُزْخَرُهَا الْكَرَى دُنُوٌّ إِلَى طُلُوفِ الْبِعَادِ يَثُولُ
مَلَيْتُ ، فَكَا تَعْنِي إِلَيْكَ شَفَاعَةٌ
وَعَنْدَكَ لِلوَاشِينَ مَنَعٌ وَطَاعَةٌ
وَحَفَظَ عَهْدِ الْغَادِرِينَ إِضَاعَةٌ
وَمَا أَنْتِ يَا ظَلَمِيَاءَ إِلَّا بِرَّاعَةٌ^(٥) تَمِيلُ مَعَ الْأَزْوَاجِ حَيْثُ تَمِيلُ

(١) الكف : الجرح . والفرف : التمسك في المرض . (٢) وقع كنع : وقف وانتظر وتحمس .
(٣) الظلماء : من الشقاء : الحاجة في صبرة .
(٤) « قرضى » . ودراي هذا البيت مخطوطة في ديوان مكيار . (٥) البراعة : القصة .

لَأَنْتِ لِنَفْسِي دَاوُهَا وَدَوَاوُهَا
وَرَاخُهَا، لَوْ بَلَتْهَا وَشَفَاوُهَا
إِذَا بِنْتُ ضَاقَتْ أَرْضُهَا وَسَمَاوُهَا
فَإِنْ كَانَ سُؤْلًا لِلنُّفُوسِ بِلَاوُهَا فَإِنَّكَ لَلْبَلَوَى ، وَإِنَّكَ سُؤْلُ

(٥٢٨)

وقال يُسْمِطُ قَصِيدَتَهُ الْمِمْبِيَّةَ الَّتِي تَقَدَّمَتْ فِي مَطْلَبِهَا مِنْ هَذَا الدِّيْوَانِ^(١) :

تَوْهْمٌ مَا أَرَانِي التَّعَرُّ ، أَمْ حُلْمٌ
وَصَبُوءَةٌ كُلُّ هَذَا الْوَجْدُ أَمْ لَمْ^(٢)
أُحْيَيْتُ قَوْمًا، وَإِفْرَاطُ الْهَوَى تَلْمُ
وَلَوْ ، فَلَا رَجُونَا عَدْلَمَ ظَلَمُوا فَلَيْتَهُمْ حُكْمُوا فِينَا بِمَا عَلِمُوا
سَاوَى حُضُورِهِمْ عِنْدِي مَغِيْبُهُمْ
وَصَبُّهُمْ فِيهِمَا عَمَّا يَبِيْهِمْ
وَمُنْذُ قَالَ الْوَرَى : هَذَا حَيْثُ
مَا مَرَّ يَوْمًا بِفِكْرِي مَا يَرِيْهِمْ وَلَا سَعَتْ بِي إِلَى مَا سَاعَمْتُ قَدَمُ
كَمْ رُضْتُ نَفْسِي بِالسُّلُوَانِ ، فَاثْمَنْتُ
وَكَمْ أَضَاعُوا مَوَاقِفَ الْهَوَى ، وَرَعَتْ
فَمَا قَعَمْتُ عَلَيْهِمْ غَدْرَةٌ، فَضَعْتُ^(٣)

وَلَا أَضَعْتُ لِمَ عَهْدًا، وَلَا أَطْلَعْتُ عَلَى وَدَائِهِمْ فِي صَدْرِ التَّهَمِ

(١) خطاً : اخبأ واستتر .

(٢) الم : الجنون .

(٣) راجع ص ٤٠

مِنْ قَرِطٍ وَجَدِي بِهِمْ أَحْيَيْتُ غُلَامَهُمْ
 وَاللَّوْمُ قَبِيحٌ لَسَمْعِي مِنْهُ ذِكْرُهُمْ
 وَصَنْتُ حَتَّى عَنِ الْأَوْهَامِ سَرَّهُمْ
 فَلَيْتَ شِعْرِي بِمَا اسْتَوْجِبْتُ هَجْرَهُمْ مَلُّوا ، فَصَدَّعْتُهُمْ عَنْ وَصَلَى السَّامِ
 مَا صَرَحُوا لِي بِأَسْبَابِ الْقَلَى ، وَكُنَّا
 إِلَّا وَقَالَ الْهَوَى : مَهْلًا ، سَوَاكَ عَنَّا
 وَكَلَّمَا أَهْمَلُوا حَفِظَ الْهَوَى ، وَوَوَّأَا
 حَفِظْتُ مَا ضَيَعُوا ، أَغْضَيْتُ حِينَ جَنَّا وَفَيْتُ إِذْ غَدَرُوا ، وَأَصَلْتُ إِذْ صَرُمُوا
 كَمْ قَدْ سَعَيْتُ حَرِيصًا فِي مَرَادِهِمْ
 وَتَمَّ رَعَيْتُ هَوَاهُمْ فِي بَعَادِهِمْ
 لَحِينَ أَصْبَحْتُ طَوْعًا فِي قِيَادِهِمْ
 حُرِمْتُ مَا كُنْتُ أَرْجُو مِنْ وِدَادِهِمْ مَا الرِّزْقُ إِلَّا الَّذِي تَجَرَّى بِهِ الْقِسْمُ
 أَوْطَشْتُهُمْ خَابَ^(١) قَلْبِي ، دُونَ مَوْطِنِهِمْ
 فَأَخْرَجُوا^(٢) بِالْعَجْزِ رَحْبَ مَسْكِنِهِمْ
 حَتَّى لَعْنَدُ مُسَيِّبِهِمْ وَمُحْسِنِهِمْ
 عَاسِنِي ، مُنْذُ مَلُونِي ، بِأَعْيُنِهِمْ قَدَى ، وَذَكَرْتَنِي فِي آذَانِهِمْ صَمَمُ
 هُمُ أَبَا حُوِّ الضَّنَى جَنَمِي ، وَكَانَ حَمِي
 وَأَمْطَرُوا مُقْلَتِي بَعْدَ الدُّمُوعِ دَمًا
 وَمَا رَعَوَا فِي الْمَسْوَى عَهْدًا وَلَا ذِمًّا
 وَبَعْدُ ، لَوْ قِيلَ لِي : مَاذَا تُحِبُّ ، وَمَا مُنَاكَ مِنْ زِينَةِ الدُّنْيَا ، لَقُلْتُ هُمْ

(١) الخلب : لحمة رفيقة تصل بين الأضلاع ، أو الكبد .

(٢) أخرجوا : ضيقوا .

رَأَوْا قَوَادِيَ الْهَجْرَانِ حِينَ أَمِنَ
وَكَانَ بِالْوَصِيلِ مِنْهُمْ ، لَوَّرَعَوْهُ ، قَرْنٌ^(١)
وَلَوْ تَعَوَّضَ عَنْهُمْ بِالشَّبَابِ عَنْ
مُمْ مَجَالِ الْكَرَى مِنْ مُقَلَّتِي ، وَمِنْ قَلْبِي مَحَلُّ الْمُنَى ، جَلُّوْا ، أَوْ اجْتَرَّمُوا
لَمْ يَتْرِكْ الْوَجْدُ لِي فِي غَيْرِهِمْ أَمَلًا
وَلَمْ أُطِغْ فِيهِمْ نُصْعًا وَلَا عَدَلًا
وَبَعْدَ مَا أَشْعُرُونِي فِي الْهَوَى خَبَلًا
تَبَدَّلُوا بِي ، وَلَا أَبْنِي بِهِمْ بَدَلًا حَسْبِي بِهِمْ ، أَنْصَفُوا فِي الْحُكْمِ ، أَوْ ظَلَمُوا
قُلُّ لِسَارِي الدُّجَى تَهْلِيهِ ظُلْمَتُهُ
وَاللَّيْلُ كَالْبَحْرِ ، تَعْلُو الْأَرْضَ جُمْتُ^(٢)
تُفْرِى الْفَلَا وَالْدُّجَى وَالْهَوَى عَزَمَتْ :
يَا رَاكِجًا تَقَطُّعُ الْيَدَاءَ هُمْنُهُ وَالْعَيْسُ تَعَجُّزٌ عَمَّا تَتْرِكُ الْهَمْمُ
إِذَا وَصَلَتْ ، وَقَاكَ اللَّهُ مَهْلِكَةً
وَذَادَ عَنْكَ الرَّدَى ، إِنْ خَضَتْ مَعْرَكَةً
فَمَا مَلَيْتَ فَقَدْ مُلِكْتَ مَلِكَةً
بَلِّغْ أَمِيرِي مَعِينَ الدِّينِ مَالِكَةً^(٣) مِنْ نَازِحِ الدَّارِ لَكِنْ وَدَّهْ أُمِّ^(٤)

(١) قن : خَلْقٌ وَجَدِي .

(٢) الجلم : الكثير من كل شيء ، كالجلم . ومن الظهيرة والماء سطره : بكته .

(٣) المألكة : الرسالة .

(٤) الألم : القرب . وفي هامش الديوان أن أسامة أسقط ما هنا بيتا لم يرده تصريحه . والبيت هو :

وَقُلْ لَهَا نَتِ خَيْرُ التُّرْكِ ، فَتُكِّ الْخِيَاءِ ، وَالْهَيْنُ ، وَالْإِتْقَامُ ، وَالْكَرَمُ

(وانظر القطعة ٢٦٦ من هذا الديوان صفحة ١٤٦) .

لَمَّا وَلَيْتَ الرَّعَايَا مُرَّ كُلِّ وَلِيٍّ
وُسُسْتَهُمُ بِالْتَّقَى فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ
تُخْفِي الْقَضَايَا بِلَا حَيْفٍ وَلَا زَلَلٍ
وَأَنْتَ أَعْدَلُ مَنْ يُسَكِّي إِلَيْهِ ، وَلِيٍّ شَكِيَّةٌ أَنْتَ فِيهَا الْخُصْمُ وَالْحَكَمُ

فَاسْمَعْ قَضِيَّةً مَأْخُوذٌ بِجُلَّتِهِ ^(١)
وَقَاوُهُ لَكَ أَرْدَاهُ بِجُلَّتِهِ ^(٢)
وَلَمْ يَكُنْ عَلَمًا فِي طَبِّ عِلَّتِهِ
هَلْ فِي الْقَضِيَّةِ يَا مَنْ فَضْلُ دَوْلَتِهِ وَعَدْلُ سِيرَتِهِ بَيْنَ الْوَرَى عِلْمٌ
أَمْ فِي كَرِيمِ السَّجَايَا ، وَهِيَ قَدْ فَقِدَتْ
أَمْ فِي الْعُلَا ، وَهِيَ بِالْعُدْوَانِ قَدْ عُدِمَتْ
وَسَاعَهَا ، فَلَحَتْ ^(٣) ، مِنْ بَعْدِ مَا حَمَدَتْ

تَضْيِيعٌ وَاجِبٌ حَتَّى بَعْدَ مَا شَهِدَتْ بِهِ التَّصْبِيحَةُ ، وَالْإِخْلَاصُ ، وَالْخُلْدُ

يَا لَهْفَ قَسِيٍّ ، وَلَهْفُ طَالِمًا شَفَتْ
لَمْ تُغْنِ عَنِّي تَجَارِييَ وَمَعْرِقِي
حَتَّى اغْتَرَزْتُ بِأَمَالٍ مَرْتَحِقَةٍ
وَمَا ظَنَنْتُكَ تَنْسَى حَقَّ مَعْرِقِي إِنَّ الْمَعَارِفَ فِي أَهْلِ الثُّهَى ذِمٌّ

(١) الخلة بالغم : العداوة المختصة لا لغيرها .

(٢) الفخة : حرارة الحب .

(٣) لحاه : لاهه .

يَأْمَنُ إِذَا اسْتَأْذَنَ السَّاعِيَ عَلَيْهِ أَذْنٌ
 إِذَا الْغَدِيرُ أَقَامَ الْمَاءُ فِيهِ أَجْنٌ^(١)
 وَلَمْ يَطْلُ مَكْتُ مِثَاقٍ، فَكَيْفَ أَسْنٌ^(٢)
 وَلَا اعْتَقَدْتُ الَّذِي بَنَى وَبَيْنَكَ: مَنْ وَدَّ، وَإِنْ أَجْلَبَ^(٣) الْأَعْدَاءُ، يَنْصَرُّ
 وَكَمْ رَمَانِي الْحِدَا بَغْيًا بِإِفْكَهِمْ^(٤)
 فَلَمْ أَرُقْ ، وَلَمْ أَفْرُقْ^(٥) لِبَغْيِهِمْ
 وَكَمْ سَعَوَا بِي ، فَلَمْ أَحْضِلْ بِسَعْيِهِمْ
 لَكِنْ ثِقَاتُكَ مَازَلُوا بِغْيَتِهِمْ حَتَّى اسْتَوَتْ عِنْدَكَ الْأَنْوَارُ وَالظُّلُمُ
 مَا كَانَ أَبْعَدَهُمْ فَهَمًّا ، وَأَجْهَلَهُمْ
 مَالُوا، وَمَالُوا^(٦) عَلَى مَنْ كَانَ مَوْلَاهُمْ
 وَقَبْلَهُ خَوَلَا كَانُوا نَحْوَهُمْ^(٧)
 بَاعُوكَ بِالْبَخْسِ، يَرْجُونَ الْفَتَى، وَلَهُمْ لَوْ أَنَّهُمْ عَدِمُوكَ ، الْوَيْلُ وَالْعَدَمُ
 كَيْفَ اغْتَرَرْتَ بِزَيْمٍ فِيمَا أَصْرَتَهُمْ
 حَتَّى كَانَتْ يَوْمًا مَا خَبَرْتَهُمْ
 وَغُورُهُمْ كَانَ يَلْمُو لَوْ سَبَرْتَهُمْ^(٨)
 وَاللَّهِ مَا نَصَحُوا ، لِمَا اسْتَشَرْتَهُمْ وَكُلُّهُمْ ذُو هَوًى فِي الرَّأْيِ مِنْهُمْ
 كَانَ التَّحَامُلُ مِنْهُمْ فِي إِشَارَتِهِمْ
 وَالتَّقْصُصُ فِي دِينِهِمْ أَوْ فِي عِبَارَتِهِمْ
 وَكُلُّ ذَلِكَ نَوْعٌ مِنْ تَحْجَارَتِهِمْ
 كَمْ حَرَّفُوا مِنْ مَقَالٍ فِي سِفَارَتِهِمْ وَكَمْ سَعَوْا بِفَسَادٍ، ضَلَّ سَعْيُهُمْ

(١) أَيْجَنُ الْمَاءُ: يَتَغَيَّرُ طَعْمُهُ وَلَوْنُهُ. (٢) أَسْنٌ: أَجْنٌ. (٣) أَجْلَبَ: تَوَدَّدَ بَشَرًا.

(٤) الْإِفْكَ: الْكَذِبُ. (٥) فَرَّقَ كَفَرَحَ: فَرَّقَ. (٦) مَالُوا طَرَفًا: اجْتَمَعُوا.

(٧) انْطَلَقَ: الْيَدَ - وَخَوَلَا: أَطَاعَ - مَتَّضِلًا. (٨) السَّيْرُ: اسْتَعَانَ غُرَدَ الْجُرْحِ وَنَحْوَهُ.

قَالُوا : الْأَمِيرُ وَفِي بِالْهَوْدِ ، فَلَدَّ
 بِذِي الْحَمِيَّةِ ^(١) ، إِنْ خَطْبُ أَلَمْ ، وَعُدَّ
 وَالْوَصْفُ فِي السَّمْعِ قَبْلَ الْإِمْتِحَانِ يَلَدُ
 أَيْنَ الْحَمِيَّةُ ، وَالنَّفْسُ الْآيَّةُ ، إِذْ سَامُوكُ خُطَّةٌ خَسِفَ عَارُهَا يَصْمُ ؟
 لَمَّا رَأَيْتَ لَصَرَفِ النَّهْرِ وَاعْظَةً
 لِلْغَيْرِ وَالشَّرِّ مَا تَنْفَكُ حَافِظَةً
 حَتَّى تَشِيْعَ سَمَاعًا أَوْ مَلَا حِظَّةً
 هَلَّا أَقْتَتَ حَيَاءً أَوْ عَافِظَةً ^(٢) مِنْ فَعَلٍ مَا أَنْكَرَهُ الْعَرَبُ وَالْعَجْمُ ؟
 أَتَيْتَ فِينَا ، وَمَا اقْتَادَتْكَ مَوْجِدَةٌ ^(٣)
 إِسَاءَةً هِيَ لِلْإِحْسَانِ مُفْسِدَةٌ
 أَغْرَيْتَ ^(٤) فِيهَا ، بِخَاءَتِ وَهِيَ مُفْرَدَةٌ
 أَسْلَيْتَنَا ، وَسَيُوفُ الْهِنْدِ مَغْمَدَةٌ وَلَمْ يُرَوْ سِنَانُ السَّمْهَرِيِّ ^(٥) دَمٌ
 مَا شَبْتُ حُسْنَ ظُنُونِي فَيْكَ بِأَتَمِّ
 وَلَمْ تَمُرَّ بِفِكْرِي نَجْمَةٌ النَّدَمِ
 وَأَنْ لِفَاكِ الْأَعَادَى مُخْفَرٌ ^(٦) ذِمِّي
 وَكُنْتُ أَحْسَبُ مَنْ وَالَاكَ فِي حَرَمٍ لَا يَتَرْتَبِ بِهِ شَيْبٌ وَلَا هَرَمٌ

(١) الحمية : الأفة .

(٢) الحافظة : للقب عن الحارم .

(٣) الموجبة : النصب .

(٤) أغرب : آلى بالقریب .

(٥) السهمري : الرخ الملب .

(٦) مخفردى : ناقض عهدى .

يَأْوِي إِلَى حُسْنِ عَهْدٍ مِنْكَ مَا بَدَلَا
وَلَا ابْتَغَى بِصِدِّيقٍ صَادِقٍ بَدَلَا
وَلَا رَأَى الْخُلَّ مِنْهُ سَاعَةً مَلَلَا
وَأَنَّ جُلُوكَ جُلٌّ لِلسَّمَوَاتِ ، لَا يَخْشَى الْأَعْدَى ، وَلَا تَغْتَالُهُ النَّقَمُ^(١)
إِسَاءَةً جَنَّتْهَا ، وَاللَّهُ يَغْفِرُهَا
يُدْعِيهَا النَّهْرُ فِي الدُّنْيَا ، وَيُنْشُرُهَا
وَالْخَلْقُ أَجْمَعُ يَا أَبَاهَا ، وَيُنْكِرُهَا
هَبْنَا جَنِينًا ذُنُوبًا لَا يُكْفِرُهَا عَذْرُ ، فَاذَا جَنَى الْأَطْفَالُ وَالْحَرَمُ
مَا زِلْتَ فِي كُلِّ حَالٍ مُحْسِنًا وَرِعًا
تَرَى الْإِسَاءَةَ فِي وَجْهِ الْعَلَا طَبْعًا^(٢)
لَكِنَّ فِعْلَكَ فِيهِمْ جَاءَ مُبْتَدَأً
أَلْقَيْتَهُمْ فِي يَدِ الْإِفْرِجِ مَتَّبِعًا رِضًا عِدًّا يُسْخِطُ الرَّحْمَنَ فَعِلُهُمْ
أَخْفَى الْهَوَى عَنْكَ بَعْدَ الْكُشْفِ أَمْرُهُمْ
حَتَّى لَا تُنْكِرْتَ يَا مَخْلُوعُ مَكْرَهُمْ
وَسَوْفَ تَعْرِفُ بَعْدَ الْقَوْتِ غَدْرَهُمْ
هُمْ الْأَعْدَى ، وَقَالَ اللَّهُ شَرُّهُمْ وَهُمْ ، بَزَعَهُمُ ، الْأَعْوَانُ وَالْخَلْدُ

(١) أسقط أسامة بعد هذا البيت كما لم يسطه وهو :

وما طُلَانُ بَأْوَلٍ مِنْ إِسَاءَةٍ بِالْهَرَقَةِ ، لَكِنْ جَرَى بِالْكَانِ الْقَلَمِ

(وانظر القصيدة ٢٦٦ ص ١٤٧) •

(٢) الطبع : الروح الشديد والحب •

ما أنصفوك ، أتوا ما لست تجهله
 وما استعملوا^(١) بعبء أنت تجهله
 وخالفوا كل خير كنت تفعله
 إذا نهضت إلى مجرد قول^(٢) ، فإذا شيدته هدموا
 صدقهم ، وعهود القوم كاذبة
 وكل أحلامهم في الغدير عازبة^(٣)
 لغدير دولك الغراء طالبة
 وإن عرتك من الأيام نائبة فكلهم للذي يبيحك مبسم
 ضلالة قد أظلمت غوايتها
 ودولة رفعت بالغدير رايتها
 دنت لكفرانها النعمى نهايتها
 حتى إذا ما انجلت عنهم غيابتها
 بجحد عزمك ، وهو الصارم الخليم^(٤)
 وأصبحوا في نعيم ما له خطر
 ما يعترى عيشهم بؤس ولا ضرر
 ولم يزعج سرحهم^(٥) خوف ولا حذر
 رشت آجن عيش ، كله كدر ووردتهم من فذاك السائل الشيم^(٦)

(١) لا يستعمل بالأمر : لا يلقيه .

(٢) أعلى ماله : أصله .

(٣) مازية : بعيدة .

(٤) غياة كل شيء : ما سترك منه . والغدير : القاطع .

(٥) السرح : فناء الدار .

(٦) الشيم : البارد .

أَحْلَاهُمْ غُلَطًا أَعْلَى ذُرَا الْأَقْفِ
فَلَمْ يَرَوْا حَتَّى تَلَكَ الْأَنْعُمُ الدُّقَى
وَعَامِلُوكَ بَغِشَ الْغِلِّ وَالْمَلَقِ
وإن أَنَاهُمْ بِقَوْلٍ عَنْكَ مُحَنَلَقٍ وَأَشْ ، فَذَاكَ الَّذِي يُحْيِي وَيُحْتَرِّمُ

أَخَفُوا مِنَ الْغِلِّ مَا أَخَفَوْهُ ، ثُمَّ عَلَنَ
وَأَضَرُّوا مَحْنًا مِنْ غَشِبِهِمْ وَلِاحْنٍ ^(١)
وَأَنْكَرُوا نِعْمًا طَوَّقَتْهُمْ ، وَمَنْ
وَكُلُّ مَنْ مَلَتْ عَنْهُ قَرْبُوه ، وَمَنْ وَالَاكَ فَهُوَ الَّذِي يُقَعِّى وَيُهْتَضِّمُ ^(٢)

مَا زَلَتْ فِي وَدَعِهِمْ تَجْرَى عَلَى سَنَنِ
وَهُمْ بِذَلِكَ فِيا اللَّهِ لِلْغَبَنِ
أَعْوَاتٌ عَادِيَةِ الْأَيَّامِ وَالزَّمَنِ
بَغْيًا وَكُفْرًا لِمَا أُولِيَتْ مِنْ مَنِّ وَمَرْتَعُ الْبَغْيِ ، لَوْلَا جَهْلُهُمْ ، وَخِمُّ

أَخْفَيْتَ بِأَدَى مَسَاوِيهِمْ أَنْتَرَهُمْ
وَلَوْ كَشَفْتَهُمْ لَمْ تَرْضَ مَكْسِرَهُمْ ^(٣)
فَاكْشِفْ بِجَنِّكَ مَا أَخَفُوا لَتُنْكَرَهُمْ
جَرِيَهُمْ مِثْلَ تَجْرِيِ لَتُخْبِرَهُمْ فَلَرَجَالٌ - إِذَا مَا جُرُّوا - قِيمٌ

(١) الإلحاح : جمع إحاة ، وهى الحقد والغضب .

(٢) الاضمام : الظلم .

(٣) المكسر : المهين والأصل .

مازلتُ، منذ كنتُ، في عين العلوِّ قَدَى
 يرى محليَّ فوق النجم مُتَبَدِّلاً^(١)
 فسلهمُ بي تَرَدُّمُ من جَوَى وأدَى
 هل فيهمُ رجلٌ يُغْنَى غَنَايَ، إِذَا جَلَى الحوادثُ حدَّ السيفِ والقَلَمِ

أَم فيهمُ من يُجَلِّي حِندَسَ الشُّبَّه
 يَعْزِمُ أَرُوعَ^(٢) مِدْرَاكِ لِمَطْلَبِهِ
 ماضٍ على الهولِ مُسْتَوِطٍ^(٣) لِمَرْكِه
 أَم فيهمُ مَنْ لَهُ في الخَطْبِ ضَاقٌ بِهِ ذَرْعُ الرِّجَالِ يَدُ يَسْطُو بِهَا وَفَمُ

عَرَفَتْ غِشْمُهُمْ فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ
 وَأَنْتَ نِيَّاتِهِمْ مَلَأَى مِنَ التَّرَنِ^(٤)
 وَلَمْ تَرَلْ عَاكِفًا مِنْهُمْ عَلَى وَثَنِ^(٥)
 لَكِنَّ رَأْيَكَ أَدْنَاهُمْ وَأَبْعَدُنِي فَلَيْتَ أَنَا بِقَدْرِ الْحُبِّ نَقَسْتُ

لَمَّا خَلَطْتُ يَقِينَ الْوُدِّ بِالشُّبَّه
 رَعَيْتَ عَهْدِي بِطَرْفٍ غَيْرِ مُتَبَيِّهٍ
 وَمَلْتَ بِالْوُدِّ عَنْ مَلُوحٍ^(٦) مَلْعَبِهِ
 وَمَا تَنَطَّلْتُ بِعَادَى، إِذْ رَضِيتَ بِهِ وَلَا بِجُرْجٍ، إِذَا أَرْضَاكُمُ، أَلَمْ

(١) الاتِّبَازُ : التَّحِيُّ .

(٢) الأَرُوعُ : مَنْ يَجِبُكَ بِجَسَدِهِ ، أَوْ بِشَبَابِهِ .

(٣) اسْتَوَطَاهُ : وَجَدَهُ وَطِيًّا ، أَيْ عَلَى حَالَةٍ لَيَّةٍ .

(٤) التَّرَنِ : التَّوَحُّجُ .

(٥) الْوَثْنُ : الْعِصَمُ .

(٦) لَحَبُ الطَّرِيقِ : يَجْه .

لَا تَحْسَبَنَّ الرَّزَايَا ضَعُفَتْ جَلَدِي
وَلَا النَّوَى عَنْ دَمَشْقٍ فَتَّ فِي عَضُدِي
أَنْتَى نَوَى اللَّيْتُ فَهُوَ الْخَيْسُ^(١) لَا أَسَدُ
وَلَسْتُ أَمَى عَلَى التَّرْحَالِ عَنْ بَلَدٍ مُنْهَبُ الْبَزَاةِ سِوَاهُ فِيهِ وَالرَّخْمُ^(٢)
أَقُولُ إِذَا قَاتَ حَزِي عَزَمَةُ الرَّشَدِ
وَقَدْ بَدَأَ مَا لَمْ يَجْسِرْ فِي خَلْدِي:
لَقَدْ دُرُكٌ ، لَوْلَا الْغَيْبُ ، مِنْ بَلَدٍ
تَعَلَّقْتُ بِجِبَالِ الشَّمْسِ مِنْهُ بَدَى ثَمَّ أَنْتَنْتَ ، وَهِيَ صَفْرُ^(٣) ، مِلْؤُهَا نَدَمٌ
كَمْ عَزَّنِي^(٤) أَمَلِي فِيهِ ، وَمُسَوِّقِي^(٥)
وَكَمْ وَثِقْتُ بِمِيعَادٍ فَأَخْلَفَنِي
حَتَّى تَلَائِي رَجَائِي فِيهِ ، ثُمَّ قَبِي
لَكِنْ فِرَاقُكَ آسَانِي ، وَأَسْفَنِي فِي الْجَوَانِحِ نَارٌ مِنْهُ تَضْطَرِمُ
وَمِثْلُ وَجْدِي لُبْدِي عَنْكَ لَمْ أُجِدْ
وَكَمْ شَجِيتُ بِتَرْحَالٍ وَمُفْتَقِدٍ^(٦)
فَمَا تَنْكَرُ لِي صَبْرِي وَلَا جَلْدِي
فَأَسَلَمَ ، فَأَعِشْتَ لِي فَالْعَرُطُوعُ يَلْدِي وَكُلُّ مَا نَأْتِي مِنْ بُؤْسِهِ نَعَمُ

(١) الخيس بالكسر : موضع الأسد ، كالخيمة .

(٢) البازي : ضرب من الصقور . والثبئة : يابض يصلحه سواد . والرخم : جمع رخمه ، وهو طائر ضعيف .

(٣) صفره : ظله .

(٤) صفر : خالية .

(٥) سوقي : مطلي .

(٦) افتقده : ظله عنه غيبه .

نجز ديوان الأمير: مؤيد السلوة أسامة بن منقذ (رحمه الله) ،
بمجد الله ومنه ، لتسع بقين من صفر ، سنة ثمان وثمانين وستمائة .
كتبه الفقير إلى الله تعالى عبد العزيز بن أحمد العجمي ،
حامدا لله على نعمه ، ومصليا على نبيه محمد وآله ، ومسلما .

الفهارس

١

فهرس القوافى

مرتب على اغراضه الشعرية

فى الفزول

الباء

البحر	الصفحة	صاحبو بترق ما أصبوا	وتجاف عن تمنيهف أن أذنبوا الكامل ١
بغى قريب الهار والمجر دونه	وبعد التتال غير بعد الساسب الطويل ١	حقى مى أنا شام	إيمانى بارقة خلوب الكامل ٢
تشدتك يا مدعين سادة	عن الحب لم يستغن الظلم فى الحب الطويل ٢	لر إذا عاتجه	كالت غلظه جواي الكامل ٣
ذكر الوفاء خيالك المتاب	فالم وهو يودا مراتب الكامل ٣	قضى بزهرة دنياها مذبذبة	فكيف حال من الدنيا تمليه البسيط ٤
واص اصطبارك أنت تكفل أنه	لك سعد فالمجر يظهر حوبه الكامل ٤	ليس طرق جادا قلبي ولكن	دم هذا يدمع هذا مشوب الخفيف ٤
أطع المصوى واصص المعتاب	واصف من الراشئ المراتب الكامل ٥		

البحر الصفرة

- من زين الألوان الرطب بالثقب
وتظلم المدينين الراح والحب
٥ البيط
مفهم ينجل بدو الهوى
فانت وآه اكفن في الحب السرج
٦
أدور حل ظالي فيضب من
دعوى قل ل سلام ذا الضب البيط
٦
لا تكثرت حباب من لم يضب
فن النساء قباد غير المحب الكامل
٧
كف من واش وأغنى رقيب
وتناني عن الصاي المثيب الخفيف
٧
فأجابه :
بأي شخصك القى لا ييب
٧

الشاء

- ٨
بأسل الآمال دع خدع المنى
فأياك يفتض كل ما أيرسه الكامل

الجسم

- ٩
وقائل وابه ضلال عن نهجى والحب ما له نهج الخفيف

الحاء

- ٩
قضى نعت بد تمام إذا
حاتنى بالجد أو بالتراح الخفيف
٩
باح يشكوى ما به فاستراح
خل طيه في الهوى من جناح الخفيف
١٠
أرته غرته في المجرى ملحق
بجلا فأفند من كل ما علما البيط
١١
حقائل الحى أم سرب لها منا
أفندنا ما كان باللوآن قد علما البيط
١١

الذال

- ١٢
حسام أذهب في مودة زاهد
وأودم قرب الدار من متباد الكامل
١٢
إن خان عهدك من توده
وأوى فلا يحزنك قدسه الكامل
١٣
يا مولانا ظنا يرى
لن يرواه عهدا الزل
١٤
مروء بالقتل والسد ليس له
ميرعل المهر والأعراض يمسده البيط
١٤
لا تحبين اليوم أجلى
بل زاده كفا ووجدنا الكامل
١٥
قل لمن لم يبع عهدى
واقى ضج ودنى الزل
١٥
حال عما عهدت من وداد
واحدى في قطيعة وبهذى الخفيف
١٦

الراء

- ١٦
كم لك كم أكلتم الناس وجدى ويظهر الخفيف
١٦
أربح ل شرخ الشباب وصره
وكيف يرجع الليل قد لاح بغيره الطويل

البحر الصفحة		
١٧	وفودة الطيف سرى من مصر الرز	ما حاج هبنا الشوق غير الذكر
١٨	من الدهر يحرق هجرها آخر الدهر الطويل	دعاني إلى هجرى بجنة حقة
١٩	وهوا ولم تصدقهم الفكر السريع	رجع الموائل لا خلاق لهم
١٩	والنجم أقرب من طول حاضر الكامل	يا حاضرا بفؤاد ناء غائب
٢٠	متينا في ظل طير طائر الكامل	واها ليل خلتي من طيه
٢٠	أسات وقد بحت أستغفر الخقارب	هبوق كما زعموا مذهب
٢٠	سك الذنوب ومنى السند السريع	يا جازرا وهوى يسدده
٢١	وليس إن جار منه ل جار المنسرح	ما حلق في القول يظلمني
٢١	أخسى له العين الملت مرارا الكامل	لا صبر لى عن بدد تم مشرق
٢١	وهو شمس ضى وفي الليل يندى الخفيف	أنا أنسى منى بصرى وهجرى
٢٢	من ناقض العهد يثنى وأذكره البسيط	من طافد لى ومن لصب يسدده
٢٢	باك ووجهى الجميل مسفر الكامل	حسام ظلى بالكأبة مكده
٢٢	مع التلك والصلح صبرا الخفيف	من طوى من شادن لم أطوعه
٢٣	ك قلت لا والله ، عمرى الكامل	قالوا أسلر عن حير
٢٣	ماء الدنيا من خده يقطر الكامل	ظلى تصاد الشمس من حبه

الشيخ

لا ترجع اتجع من مواعده نهي صباح يلباب عن غيش المنسرح ٢٢

الصاد

يا من مودته صباب زائل وهوود في الحب ظل قالى الكامل ٢٤
يا غاددين إلام يشى هجرم وبلاكلم ألى يحمد ناكس الكامل ٢٤

الضاد

ص من وأمرضا وتنامى القى مضى الخفيف ٢٤

الطاء

لك أن أطيعك واضيا أو سخطا وأصون سرك راجيا أو قاتلا الكامل ٢٥
يتسبر بالذهب يحبه فأحبه قد جاء مستوكا بالعد ما فرطا البسيط ٢٥

الغناء

أحفظتم علي بندقم والقلب أدنى للصدر يحفظه البحر
المنصه ٢٦ السرج

العين

يا موعدي بالوصل وعدا لا يرى فيه القومل للغانى موشا الكامل ٢٦
أطبع حوى عصا وهو يضلنى وما أنا فيها لقي بطيخ الطويل ٢٦

الفاء

أطاع ما قاله الواشى وما مرنا ضاد ينكر ما كر ما مرنا البسيط ٢٧
ومعقوف في من قصود بخوفه سكر يقصر عنه سكر القترق الكامل ٢٨
لا تتردد بحول خسر أيف فاموت في حد الحمام المرفف الكامل ٢٨
منصرف القلب إن عدت إسانه وكلها في الحشا يدوم ويعترف البسيط ٢٨
قل القوائم كفوا عن ملاسكم فاته يستير المم والأسفا البسيط ٢٩
باحث بترك أدمع تكف غلام تنكر وهي تعترف السريع ٢٩
ما بالملالة حين تعرض من خفا إن لم تخن فاطم رضاك من الجفا الكامل ٣٠

القاف

حتى متى ياقلب لا تسخيق حيك قد حلت ما لا تطلق الرخ ٣٠
قصر إذا عاجبه شفا به غرس الحياء بوجيته شفيقا الكامل ٣١
انظر شامة عاذل وسروره بكسوف بدوى واشتار محاله الكامل ٣١
بينه ما أعرضت عك ملالة ولا أنا عما تطلبين حقيق الطويل ٣٢
له لبتنا التي رجعت لنا فيها المرة في مجال ضيق الكامل ٣٢
يا لاني انظر إلى قصر في الأرض في ويطاه شفن الزج ٣٢
وغزال في فيه راح ودد وعقيق وطب ومسك تقي انخفيف ٣٣

الكاف

عاديت حين عاديت الروى فيكا حجر القل والنجنى كان يكتحيا البسيط ٣٣

اللام

أما في المسوى حاكم يملد ولا من يكف ولا يملد المتقارب ٣٤
قالوا : قللك وملا قللت : حاشا وكلا البحث ٣٦
كم ذا النجنى وكثرة الليل لا تأمنوا من حوادث الليل التمرح ٣٦

٢٦	البحر	تري حلاك هذا غير محلول	قل المحلول اقل اياها طوره
٢٧	البيط	امير ناظره بالوحد مغلول	كيف اخللاص قلبي من يدى قر
٢٧	الرج	غدا فودى غير متقل الرج	احبابا انت كان هجركم
٢٧	الطويل	لاكرها من حرمة القوم والمغفل	يلومونى فى حب ليل واني
٢٨	الرج	فا اقلى اطلس عذال الرج	ما خطر السلوات فى بال
٢٨	الكامل	واسال سالها يدع سائل الكامل	واذا مررت على الهيار قف بها
٢٩	الرج	فاسد قاه المصب باقل الرج	قصى القصدان ياتينى
٢٩	الرج	وفى على قه يقبله الرج	قصى القصداء لمن ياتينى
٢٩	الرج	ككان نيزج المصح الحامل الرج	كصمت فى غير انت لم الق

الميم

٤٠	البيط	قلهم حكوا غيا بما علوا البيط	ولوا قضا رجوا علم ظفروا
٤٠	المرح	رماح العاشقين تبهم المرح	أصغر ظوى فى حميم لم
٤٢	الكامل	قواك تضحك من صمود دائم الكامل	لا تسر جدا على هجرانهم
٤٢		ما صي دولة الصبا أن تكمدا اغتيف	قل لمن تاه بالجمال طينا
٤٢	الوافر	وجسم شعور سقا الوافر	بحوث تسبل دما
٤٣	المرح	وضاع وهى فى الظن والهم المرح	مل وأبى تبهم السام
٤٣	البيط	وخافروا حرمة الزوام البيط	يا غاميا عشرة الناصق
٤٣	البيط	لل هواكم وفاة لت أساه البيط	يربى ما أدى منك ويسطقن
٤٤	البيط	وجع فما الحب فى حال يكتنم البيط	أجب دواعى الهوى بالأدع الجم
٤٤	الرج	سلوا ولطى بهم مرم الرج	ما أنصفوا فى الحب إذ حكوا
٤٥	الكامل	ف وقبه لى منه قبا الكامل	فتا بمن لم يبق نحو
٤٥	الرج	يتضبط أن ادعو على ظالم الرج	فولا لقا للضباب يا غاميا
٤٦	الرج	واكزبونى القتب والجلانى م الرج	لما رأوا وجهى بهم تهرموا

النون

٤٦	الوافر	وبادق بهم أم يرق عزف الوافر	عيا ما أدى أم يند دجن
٤٧	البيط	والياس منك إلى السلوات أبلان البيط	إصلاح تلك أياى وأحيان
٤٨	البيط	على كد لج فى صلي وهجراد البيط	يا رب خذ يدي من ظلم متصد
٤٨	الطويل	إليه وقه بالأخاء ضين الطويل	إذا أوحشتى بجهة اتخل ردى
٤٨	الرج	ويا صبح المصح أبحاف الرج	بافه يا مفرى يجرانى
٤٩	المقاروب	وأدفع بالنك عنك القينا المقاروب	لل كم أديم فك الظنوا

زدف جوى يا حيم وأحلى
يا هابرا تكلا زدت فى
يا مسرنا راضيا وضيا
يا فنة عرمت لى بسد ما عرفت
أحييتا فى عفوان الصبا
يا مرشدى عن منج السلوان الكامل ٤٩
غضوى له زاد هجرته المتقارب ٤٩
وهاجرى حاجبا ويقظا المنسرح ٥٠
قضى عن اللهو واكاد الهوى رضى البسيط ٥٠
ولدت إن الشيب يلى الريح ٥٠

الماء

يا هلالا إذا تبسدى براه
كل لمن أوحش بالحجر
تخفى على ذنوبه فى حبه
نبئت لهم حسد البعاد نسوا
ورى لا يمل دأبه منه الخفيف ٥١
بغوى من كراها الزيل ٥١
ورى ذنوب قبل أن أجنها الكامل ٥٢
عهدى وقالوا مضى أسى بما فيه البسيط ٥٢

الباء

بناطق فيكم هواى فأتق
يا سائل عما يه
يا قمر أعجب ما فيه
إلکم على إنكار ما قد بدا ليا
سر الحب حلایه
در بدیع النظم فى فيه

٢

شكوى الفراق ووصف الحنين والاشتياق

الباء

أحيانا من غاب عن يوده
ألياء إن شطت بنا الهاد عوة
يا أمرى بالصبر لما
يا دهر مالك لا يصد
علام يا دهر بالسلوان تجسنى
رمتنا الليال باقراق مشقت
إلى قد أشكو حشة قد شككت
إلى كم أحنى بالرى والبا سب
أسويت مثل النعم يشرق نوده
فياض عدى بسده واتزابه الطويل ٥٤
قدارك أجناتى القريعة والظب الطويل ٥٤
ن الين موعده الغروب الكامل ٥٥
ك من إساءاتى الكتاب الكامل ٥٥
فى غير جنسى ولم أقصد ولم أعب البسيط ٥٦
أشت وأأى من فراق المحصب الطويل ٥٦
عل زدهرا قد ألحت خواتبه الطويل ٥٦
ويصدح شلى بالئوى والقرواب الطويل ٥٧
والنار فى أحشائه تنهب الطويل ٥٧

المسح

البحر الصفرة

لم يمه الطل لكن زاده لهما والمثل عما يزيد المتنام شيء البيط ٥٧

الحاء

كتم الجوى القلب القريج فذاحه الدم المفضوح الكامل ٥٨
يا فاذحين واصطبارى والأسى يحم ذا دمي وهذا ينزع الكامل ٦٠

الذال

يا دار إنك بكت على مننك سارية العهد الكامل ٦٠
أظن صبرك منجدا إن أجمدوا حيات ليس لمتنام سعد الكامل ٦١
ما ينكر الأخلاء من كدى لا جزى معلى ولا جدى المنسرح ٦٢
دعوى أجم ما مثل وجدى يصعد على جرات فى الجوانح تحمد الطويل ٦٢
إعلام مطلوب القواد قيده بعد الترام فأنبتته شجوده الكامل ٦٣
ولما تصانينا وأخلص ودنا ورد ياس كاشح وحسود الطويل ٦٣
أسير إلى أرض الأعدى وفق الحشا لبضم ناز نلقى وقودها الطويل ٦٤
إذا مر ذكراكم بقلبي تصانقت ملوى عما تحتمن من الوجد الطويل ٦٤
عليك الصبر يا قلبي فانت خفت سيده عك فاسأل عنه من قدا البيط ٦٤
هب أن مصرجانا خلف ما اشتت القو مر فيها من اللذات موبود البيط ٦٥
بنفسى بعيد الدارين من فراه جوى لو رآه البعد رق ل البعد الطويل ٦٥
تانت بنا عن أرض نجد وأمله نوى غرة كاصدع فى الجبر الصمد الطويل ٦٥
أقول لعمري يوم توديعهم وقد جرت نجيع فوق خدى مزيد الطويل ٦٦
قد مررت قلوبنا على النسوى فما تشكى من أليم الوجد الرجز ٦٦
أنهم نيك لائى وأنجدا وما أفاد سلوة إذ فندا الرجز ٦٦

الذال

صدوه وهو صدى القواد للمسم ظام يحوم عليهم ويلوذ ٦٨

الراء

لا غرو إن جسر الخيال أواز ما يستزير اللبيب طرف ساهر الكامل ٦٨
تلاحوا وما شطت بنا ضهم الحار ومالت بهم عنا غطوب وأهدار الطويل ٦٩
ما أنت أول من تانت دأره قسلام فقلت ليس تحب نازه الكامل ٧٠

البحر	الصفحة
أطاع أخوى من بعد مصر الصبر	٧٢
أحبابنا ما اشتكى بعد سدمكم	٧٤
يا عين في ساعة التوديع يشفقك الله	٧٤
يا مصر ما دوت في دهر ولا غلى	٧٥
يا غائبين وداعي طيب	٧٥
يا مدح أنجندني على سدمكم	٧٥
يا الله أشكو فرقة هيت طار	٨٦
وجد وجدى بعد ما كان قد عفا	٨٦
كأنى مجول أو فكول إذا جرى	٨٦
ثأروا ذنوبكم منهم القدر	٧٧
غرخت من المجران والشملى جامع	٧٧
وصف الصبر لى جهول بأمرى	٧٧

الضاد

في ذلك الحى الممرض لى هوى	٧٨
---------------------------	----

طاء

أجيرة قلبي إن تدانوا وإنت شطوا	٧٨
يا الله أشكو من جوى لم أجده له	٨١

عين

أحبابنا لى عند خطرة ذكركم	٨١
يا قلب دعهم فقد جريت عندهم	٨٢
الى متى أسمى وأحصى	٨٢
أرايت بين ساطف الأجرع	٨٢
ما أنكروا من عزمتى وزماعتى	٨٢

العين

يا لائم المشتاق دعه قلنا	٨٣
--------------------------	----

الفناء

البحر	أمر نحو بلاد لا أسرها	إذا تبعت لفتى هبت أسمى	البيضة	٨٣
يا لائم	المشتاق	توصف المشوق الصب	عف	الكمال
أحبابنا من	لو دام	الشدائ	والجفا	الرب
أذكرهم الود	إن صدوا وإن صدوا	إن الكرام إذا استبقفتم	عقلوا	البيضة
ما منهم لك	مناخر ولا خلف	فكيف يصير	عنب قلبك	الكف
			البيضة	٨٦

الفان

لو أحسنوا في ملكنا أو أعتوا	لصفا لم من ودنا ما رقا	الكمال	٨٧
يا قلب كم يتفك القلق	غير جميل بذلك انشرو	المنسج	٨٨
ماذا يروك من وجدى ومن قل	أم ما يريك من أجفان	الندق البسيط	٨٩
ولما وقفنا للوداع عشية	وطرفي وقلبي أدمع وشقوق	الطويل	٩٠
ألف القل وأجاب دلعة النوى	فليت منه بيجرة وفراق	الكمال	٩٠
رقنا بقلب الصب رقا	هو دونكم بالين يشق	الكمال	٩٠
أقول العين في يوم الفراق وقد	قامت بدمع على الخدين مستيق	البسيط	٩٠
من مبلغ الثاني المقيم تحية	من راحل شاك جوى أشواه	الكمال	٩١
أحبابنا ما إلى الصبر عنكم	دليل وقد ضلت على طريقه	الطويل	٩١
إن تطلع الأيام منك علائق	فأنا الموصل بأنوداد	الصادق	الكمال
طالت يد العين في خريف أفتنا	فأما غصرت من جمع ما اقرا	البسيط	٩٢
بأنور أهلك يا بين وأهلنا	بالأبرقين أين أين المتن	الكمال	٩٢
كم نذى وكم تحنى يا ناز	حبك قد هجت الجوى والأشواق	السرير	٩٢
ليت من يدل جيران الفنا	هل لنا بعد اقراق ملق	الزل	٩٣
أشدكم فإذا ظلمت إلهم	زاد الفو صبايق وتشتوق	للكمال	٩٣
خليل نوداي رويقة لحق	إيها على قرب الزيادة شيق	الطويل	٩٣

الكف

ناقت دهرى	فوجى ضاحك جذل	طاق وقلبي	كيب مكسد	باك	البيضة	٩٤
يا قلب مت	كسدا على	من غبت	عه وغاب	عنك	الكمال	٩٤

اللام

لا ذنب	للب المشوق	إذا بدت	أسراره	يوم النوى	للنذل	الكمال	٩٤
تسى	القضاء	من قبله	مجلا	والين	يجب من وجدى	ومن عجل	البيضة

٩٥	البحر البسيط	لم يرو غلته بالعسل والتيل	وتأخ في قراى من هواه حدى
٩٥	الطويل	بذكركم روح الحياة علول	بضى علول لام فيكم فرد ل

المسم

٩٦	الكامل	إلا ليلن سرك المكوم	ما استجيك مصام ودموم
٩٧	الكامل	أن قصدا قدرا الملامة	إن لم طليقا يوم راسه
٩٨	الكامل	ذا مبل ما السكم شبة حاتم	إن لم أيج بهواك ظن لوانى
٩٨	الطويل	صروف اليلال أفردنى بالمهم	أأجابنا من أفردنى منكم
٩٨	البسيط	وجدانا كل شى بذكر عدم	قل للذين ذارا ولقلب دارم
٩٩	الكامل	وصبرت حه والحشا ينضم	كم قد جعت لين من فارقه
٩٩	الطويل	عل غصن في فيضة ترم	وهاج ل الشوق التدهم حامة
٩٩	الوافر	عل ولم يمل ليل النيام	سهرت بمقربرت ظلال ليل
٩٩	الكامل	كل الهوى جبل أغم بهيم	مالي وبجبل الآخر وإنما

النون

١٠٠	الزمل	ذكر الألاف والوصل لحفا	ما يريد الشوق من قلب ملى
١٠١	الرجز	وألقى للوجد اقوى تجسفى	يا ناق شطت دارم غنى
١٠٢	الكامل	محت فاحت بالهوى أجهانه	أعلت ما ضلت به أجهانه
١٠٤	البسيط	ناه عن الأمل والأوطان والسكن	أهكذا أنا باق السر مقرب
١٠٤	الكامل	أبدا فلا وطن ولا حلالن	أين السرور من المروع بالنوى
١٠٤	الكامل	شطين بين شتونه وشجونه	قسم الهوى دهر المروع بالنوى
١٠٥	البسيط	قد أقصرت به سكان وجيران	منصور دارك أخصت منك موحنة
١٠٥	الطويل	أيس ولا في طارق انقلب أعوان	وقد أفردنى الحادثات طيس ل

الهاء

١٠٥	الطويل	ورداء في الهوى وظله	سلا قلبه ما غل حسن سلوه
١٠٦	الطويل	له ظل من بردها لم يروه	الآمن لصاد والموارد جهة
١٠٦	البسيط	وأمر صبرى بهد البين مثبه	بكاه ملى من وشك التوى سفه
١٠٧	البسيط	كم ذا الحنين للى من أنت شواه	يا قلب رقنا بما أجيت من جهى
١٠٧	السرع	كوجد من فارقه روح الحياة السريع	ما وجد من فارقه أحيابه
١٠٨	الكامل	لو كان يوجد منه خلق الهوى	بأب هوى فارقه ولتله

٣

المكاثبات والمعاتبات

الهمزة

البحر	الصفحة
الطويل	١٠٩

لله غرت شمس المنيرة في النوى قليل وصحي في الظلام سواء

الباء

المترج	١٠٩	سلوكم والتسلوب تغلب	لم يبق لي في هواكم أرب
الطويل	١١٠	مفاوز أدها الشاغب والسب	وقد كنت أربو أن أراك وبيننا
الطويل	١١٠	وأعرضت عه لا أريد اقترابه	تبذل حتى قد مللت عساه
الطويل	١١٠	وقد كان لو علت التي قر به حمي	أيأنازحاً لم أحسب بد داره
البسيط	١١١	ومن مودته أدق من النسب	يا من به سلو عن كل مفقده
الطويل	١١١	لأنت إلى ظهي من الفكر أقرب	أيأنازحاً يدينه شوق على النوى
الطويل	١١٢	ولا رضىت بعد الهيار من القرب	وما سكنت قصى إلى الصبر عكم
الطويل	١١٤	فأصبحت في شرق وأسيت في غرب	ثن فرق الدهر المثلث شلثا
الوافر	١١٤	مواجه كنهل السحاب	أيا البرككت ل مول جواد
المهيد	١١٤	وعجايا صدى ومكتون ظي	ل صديق أفضى إليه يسرى

الطاء

الوافر	١٠٥	ولو أجبت شكيتهم شكوت	وما أشكو ظون أهل ودى
--------	-----	----------------------	----------------------

الشاء

الطويل	٦٥	ودافع همي إذ ترادف به	أيأنا مقلد والمخادعات تنوشى
الريز	١٨	لناظرى أحر ثالث	يا ثانيا قفصى وهـ

الضال

الكامل	١١٧	في والنداف في ازدياد	يا من حواه على النفا
الطويل	١١٨	وإنسان عني والمزار بيد	أسكن ظهي والمهاج بيتنا
الطويل	١١٨	صوامع حب كل صفح لها حد	أيأنا حسن ولى كتابك شاعرا
الطويل	١١٨	فاسخطوا عهدا ولا باع الودا	أيأنا عني أفا صحتهم

الراء

البحر	أحبابنا خطب الضرق شاعل	عن العتب لكن جاش بالكدر الصدر	الطويل	الصفحة
١١٩	وكتاب منك فأجاني	كيشير جاء	بالقصر المديد	١٢٠
١٢٠	يا بعبدا أله الشوق	ظلي	والظري الخفيف	١٢٠
١٢٠	يكثر ماء الرزم عند أدلكم	دموى ولكن ذا يردو وذى ظر	الطويل	١٢٠
١٢١	أشمس القولة اجمع بث شوق	يضيق يشله ذرع الصبور	الوافر	١٢١
١٢١	أحبابنا ما صر بصدكم صر	ولكنها قهر إليكم	يا قهر	الطويل
١٢١	تذكره أحبابه الأنجم الزهر	فاويحه ماذا به صنع الفكر	الطويل	١٢١
١٢٢	لأشكرن أعتاما منك يدكرن	في البلد حتى كآفى صعب الدار	البسيط	١٢٢
١٢٣	أصبحت بصدك يا شقيق النفس في	بحر من ألهم المبرج زائر	الكامل	١٢٣

السين

تخايب ولولا أن يأسى قد نهى استياق لذاب الطوس من حر أقامسى الطويل ١٢٣

العين

١٢٤	مالى ولتشفاء غيا أرتجى	من حسن رأيك في وهو شفى	الكامل	١٢٤
١٢٤	نظام العين لا سقيا تلعب	زماة بانسوى بعد اجتماع	الوافر	١٢٤

الفاء

١٢٤	مواصلت كهي إليك ثريد	إليك اشتياقا بل طيك	أسفا	الطويل	١٢٤
١٢٥	وايزن رأى عز الدين مستبأ	من بعد ما عنو إحسانه ونشأ	الطويل	١٢٥	
١٢٦	لكنى اشكو قوارص من	تلقائهم ظي لها	يجف	السرير	١٢٦

القاف

١٢٧	يا بن الأال جمع الصغار ليتم	ما شكوه من العطاء وفرقا	الكامل	١٢٧
١٢٩	لما يحقك مجد العين تلم أن	الصير حلك أو السلوان من خلق	البسيط	١٢٩
١٣٠	أحبابنا حلا سيقم بومنا	صروف الزلال قبل أن نفرقا	الطويل	١٣٠
١٣١	بيدت ساقه بيننا وتوحشت	حتى عل طيف انيال الطارق	الكامل	١٣١
١٣١	أبا حسن لولا التلل بالي	قضى كندا قلب إليك مشوق	الطويل	١٣١

لا تفسدن نصيحتي بشقاق	وأيك ما السلوان من أخلاق الكامل	البحر	الصفحة
أظن أن بعد بكك باق	أجزى عن الأشواق بالأشواق الكامل	١٣١	
باراكب التدنية التبداد	ومتاع الوعلان بالإحسان الكامل	١٣٢	
قد كنت أحسب أن آسند منتهى أمه	الفراق الكامل	١٣٣	
ضياء الدين ما شوق دغاف	فأصغى بصر من الصراق الوافر	١٣٤	
كم إل كم يلح الحب المشوق	وهو من سكرة الحوى لا يفنى الخفيف	١٣٥	
نظام الدين كم غارت خلا	وكم حليت حشاي نظى اشتياق الوافر	١٣٦	
أيا الحارث أسلم من حوادث دهرنا	ومن حراخاس المشوق الحارث الطويل	١٣٧	

اللام

أيا حسن فهران بعد ببادكم	على القلب م ما أراه يزول الطويل	١٣٨	
وافى كتابك مفتوحا فيشرق	يفتح سبل القاء الزهر والقال البسيط	١٣٨	
أيا المنظر أدواق مبرقة	وما استغلت بك العين أجمال البسيط	١٣٩	
يا خير من طقت كفى مودته	وصدقت لى عياه آمال البسيط	١٣٩	
أين سمى عما يقول الفول	أنا بالهجر والنوى مشغول الخفيف	١٤٠	

الميم

أبى السرى واليه لا	أغرى الزمان بك حراجه الكامل	١٤١	
وكيف أشكر من أسدى إل يدا	مرت سرى الطيف من حمر إلى الشام البسيط	١٤١	
فصرت في خدى قصير مترف	وما كذا يفعل الإخوان وأنقدم البسيط	١٤٢	
يلط بالهين من مولا سلسه	حتى يحلقه اللطائف والحكم البسيط	١٤٤	
اقصت بالجوذ ما إله قسم	وبالمودة منك إلهها رحم البسيط	١٤٤	
يا راجيا قطع اليداه عته	والهجر قصير عما عندك الميم البسيط	١٤٦	
يا ناصر الدين يا ابن الأكرمين ومن	يفنى عدى كفه عن وائل الميم البسيط	١٤٩	

النون

هذا كتاب قى لحله النوى	أرطائها ونبت به أوطانه الكامل	١٥٠	
أمن إليكم وللمناه بيتنا	حين أنوف بان منها قربنا الطويل	١٥٠	
قصي القصد لمن أنفد بذكره	عنى عوادى الميم والأشجان الكامل	١٥١	
وإن امرا أخصى بإبريل داره	وفى شيزو أحبابه وعجونه الطويل	١٥١	

الحاء

إن الله سره قربي وأمنه وإن أعجب صدق معروضا ولها البسر ١٥١

الياء

رافى - تهايك مطا بلامه قدست زنادا فى الجوانح واديا الكامل ١٥٢

٤

الأوصاف

الباء

دعوت أرمه عشية غنى الر حذ فى الجسر والكريم طروب الخفيف ١٥٣

الدال

وصاحب لا تحمل الدهر حبيبته يشق لضى ويسى سى يجتهد البسيط ١٥٤

العين

أنيس فى ليل القطيع شمسى نحولا وتبهيدا ولونا وأدما الطويل ١٥٤

ومفردة تيك إذا بين ليلها خفا وفى أحشائها النار والذبح الطويل ١٥٤

الفاف

وسل عك الموم إن طرقت بينت دم فى الكاس تأتق المنسرح ١٥٤

انجب تخجب عن كل دى نظر حبه الدهر لم أسير خلاقه البسيط ١٥٥

الميم

واظك حالكه السواد يحاها صغ الشباب الناظر الخوسم الكامل ١٥٥

٥

الملح

الباء

غولا ريم فى حط السرب إليك أشكو ما يصنع اسمك فى المنسرح ١٥٦

القاء

من أرى الطويان قد مهدت حيطاته السود الخاريت البحر الصفحة
١٥٧

الراء

شينة حبات القلوب لك الهوى وهل لقواد عن سويدائه صبر الطويل ١٥٦
انظر إلى الأيام كيف تعودنا قسرا إلى الإقرار بالأقدار الكامل ١٥٧

الشرين

أمية زاهد والناس قد زهدوا له فكل على الطاعات تنكش البسيط ١٥٨

المصاد

رمان مصر كانه ذرة آكله شاعص من النضر السريع ١٥٨

الغاف

إذا صاحبت عمرا في طريق فقد سارت ظلك في الطريق الوافر ١٥٨

اللام

ماهوا هوى شادن في رجه قصر من سكر الحسانه في شبه ثعل البسيط ١٥٩

الميم

تزلت بأرض بالوا وهي حسن علا حتى تمتطق بالنجوم الوافر ١٥٩
حتى كلال إذا تبسئ لسان الليل من تحت النجوم الوافر ١٦٠

النون

يا ساكني بجة رضوان خازنها حتم العيش في دوح وديحان البسيط ١٦٦
وصفوا له بشداد حيا ظفا حقا بحت أحسن البهائم الخفيف ١٦١

٦

المسح

الباء

- البحر الصفحة
١٦٢ قد م جود الأفضل السيد الودي وأخى غناء التيث حيث يصوب الطويل
١٦٢ غرق لآلح التراب وهذا الجذ سر دوزن طوب المياه شروب الخفيف
١٦٤ يا أخلاي بالتأم فن جستم فتشوق لايكم لا يثيب الخفيف

الجم

- ١٦٧ يا منتهى الأمل امتدت طارحه وبأحى من إليه في أطوب بلحا البسيط

الحاء

- ١٦٧ فوا أبا الزم بطوى اليد مصلتا في سيرة عن مسج العاصفات وحى البسيط

الدال

- ١٦٨ تكلم سرب لها حرية الأسد فكيف بالوصل السهر الكند البسيط

الراء

- ١٦٩ يا مغنى ويد الزمان توفى ومقبل جدى وهو كآب حائر الكامل
١٧٠ كل يوم فتح مبعين ونصر واحد على الأعدى وفهم الخفيف
١٧١ صدق لنا كليل يتر الله خاذ ويندى النور لتتود الطويل
١٧١ يا من بين المال في كسب العلا ويرى التواء أجل فتر يخنر الكامل
١٧٢ لكن مكان من أنم الملك الصالح لا تهدي له الفيز المنسرح
١٧٣ سارحل عن جنانك غير قال يشكر بفهم الأفاق ثترا الوافر

السين

- ١٧٣ قد دوك من قى أيت به أياها يتر الزمان العابس الكامل

الطاء

- ١٧٤ ومن حقت بالصالح ألك كفه طيس له دون اللا يلقى شرط الطويل

المسي

البحر	المسقة	يقود أبي القادات للشل جامع الطويل	١٧٨
البحر	المسقة	تهى قشرها يحسن سماع الكامل	١٧٨

الفاء

هو الجواد القى يلقاه مادحه	وان غلاوق ما آتى وما وصفنا البسيط	١٧٩
من كان له من حياه غيس ذى لب	نار دلى من عداه روضة أف البسيط	١٧٩
آدايك الترى يمر ما له طرف	فى كل سمع بنا من حه طرف البسيط	١٨١
دع ذا قل لى الآمال قد وضعت	لكم سبل الآمال وانخل الأسف البسيط	١٨٣
طولك البحر غمرا ليس تنزف	أسماحتا لغاف ددعا صدف البسيط	١٨٥

القاف

تهى مواهبه والسحب جامدة	فن يديه مصاب الوابل النديك البسيط	١٨٨
مثل سبل أنم الملك الصا	ح يدى دان به وصحيف الخفيف	١٨٨

اللام

أبا تراب دهرنا جاهل	يرفع لثبه ذوى الجهل السرج	١٨٩
أبا حسن فى طى كل مساة	من أقه سح لباد جميل الطويل	١٨٩
يا سفل النى فبا تجود به	ومن مواهبه كالمراض المفل البسيط	١٩٠
قى ألقى إله من الخط	ب وقترى إن قال وفرى غول الخفيف	١٩١
زذى حلا لا أرضى بالهى	سبى ما نوت من مال السرج	١٩٢
وابجود فى حكم الصابة جائز	بكتلاف أحكام الملك الحادل الكامل	١٩٢

المسيم

وسر لك بحر غضم له	من مزه سيف وفى غضم السرج	١٩٣
دهوتك يا عسر المكرا	ت لأمر عرى ومهم ألم المتقارب	١٩٣
لو استعنت ولو ملكك أمرى فى	قضاء فرك عا قات من عدى البسيط	١٩٤
خلق تحمل به سلات يك من	أخلاقك للتر يا ذا الباس والنم البسيط	١٩٤
يا سنا مورد إحصائه	سبل فى فى مه من السرج	١٩٩

٧

الافتخار

- أغن السدا أنت ارتحال ضاوى ضللا لما ظنوا وهل يكسد التبر البحر الصفحة
٢٠٠
أب الله إلا أن يكون لنا الأمر لحيا نيا الدنيا ويغتر العصر الطويل ٢٠١

الفاء

- أبى احتمال الضيم لى خلق فيه على ما رأى صلف السرج ٢٠٦

اللام

- جوى بجوى على النكات فى مال أبى لى أنت أهد بجولا الكامل ٢٠٧

٨

الحماسة

الهمزة

- قطا بقتلا من القوم منهم مرارا ولكن ما الدماء سواء الطويل ٢٠٨

الهاء

- رجلاى والسجون قد أودنا فواى من سعى إلى الحرب السرج ٢٠٨

الجسيم

- أنا تاج فرسان الهياج ومن ييم ثبتت أواشى ملك كل متوج الكامل ٢٠٩

الحاء

- نفس عشرة نازلت الكاة إلى أن شبت فيها وغير الخليل ما قرعا البيط ٢٠٩

الدال

- ولكننى ألقى الحوادث وادعا بقلب أروى بأسه يتوقد النازل ٢٠٩
يا عجبا من وشك بين ما رقت فيه مظلما ولا الماوى هذا الرين ٢١٠

السين

البحر الصفحة

٢١١ صل بن كاة الوغى في كل سرقة يضيق بالنفس فيها صدر ذى الياس البسيط

الطاء

٢١١ ولكن قضت فيها الليالى بيجورها وعادتها كفر القذائل والنبط الطويل

الفاء

٢١٢ انت يصدوا في السلم من ترى من العز المنيف الكامل

القاف

٢١٢ ظلى وصبرى إسمان مذ خلقا تناميا صادقين لا اقترقا المنسرح

٢١٣ قالوا ترشفت الليالى مامه واعتاله بعد اتمام عاقى الكامل

اللام

٢١٣ قل لابن مقبل الذى قد حاز في الفضل الكالا الكامل

٢١٥ يا اشراف الوزراء اغسلوا وأكرمهم فضلا الكامل

٢١٨ يجهل في الإعدام رأيي ماضى أدام إذا فروا من الموت أجهلا الطويل

٢١٩ قل فخطوب إليك حتى إن لى في انقلب عزما مثل حة المنصل الكامل

الميم

٢١٩ إذا ضاق بالخطى سترك الوغى وهال الذى وقع القلب في الجاهم الطويل

٢١٩ سبب المين كم لك طوق من يجيدى مثل أطواق الخيام الوافر

٢٢٠ ألا هكذا في الله تمنى المزامم وتمضى لدى الحرب السيوف الصوامم الطويل

٢٢٤ لك الفضل من دون الوغى والمكلام فن حاتم ما نال ذا القصر حاتم الطويل

النون

٢٢٨ إليك فاق حتى شعورك شانى ولا تحك العين الحسان حنانى الطويل

الهاء

٢٢٩ كم تمنى الأيام حتى وثا، حتى أنت تنال حتى مناها الخفيف

٩

الأدب

البحر	البحر	البحر	البحر	البحر	البحر
الصفحة	البحر	البحر	البحر	البحر	البحر
٢٣٠	٢٣٠	٢٣٠	٢٣٠	٢٣٠	٢٣٠
٢٣١	٢٣١	٢٣١	٢٣١	٢٣١	٢٣١
٢٣١	٢٣١	٢٣١	٢٣١	٢٣١	٢٣١
٢٣١	٢٣١	٢٣١	٢٣١	٢٣١	٢٣١

الحاء

٢٣٢	٢٣٢	٢٣٢	٢٣٢	٢٣٢	٢٣٢
٢٣٢	٢٣٢	٢٣٢	٢٣٢	٢٣٢	٢٣٢

الحاء

٢٣٢	٢٣٢	٢٣٢	٢٣٢	٢٣٢	٢٣٢
٢٣٢	٢٣٢	٢٣٢	٢٣٢	٢٣٢	٢٣٢

الدال

٢٣٣	٢٣٣	٢٣٣	٢٣٣	٢٣٣	٢٣٣
٢٣٣	٢٣٣	٢٣٣	٢٣٣	٢٣٣	٢٣٣
٢٣٤	٢٣٤	٢٣٤	٢٣٤	٢٣٤	٢٣٤
٢٣٤	٢٣٤	٢٣٤	٢٣٤	٢٣٤	٢٣٤
٢٣٥	٢٣٥	٢٣٥	٢٣٥	٢٣٥	٢٣٥
٢٣٥	٢٣٥	٢٣٥	٢٣٥	٢٣٥	٢٣٥
٢٣٥	٢٣٥	٢٣٥	٢٣٥	٢٣٥	٢٣٥
٢٣٥	٢٣٥	٢٣٥	٢٣٥	٢٣٥	٢٣٥

الراء

٢٣٦	٢٣٦	٢٣٦	٢٣٦	٢٣٦	٢٣٦
٢٣٦	٢٣٦	٢٣٦	٢٣٦	٢٣٦	٢٣٦

احتر هونك بالجلد وامطير إن الكريم على الحوادث يصير الجبر
لا تأمن كيد السد و تأمن كيدهم غرد الكامل
عن واحدا أو قاتل لك صاحباً في عتدى ورج وطيب نجار الكامل
٢٣٦
٢٣٧
٢٣٧

السين

يقولون لي أذهبت كل ذخيرة وأقضت مالا لا تجود به النفس الطويل
٢٣٧

الشين

لماك والظان لا يذنبك من أبوابه تنكب ومعاشر الكامل
كل مستقبل من المسم يفس إذا مضى الخفيف
أصبحت كاتسر خاتم قواده لا تسقل بجاحاه إذا نبضا البسيط
٢٣٨
٢٣٨
٢٣٨

العين

لا تسكن لهم واثن بجاهه بزية في الخلب لا تضضع الكامل
٢٣٩

الفاء

قل للذين يرمم ما ساء لا زائلكم حسرة وتلف الكامل
٢٣٩

اللام

لما لم ترجمي خلف الملول واستجدي نوالاً من يهمل الوافر
ولم نساء العوازل لا أرى على شئت اغفلان مستبدلاً خلا الطويل
أيما الريح المهيل به في عكك الرحيل الزمل
أئن خض دهر من بجاهي أوتى عتاف أو ذلت بأخصى التل الطويل
نوال لما السامحوت واثق لأنف ذل يدك السؤل سائل الطويل
حلام أضعف في الدنيا من دفت وما بأيديهم ذلق ولا أجل البسيط
إن سر أصداف أن مضى دهرى بما أذهب من مالي الهرج
٢٣٩
٢٤٠
٢٤٠
٢٤١
٢٤١
٢٤٢
٢٤٢

الميم

سلوت عن كل حال كنت ذا شغف بها ولم أصل في حال من الكرم البسيط
لنا هجمة لقي إن ذاب والقرى ولجار ما تفك نهباً مقسا الطويل
٢٤٢
٢٤٢

النون

لا تودعن مع إنك شكة فاقطب أول باقى أجتا الزر
٢٤٣

الماء

ظلمت شعري وليس الظلم من شيء يطيني حين أدعوه وأصعبه البسيط ٢٤٣

الباء

لما رأيت صروف هذا الفجر تلب بالبرايا الكامل ٢٤٣

١٠

الشواهد والأمثال

الباء

لو صبرنا على البلاد احتسابا لرجونا به جليل الثواب اغثيف ٢٤٥
حسبي من الجيش خير الجيش يدركه سوى في ولي الأوصاب والتعب البسيط ٢٤٥
بدا لمن شره أعمى يصيب ولا يرى مكان الأعادي من ذوى القرب البسيط ٢٤٥
ألفت الكجاجة بعد الفرو وطابت وما خلقت لي تطيب للمقارب ٢٤٦
أما ترى المأجد القضال ترفه أيامه وهو بالإحسان مقرب البسيط ٢٤٦
شاهدت تلا قد تجاذب زمرة ذا قد تملكها وهذا يلب الكامل ٢٤٦

الجيم

يا ألف ألم لا تخط فأبأس ما تكون يأتك لطف الله بالقصع البسيط ٢٤٦
تقل إذا ناديتي للفة أجدى من القصرع الخياج الكامل ٢٤٧

الحاء

لولا ألقى جرت الأعلام قبل به ما ناله ذوا الجهل دون الخازم المتع البسيط ٢٤٧

الدال

قالوا نه الأديبون عن الصبا وآخر المشيب يجود تحت يميني الكامل ٢٤٧
أصبحت في زمن يشيب بحسوه فود الجنتين ويرم الحولود الكامل ٢٤٨
ودع أبا القرم صرا لا يلى وعرض بالماجمات بحار الهمة لليد البسيط ٢٤٨
صدقت لي تنكر بسد ود وأم النسر في الدنيا ولود الزافر ٢٤٨
ضحت لائق وإخواني وأزودى دهرى فشت وحيدا بها كذا البسيط ٢٤٩
نظر القابض المخطوط فمضى وتسمى عن حاتم محمود اغثيف ٢٤٩

الراء

الصفحة	البيت
٢٤٩	فالتمس أدنى صحاب عن يسترها البيت
٢٤٩	فضائل بين جدو الناس والحضر البيت
٢٥٠	يضى ولساني عن نوال وعن أمر الطويل
٢٥٠	ما ناب من مصعب الأمر الريح
٢٥٠	ئين نورا وفيه النار تسمر البيت
٢٥١	تهوى فاجزع بمسعود المنسرح
٢٥١	أبدى الهداية ما تحفى غائره البيت

الزاي

٢٥١	اصبر تل ما ترجبه وتفضل من جارك شاد البلا سبقا وتبريزا البيت
-----	---

السين

٢٥٢	اصبر إذا ما ناب غلب وانظر فجا يأتي به الله بعد الرب والياس البيت
٢٥٢	الضر في أيامنا هذه كالليل يفتى سائر الناس الريح

الطاء

٢٥٢	أداني أستبيل متى حان وما في مغرق للشيب وعط الوافر
-----	---

العين

٢٥٣	لا تخضعن بأطاع ترثرها لك التي بحيث المين وانغمض البيت
٢٥٣	ومما نرى دمع النداء جوابه فإذا مرا غلب فأبد من دمي الكامل

الفاء

٢٥٣	قوم يموت الناس حنعم غرا وهم منهم على فرق الريح
٢٥٤	لنا حديق ينسرا الأصقاء وما رأيه قط في رد أمرئ صدقا البيت
٢٥٤	لا تخبرين باب ملطان وإن ملأت هاته غير ممنون به الطرفة البيت
٢٥٤	لمنر بصيرك ما تحقى من كد وإن أذاب حناك المم والحرق البيت

الكاف

٢٥٤	حظك من المنصر قال بنيه ولا حظك المود لي القلاء المنسرح البيت
-----	--

اللام

البحر	بعد المنيب سوى حداث الأول	انظر إلى صرف دهرى كيف حردى
٢٥٥ البسيط		
٢٥٦ الطويل	إن اليأس بالخطوب سوامل	إذا ما مرا خطب من الدهر فاصطبر
٢٥٦ الخفيف	نبا خيال إذا انتهت يزول	كل فوه تراه في هذه الله
٢٥٦ البسيط	فيه وقد قيل كم من واثق نجل	لنى وقتت بأمر غرق أسل
٢٥٧ الكامل	بمسرة يورود لاصع آل	لا دد ذلك من رجا كاذب
٢٥٧ الكامل	كتخاف سرج الظلال المائل	لا تخين من مل إن حابه
٢٥٧ البسيط	يرضى إذا غل من وفر ومن مال	لا يرفئك ما قال الزمان فسا
٢٥٨ الكامل	في مدافنى وسطلى	يا جامل الأشغال طرا
٢٥٨ الطويل	ولا لمسرى في البلاد قفول	إلى كم أجوب الأرض مالى عرس
٥٨ السريع	حناة الأيام يا لجمل السرج	نظف في القفل آنى أرى
٢٥٨ الكامل	أعطاه فيه يحار المائل	رفع الخطوط لمن أمين رطل من

الميم

٢٥٩ الخفيف	فلم يرح حرقى وذمى	ل نول حبه مذبح العسر
٢٥٩ المشرح	أزات حادى الأسود فى الأهم	لو كان رزق القفى يقوى
٢٥٩ الطويل	يا مكرها رشف القفاف من الميم	لما الله أرنا يرفق المرز زفه
٢٦٠ الكامل	يرجى ولا تبغ زفرة تادم	لا تأسفن لقاصب أرفات
٢٦٠ الكامل	أنتبى بعد الكرام	قل لربك إليك قد
٢٦٠ الكامل	والحامل همى	يا أنى الشاك لما ألكو
٢٦١ الكامل	خبروا على سر القواد المائم	لا تعلق لسان شكوى بأفح

النون

٢٦١ الخفيف	أو تلتاك بالثاقف حيناً	اصطبر لزمان إن حاف حيناً
٢٦١ الكامل	أبدى لك اليأس الميئنا	من مل فاجره قد
٢٦٢ البسيط	وبعد ما تاب عما داب مذ حين	يا شارب الخمر يبد التلك والحين
٢٦٢ البسيط	نعم، الكرماء البخل يا زمن	كم قصد الماجدين القاحلن وك

الهاء

٢٦٢ الكامل	يسر والختى إلا الله الكامل	لا تخمن دنيا ولا دنيا فسا المر
٢٦٢ الخفيف	مل من رخصة ومالك وجاء	تلك فى مصر كل ما يرتجى الآ

١١

الكبر والمشيب

الباء

- وثنائة يرثا بفردى راعيا وما كل برق لاح يؤذن بالغصب الطويل ٢٦٤
أما ترى الشيب قد رداك به دجى فوديك واما قداك الليل بالغصب البسيط ٢٦٤
لو كانت صد مخاضا ومخاضا أحبه . ووضعت ظنى ثانيا الكامل ٢٦٥

التاء

- صا ولجهول أوقات وميثاق ولقروايات والأهواء غايات البسيط ٢٦٥
مالى رأيت التلج عم شيه نلل الزبا فزمت بحسن نباتها الكامل ٢٦٦

الجيم

- دع ما نهى الشيب والسجون مع قر ياك الصبا والشباب الفنى قد ددجا البسيط ٢٦٦

الدال

- أرى شميرات يخذن كأنها على الماء صدع فى الزجاجة باد الطويل ٢٦٧
إذا ما جلا الليل النهار بنوه تعبه ليل أسم ركود الطويل ٢٦٧
ظفرت ياض مفارق فاستريح أسفا وقالت أين ذلك الأسود الكامل ٢٦٧

الراء

- يقولون جار طيكك المشيب ومن ذا يجير إذا الشيب جارا الخقارب ٢٦٨
تصامت عن لوم السلوك كأنها دى الوجد يوم الدين سمى بانور الطويل ٢٦٨
رأيت ما تلفظت الحوى فأسفنى إذ عاد حاله كالتلج مشورا البسيط ٢٦٩
إذا تنوس ظهر المرء من كبر ضاد كالتقوس يمشى والحقى الوتر البسيط ٢٦٩
إذا عاد ظهر المرء كالتقوس والصا له حين يمشى وحى تقدمه وتر الطويل ٢٦٩

الضاد

- لحق وانحوان الشباب ضوا ليل وكى من يسلم أين السرج ٢٧٠
تلق النبات فراق لون شويه فلام لون الشيب ليس يروق الكامل ٢٧٠

اللام

البحر	الصفحة	لم ترك البجون في إلبا	من سوى مالا عليه مصول	الكامل	٢٧٠
وضح الصباح	ناظر المائل	للام توضع في الطريق	المجهول	الكامل	٢٧١
نضا صبح الشاب	قلت أدنى	لصبح حال أم	تغير حال	الوافر	٢٧١
إن ضخت من	حل قتل رجل	وداين حارها	في السيل	الرجز	٢٧٢

الميم

٢٧٢	الكامل	ماذا قلت تربكة الأيام	فالت وأحزها يا ض مغارق
٢٧٢	الكامل	فكانهم ركاه أحلام	انظر إلى لب الزمان بإله
٢٧٣	الكامل	ن الدين والأنباء سمي	من مبلغ من فلا
٢٧٣	الوافر	من الدنيا تفتان المسموم الوافر	أنكر في فرية ما تلاق

النون

لما تحفظني	البجون سرنة	وساور الضف	بعد الأيد	أركان البيط	٢٧٤
حلت قتل في	البل السما	وبت في حين	حاولت	الحرمة الزمل	٢٧٤
نكست في الخلق	وسطني الب	ون لما أن	طت مني	البرج	٢٧٤

الهاء

ظنرت ميسر	فودي فبكت	ثم قالت ما ألقى	بني مرء	الزل	٢٧٥
حلت قتل بعد	ما ثبت السما	نصده	تجمل	التكلمه	الكامل ٢٧٥

١٢

الزهد والمواعظ

الباء

يا رب حسن	وجاني فك حسن ل	تصيح وتي في	هو دلي لب	البيط	٢٧٦
-----------	----------------	-------------	-----------	-------	-----

الهاء

يا غافلين	عن الأمر ألقى	حقوا له	أنفوا	ظنوا	حيات البيط	٢٧٦
-----------	---------------	---------	-------	------	------------	-----

الحاء

لا تخرج الخلق فالأبواب مرتجة دون الخطام وباب الله مفتوح البيط ٢٧٧ البحر الصفحة

الذال

ط يصرفني تمهادي ونبيني خبري يدمري قننت البيشة الرندا البيط ٢٧٨
مجت عن الدنيا قال من يد يا ولي الأيد المعاهد واليد الطويل ٢٧٨
تزلنا به حتى إذا يومنا اقتضى رحلتنا على النيس النجائب وإيلرد الطويل ٢٧٨
أما رأوا قلب الدنيا بنا وثقتها من إليها أخذا للربز ٢٧٩
شوة القناد عن قننه بصيره أقمع من وجده السرج ٢٧٩
تبارك اسمك كم من آية شئت بألك الواحد المعطل الصمد البيط ٢٧٩

الراء

احلد من الدنيا ولا تنتر بالمر القصير الكامل ٢٨١
لا تقتبط بسود دنوا ما يدمر يا سرود الكامل ٢٨١
أرى الذين تسفل الكرى وأمامها كرى ليس تنضيه إلى داعي الحشر الطويل ٢٨١
دنياى فاشرة فإن فارتبها طوما وإلا فارتقى كلامها الكامل ٢٨٢
لك الحمد يا مولاي كم لك منة على وفضل لا يقوم به شكوى الطويل ٢٨٢
أيما الظالم مهلا أنت بالحاكم شر الريل ٢٨٣

الطاء

الناس كالطير والدنيا شياكمهم وهمم بها بين دكاش ويخط البيط ٢٨٣
ما زلت في غبطة حيش طالما أن سيزول بالمسوم ما غبط الرز ٢٨٤

العين

من مبع الميز والقنم وأين السيل الفانج الفانج السرج ٢٨٤
أيما الفافل كم هذا المجرع أعلن الداعي قول أنت سمح الريل ٢٨٦

الفاف

أيما الفافلون عن سكرة الو ت وإن لا يسوغ في الخلق رفق الخفيف ٢٨٧

الكاف

سلوت من صوات كنت ذا شفت يسا وطت لى الإنبات والصبك البسيط ٢٨٨

اللام

أى الموت يستقرى النفوس ولا أرى سوى مانع ما فى يديه بجلى الطويل ٢٨٨

الميم

إذا ما عراما لا ألهى دفاعه وأدمضى الفكر المسبب والمم الطويل ٢٨٩
ظلم بعد الموت دار سوى جنة عدن أو لقا ضمير السبع ٢٨٩
نمنا من الموت والمعاد فأصبحنا نظن اليقين أحلاما انخفيف ٢٩٠
فوض الأمن وأشيا جف بالكائن القلم انخفيف ٢٩٠
أرقت قلبك يا ظفر م يسا احتجبت من الخفايا الكامل ٢٩٠
ماذا الوغوف على دار بلى سلم بجاء أو قد عراها حارض الحكيم البسيط ٢٩١

النون

لا تعطين أهل بيت سرم زين صوف يطرقهم بالمم والحزن البسيط ٢٩١
أيا المفرد مهلا بلغ السر مداه الزمل ٢٩٢
أف لدينا فآربا جناها ليس يخطر من رأها من أذلها الزمل ٢٩٢

١٣

المراءى

الباء

قد كنت أسمع لكن خلفه مثلا أن القيال يصدق الصقر بالغرب البسيط ٢٩٤
وجج الفريفة والديار ديارها لم ترتحل عنها ولم تحبب الكامل ٢٩٤
لطف قسى للال طالع ما استوى فى أهله حتى غرب الزمل ٢٩٥
يا قسى أين جميل م برك حين تطرقت الطلب الكامل ٢٩٥
لطف قسى على ديار من الله كان أقوت ظلم فيها عريب انخفيف ٢٩٦

التاء

يا دهرم هذا الضر قى والضرب والشتات الكامل ٢٩٦

الزاد

لله أشكو دوحى وندى وروحة أحناني لفتقد أبى بكر الطويل ٢٩٧
أعابك فبك الحمر لو أحب الحمر وأستبد العبر الجبل ولا صبر الطويل ٢٩٧
أزود فبرك مشافا فيحين ما حيل فوقك من ترب وأجار البيط ٣٠٠

الزوى

نخرمت الأمام أهل مودق ففسى عن آسى المرات نافر الطويل ٣٠٠

العين

صبرى على قد إخوانى وفرتهم قد وأجل بى من صبرى المزرع البيط ٣٠١
وقت على دم يبداء بقق خل من الأذى صموت إذا دعى الطويل ٣٠١

الفناء

أزود فبرك والأفجان تمنى أن أحنى لطريق حين أنصرف البيط ٣٠١

الكاف

أصبحت لا أشكو الخطوب وإنما أشكو زمانا لم يدع لى شتى الكامل ٣٠٢
وسع صبرى عن حلق الأسمى من بد ما ضاق بى الملك السرج ٣٠٢

اللام

كيف أذاك يا أبى بكر أم كيف امطاردى ما حلك صبر جميل الخفيف ٣٠٣
أحدث حلك بالبلوان قسى وهل تلو مولدة تكول الوافر ٣٠٣
لسرك ما ينسى الحمر دوحى يفقد أبى بكر حيانى ولا يسيل الطويل ٣٠٤
حيا دبوحتك من دوى ومازلك سارى للهام بكل حام حامل الكامل ٣٠٤

التون

حاتم الأيك هيجن أجهانا عليك أسدفا بنا وأجهانا البيط ٣٠٦
حسى من البش كم لايت فيه أذى أله قد أترابى وخلاق البيط ٣٠٩
تاحت فاحت فى فروع اللان عن لوصى وعن جوى أترابى ٣١٠

المسقطات

كهلك باقات الحى فوق كنبها الطويل ٣١١
أبالانى فى وقفة الملوذ الطويل ٣١٤
أساقها لفين وهى مجول الطويل ٣١٦
قوم ما أراقى الحمر أم سلم البيط ٣٢١

(٢)

فهرس الأعلام

(ط)

طمان ١٤٧

(ع)

الأفضل عياض ١٦٦/١٤٩/١٧٨

عبد العزيز بن الحسين (ابن الجباب) ٨٢

حق ١٦٠

من الدولة أئمة ١٠٩/١١١/١١٧/١١٨

١٣١/١٣٨/١٥٠/١٥١/٢٩٤/٢٩٤

(ف)

نظر الملك بن طليب (أمير) ١٥٧

(ق)

أبو القاسم بن المغربي ١٢٣

القاضي الرشيد = أحمد بن حل

القنصان (ابن الموح وابن فوج) ٨٩

فيس بن فوج ٣١١

(م)

عبد المين (أمير) ٢٠١

مجنون ليل ٣١٤

الحسن بن الحسين بن أبي المضا ١١٢/١٢٤/١٣٧

مرحف بن أسامة ١٢٤

معين الدولة أئمة ١٧٠

الملك الصالح ٧/٢٨/٧٧/٧٨/٨٥/١١١/١١٢

١٣٦/١٤٠/١٤٣/١٥٣/١٦٢/١٧٤

١٧٨/١٧٩/١٩٧/٢٠١/٢١٣/٢١٧/٢٢٠

٢٩٦/٢٣١

(ن)

نظام الدين (الوزير) = الحسن بن الحسين

(١)

أحمد بن علي بن الوزير (القاضي الرشيد) ١٢١/١٤٢

(ب)

أبو بكر بن أسامة ٢٩٥/٢٩٧/٣٠١/٣٠٢/٣٠٣

بهاء الدولة بن محمد أئمة ١١٥/١١٧/١٢٠/١٢٣

(ت)

تاج الدولة عبد الله بن محمد (ابن م أسامة) ١٤٨

(ج)

ابن الجباب = عبد العزيز

(ح)

حاتم (قائد) ٢٢١

حيلة بن نجم الكاتب ١٨٩

(ز)

زيد بن محمد قبيب الطالبين ١٣٥/١٣٩/١٤٢

(س)

ابن سري ٨

السومل ١٤٧

(ش)

شمس الدولة عبد الرحمن ابن أئمة ١٠٩/١٢١

١٤٩/١٣٧

شوق (جاري) ١٥٦

(ص)

أبو صالح بن المذهب ١٥٦

(ض)

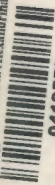
ضياء الدين = زيد بن محمد

تم طبع هذا الكتاب في يوم ٤ من ربيع الأول سنة ١٣٧٣
(١١ من نوفمبر سنة ١٩٥٣) م

مدير المطبعة الأميرية

حسن علي كليوه

Bibliotheca Alexandrina



0410559